السيد حافظ

كابتشينو

روايـــة

الرؤية الثانية - مزيدة ومنقحة
الطبعة الثانية

الكتاب : كابتشينو – الجزء الثانى – الرؤية الثانية – مزيدة ومنقحة

الكاتب : السيد حافظ

الناشر : دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر



تليفون : ٠٣ / ٤٨٦٠٠١٢

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠٢٣

رقم الإيداع : ٢٠١٨/ ٨٥٢١

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى : I.S.B.N 865–02–5412 - 2

الغلاف :

تصميم وإخراج : خالد شعبان

شكر خاص لكل من :
د. سمير عابديـن
جـمـال سـالم
البيلى أحمد حسين

الحكاية الثانية

حكاية الروح
نــور ومحب وموسى

الرواية كائن حى يتطور يتغير مثل كاتبها.. وما دام الكاتب حيا ففى كل طبعة جديدة عليه أن يطورها ويغيرها مثلما تغير.. وإذا مات تركها أرملة طروب لا ترتدى ملابس الحداد إبدا..

الكاتب السيد حافظ

إهداء خاص إلى الشهداء

يقول الله - عز وجل:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

صدق الله العظيم

(سورة الإسراء ٨٥)

كل فرد ينتمي إلى عدة أرواح جماعية
روح عرقه.. روح طبقته.. وروح طائفته.

سيجموند فرويد

إهـداء

إلى الروح الأولى والأخيرة
أخى كنز من ربى
عادل حافظ

إهداء إلى الروح النقية التقية التى ذهبت إلى ربها راضية مطمئنة..
أخى وصديقى عادل روحك لا تفارقنى..
فأنت الروح الجميلة التى كنا نتنفس منها عبير الفردوس جميعا ..
أصحو دائماً على أنغام حنان صوتك : "عامل إيه يا أستاذ؟.."
وأغفو على كلمة من قلبك المطمئن دائماً ..: "بكره أجمل "
نتهامس ونتناقش بالكثير الكثير..
زرعنا سوياً روح الصدق وجنينا أفراح وأطراح..
أخى أحب حديثك وصوتك الذى لا يفارقنى..
كنت الضوء فى طريقى حين الدنيا تظلم..
تأخذنى من الوحدة ونهرب سوياً إلى بحر الأفكار.. والضحكات
كنت ملاذ أفكارنا وبلسم جروحنا جميعا..
أخى من يزيل ويمحو همومى وقت أحزانى
يا عبقرى الحرف
لن يكفينى أكتب عنك كلمات ولا كتب ولا مجلدات
أخى ليس ككل الرجال إنه الحب.. إنه الوفاء...

دراسات حول هذه الروايـة

مدخل إلى روايــة (كابتشينو)	بقلم كمال الدين العيادى القيروانى – تونس
قراءة نقدية في بنيــة النص الروائى	بقلم د / رشا غانم – مصر
كابتشينو والتمرد على نمطية السرد	بقلم الدكتور/ أحمد المصرى – مصر
تحويجة روايــة " كابتشينو "	بقلم فهمى ابراهيم – مصر
" كابتشينو " .. والهروب بين صهلتين	بقلم دينا نبيل عبد الرحمن – مصر
إيقاعات متفردة على هامش الرواية	بقلم / منى عارف – مصر
بنية الزمان والمكان في رواية "كابتشينو"	بقلم فاطمة الزهراء بن الصادق وأسماء بوفاديس – الجزائر

لست مؤهلاً إلا لكتابة شىء عن نفسى إننى أؤمن بأن روحى ستنتقل فى جسد آخر فى زمن آخر ومكان يقدرها ويمسح الله بيديه عليها.. إنه يعلم أنها تواقة للجمال المطلق فى كل شئ.. إنه يعلم ما شاهدته فى مصر والوطن العربى من عذابات.. إن روحى تعذبت من الغباء والقبح وغياب الضياء والبهاء.. وغياب الأنبياء.

عشت فى ظرف تاريخى أحمق بكل المعانى.. وجهل وتعصب وغياب عندما غاب وعى الشعب المصرى والعربى.. وأملى كان مثل جمال حمدان أن ينصلح حال هذا الشعب، ولكن لم ينصلح ولا أعرف متى ينصلح؟

السيد حافظ

"هنيئا لمن يعيش ويرى العدل على أرض مصر"
حكيم فرعونى من ٤ آلاف سنة قبل الميلاد

ولي فى عشقك وطن..
فتحى رضوان خليل[1]

وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ

(سورة النور ٤٠)

- **أعتذر لأولادى وأصحابى ورفاق الدرب على أنى قمت بكشف حوارنا الخاص للقارىء الفاهم العارف بسر الضوء والجمال أنا رجل فتان على الورق لم أقصد الإساءة إلى أحد.. سامحونى..**

- **إلى الجميلة التى ظهرت فى حياتى لترافقنى لحظة وجع الضوء وغياب الفضيلة و اختفاء الحكمة فى حياتى إلى زوجتى.**

قال ماوتسى تونج زعيم الصين :

(إياكم والاعتداد بالنفس، ولا تظنوا أنكم أفضل شعوب العالم،
وعليكم بالعلم بلا ملل أو كلل، تصبحون شعباً ذا حضارة)
وأنا أيضاً أقول للمصريين هذه النصيحة

---

(١) حذفت من هذه الرواية ١٦٥ صـــفحة لظن أنها كانت عبئاً على روح النص والرواية.. وعبئا على روح القارئ لذلك لزم الاعتذار والتنويه على ما تم حذفه. الطبعة الاولى ٢٠١٣ ..اضفت فى هذه الطبعة الثانية حوالى ٣٣ صفحة لتعميق الدرامية فى الأحداث..

إهداء أخير وخاص

إلى أصدقائى الذين يعاونوننى فى طباعة الكتب على نفقتى ونفقتهم بعد تخلى الدولة الرسمية عنى حتى فى الطبعة الثانية لم اجد وطنا او حضنا فى مؤسسة ثقافية عربية ..فكنت أنا واصحابى نتعاون للطبع مرة ثانية
وإليكم الرواية.. أو المسرواية او السرداية

كابتشينو

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة

الفصل (١)
بعنوان
لماذا هزمتنى الأيام على الرغم من أنى لم أفعل لها شيئا؟؟

ومنذ ذلك الحين، وأنا أستحم في قصيد البحر،
منقوعا بالنجوم، ولبنيا
مشرقا بالفرح، غريقا متأملا ينحدر أحيانًا.
الشاعر الفرنسى "رامبو"

***

سيدتى لك الغرور..
ولي الحروف والنور
وأحيانا أحن للسفر إلى عينيك وأسكنهما
وأتخذ قلبك وطنا..
"كاظم" أحد أبطال الرواية

***

شهرزاد[١] تجلس أمام الدار.. الدار بنى على تل.. التل يطل على القرية.. القرية قرية سهر وشهرزاد.. شهرزاد تجلس وعينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان تظهران عند ابتسامتها .. ابتسامتها ظلت حلم الرجال أما من يستحقها من الرجال لم يظهر بعد ويكحل عينيها .. عيناها تعانقان الأفق الأزرق البعيد فى سماء.. سماء سوريا ولبنان بلاد الشام.. الشام بلاد اللوز والتفاح والياسمين؛ ياسمين الشام نساؤها جميلات ورجالها وجهاء..

---

(١) كلما سمعت اسم شهرزاد خطفنى الخيال إلى امرأة جميلة ذات خمار وسحر وحوار.. تنتظرنى فى مخدع من حرير وتقف من بعيد الوصيفات من حوريات جميلات، ويقوم هو من النوم ويتجه ناحية الفضاء باحثا عنها..

تضع شهرزاد المتى[١] والقهوة السادة على ركوة النار وتجلس فوق جلد الماعز.. تمر النساء والرجال ورعاة الأغنام على التل ..على التل شهرزاد جالسة أمام الدار لإلقاء ورد السلام.. شهرزاد يهابها كل الرجال ويشتهيها بعضهم.. وكل النساء تحبها لأنها تنصحهن بكيفية كسب الرجال فى البيت عامة وفى الفراش خاصة، وفى القرب والبعاد وفى كل الأحوال.. وكل النساء تبث لها بعض الأخبار..

شهرزاد هى سيدة الوجع.. خبيرة بوجع ومتعة النساء والرجال.. تسمع دقات قلوب النساء قبل الرجال، هى دوما غير عابئة بالوقت ولا الزمن مادامت أمامها المتى والقهوة السادة والزيت والزعتر وحبات الزيتون وقطعة جبن.. هى تسمع آهات الجميع.. تنصح وتحكى لمن تحب، وعادة ما تحصل على زوادة من السكر والقمح والتفاح هدية؛ وما أجمل هدايا شهرزاد التى تحب الجميع.. وأحب من تحب طبعا سهر؛ سهر ابنة العشق والجمال والجبل، عشيقة القمر..

جاءت سهر إلى بيت شهرزاد.. سهر يسكنها هاجس حكاية نور وموسى.. اقتربت منها وهى جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة، فمازال البرد فى الجبل.

قالت شهرزاد:

- ما أخبارك يا حبة العين؟
- أعيش يا خالتى فى ضجر، أحلم بالذهاب إلى الإمارات وتغيير الزمان والمكان..
- وما أخبار العاشق الأستاذ كاظم؟
- لا أعرف ولكن وصلتنى رسالة هى قصيدة شعر أظن أنها منه أو من مدرس آخر.. أتعرفين يا خالة على الرغم من زواجه من وردة لا ينساني هذا الرجل أبدا.. كلما مررت من جواره احمر وجهه خجلا.. أشعر بدقات قلبه أحيانًا تقفز أمامى مرتبكة.

---

(١) (المتى): المتى مشروب مشـهور فى أمريكا اللاتينية وسـوريا من مجموعة أعشـاب، واشتهر هذا المشروب لأن جيفارا كان يشربه، وقيل إن الحاكم بأمر الله كان يشربها فى مصر، وكانت مشروبه المفضل ويشربها أتباع الحاكم بأمر الله.

- ماذا مكتوب في القصيدة يا قمر؟
- الحضور، فالحضور تماس بالروح والإحساس وليس بالجسد فقط.."

ضحكت شهرزاد، وقالت:

- يا عينى يا عينى يا ست سهر؛ حفظتى القصيدة يا حبيبة قمر.. هل تعتقدين أنه الأستاذ كاظم من كتبها؟

ضحكت سهر مع شهرزاد:

- لا أعرف يا خالتى.. تأتينى خطابات ولكنى شككت فى هذه القصيدة، وهذا الرجل سيجننى ، لو شاهدتيه وهو ينظر لى.. نظراته ستسبب لى وله ولأبي وردة مشكلة كبرى.. البلد ستقسم وتتفجر مشاكل ليس لها حل.
- سيجن الرجال بك يا عشيقة القمر!! سيجن بك البشر والجبل والزرع. حتى اسألى عصفورك العاشق سيحكى لك أنه ليس عصفورا بل قلبا بشريا أو قلوب رجال مفتونة بك يا سهر، حتى الشجر يحبك يا حبيبة القمر.

قالت شهرزاد:

- خذى يا سهر وأشعلى لك سيجارة.. دى سجاير جاية هدية من البرازيل.
- اووف يا خالتى أنا ما أدخن.. يا خالتى...[1]
- دخنى.. دخنى؛ لأنك ستدخنين السيجارة ذات يوم.. لأن النساء تدخن من القهر والفراغ الذى تواجهه مع الأيام..

راحت شهرزاد تعصب رأسها بعصابة وردية مزركشة، وأخذت تشدها إلى جمجمتها بقوة حصان.. أخذت سهر السيجارة وأشعلتها.. سعلت مرة.. ثم أخذت نفساً ثم نفساً.. ثم استطعمتها فانسجمت..

قالت شهرزاد وهى تبتسم:

- سأعطيك حبات ينسون فى فمك تمنع رائحة الدخان؛ حتى لا يغضب أبوك.. السيجارة حرام بس حرام خفيف ومباح.. يا بنت، ستسامحنا

---

(١) اكتشـــفت أن أول من فكر فى الاســـتيلاء على الحكم بالخديعة والقوة والمؤمرات هم الفراعنة فقد قام ســت بخديعة أوزوريس أخيه ووضـعه فى الصـندوق.. وألقى به فى النيل.. ولما عادت الحياة له بدموع زوجته إيزيس قام مرة أخرى ست ومزقه أربعين جزءًا ودفن كل جزء فى قرية من قرى مصر .. إذاً نحن من اخترعنا خدعة الاستيلاء على الحكم وعلمناها للعالم.

السماء..

- احكِ لى يا خالتى شهرزاد..
- سأحكى لك، ولكن دعينا نأكل شيئا حلواً.. جبنة نابلسى حلوة..
- طيب..استريحى نشرب المتى أولا.. والا أقولك قهوة سادة أنت تحبينها، والا كابتشينو جاى لى من البرازيل هدية، هل أنت تميلين إلى كاظم يا بنت؟
- نسيته يا خالتى من زماان.. طلعته من رأسى فهو الآن متزوج..
- لهذا السبب نسيتيه...؟
- لا، لأننى أرغب فى السفر.. ورؤية العالم.
- اشربى الكابتشينو..

لا شئ يمنع سهر من السفر.. لا العشق ولا الرجال، هى أنثى ترغب فى أن تمسك بالقمر وقمة الجبل، وأن تعشقها كل الكائنات الأرضية والسماوية.. ألم يمنحها الله جمالاً وجسداً وعطراً لم يمنحه إلا لقلة من النساء.. ذات يوم ستجعل الرجال ينهارون تحت قدميها.. يبكون.. يتوسلون(١).. أن يتحسسوا كفها.

كاظم إذا تزوجها ستصبح دجاجة فى عشة.. تنتظر الديك كل مساء، وهى ليست دجاجة.. وليست قطة سجينة وليست مهرة تجر عربة.. هى مهرة برية.. هى الطبيعة والتحول والنغمات هى تعرف أن بعض النساء نغمات ولسن لحماً وعظاماً.. هى تريد أن تطير مع عصفورها، وتسمع غناء الكائنات.. ودت لو تعيش فى ألمانيا لأنها تظن أن ألمانيا مركز الفلسفة والثقافة فى أوربا والعالم.. سهر عذرية العذارى.. نظرت إلى الجبل.. قالوا لها إن الأستاذ كاظم يصعد إلى أعلى كل يوم.. ترى لماذا؟
هل ينتظرها؟؟.. هل يهرب من وردة؟.. أى أسرار يحملها الجبل؟

***

كاظم يحب الجبل.. الجبل مجنون، وأحياناً مفتون، وأحياناً بلا أخلاق

---

(١) ذهبت إلى اتحاد الكتاب لأحصل على معاشى الشهرى ١٠٠ (مائة) جنيها ثمن وجبة.. بعد ٢٠ سنة عضوية فى اتحاد كتاب مصر هكذا تنظر الدولة المصرية العظيمة لمعاش كتابها سواء كانوا عظاماً أو صغاراً.. بينما فراش وزير الثقافة راتبه ٣٠ ألفا جنيها شهريًا.زاد المعاش فى الطبعة الثانية صار مئتين جنيها !!

يعرى النساء حين تصعد عليه، وأحياناً يكِن ويسكت ويتأمل، وتشعر أنه كائن هادئ، ساكن، ولكنه يراقب كل شئ ويسكت، ويظل يراقب ما يفعل الإنسان فهو ظلوم جهول.. الجبل لئيم وحكيم.. فى كل يوم يصعد كاظم أعلى الجبل قبل الغروب.. ليراقب الشمس وهى تغرب.. تحمل الشمس في الغروب رسائل وجع القلوب فى النهار لرب السماء فى المساء، الشمس تشكو وجع الحب والعشاق وتنهيد البنات.. كاظم ينتظر هبوط ملاك من السماء ليسأله أن يحضر له سهر ولو ليلة واحدة أو عمراً كى تكون زوجة ووطناً له وحده يسكن بعينيها الساحرة.

كاظم شارد طوال الوقت وفى قلبه تسكن نظرات سهر، ظن ذات يوم أنه سوف ينساها أو نسيها خاصة حين يحاول دخول غرفة النوم يتذكرها حتى يتعامل مع وردة جنسياً ويلاطفها، وقليلا ما نجح وكثيراً ما فشل فهو عندما يرى سهر فى كل حصة يرتبك. وفى كل مرة تمر أمامه ينخلع قلبه ويجرى خلفها لاهثاً.. كاظم غارق فى العشق حتى الانسحاق والذوبان..

"يجيء الليل عند قدميك يا سهر وينام القمر مغشيا عليه، أو فى حالة خجل، ويصحو الفجر مستتراً، وينسحب بصوت الهمس حتى لا يوقظ قلبك أو يقلقك، وأنت فى أحضانك حلم بى، يهون على بكاء النجوم وهى تعطرك، وأكتب على خد كل نجمة أحبك، على الرغم من كل المعاناة والقهر وغربتى فى وطنى ورغم قسوة الزمان"..

فى بيت كاظم

قالت وردة لكاظم، وهى تقدم له فنجان القهوة السادة:

- اللى واخد عقلك.. هنياله (هنيئا له).
- الشغل والمدرسة.
- بعرف حبيبى بعرف، والله وحشتنى الدراسة والرفاقة، صحباتى زهرة ومنى وياسمين وسهر.. إلا إيش أخبار سهر؟

نظر لها بدهشة قائلا:

- روحى زوريها واسأليها.. ليش ؟ عم تسألينى أنا؟
- والله فكرة.. بنروح نزورها..

- بتروحى أنت.. كيف أنا أروح معك ؟[١]
- لما ييجى عريسها.. نزورهم سوا.. بدى تغور من هون.. والله لما تمشى حنفقدها.. بتوحشنا.. موهيك يا زوجى يا حبيبى؟؟
- شو بيكِ؟ كل ما قعدت فى البيت تعملى مشكلة وكلام هيك وهيك..
- بدى إياك تتكلم معى ما تتركنى هيك مثل الكرسى والكنبة والتلفزيون..
- أووه... بدك تعملى مشكلة.. أنا بترك لك البيت وماشى..

قام وارتدى ملابس الخروج، وترك لها البيت وخرج وهى تثرثر وتلوك الكلام كما تلوك اللبان، واللوم والدموع على خدها.. خرج من الدار.. صعد الجبل.. لتصعد الروح للحرية للنور للسماء.. روح الجبل بها جمال ولعنة مخفية فى الأحاسيس... آه.. لو..

سكن كاظم الجبل وقلبه مع سهر، ونسى العالم وكل البشر وكل حوار، وغادرت روحه السأم والضجر.. وبينما كاظم يصعد الجبل لمحه أبو الريش؛ فتابعه من بعيد، ليرى إلى أين يذهب كاظم؟.. صعد كاظم إلى التل، وجلس فوق الجبل ونظر إلى السماء سائلا الله أن يخرجه من أسر طوق حب سهر، وسجن وردة، وجحيم القرية.. أسرع أبو الريش، وأبلغ راغب أخا وردة وحصل على عشر ليرات.. ذهب راغب فى الحال إلى هناك وشاهده جالسا.. قال راغب لنفسه عندما شاهد كاظم ينظر للسماء طويلا طويلا ويتمتم بالشعر ..قال فى نفسه ربما كاظم رجل يحمل عقيدة غير عقائدنا..

ظل راغب يراقبه، وانتظره من بعيد، وهو يهبط من الجبل، وفوجئ كاظم به يقف أمامه وجها لوجه ؛ فذعر كاظم فبادره راغب:

- مرحبا زوج أختى أستاذ كاظم..
- هلا راغب أخو مرتى..

فضحك راغب ضحكة صفراء فى هذيان محموم.

- شو بك.. تحب الجبل؟
- ليش هالسؤال؟.. كلنا نحب الجبل.

---

(١) قرأت أن عدد النســاء فى العالم يزداد بنســبة ٩ إلى واحد؛ لذلك من حق كل رجل أن يتزوج ٩ نساء، ويجب تغيير القوانين، ويجب ذلك بسرعة؛ وعلى هذا أختار أنا الــ٩ نساء من ٩ جنسيات.. ليس طمعاً ولا انحرافاً ولا شهوة، بل رحمة بالنساء.. ارحموا النساء..اعتقد نحن لانعلن حقيقة عدد النساء..

أجاب كاظم بوجه صارم، وأكمل حديثه:

- كل واحد منا له سبب لحب الجبل[1].. هو يحمل الذنوب من البشر والخير من السماء.
- اسمع أخى كاظم أنت بتعبد الشمس صح ما بتعبد عقيدتنا. ناس قالت لى زوج أختك بيطلع على الجبل كتير.. ما صدقت اليوم شفتك بالصدفة..

ضحك كاظم وقال:

- يا راجل أنا زوج أختك وشو كتبت فى عقد الزواج.. ما قريت إنى مسلم.. ما تفتح فمك هيك هلق.
- والله أخوى كاظم ما عدنا نعرف مسلم من مسيحى من درزى لسنى لعلوى لشيعى.سوريا صارت خلطة...هههههه
- أحسن هيك.. أنصحك إنك تسيب الموضوع ده لله فى السماء.. مو أحسن هيك.؟
- شو أحسن هيك؟
- كلنا بشر كلنا أبناء الله ؟ اترك الله يحاسب البشر.

لم يقتنع راغب بهذا الكلام وأراد إشعال الفتنة، فذهب فى الحال إلى البيت ليخبر أباه بأن كاظم يصعد على قمة الجبل.. ظن الأب أن كاظم مثله يصطاد النساء وأن له وكراً خاصاً هناك؛ فأرسل خلفه بعض العيون ليتأكد.. فوجدت عيون المختار أن كاظم يجلس وينظر للسماء ويتمتم، وأخبروا المختار الذى أخذ يهرش فى ذقنه حائرا، وراح يفكر.. شو حكاية الجبل بها المخلوق جوز بنتى؟

حاول أن يخبر أم راغب بالموضوع وهو متردد.

- يا مرة تفتكرى الراجل اللى اسمه كاظم جن؟
- لا.. يا خويا.. دا عاقل.. شو فى يا أبو راغب؟
- شو أخباره مع بنتك؟ أنت بتسيريها.. شو هو عامل معها؟

---

(١) جبال اليمن: زرت اليمن وصنعاء عند صديقى الشاعر الكبير/ عبد العزيز المقالح شاهدت من قمة الجبال السحب أمسكت السحب التى دخلت من زجاج نافذة السيارة المفتوح وقال لى السائق اليمنى وهو يمضغ القات ويفتح راديو السيارة والله أستاذ السحب معاك عيش وحب.. وفكر.. مع السحب وأم كلثوم ..ها ها.. ما أروع الجبل فى اليمن..كانت دعوة من العبقرى المقالح.

- بنتك بتحبه وبتموت فيه؟
- أنا بسأل عن أخباره التانية؟ يعنى بينام معاها؟ فهمتى والا ما فهمتى..؟

ضحكت بسذاجة:

- يا راجل.. أمال وين حينام.. فى الشارع؟
- يا مرة؛ قصدى كزوج وزوجة..[1] زى الفل البنت قالت كويس بس فيه عيب، هى اللى لازم تطلب منه.
- لازم أعرف شو صاير بالرجال هدا؟

وقام وذهب المختار فى الحال إلى شهرزاد.. فوجئت به شهرزاد يدق الباب بينما كانت عندها سهر.. المختار دق الباب بقوة:

- افتحى يا شهرزاد.

خافت سهر واختبأت فى حجرة نوم شهرزاد بعد ارتباكهما..

- افتحى.. يا مرة.. والا حافضل هون قدام الدار.

فتحت الباب:

- خير.. يا مختار.. شو بك؟
- خير يا شهرزاد؟

أخذ يحكى لها عن كاظم وأفعاله المريبة..

- دبرينى يا مرة شو أعمل معه؟

ضحكت شهرزاد وطمأنته وقالت:

- النفس وما تهوى اطمئن، هو عاقل وبألف خير.. هو صادق اللسان، وينال محبة الإخوان، وهو بعيد عن طغيان الأبالسة.. يؤمن بالتوحيد، والرضا بفعل ربنا، والتسليم لأمره.. صادق اللسان والتسليم لأمره..

نظر المختار لها، وفكر شيطانه له بأن يهجم عليها ويضاجعها، فهى تنتظر حامد الصقر ابن عمها الذى هاجر من عشرين عاما إنها محرومة ولم لا أضاجعها؟ هى لوحدها فى البيت. هما الاثنان وثالثهما الشيطان..

---

(١) تذكرت وأنا فى الاستحمام تحت الدش ذكرياتى مع أنثى استثنائية وعلى شعرها حناء... كتبت بعد الحمام فى حائط الفيس بوك.. ما أجمل الحناء فى شعر النساء .. رائحة الحناء تخلب خيال الرجال وخيالى خاصة.. تفاصيل الحب كثيرة وقليلها يعيش داخلنا إلى الأبد..

أصبحت شفتاه لونهما أحمر.. طلت عيون ذئب جائع فى عيون المختار.. نظرت شهرزاد، وجدتهما صارتا حمراوين.. فهمت.. قالت وقد أمسكت عصا غليظة لها رأس غليظ :

- اسمع يا مختار.. بنت أختى نائمة فى الداخل فى حجرة النوم.. إياك أن تتهور، وتسول لك نفسك بحركة غبية.. لا تجعلنى أندم أنى فتحت باب البيت لك، وستندم لأنك جئت دون سابق إنذار.. سأضربك ضربة قاتلة بهذه العصا.. يا ابن مورة[١]

- هوووش اسكتى أنا سأخرج.. كيف عرفتِ اسم أمى مورة.. يا مرة؟

خرج مهزوماً.. أغلقت الباب خلفه.. خرجت سهر من حجرة النوم، وانفجرت ضحكات شهرزاد هى وسهر.. قالت شهرزاد:

- يا سهر.. لازم يكون فى يديك عصا للرجال الكلاب هادول مثل هالكلب.. اللى يطمعوا فى كل امرأة.

ضحكت سهر:

- احكِى لى يا خالتى شهرزاد عن نور، وسيدنا موسى، وخاصة قلتِ إن نور روحى الثانية.

(١) مر رجل على سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه – فقال: ما اسمك؟ قال تنور، وأمك؟ قال: شرارة، وأبوك؟ قال: لهب، قال وفى أى وادٍ أنت قال فى وادى النار قال - رضى الله عنه - اذهب إلى واديك فإن أهلك قد احترقوا، فلما مضى إلى أهله وجد الأمر كما ذكره - رضى الله عنه.. أظن أن مصر فى وادى النار سياسيا واجتماعيا..

الفصل (٢)
بعنوان
أتسمحين لى بدقيقة واحدة لأرسل لك سحابة؟

(دقيقة واحدة حتى أتنبأ بقمر الفرح القادم .. دقيقة واحدة أقبلك قبل أن تغادرين دقيقة واحدة أعيش فيها حرا من هواك ولا أعود أسيرا دقيقة واحدة حتى أتنفس فجرا و أمسح أسماء كل النساء وأوحد أسماءهن باسمك ماذا أطلب مجرد دقيقة واحدة)

قالت شهرزاد:

كان يا ما كان روحك الجميلة فى جسد بنت اسمها نور... نور بنت ١٧ عاما طولها ١٦٥ سم.. نهداها ناهضان فى شموخ وكبرياء.. نور تشعل القلوب وتشغل العقول لكل من شاهدها من الرجال، وحيدة ، مات أخواها الشابان فى حرب مصر مع إثيوبيا.. صارت روح أمها وأبيها.. تعلمت اللغة الهيروغلفية، وتعلمت لهجة الإسرائيليين.. نور ليست أنثى بل غصن من ياسمين تفوح عطرا فى سيرها، وهى روحك الثانية.. أبوها اسمه كنعان.. قال لها إن جد جده كان مصرياً ويتبع إخناتون، وقد فر أجداده من بطش جنود وكهنة توت عنغ آمون، مع الأهالى الذين يؤمنون بإخناتون إلى تل بسطا وصان الحجر(الشرقية)، وهناك وجدوا بقايا الهكسوس والإسرائيليين[١] فتزوج من عبرانية؛ فأصبحوا أتباع يعقوب، وأحب موسى فاعتنق مذهبه وأصبحوا من بنى إسرائيل (عبرانيين)[٢]. نور يتعلق قلوب الشباب بها وهى لا تتعلق بأحد من شباب عشيرتها بل قلبها معلق بشاب لا يعرف أنها تعشقه. حب من طرف واحد، هو قلب نور.

---

(١) "مصر".. الأراء عديدة فى أصل هذا الاسم، منها: إنها من ما = موضع، سى = أبناء، رع = الشمس، أى أن ماسى رع أو ماسى را أو مصر هى موضع أبناء الشمس!

(٢) العبرانيون من هاجروا وعبروا كما هاجر إبراهيم عليه السلام من العراق وما حوله من فلسطين إلى صحراء الشام.. عابرين الأنهار وخاصة نهر الاردن، أو من نسبتهم إلى عابر أحد اجدادهم فى التوراة، ويرجع نسبهم إلى سام بن نوح عليه السلام، وقد استقروا فترة فى أرض كنعان أى فلسطين القديمة وكان منهم الأراميون والآشوريون ومنهم العماليق أى (العمالقة)، وقيل إن منهم الهكسوس ويعتبر منهم سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم جميعا السلام.. وقيل إن عبرانى باللغة المصرية القديمة الغريب القذر ..

كنعان، أبو نور، يقول إلى ابنته نور: إن موسى أمضى ثلاثين عامًا في قصر فرعون، تعلم اللغات والعلوم وفن العسكر وفى معبد هليوبوليس حيث أرقى العلوم والفنون واللغات.. (يقال أمضى أربعين سنة فى كتب أخرى)، وعاش عشر سنوات فى مدين فى الأردن بعد خروجه من مصر (وفى التوراة أربعين عاماً) [١]

حكى كنعان إلى ابنته نور عن طرد أحمس فرعون مصر الملوك الرعاة الهكسوس، الذين كانوا يحكمون مصر، وحكى لها عن النبى يوسف ابن النبى يعقوب الذى تولى وزارة الاقتصاد والمال فى مصر، وكان له أثر كبير فى وجود اليهود الإسرائيليين فى مصر، حيث زاد عددهم إلى مليونين ونصف، وخاف فرعون من انضمام الإسرائيليين إلى أعداء مصر فى حالة حدوث حرب، فسخرهم فى العمل دون مقابل فى بناء المعابد الكثيرة الضخمة والمسلات وغيرها، وعاش المصريون لا يعملون على أساس أنهم طبقة عليا وأن اليهود عبيد، وسامهم سوء العذاب فرعون الذى يحكم مصر منذ ٦٦ عاماً، وبنوا مدينتين هما فيثوم ورعميس لتكونا مخازن، وتحمَّل اليهود مشقة البناء والمعمار؛ فأراد فرعون أن ينقص عدد اليهود الإسرائيليين بحل سريع وقوى.[٢]؛ فأمر بقتل كل مولود عبرانى ذكر، وأمر قابلتين مصريتين أن تتعاونا مع القابلات (الدايات أو المولدات) اليهوديات فى ذلك وأمرهم أن يلقوا بالمولود الجديد الذكر فى النيل ليموت غرقاً.. نهر النيل ليس كمثله نهر.. هو صبى ذكى غبى مرح طيب. خبيث. خامل. هادئ معظم الوقت. أما نور فأنفاسها ريحان وعرقها عطر من الياسمين، وشعرها رائحة مسك..

قالت أم نور صائحة:

- تعال يا بنت يا نور..

مالت نور على كتف أبيها وقالت:

- يا أبى أكمل احكى لى عن موسى.. ودع أمى.. هاها .

---

(١) أمضى موسى ٤٠ سنه أخرى بعد عودته لمصر.. أى عمر نبى الله موسى ١٢٠ عاما، ويقال عشر سنوات..

(٢) اليوم ٨ سبتمبر ٢٠١١ عيد ميلاد السيد حافظ .. احتفلت أنا وأنا والله معنا بعيد ميلادى وصافحت يدى اليمنى يدى اليسرى مباركة وصليت ركعتين شكراً لله.. أن تكون رجلا بلا زوجة أمرًا صعبًا..

ضحك كنعان الأب وهو يمسح شعرها ويقول:

- بلغنى يا نور أن أسرة موسى مكونة من أب اسمه عمران وأم اسمها يوكابد، وولد اسمه هارون يكبر موسى بثلاث سنوات، وبنت اسمها مريم تكبر موسى بست سنوات.. وخاف الوالدان على موسى المولود الجديد من فرعون؛ فخبأه ثلاثة أشهر بأمان، ولم يخشيا أمر الملك.

كانت كل أسر الإسرائيليين فى مصر تخاف على أولادها الذكور، وكذلك خافت أم موسى أن يفتش حرس فرعون البيوت بحثاً عن الذكور؛ فأخذ والدا موسى سفطاً من البردى وطلياه بالزفت والحمرة، ووقفت مريم أخته تراقب الطفل موسى الذى وضع فى نهر النيل من بعيد.. جاءت ابنة فرعون ومعها جواريها لتستحم فى نهر النيل فرأته جارية يبكى فحملته إلى ابنة فرعون، وكان لفرعون زوجة أخرى هى آسيا، وقيل إن بنت الفرعون التي ذهبت لتغتسل في النهر فعثرت على تابوت موسى واتخذته ابناً لها. (يُقال) هى حتشبسوت ابنة تحتمس الأول هى التى عثرت على تابوت موسى وتبنته (ولكن هذا التاريخ مختلط بين المصريين والعرب واليهود)[١]، جرت مريم أخته إلى جارية فرعون وقالت لها:

- هل أذهب أدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟

فقالت زوجة فرعون:

- اذهبى فوراً..

وهكذا أصبح موسى فى حماية آسيا زوجة فرعون الثانية التى فرحت به وقالت لفرعون:

- عسى أن نتخذه قرة عين لى ولك.

فقال فرعون بصلافة:

- قرة عين لك أنت..

---

(١) فى التاريخ العربى أن فرعون موســـى هو تاجر بطيخ عربى من حوران جاء يبيع البطيخ فى مصـر .. وسـرق البطيخ وهو نائم تحت العربة.. وعند قيامه أكتشـف أنه يقف أمام مدفن كبير فمنع الناس من الدخول الا بعد دفع جزية له حقه فى البطيخ الذى سـرق.. وظل الحال على هذا حتى ماتت أبنة فرعون فرفض أن يجيز دفنها إلا بعد دفع الضـريبة فأعجب به فرعون لجرأته وكان يعاونه رجل يسـمى هامان.. (ابن كثير). ويقال إنه الملك رمسيس الثانى فى كثير من المصادر؟ويقال تحتمس الثانى !

كانت آسيا عاقرًا، وجئ بأم موسى وأخذت تعتنى به وترضعه لبنها.. قيل إن حتشبسوت تزوجت من أخيها غير الشقيق تحتمس الثاني، والذي أصبح فرعوناً واستمر يحكم خمس سنوات فقط، ومات دون أن ينجب منها، وكان لتحتمس ابنا من زوجة أخرى تولى الحكم اسميا وليس فعليا مع حتشبسوت، والتى كانت تحكم فعليا وذلك بعد موت والده، وهو تحتمس الثالث، إلا أن حتشبسوت اغتصبت منه النفوذ فظل في عهدها خامل الذكر.. وكبر موسى فى حماية ابنة فرعون حتشبسوت وآسيا.. وظلت تعنى به أمه نفسها وترضعه لبنها، وتعلم علوم المصريين وفنون الحرب. فى هليوبوليس. وقاد حملة عسكرية إلى بلاد الحبشة من الجيش المصرى.. وفق فيها توفيقاً عظيماً، وتلقى أكبر النياشين.. (وقال سيجموند فرويد إن موسى مصرى فرعونى.. تعلم ثقافة المصريين).

وزوج فرعون موسى[١] من ابنته ساريس، وعملت حتشبسوت على أن يتولى الحكم من بعدها موسى الذي تربى في البلاط الفرعوني، وأصبح قائداً مهاباً، ولكن واجهته ثورة فلم يكن موسى مصرياً خالصًا، ورغم أنه تعلم فى هليوبوليس مع أكبر الكهنة فلم يهتم بتأدية الشعائر المصرية، واضطر موسى للهرب إلى مدين (فى الأردن)، (وقد اختفت حتشبسوت من التاريخ المصري سنة ١٤٤٢ ق.م) وكان عمر موسى وقتها أربعين عاماً، وتذكر التوراة أنه رفض أن يكون ابن الفرعون. وذكر واحد من المفسرين أن القبط (القبط هم المصريون) شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تفنى الكبار مع قتل الصغار فيصيروا هم الذين يعملون الأعمال الشاقة والدنيئة؛ فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً، وأن يتركوا عاماً، فذكروا أن

(١) فاجأنا الطبري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ) في تاريخه باسم فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب (١) وكذلك فعل اليعقوبي (المتوفي في ٢٨٤ هـ) حيث ذكر نفس الاسم.. (٢).. وذكر نفس الاسم المقريزي (٧٦٤ هـ - ٨٤٥ هـ) الملقب بعميد المؤرخين المصريين في العصور الوسطى وكذلك قال أيضاً ابن عبد الحكم المؤرخ المصري (١٨٧ هـ - ٢٥٧ هـ) ونفس الاسم ذكره أبو إسحاق الثعلبي المتوفي سنة ٤٢٧ هجري وجاء ذكر نفس الاسم أيضا في كل مدارس تفسير القرآن وفيما يلي كشف بالتفاسير التي ذكرت اسم (الوليد بن مصعب) كفرعون لموسى باستخدام خاصية البحث عن هذا الاسم في- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير / الرازي (٢٥٠-٣١١هـ): في تفاسير الآيات: البقرة ٤٩ - الأعراف ١٠٤ - يونس ٩٠ -٣ الجامع لأحكام القرآن- القرطبي (المتوفى في ٦٧١هـ): في تفاسير الآيات: البقرة ٤٩- يونس ٩٠.

هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء، وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم، فضاقت أمه به ذرعًا واحترزت من أول ما حبلت، ولم يكن يظهر عليها مظاهر الحبل. فلما وضعت ألهمت أن تتخذ له تابوتًا ربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل.. فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت...[1]

---

(١) ضاعت الدولة العباسية بسبب غياب العدالة والمساواة، كما يقول سان سيمون: وأصبحت الشعوب الأكثر عدداً، والأكثر فقراً، وأصبح الكل فى شقاء.. الشعوب تشقى بسبب فقرها وفاقتها، والقلة المستغلة تتسبب بخوفها وهلعها بضياع كل امتيازات باقى الشعب!..

العجوز يسير إلى حتفه
ويترك كوباً قلما زهرةً
قصيدةً لرحمة السماء
آه وبعض أطفال
الشاعر عادل جلال

***

نور هى شمعة فى حياة أبيها المظلمة.. كل فتيان الحى وكبار السن من الرجال يعشقون رائحتها وهى تمر من جوارهم كأنها باقة ورد تمشى على الأرض.. السماء أعطتها بعضًا من نورها وألقها حتى تبهر بعض البشر ممن اصطفاهم رب الكون.. نور تحب أباها.. تنصت له باهتمام وعيناها تراقبانه.. الأب ينظر إلى ابنته.. عيناها شمعتان من بلور أخضر صاف، سرقت سر اللون الأخضر من كل الحقول فى... أما شعرها قبسة من صفار شمس الصحراء.. مر الإله آتون على بيتهم ذات صباح ولمس شعرها فولدت لحظة شروق الشمس عليها فصار شعرها أصفر.. نور جسدها ينز عطراً لم يوجد فى جسد امرأة فى عصرها. أمها تسير خلفها أحيانًا خوفًا عليها.. نور تحب (محب) هذا الشاب الفرعونى الضابط الوسيم الذى يشعر بالغرور ويذهب كل يوم فى سباق الخيول، ويرتدى ثيابًا جميلة للجيش.. أى بنت من بنات وادى النيل سواء الفقيرات أو الثريات حتى بنات القصور تتمنى نظرة منه. هى تعلم أن المجتمع ينظر إليها على أنها عبرانية، وهو مصرى.. تسأل نفسها لماذا العبرانية أقل من المصرية؟ لماذا؟.. أليس نحن أولاد عم؟ [1] سؤال يطارد نور.. هى محتشدة بالقلق، بالأحلام، بلهيب شوق.. تحلم بعناق محب، أن يعانقها ويلقى بها على أوراق الزيتون، ويطفئ حرارة جسدها الذى يفور فى الليل.. محب هو الرجل الذى ترتعش حين تراه دون كل الرجال الآخرين..

---

(١) هو ذا آخر خلفاء العصر العباسى يبكى حين أحاط التتار ببغداد ويقول: لهفى على ملك ضائع! فينظر إليه وزيره شذرا ويقول: من ترك الصغير حتى يكبر، والقليل حتى يكثر، وأجل عمل اليوم إلى غد.. استحق هذا وأكثر!! أجهش الخليفة فى البكاء قائلاً: إن هذا القول أشد علىَّ من فقد الخلافة.

وبعض السر هوى وكل الهوى أسرار[١].. نظرت نور إلى السماء وقالت: "إننى أعيش.. فى دوامة.. من أين لى بالشجاعة حتى أصل إليه..؟"

قال كنعان لابنته نور:

- فرعون يرهب الإسرائيليين المصريين.

أجمع الكثير من المؤرخين العرب وغالبية مفسري القرآن القدامى والمحدثين على اسم الوليد بن مصعب على أنه فرعون موسى.. وقبل أن نحلل هذا الاسم ومدى علاقته بالفرعون رمسيس الثاني.. نقول إن هذا الاسم قد ورد في تاريخي الطبري واليعقوبي وغيرهما بين قصص عجيبة وغريبة للملوك والممالك المصرية القديمة تختلف كثيراً عما كتبه المؤرخون المحدثون عن تاريخ مصر بعد فك رموز الهيروغليفية بواسطة شامبليون لدرجة أن ما كتبه العرب عن تاريخ مصر قبل ترجمة شامبليون للغة المصرية القديمة كان يسمى بتاريخ مصر الخرافي؛ لأن المصريين الفراعنة أول من زوروا التاريخ حيث كان كل فرعون يمسح ما أنجزه أحدهم من قبل وكتبه على نقوش المعبد فتجد الفرعون التالى يمسح اسم الفرعون السابق ويكتب اسمه على الحجارة والمعابد وينسب الإنجازات له فما وجده شمبليون معظمه كان مزورًا أيضًا.. وبعدها تولي تحتمس الثالث كافة سلطاته، وعندما جاء موسى بعد اختفاء حتشبسوت وطمس تاريخها واضطهاد أنصارها وانتقموا منهم. بكى موسى كثيًرا عندما عاد إلى مصر على أخته حتشبسوت التى ربته[٢]

قالت أم نور صارخة:

- يا بنت يا نور قومى وتعال ساعدينى فى المطبخ واتركى قصص أبيك عن موسى..

---

(١) الكتابة فى مصر كثيرة كثيرة وأغلبها ردىء ردىء ردىء وأكثرها من المشاهير من يسمون الكتاب الكبار وينضمون لصفوة المجتمع.. اشتريت بعض الكتب ألقيت الكثير منها.فى سلة المهملات . دون ندم.

(٢) رجب أردوغان يزور مصر الآن ١٤-٩-٢٠١١ وأمس ألقى خطابًا فى الأوبرا .. المصريون طالبوا فى الفيس بوك أن يحكم مصر لمدة خمسة أعوام.. قال أردوغان على الإخوان المسلمين أن يؤمنوا بالدولة العلمانية.. وقال إن تركيا علمانية؛ فغضب حزب الإخوان وهاجوا وماجوا عليه.. الله يستر.. راح رجب أردوغان، وكان ضحية غباء المتشددين فى مصر..

تمتمت نور.. تبرمت.. تلعثمت الأم.. قال الأب محدثًا نور:

- موسى.. عاد موسى الآن فى مصر، وكما ترين الدنيا قلبت ولم تقعد.. قومى ساعدى أمك فى المطبخ..

قامت نور وهى متضايقة جدًا.. كانت تحب مصر وتقول إنها مصرية ولا تحب أن تقول إنها غير مصرية أو إسرائيلية أو عبرانية.. هى ولدت هنا، وأبوها كنعان ولد هنا، وجدها يوسف ولد هنا، وجد جدها ولد هنا فى مصر هنا.. هى مصرية عبرانية عن جد الجد وليست مسئولة عن جد جد جد الجد.. نور مصرية المولد واللغة وتجيد الهيروغلفية المصرية.. تقول إنها ترتبط بكل شيء فى مصر الهواء والنيل والمعابد وموسى لأن أباها يحبه..(١) وتترك روحها جناح فراشة ترفرف حين تراه.. جذوة من الحنين تنزف فيها جرحًا بكريًا للعشق، ورغبات جامحة لتملس شفتيه وتقول أحبك محب.. الحب ما أقساه ما أعذبه ما أقصره ما أطوله.. تفقد عقلها حين يمر محب فى خيالها، لا تصبح جسداً بل روحاً.. سحاباً يطير العشق لها بجناحين ويطير بها فوق زهر البنفسج وفى أحضان العصافير ليصل إليه مجهول الهوية.. تشعر نور بأن روحها مربوطة بحروف اسم محب..

تخرج البنات على شاطئ النيل أمام الجزيرة، ويقوم شباب العسكر والجيش فى الساحة المقابلة للسباق على الخيول والتدريب على السلاح.. ونور تقف لترى محب، هذا الطاووس الذى طالما حاولت أن تجذب انتباهه إليها.. وها قد حانت لها الفرصة الآن.(٢) عندما ترك محب حصانه ونزل إلى النيل ليحضر بعض الماء للحصان(٣) اتجهت نور مسرعة نحوه وتقدمت وهى تحمل قدر الماء ووقفت أمام الحصان الذى أخذ يشرب من قدرها، ويداها تتحسس رقبة الحصان، وتمسح برفق بأصابعها على رأسه الذى شم عطر (نور)..

للحصان إحساس، لقد شعر بها الحصان برق ولأول مرة.. قلبه يسقط

---

(١) يقول"حافظ إبراهيم": يا أمة يهان فيها الإمام الحكيم.. ويكرم فيها الجهول الغبى.

(٢) عرفت أن كلمة بلطجى أتت من أيام محمد على عندما كان بعض المصريين يتحرشون ببناته فى الطريق فقام بتكوين فرقة ببلطه من المطاط لضـرب من يتحرش بالبنات أو السيدات وبعد فترة تطورت من مطاط إلى حديد ليكسر دماغ الشخص ويردعه فسمى حامل البلطه بلطجى.. من كتاب العشوائيين الجدد أخى الدكتور رمضان حافظ دا مش إعلان.. هو باحث جيد أنصحكم بشراء كتبه. تجنن.

(٣) قال الشيخ الغزالى : لم ينجح الحكم الدينى فى ٩٩٪ فى العالم من تاريخه.

بين يدى إمرأة إنسية، وأخذت نظراتها تحفر فى ذاكرته صورتها.. يرتشف رشفة من الماء وينظر لها.. ينظر إليها بحب وحنان.. يشرب من يديها.. يد لم يسبق أن وجدها على الأرض، فصهل صهلتين، فرجَّ الوادى وانتبه النيل.. وعاد محب مسرعاً من ضفاف النيل وجد حصانه فى مشهد حانٍ مع نور..

تعجب محب وقال لها بقسوة:

- ابتعدى يا بلهاء.. من أنت؟؟ ولماذا تسقين الحصان؟؟ خذى قطعة من الذهب لك..

لم تأخذها.. شعر بالحرج..

- خذى أنتِ يافتاة..

أجابت نور بغضب:

- اسمى نور.. أنا جدى من أتباع إخناتون، وانضم لبقايا الهكسوس والإسرائيليين.

ابتسم ابتسامة خفيفة قائلا:

- أنت عبرانية. خذى يا نور المال لا تخجلى.. كل الإسرائيليين وخاصة العبرانيات يقولون هذا.. نحن مصريون..

- لا...لا أريد مالاً لا أريد شيئًا..

غضب محب القائد وصاح فيها:

- أنتِ بلهاء.. خذى أيتها العبرانية المصرية البلهاء[١]

نظر محب إليها. وقفت بشموخ فى وجهه.. لم ترد.. لم تتحرك من أمام الحصان.. راح الحصان يلمس كتفيها ليشم عطرًا لم يعهده فى حيوان أو بشر، وأخذ يحك رأسه فى كتفها، ومدت يدها تداعبه..

تنهدت نور وقلبها يدق ألف دقة.. تقدم محب إلى حصانه، أمسك اللجام الذى سلمته إياه نور.. وقالت:

- خذ اللجام..

لمس محب يدها..

"لحظتها شعرت يا فتاتى.. أن قلبك فى يدى فسرت ملكًا على الكون وأنتِ

---

(١) كانت كلمة عبرى تعنى عند المصـريين حبرى أى الغريب القذر لأن المصـريين كانوا يتعالون عليهم؛ فيسمون أى غريب قذر حبرى باللغة الفرعونية أى عبرى..

لا تدرين"..[1]

لجم عطرها قلب محب، القلب البري الذى لا يتوقف عند باب أنثى واحدة ولا يستقر.. لكن كلا.. ولا ولا يمكن.. شم عطرها مرة أخرى.. نعم محب شم عطرها، وهو يلف اللجام ويركب الحصان وحاول أن ينكز الحصان لكن الحصان وقف ورفض أن يتحرك..

صرخ فيه :

- هيا..

لكن لم يتحرك الحصان.. نكزه مرة اخرى.. لم يتحرك.. تقدمت نور وبأطراف أصابعها داعبت رأسه وسألته:

- ما اسم هذا الحصان؟

- برق..

- برق اسم جميل.. امش يا برق..

- سمع صوتها برق.. مشى الحصان[2] ببطء كأنه سكران.. مريض.. خدران، وبعد عدة خطوات التفت لها برق وصهل صهلتين.. ضربه محب غيظا بعنف، وانطلق..

ضحكت نور.. والتفتت البنات حولها فى ذهول وتعجبن؛ كيف كلمت نور العبرانية الضابط الفارس المصرى الأسمر بجرأة، ودون خوف، قالت لهن:

- أى جرأة يا بنات الإسرائيليين[3].. أنا مصرية.. ها.

سار محب فى الطريق لا يعرف ماذا به..

---

(١) من يصدق أن مصر، رغم المد الدينى الكاسح، هى الرابعة على مستوى العالم فى التحرش الجنسى، وهى الثانية على مستوى الدول العربية، فى التردد على المواقع الإباحية فى الشبكة العنكبوتية.. إنها الازدواجية بكل ما فيها من غش وكذب وخداع..

(٢) احتجت أن أشرب فنجان كابتشينو الآن فقمت إلى المطبخ وجهزت الماء والحليب واكتشفت أن علبة الكابتشينو فارغة.. شربت شاى ليبتون.. الليبتون المصرى مغشوش بالخشب، وعندما قامت الحكومة بإغلاق المصنع دفع صاحب المصنع رشوة وخرج بريئًا.. لذلك أطلب من أصحابى إحضار ليبتون من الخليج.. لأن وزارة الصحة هناك أفضل شويتين لصحة الإنسان الخليجى والأجنبى.

(٣) عبرانى فى اللغة المصرية القديمة تعنى الغريب ذو الرائحة النتنة.. وهو استعلاء المصريون الفراعنة على الغرباء مع أن الإسرائيليين أمضوا فى مصر ٤٠٠ عاما تقريبًا فلم يعودوا غرباء.. نفس الشئ فى الخليج للهنود.. كل من أقام واتخذ الخليج وطنًا سمى أجنبى.. العقل هو هو.. ورث الخليجيون من المصريين الفراعنة هذا المنهج .. العبد والسيد والكفيل.أعتقد أن الإسرائيليين يفرحون بالمصرى الهارب لهم ليعمل عبدًا هناك.. عقدة التاريخ.. ورد الاعتبار.

أوه يا قلبى قد شبكت فى رمش عيني الفارس المصرى المغرور.. البنات هن البنات كائنات ساحرات شقيات زهور ونسيم الحياة.. الله يخلق الأشياء بحكمة، والله أحيانًا يعاقب ويغضب من امرأة جميلة زنت فيحولها إلى وردة جميلة ذات شوك كثير..

العبرانيات والإخناتونيات (نسبة إلى إخناتون) يجتمعن على ضفاف النيل يغسلن الملابس ويتحممن فى الفجر قبل ظهور واستيقاظ الرجال مختبئات، وملابسهن تلقى على الشجر. ترى ماذا يفعل الشجر حين يشم ملابس الجميلات من النساء ؟؟. هل يفور إحساسه.. يخجل.. يتأمل أجسادهن فى ذهول، وأحياناً يعطى الشجر ظهره للنيل خجلًا ليستريح أو يضع على عينيه عصبةً من الأوراق الخضراء.. ويلقى اللون الأخضر همساته على أجسادهن السمراوت.. البيضاوات.. الفاتنات وغير الفاتنات..

الحصان برق شم عطر جسد نور، وأما الفارس محب لم يعرف ماذا حدث له بعد؟ ربما لأن العسكر تنقرض دوما من قلوبهم المشاعر رويداً رويداً، أو تنام مشاعرهم وتختفى، ولكنها إذا استيقظت تدمر كل شئ[1] الفراعنة لا يعترفون إلا بأنفسهم، ويرون أنفسهم أفضل شعوب الأرض، مع أن أغنى رجال البلاد هم قلة من الإسرائيليين (اليعاقبة) وأولهم قارون الإسرائيلى ابن عم موسى.. قارون وزير المالية، والوسيم وذو الصوت الرخيم الساحر، الذى كان يقرض ويهدى فرعون ووزيره هامان المال، ويخطط وينفذ كل مشاريع العمران، ويمسك التراب يجعله ذهبا؛ لذلك استعان به فرعون وزيرًا للمالية[2]..

سكتت شهرزاد عن الكلام المباح.. قامت شهرزاد وشربت رشفة ماء، وغسلت أكواب المتى والقهوة والكابتشينو، ونظرت إلى سهر وودعتها حتى باب البيت، ونزلت سهر من فوق التل.. وشهرزاد تقف تراقبها فى نزولها،

---

(١) عندما استيقظ قلب أنطونيو أمام كليوباترا انتهت الدولة الرومانية.. والحب دمر مجد الرجل والمرأة هل الحب مدمر رغم سعادتنا به؟؟

(٢) قال صديقى خالد شعبان المدرس - عندما كان يعمل فى أحد المدارس بقرية ناهيا - والذى أعرفه منذ أكثر من عشرين عاماً إنه أثناء قيامه بشرح الدرس داخل الفصل اقتحم أحد أولياء الأمور عليه الفصل وكان رجلاً ريفياً من أهل القرية، وطلب منه أن يأخذ ابنه فى أمر هام وبعد جدال بينهما سأله المدرس وماذا تريد منه قال ولى الأمر إننى أريده أن يشترى لى الإفطار وبعدين يرجع....!! حدث هذا فى عام ١٩٩٥ تقريباً. هذا عقل أغلبية الأهالى للتعليم..

والهواء يداعب شعرها، وعصفور سهر يطير فوق رأسها، وقالت له وهى تصيح:

- **يا عصفور دير بالك عليها.. (أغلقت الباب)..**

في غفلة من الشوق ...

* * *

يشتاق الثرى لذكرى المطر ...

أُمنـي نفسـي بالمـطر ...!

ع ساُه يعمدني على ملّة العشق ...

* * * *

فا لحُسنّ في محراب القيد حرفة النساك ...

نتـوه فيِه ..

نشتاق ..

فنغدو حيارى .....!!

تتلألأ كالماس.. شاعرة سعودية

***

حصاد الأيام

السياسة الكويتية فى ١٩٨٢/٦/٣٠

على ضوء المصابيح فى شوارع مدينتنا الساحلية كنا نستذكر الدروس؛ تاريخ حافل ، صلاح الدين الأيوبى – عمر المختار – محمد الخامس – يوسف العظمة – كنا ندغدغ الأحلام الناصرية.. وطن عربى واحد متحرر. على ضوء المصابيح الإليكترونية فى الغرف المكيفة ماذا سيدرس الأبناء.. اتفاقية كامب ديفيد – حريق المسجد الأقصى – هزيمة الوطن داخل المواطن هل ستكون مجرد خواطر يمر عليها الأولاد.. أم يتنكروا لنا؟؟

○ حلم ○

أول مرة كنت أكتب لك كلمة "أحبك" كتبتها على حائط الجيران كى تقرئينها.. كتبتها بالطباشير.. وجاء المطر واكتسح كل الحارات والشوارع وغسل كل الأحزان والأفراح.. وعندما ظهرت الشمس جريت كى أشاهد الجدار والكلمة التى كتبتها لك: "أحبك" يا صاحبة الضفيرتين الصغيرتين.. يا وردتى الرقيقة.. جريت إلى الجدار كى أتاكد من أن المطر لم يمح رسالتى لك فلم أجد الجدار!!

○ موقف ○

تحت كل شجرة من أشجار مصر تجد شاعًرا، أو كاتًبا، أو مطرًبا أو رساًما أو ملحنًا..

بعض الشجر ينمو وبعضه يجف وبعضه يموت ببطء.. وفى النهاية تأتى الثمار من الشجرة المثمرة عندما تتذوقها تفجر فى فمك الدم.. أى غضب يحتويك يا نيل وأى سر.. على مشارف الحلم الابيض يأتى فرسان الكلمة مدججين بالأمل ولكن فى عيونهم الأحزان. طفل هرب من مذبحة أيلول إلى بيروت، جاءت خلفه المذبحة تجرى فأين المفر؟؟

يا إخوتى فى درب الكلمة لتذبحكم الكلمات لأنكم لم تفعلوا للأجيال القادمة غير قصور من ورق.. على أصوات المدافع التى تنهار فى بيروت..

○ حقيقة ○

كلما قرأت كتاًبا أشعر أننى ضئيل جدا.. أى بداية يبدأ الإنسان أى رؤية تنفتح أمام عينيك.. أجد هؤلاء.. أجد هؤلاء الذين لا يقرأون ولا يطلعون ويسيرون فى كل الأروقة بكبرياء شامخ ويكتبون كل يوم.. أجد هؤلاء لأنهم فى نعيم الكبرياء.. كبرياء التفاهة العظيم .

سواء كنت غائباً ام حاضراً
فأنت غير مرئي ولكنك مغدور
" لويس أراجون "
الوطن سجن المتحضرين
" ابن خالدون "
****

فتحى رضوان خليل.. (حبيب سهر بعد قليل)..
إذا مر الزمان على بابكم سلوه أين حقائب أحلامى التى أخذها؟.. وأن يشترى حذاءً لكل الحفاة فى مصر والبلاد العربية..
****

الوقت مجنون.. وأنا أعشق النساء والوطن مفتون.. قلت لأمى:
- لا أفهم حتى الآن لماذا أحب النساء كل هذا الحب؟؟
قالت:
- ربما فى اليوم الأربعين من مولدك ذهبت بك إلى حمام النساء كما قالت لى النسوة وأخذنا البخور والمغات والمشروبات.. والغريب أن كل النسوة كنَّ عرايا فى الحمَّام وحملنك من يد إلى يد احتفاءً بك وكنت تضحك.. يبدو أنك كنت فرحًا فى أحضانهن بين كل ثدى وثدى جمال ضائع وخفى كنت تروى عينيك به يا صغيرى.. وبين كل حضن أنثى وحضن أنثى سحر خفى.. ألقى إليك بسره..

فكنت المسحور والساحر والسحر، وكنت العاشق والمعشوق والعشق. وتعرف سر الغرام ونبضة جسد النساء.. وعرفت حين كبرت أنى رجل بسيط مثل اللون الأبيض، ووقور مثل اللون الأسود، ومتفائل مثل البنفسج؟؟ أحب الألوان والرسم، لكنى كنت فاشلا فى الرسم والألوان وداخلى تسكن الألون؛ ولذلك كنت دومًا كلما شاهدت معرضًا للفن التشكيلى سعيت إليه وأكتب عنه رأيي وانطباعاتى.. وأعرف أن عشقى للألوان هو جزء من عشقى للنساء.. وأعرف يا هوايا أن فى قلبك شجرة ياسمين لى.. وألوان كثيرة.. وأن روحك مجروحة من زهر البنفسج.. سأقبل جبينك حين ألقاك وسأهديك النيل لأن الوطن مجنون بحب العبودية المختارة(١)

---

(١) هذا الكتاب أحد أهم وأشهر النصوص السياسية فى التاريخ الأوروبي التي كتبت في القرن السادس عشر(مقال في العبودية المختارة) كتبه قاض ومفكر فرنسي اسمه اتين لابويسيه (١٥٣٠م) النص موجود فى المكتبات باللغة العربية ترجمه وقدم له د.مصطفى صفوان ونشرته الهيئة العامة للكتاب. كثير من المؤرخين يقولون إن هذا الكتاب هو الذى مهد للثورات فى كل أوروبا لاسيما الثورة الفرنسية.. بل ويعتبرونه ميثاق عمل (المجاهد السياسي) المدهش أن لابويسيه كتب هذا النص المرعب وهو فى سن الثامنة عشر.
يطرح لابويسيه مسألة شديدة الأهمية الخطورة تتصل بكل إنسان يعيش محكومًا بطاغية وهى إذا كان هذا الإنسان قد ولد حرًا فلماذا يسير طوعًا في (عبودية مختارة).. لماذا يتحول إلى عبد لطاغية.. يصحو وينام ويأكل الطعام وما يلي الطعام.. وعلى الجانب الأخر كيف يعلو الطاغية على رؤوس الناس.؟ ومن أين له أن يستمد قوته وسلطته التي يستمر بها فى طغيانه واستبداده إذا لم تكونا قد أعطيتا له بمحض الإرادة !!؟؟ يقول لابويسيه: (ليس من السهولة الإجابة على هذه الظاهرة لأن ما يفسرها ويبررها هو عهد مبطن يربط بين الحاكم والمحكوم الأول يرى في الشعب مرآة لكماله والثاني يرى في الطاغية مثالا أعلى يكتمل بما ينقصه).. ويناقش جانبًا طبيعيًا وفطريًا في طبيعة الإنسان طالما لايزال يشعر بإنسانيته.. وهو حب الحرية فيقول (الحرية شئ طبيعي ويبقى بهذا عينه أننا لا نولد أحراراً وحسب بل نحن أيضاً مفطورون على محبة الذود عن الحرية طالما بقي بالإنسان أثر من الإنسان فهو يقيناً لا ينساق إلى العبودية إلا بواسطة أحد سبيلين: إما مكروها أو مخدوعا.

يا عاطِرَ الأنفاسِ..
هـ لْ لمُعذَّبٍ..
أنْ يَسـ أَلَكْ ؟!

الشاعر أحمد المنعى

***

الفصل (٣) ..
بعنوان
ما أنا إلا ..؟

(رجل بسيط مثل اللون الأبيض وحزين مثل البنفسج ووقور مثل اللون الأسود أنا رجل بسيط أحب كل البشر رغم شرهم وكنت أتمنى أن أكون ملاكا حتى لا ألوث قدمى بتراب الأرض ...بى وجد لا أعرف لماذا ؟ وبى حالة تجاه المعرفة والحكمة ..إنى أحتاج أن أصرخ وكيف أصرخ ووطنى لايسمع وأغلبهم للحق كارهون .. آه ياوطنا يقدر إصابة الحمار بأربعمائة جنيها والإنسان بمائة)

فتحى رضوان خليل

تهانى اختارها فتحى لتكون شريكته فى الحياة وأن تصبح زوجته قال لها: لو تزوجتك حبوسك طول اليوم. وأكتب وأعضك.. وأكتب وأضاجعك.. وأكتب وأشرب قهوتك وأكتبك.. أنت والكتابة صنوان عشق وجمال.. سأكتب على جسدك وأنت عارية أنتِ كتابة من نوع آخر لا يعرفها إلا العارفون.. أنت تغريد النساء ولى عيد.. قال محمود درويش "وأكتب عنك بلادا ويحتلها الآخرون. وأرسم فيك جوادا. ويسرقه الآخرون. وأكتب أرسم.. وأجعل ذراعيك فاتحة الحزن والزهر. وأعود إلى الأرض.. وأصاهر في كفّك الحجر".

قرر فتحى أن يترك معجباته وقلوبهن المحطمة على أرصفة الذكريات، فوق صخور رصيف كورنيش الإسكندرية. أنا البسيط والفقير والمستجير وأنا السائل للمعرفة والتفسير ولى فى العشق معاصى والعشق ابتلاء ولى فى الرقى طاعة ولى فى القرآن صفحات وآيات بكاء ولى كذلك فى التوراة والإنجيل ولى فى الأولياء.. وأنا صفر فى الملكوت علمنى ربى وحمانى من جهل الجهلاء لَيس الله نورًا وعلمًا ورحمة دون حدود.. (١)

- ومصر

- قال الشيخ الوهرانى فى الدولة المصرية، هى عجوز محتالة، وطفلة

---

(١) قال الصديق مسعد خميس لى على الماسنجر, الآن هو فى يعيش فى ايطاليا منذ ٣٣ عاما: وحشانى مصر والآصدقاء قلت له لاترجع لاترجع نحن نعيش فى مستنقع.. أما الأصدقاء ستجدهم إما ماتوا أو فقدوا الشرف أو الذاكرة..

مختالة، وروضة زاهرة، وامرأة عاهرة، ولدت فى السعود، ونشأت بين الطبل والعود، حتى إذا هرمت سعودها، وذوى فى الترب عودها، رميت بالرواعد، فأتى الله بنيانهم من القواعد:

وإن الجرح ينفر بعد الحين إذا كان البناء على فساد

قال: وكيف انقلع أُسُّها، وكانت أبعد من السُّهى، وفيها جنود وأبطال وغيُم أصحابها بالجود هطال، يعطون الجزيل ويكرمون النَّزيل، وفى مثلهم يقول الشاعر:

جمال ذى الأرض كانوا فى الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

فقلت: إنه لما أحان الله حينهم وأظهر شينهم، ألقى بأسهم بينهم، فضرب زيد عَمْراً، وقتل خالد بكراً، وكسر قراب السيف، وأعملوه فى الشتاء والصيف، حتى انتهى فسادهم وفنيت آسادهم، فقصرت حبال الدولة عن ربطها، وضعفت رجالها عن ضبطها، فبقيت كالجارية الحسناء التى أبرزها الحجال، وأسلمتها الرجال، لا تمتنع عن عانس ولا ترد يداً من لامس، فتغاير عليها الجيران، وطرح عندها الجران، وسبق إليها رجال الفرنج فصيروها كرقعة الشطرنج يجسون خلالها ويتفيئون ظلالها، ويأكلون حرامها وحلالها، فأنف من ذلك ذوو الأحلام، وغضب لها ملوك الإسلام، فانتدب لها من بنى شادى الأسد الهصور(أسد الدين شيركوه) والملك المنصور(صلاح الدين الأيوبى)، فرماها بهمته وقصدها برمته، فاستعانوا عليه بالأسود والأحمر والملوك من بنى الأصفر، فهتك حجالهم وقتل رجالهم، ورحل عن بلادهم وقد قدح الرعب فى أكبادهم، ولم يزل يزروهم بين الطارق والمنتاب والساكن والمرتاب، حتى طواها كطى السجل للكتاب. فلما انتهى إلى كماله، وبلغ النهاية من آماله، انتقل إلى ربه، وفاز بالرضوان من قربه، وأجمع الناس بعد موته، على تخليدها فى أهل بيته لما يعلمون من رياستهم وحسن سياستهم، وما يجدون من سماحهم وطول رماحهم. فاتفق عظماء المحل، وأرباب العقد والحل، بعد النظر فى الأواصر والاختبار فى العناصر، على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر، لما جُبل عليه من جميل الأوصاف، وإيثار العدل والإنصاف. (منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله – للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهرانى

المتوفى سنة ١٥٧٥ ميلادية – منشورات الجمل – تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش – منشورات الجمل الطبعة الأولى – كولونيا - ألمانيا)

قالت تهانى: من أنت يا فتحى؟

. أنا البسيط ولى فى التوحيد عقيدة ولى حسنة إذا بدل ربى بمشيئته كل ذنوبى حسنات.. يا تهانى غيابك عن عيونى طال ولكن كنت أراك فى كل الأحوال.. وفى أعلام الثوار.. وفى حروف الأشعار وفى زهور الميادين وفى صمت اليوم الذى بدونك أشبه بعمر وزمن طويل طويل طولاً.. وأنت لا تسمعين إلا صمتى.. اعملوا ما شئتم فإنا للحق سند وكبرياء والله هو الحق والعدل والحق ليس فى الأرض بل فى السماء تمر الأيام حريق بطئ واحتكاكى بالناس قليل وصراخى فى أضلعى هل تسمعين؟

- أنت تكتب كثيراً.. وتقرأ كثيراً.. لابد أن تتوقف عن الكتابة..

. هل يستطيع رجل أن يتوقف عن التنفس؟ معناه إيقاف الحياة.. أما حكاية أنا بكتب كثير.. ابن حزم ألف ٤٠٠ مؤلف فى أكثر من ثمانين ألف ورقة..

- من هو ابن حزم؟

_ من حرقوا كتبه أمام عينيه.. واتهموه بالكفر والعصيان.. وتركوا له كتاباً واحداً.. هو طوق الحمامة هو علي بن حزم الأندلسي الإمام البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير.. كان ابن حزم قد خرج من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبى سفيان، وكان خلف أول من دخل الأندلس من أسرته في صحبة الأمير عبد الرحمن الداخل وكان مقامه في لبلة، ومن ذلك نعرف أن مقر هذه الأسرة كانت الشام بعد مشاركة يزيد أصل هذه الأسرة في الفتوحات الإسلامية بها، ولما خرج عبد الرحمن إلى الأندلس خرج معه خلف بن معدان.. وقد بدأت هذه الأسرة تحتل مكانها الرفيع كواحدة من كرائم العائلات بالأندلس في عهد الحكم المستنصر، ونجحت في امتلاك قرية بأسرها هي منت ليشم، ولا يعلم هل خلف بن معدان هو الذي تملكها أم أبناؤه من بعده، ولعل ذلك يحيلنا إلى مدى ذكاء هذه الأسرة الذي انعكس بدوره على أحمد بن سعيد وولده ابن حزم من بعده. أما عن أبنائه الذكور فنعرف منهم أربعة وهم: أبو رافع الفضل،

وأبو أسامة يعقوب، وأبو سليمان المصعب، وسعيد، وكانوا كلهم ظاهري المذهب. سكن هو وأبوه قرطبة ونالا فِيَها جاهاً عريضاً. أصبح أبوه أحمد بن حزم من وزراء الحاجب المنصور بن أبي عامر من أعظم حكام الأندلس، فارتاح باله من كد العيش والسعي وعندما دعا إلى التفكير التجريبى واستخدام العقل وطلب من المسلم أن يجرب ويصل إلى الله بعقله أولا.. وقال إن خلف كل بحر بحر وليس هناك بحر الظلمات ولا الشيطان.. وكانت أفكاره سببًا فى رحلات الاكتشاف للغرب فى اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية، ودفع ثمنًا غالياً أمام جهل المتعصبين من المتشددين السلفيين ..

- يعنى أنت كرهت مصر..

سأترك الإسكندرية المدينة البليدة الخاملة التى لا يتخطى أحلام مبدعيها محطة قطار سيدى جابر.. (سيدى جابر رجل من أولياء الله الصالحين.. مغربى الأصل مر أثناء الحج وعشق الإسكندرية فجلس فيها ساكنا..) وحدى فى غرفتى، فى وحدتى، أنا والليل والقمر والحزن، وأنت اختفاء، لا ثدى نساء هنا، حتى لو كان ثديا مؤنثًا من حجر، جسدى عاشق، والحرف احتراق، وحب محموم، واحتراق ينام معى فى غرفتى.. كلمات وذكريات ألف أنثى أحببتها، وأحبتنى بجنون، لو تجئ واحدة الآن، لوقعت على جسدها وصايا الأنبياء والأولياء، وابن الرومى، ورسمت على ثديها قوساً وهلالاً، لو تجئ لى أى أنثى الآن، سأسهر معها حتى الصباح، وأنام على صدرها، وأرتاح وأكتب ألف ليلة من جديد، ولن أستهتر بها لأن الأنثى فى حياتى عيد.

هدْهدي...
وامنحى اَلقَلبَ دربا
إلِى سدرة المـــاء
علِّى أعَود ابتــداء
إلِى ما أشـــاء
علَّنى أحضنُ الفَجرَ
أتـلو اعتـزالــى
الشاعر عماد على قطرى

السكون فى الإسكندرية مثل الملح ضرورة.. الإسكندرية مدينة مستباحة صيفًا باسم السياحة فتنتشر الإباحية، وهى فى حالة احتجاج على شكل استسلام، أو عصيان على الحياة، منذ أن انتزع عمرو بن العاص تاج العاصمة منها ووضعه على رأس مدينة الفسطاط لتكون العاصمة.. قالوا إن المصريين منذ بدء الخليقة كانوا قبائلِ غجرِ هندية وإيرانية وخرج منها هذا الخليط، ولكن المصريين أحبهم الله حباً خاصاً؛ ذكر القرآن مصر خمس مرات، وذكرتها التوراة ٢٨ مرة، أحبها الله كثيراً.. وقام المسلمون فى مصر بتطوير مفهوم الدولة الإسلامية ، فعملوا وقفاً للموسيقى التى تعزف لمرضى المرستانات (المستشفيات).. وعملوا وقفاً للحليب للمرأة التى جف حليبها، ووقف الأطباق لمن يكسر أطباقاً فى عمله ليشترى أطباقاً، ووقف المكتبات، ووقف التكايا للطعام.. وعاشوا تاريخهم فى العبودية سبعة آلاف سنة أو ثلاثة آلاف تحت يد طاغية.. لا يهم كيف أمكن لهذا العدد من الناس من البلدان ومن المدن، ومن الأمم أن يحتملوا أحيانًا طاغية واحداً لا يملك من السلطان إلا ما أعطوه ولا من القدرة علي الأذى إلا بقدر احتمالهم الأذى منه ولا كان يستطيع إنزال الشر بهم لولا إيثارهم الصبر عليه بدل مواجهته. إنه لأمر جلل.. هذا ما كان يقوله اتين لابوسيه القاضى والمفكر الفرنسى وأنا قررت أن أهرب من مصر ومن السادات الفرعون الجديد.. أهرب من الفسطاط[١].

---

(١) مررت من جوار مقهى ريش ليس هناك نجيب محفوظ ولا أمل دنقل ولا نجيب ســـرور، الكل مات، وأصـــبحت ريش مقهى الأثرياء، وأصـــبحت قهوة البســـتان مقهى المثقفين الفقراء.. أجلس مع الفقراء فى قهوة البسـتان أطلب من عاطف الجرســون قهوة ســادة وزجاجة ماء صــغيرة. وأدفع خمســة جنيهات.. وأتأمل الشـباب الضـائع بين الحلم وحب الوطن..أرى على الرصيف الكاتب وحيد الطويلة ومكاوى سعيد الروائى ..فى الصباح كنت فى مقهى صدفة وطلبت من فوزى شيشة وقهوة سادة.

الفسطاط مدينة انتشر فيها الإسلام على مدى مائتي عامًا وليس بالقوة.. والدليل على ذلك أن عدد المسيحيين فى مصر فى فترة الحكم الفاطمى كان أكثر عددًا من المسلمين، مما اضطر المسلمين إلى بناء مساجد بوفرة لمواجهة عدد الكنائس.. صراع البناء على المساجد والكنائس بين المصريين أمر غريب.. يهدأ قليلا ثم يعود كأنه كائن شرير يسكن روح المصريين لا يموت، ولكن يستكين سنيذًا فى بعض الأحيان، ثم يتجلى وينشط حين يزداد ظلم الحكام، فيلتفت المصريون إلى بعضهم لاختلاق صراع دينى وهمى؛ وذلك لخوف المصريين من مواجهة الفرعون، أو الخليفة، أو الوالى أو الملك أو الرئيس أو أأى حاكم.. سواء كان عظيماً أو تيساً.. من له بأن يجز هذا الرأس فهو يتعبنى.. هكذا أشعر وهذا ما قاله السهروردى الفليسوف المصرى العظيم.. قال (إن المصريين يؤمنون بالله بطريقتهم الخاصة).. ولم يتركوا أى ديانة نهائيا؛ فالمسيحيون يحبون الاحتفال بشهر رمضان الإسلامى ، ويحتفل المسيحيون والمسلمون بعيد شم النسيم العيد الفرعونى.. والسنّة فى مصر يحبون الاحتفال بعاشوراء، وهو احتفال شيعى ولم يتخلوا عن كونهم كانوا شيعة مائتى عامٍ منذ أيام الفاطميين، كما أنهم يقومون بموائد الرحمن تلك الطريقة التى كانوا يستخدمونها أيام كانوا شيعة.. وهم أكثر شعوب الأرض تطرفًا فى الإسلام والمسيحية واليهودية؛ فالمسلم والمسيحى واليهودى المصرى إذا أصبح متطرفاً.. كان الأشد قسوة وضراوة من الإنسان الأول الجاهل المتعصب المتحزب(١)

والمصريون أيضا هم من أكثر شعوب الأرض حبًا لله.. دائما تسمع فى الشارع: "قول يارب.. سيبها على الله.. ربك حيفرجها.. هو كريم.. وحد الله.."، وهم أكثر شعوب الأرض حبًا للموسيقى والموسيقيين.. نعم هم أكثر شعوب الأرض حبا للموسيقى.. كانت سيرين المصرية "أخت ماريا القبطية"

---

(١) اتصلت بابنتى غيداء فى دبى وحشتنى.. صوتها حزين إسلام زوجها يبحث عن عمل جديد. ....دبى تنهار هل حسدها العرب؟ أم أنها كانت تعوم على بحر الاقتصاد الامريكى الذى غرق فى إعصار الإفلاس؟ يا حبة القلب ابنتى ليس فى يدى وليس لى صديق هناك أثق به غير الله.. قالت إن محمد أخاها أيضا بدون عمل.. أليس الرزق بيد الله؟.. ماذا أفعل.. أنا علىّ ديون لبنوك الإمارات حتى الآن.. ياويلنا.. اللهم نسألك سداد الديون..والستر . والصحة ونور المعرفة.

تضرب على العود للشاعر حسان بن ثابت، كما تتلمذت على يديها عزة الميلاء.. الأستاذة الأولى لمدرسة الغناء فى مكة، كما كانت سكينة بنت الحسين ترتاح لسماع الغناء، ويجتمع لديها المغنون، وتعطى إذنًا عامًا للناس بدخول بيتها "القبائل العربية فى مصر د. البرى ٩٣"(١)، كما سمح على بن أبى طالب بتدريس الغناء "المصريون القدماء أول الحنفاء نديم سيار٢٥٦"، والذى وضع أسس الإنشاد الإسلامى هو الإمام الليثى المصرى ٩٣ هـ وهو من طوخ قليوبية، كذلك ذو النون المصرى أول من أنشد شعر الحب الإلهى، كذلك ابن الفارض المصرى سلطان العاشقين.. وحتى الآن لا أعرف سرًا من أسرار التعصب فى مصر الذى يدمر عقل البشر...!

ليس اللص من يمد يديه ليسرق ما فى جيبك ولكن اللص الأكبر من يسرق أفكارك وأحلامك آمالك وإنجازك (د. رمضان حافظ)

كنت أدرك أن الكتابة تعنى الخطر فالحكام يخافون القلم، ألم يكتب السهروردى وابن مماتى عن ظلم صلاح الدين الأيوبى وبهاء الدين قراقوش نائبه، ألم يقتل الأول ويشرد الثانى وسكت كل المؤرخون.. ألم يقف الشعب المصرى برجاله العظام: شيخ الإسلام، وقضاة القضاة يوم الجمعة النصف من شوال سنة إحدى وثمانمائة هجريًا بين يدى السلطان برقوق فى الاسطبل وقبلوا الأرض بين قدميه.. كان يذلهم لأنهم كانوا يكرهون أن يكون الوريث للحكم.. ثم صعدوا إلى القلعة بالملك الناصر فرج بن برقوق وعينوه على مصر.. وقبل الأمراء والمسئولون كلهم الأرض بين يديه (مهانة ما بعدها مهانة تقبيل الأرض بين يدى السلطان فى الاسطبل) ألم يقل بطليموس الثانى إن أرض مصر كلها ملكه والفلاح أجيرٌ بلقمة عيشه حتى أن رجال الدين فى المعابد ملكه.. ألم يقل محمد على باشا إن أرض مصر كلها ملك له، والفلاح هو الفلاح، منافق وصابر ومجامل ومقهور، ولابد أن يجد من ينافقه، وإن لم يجد أحدًا. نافق الغنى فيه أو الشرطى أو المدير.. هذا ما قاله محمد على..

وأنت كذلك يا فتحى رضوان خليل.. أنت ابن العبيد المصريين الذين ظلوا عبيدًا سبعة آلاف سنة، ولم يتحرروا إلا فى سنة ١٩٥٢، ثم صاروا عبيدًا

---

(١) وسيم السيسى المفكر المصرى.

للعسكر..[1] عبودية مختارة.. كلمنى الحلاق وهو يحلق لى بأن ليبيا أفضل حالاً من مصر.. وكل مصرى بيفهم يهرب على ليبيا.. تدخل زبون جالس وقال العراق أفضل من ليبيا صدام بيحب المصريين. قال صبى القهوة: السعودية أفضل ، والأفضل تزور النبى وتحج وتعمل قرشين.. قال شاب: مفيش فايدة فى الدول العربية ولا مصر سافر اليونان أو ايطاليا مية مية.. هذا قدرك يا ابن الحاج رضوان لا تطيقك أرضك ولا تطيق شعبها.. ماذا تعنى كلمة وطن.. أبوك يحب الملك فاروق وجدك كذلك وأنت تحب عبد الناصر وتحب العروبة والعرب.. من أجل عيون عبد الناصر.. ولكن من يحبك ويرعاك.. الله يرعاك فقط.. شىء غريب لا أحد يطيق العيش على أرض الوطن.. شعب يحلم بالرحيل[2].. الحارة ومحرم بك، والكلاب التى تنبح بلا سبب ربما الجوع أو البرد، والقطط تموء، والفئران التى تجرى فى الليل فى الحارة.. ترى لو عاش هنا تشارلز ديكنز أو دستوفسكى ماذا كان سيكتب؟ وماذا سأكتب أنا؟ لماذا ابتليت بعشق الحروف والمهموس والملموس فى هذا الوطن الفاضح المفضوح.. صاحت أمى وأنا افتح الباب:

- أنت جيت يا فتحى؟
- نعم يا أمى.
- اتاخرت ليه؟
- كنت عند الحلاق.
- نعيمن..

---

(١) اشتريت اليوم وردة ودخلت بها إلى لجنة الانتخابات وأهديتها للقاضى فى عرس الديمقراطية. أول مرة أنتخب رئيس جمهورية ياه..سأنتخب حمدين. إنى أحب مصر وأحلم لها ألف الف حلم.. حتى تحصل على الديمقراطية والعدالة. استغرب القاضى وأنا اقدم الوردة قال فيه ايه؟. أرسلت خطابات إلى كل الصحف المصرية طالبا أن أعمل كاتب مقال أسبوعى أو يومى لم يرد احد!! دى مصر العظيمة عندما كنت مديرا للتحرير لمجلة الشاشة الإماراتية كتب ٧٨ كاتبا مصريا و٩ من سوريا فى مجلة الشاشة التى يرأس تحريرها الشاعر سيف المرى، وللأسف كتاب مصر والعرب أصلاء لا ترد الجميل لأحد..

(٢) عدد سكان مصر مائة مليون, يطبع من كل كتاب ثقافى وأدبى خمسمائة نسخة.. ترى ماهو المستوى الثقافى للشعب!!!

خلعت ملابسى، أشعلت سيجارة بلمونت، وصوت احتفال فرح من بعيد، وأغانى عدوية "زحمة يا دنيا زحمة".. مددت جسدى المنهك فى مدينة الإسكندرية التى يأكلها الملح..(١)

---

(١) اتصل بى الناقد عبد الله هاشم فى حديث ودى عن رواية نسكافيه التى أعجبته وتطرق الحديث عن الكاتب محمود عوض عبد العال ومحمد حافظ رجب وسعيد بكر وعن مشاكل الرواية فى الإسكندرية ومصر والوطن العربى.عبدالله رمز لكفاح طويل.

ياما بلعت حاجات ماهيش من حقك
أكمنها بمحض صدفة أتزحلقت على بقك
بررتها بدعوة أمك لجل تلهف غيرها
والناس مسيرها تصدق ان حظك رزقك
وانك على الخير بتشقى والحسد زقك
الشاعر سمير عبد الباقى
***

" مناجاة "

كتبت فى جريدة السياسة ١٩٨٣/٢/٢٥

صدف البحر علمنى الصبر
وجبين الفجر علمنى الأمل
ما أجمل أن تظل متعلقا بالأمل
ثمن الحب الصدق
الصدق تشعر به من الصوت الآخر
من القلب الآخر
وأنا على ضفاف المدن
أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء
أرحل من مدينة الغربة إلى مدينة القلق
وهل يكفى المذبوح الصمت..؟
وهل يكفى المذبوح الصراخ..؟
وهل يكفى المذبوح الرقص..؟
ما دامت هناك السماء ورحمة السماء فالأمل واقع
والمذبوح قد يضمد جراحه
ولكل منا أزمة وسقطة نفسية ومشكلة كبرى
علينا أن نضمد جراحنا بالأمل
والسقوط بالارتفاع والمشاكل بالمواجهة
إن كلاً منا ملئ بالقدرات الخفية
فهل يا حبيبتى نمل الانتظار..؟
وهل نغفل دورنا فى رحلة الإنسانية العظيمة؟
ليس هناك من شك أن رحلة الحياة
أروع ما فيها المحن والصمود والإرادة
يا إلهى يا عظيم..
كيف لى أن أخرج من دائرة الظلمة للنور
والكون مظلم من حولى فى عيون الجميلات
عذابى.. يا إلهى.. وفى عيون الاطفال أغنيتى

فاغفر لى حبى للنساء والفقراء وأطفال المستقبل

وجوه تحترق
وجوه تتراجع إلى البعيد
رفضاً لليل
رفضًا للإهانة
رفضًا للرصاص

" بول ايلوار الشاعر الفرنسى"

الفصل (٤)
بعنوان
أتشعرين بنبض قلبى وتفتحين شهوة روحى؟

(أتبتعدين بالجسد والروح عنى وأنت منى؟ ياقاسية كم لى فى العشق سيرة وأنت مسك النساء لى وأنت الراقية..عرفت أن الحب مصرى الجنسية والهوى مذ قامت إيزيس بجمع أشلاء أوزوريس فاجمعى أشلاء قلبى من النساء بيديك الحانيتين)

شهرزاد.. جلست أمام باب الدار فى الغروب وأشعلت الحطب، ووضعت الماء فى الكنكة، وفجأة وجدت كاظم يقف أمامها.. اندهشت فى بادئ الأمر.. ابتسمت:

- شو بك أستاذ شو أخبارك؟
- بدى أسألك ما هو الحب..؟ ليش بيعذبنا؟
- أحيانًا.. يظلمنا الحب.. وأحيانًا نظلم الحب وأحيانًا نظلمه ويظلمنا فى نفس الوقت، وأنت ظلمك الحب يا رجل.. والظلم قدر.. ومقدر ومكتوب وابتلاء..

يود أن يبكى أمامها وأن يسألها عن سهر عن قلبه الملتاع.. عن مخرج من سجن قلبه فى عشق سهر.. عن عذاباته ودقات قلبه التى تنسكب كل لحظة بحب سهر.. عن خفايا الروح التى تدور بنا فى أفلاك وسماوات، ومتاهات.. ننسى فيها تفاصيل اليوم والحياة ويصير تاريخ الحياة تاريخ العاشق.. متى التفت؟ ومتى همس؟ ومتى قام؟ ونام وقام وارتعش وعاش.. ود أن يسألها مساعدته فى عشق سهر..؟.. لم يقدر.. لم يقدر..

قام وتركها وترك باب الدار مفتوحة ونزل من فوق التل.. فى القلب يا شهرزاد وجع يمتد من المحيط إلى المحيط ومن البحر إلى النهر ومن اليابس إلى الماء.. ومن الذات إلى الفناء فى الطبيعة والمطلق.. تعرف شهرزاد ما وراء الحروف من ألم وشكوى ونجوى وهذيان وسحر الهوى.. صاحت شهرزاد وهى تلاحقه وهو ينزل من التل:

- أرسل مع العصافير دقات قلبك لمن تحب. إن العصافير والحمام رسل

لقلوبنا.[١]

أشار بيديه ملوحًا وهو يهبط.. هل كدت أن أدمر مستقبلى وأفسد حاضرى وأقول لشهرزاد إنى أحب وأذوب فى سهر وإنى لست من الموحدين وأنى من العلويين.. ربما تسخر منى، وبعدها سيسخر الناس.. سيقولون الأستاذ كاظم المعلم قد جن ويحب تلميذته.. وهو ليس من ملتنا حينئذ، لن أعيش فى سلام وسوف أفسد الحاضر بملله وسأترك القرية.. ولن أرى سهر بعدها ..

كان هذا يوم جمعة، وهو يوم عادة ما يزور الأصدقاء والأهل بعضهم.. خاصة هو يوم عطلة.. جاءت سهر إلى شهرزاد كالعادة.. ولكن هذه المرة وجدت عقب سيجارة مختلفة فى مطفأة السجائر.. وشكت سهر وحكت لها عن أخيها وأبيها.. الذى يرغب فى زواج الابن الأكبر ، سيكون هدية من السماء لأنه سيكف عن مطاردة النساء.. إلى أى مدى نستطيع كبح جماح شهوتنا وجنوننا وحياتنا لا نعرف متى تبدأ أو تنتهى؟.. إن الأولاد يشعرون بالعبودية أثناء وجودهم فى بيت أبيهم وأمهم.. ولذلك عادة عندما يتزوجون يفرون ولا يعودون للسجن مرة أخرى إلا فى الزيارات الضرورية. الآباء والأمهات هم الشهداء على مر العصور.. وضحايا جحود ونكران الأبناء.. [٢]

وجلست سهر بين يدى شهرزاد تسألها ماذا جرى لنور ومحب

---

(١) المصريون انقسموا إلى اثنين أيام إخناتون: قسم يؤمن بأن الله واحد مع إخناتون, وقسم مع حور محب قائد الجيش الذى يؤمن بتعدد الألهة .. وقتلوا الآلاف وانقسم المصريون إلى قسمين فى عهد موسى: قسم آمن بالله مع موسى, وقسم آمن بفرعون إلهًا.. وقتل الألاف من المصريين, وانقسم المصريون إلى قسمين فى عهد مصر المسيحية قبل ظهور الإسلام: قسم آمن بعيسى بشرًا ونبيًا, وقسم آمن بعيسى عليه السلام إلهًا, وقتل الألاف. وفى عهد الفاطميين مصر الشيعية انقسم المصريون إلى قسمين: قسم شيعى, وقسم سنى, خالك على والا خالك معاوية, وقتل الألاف من المصريين. والآن انقسم المصريون إلى قسمين: أنت إخوانى وألا علمانى, وقد يقتل الألاف من المصريين.

(٢) اتصلت بى ممثلة غير مشهورة: فينك يا أستاذ لا نسمعك ولا نراك فى التليفزيون تتكلم مثل المثقفين؟ قلت كلما قرأت كتابًا شعرت بالعزلة قليلاً عن الناس فلا طاقة روحية عندى للحوار أو الجدال أو الغضب.. المعرفة عذاب والآخرون هم الجحيم بثرثرتهم والصمت جواب الحكمة. لا تحزنى صديقتى إنى لا أتحاور كثيرًا وأقرأ كثيرًا فأنا محاصر بكبرياء التفاهة فى بلاد اللامعنى.

وموسى..؟

قالت شهزاد:

- **بلغنى يا ست البنات يا أجمل جميلات الجبل.. إن فرعون عندما وصله ما فعل وقيل وقال عن موسى جن جنونه.**

كنت حرفا تائها. معلقا منشورا
فوق حبل الزمن
فجئتكم، كدفقة نور كموجة صوت
كليل يمطر أقمارا ونجوما ساطعات
كنت عمًرا فقيًرا، بذر في غيبة السمار زيته
فجئته الآن من قلب غمامة
أحمل حفنة زيت وفي القلب شرار
"عبد الكريم برشيد"

***

الفصل (٥)
بعنوان
أمر الحب ونسانى ؟
(و أنا أنتظره ويغيب عنى فمتى ألقاه وألقانى ؟)

فى قصر فرعون .. فرعون جلس فى القصر وأمامه هامان:

- ما الذى يجرى فى البلاد يا هامان؟
- لقد عاد موسى.. عاد موسى..
- من موسى؟
- هو ابنك... ومن رعاياك وصديقك.

فرحت آسيا زوجة فرعون وصرخت:

- إنه ابنى أنا.. وليس ابن فرعون وابن حتشبسوت..

صاح بغضب فرعون :

- ليس ابنى، ولكننا ربيناه، وأعطيناه كل الفرص التى لم تسبق لأحد فى بر مصر أن حصل عليها[١] علمته اللهجات واللغات وفنون الحرب، وتعلم الحساب وكل الفنون وجعلته قائد جيوشنا.. وتعلم فى هيلوبوليس مع أكبر الكهنة والعلماء، لكنه لم يركع لنا أبداً، وقتل أحد المصريين وهرب..
- مولاى إن عيوننا تخبرنا أن الرجل قد كبر فى السن، وعاد.
- كبر ولكن.. أعرفه.. إنه لا يحب ما أقول ولا يؤمن بما أقول.. إن وجوده فألٍ شؤم علّى.. لا يؤمن بأنى إله .

واستطرد قائلاً:

- هى النهاية لى ألم يقل العارفون إن نهايتى ستكون على يد طفل من الإسرائيليين..
- يا مولاى لا تصدق كل ما يٍقال من العرافين. كان هذا فى وقت سابق، وأنت ربيته وتعرف موسى جيدًا، هو ربيبك..
- أنا فرعون الإله.. أنا الله.. أنا ربكم الأعظم..
- أصدق هذا.. لكن لا تصدق نبوءة العرافة بأنه سيقتلك؟
- كل العرافين.. قالوا نفس الكلام..

---

(١) فتحت قناة المجد الآن وسمعت صوت عبد الباسط (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه)... صدق الله العظيم.. بكيت خشية لله .

- إن مصر تنام على همسة واحدة.. موسى عاد.. ما معنى هذا؟؟
- أى عاد بعد الهروب..
- ماذا سيفعل فرعون؟
- ها قد أصبح الجميع فى حديث عودة موسى.. والجيل الجديد يسأل من هو موسى؟ البعض يفهم والبعض لا يفهم..

كان فرعون يشعر بأنه المذنب لعدم قتله مذ كان طفلاً..

- نعم أنا المذنب الوحيد.. الذى ظننت أنه سيكون ابنى وزوجته ابنتى، وأعطيته قيادة الجيوش.. الآن.. أى رسالة جاء بها لى؟

صمت الجميع لكن آسيا زوجة فرعون كانت فرحة بحضور موسى..

***

أما نور فقد عادت إلى البيت متعبة ومحاصرة بمشاعر.. دخلت حجرتها ونامت باسترخاء على الفراش يطير قلبها فى سقف الحجرة ثم ينط عند النافذة، ويريد أن يطير .. دخل أبوها إلى الحجرة :

- ماذا بك..؟ ما يشغلك؟ ناديت عليك عدة مرات لم تجيبى..

وبخبث البنات البريئات الخجلى قالت نور:

- قل لى يا أبى...
- ماذا يا عين أبيك؟
- لماذا عاد موسى إلينا؟ ولماذا غضب فرعون؟ عاد برسالة ولكن ما حكاية موسى؟.. ولكن كيف ظهر ولماذا هرب؟..

سؤال طرحته نور على أبيها كنعان.. نور فى عينيه نور، وفى شفتيها نورٍ، وفى قلبها نور[١] وفى عقلها أسئلة من نور، ومن يهبه الله من النساء نورًا غيرها..

---

(١) نحن المصريون أول من اخترع السجون فى العالم .. سيدنا يوسف فى السجن.. مع إن القضاء الشامخ فى عهد العزيز قال إنه برىء وسجن ٧ سنوات. ونحن أول من أخذ الثأر فى العالم ثأر حورس وقتل عمه ست.. ونحن أول من أرسل الله لهم نبياً سيدنا إدريس ليهدينا من الفساد. ونحن أول من اخترع الظلم منذ ٧ آلاف سنة.. اقرأ كيف كانوا يجمعون الضرائب من الفلاحين فى عهد الفراعنة قبل إخناتون وبعده.. منشأ كل ضلالة من هنا ومنشأ كل فكرة طيبة كانت من المسلمين غير العرب لأن العرب أسوأ من المصريين وأول من أفتى بالإرهاب والقتل كان إماماً من مصر فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث أفتى إمام مصر حينذاك بقتل سيدنا عثمان بن عفان ومن قتلوا سيدنا عثمان كانوا ٣٢ شخصًا منهم ٢٨ مصريًا .. نحن والعرب واليهود تركيبة واحدة اقرأ التاريخ يا عزيزى جيداً.

قالت نور لأبيها:

- **ماذا سيفعل فرعون مع موسى؟**
- **ماتت أخته حتشبسوت وبقيت آسيا التى ربته، هى تحبه كابنها ولكن فرعون هذا الغبى الذى يكره موسى ويكره كل شئ[١] ويظن أنه إله، لكن آسيا زوجة فرعون مازالت حية وموجودة.. هامان وزير فرعون والرجل الثانى فى الدولة، والرجل الوحيد الذى يصدقه فرعون، فى حالة غضب شديد من عودة موسى.**

سكت الأب كنعان. قالت نور:

- **أكمل يا أبى.**

قام الأب ولم يجبها، ثم سار بهدوء والتفت إليها:

- **فى الليل يا صغيرتى نتحدث وأحكى لك ما حدث..**

سكتت شهرزاد فجأة على صوت صراخ ودق على الباب.. كان صوت صراخ امرأة خارج الدار:

- **يا شهرزاد.. تعال الحقينا.. نادية بنت أبو قاسم بتولد.. وزوجها مو هون ولا أهلها كلهم فى لبنان.**
- **حاضر.. [٢]**

قامت شهرزاد مسرعة ووضعت طرحة وشال وجرت، وقالت وهى تلهث:

- **اقفلى باب الدار وأنت ماشية يا سهر.**

---

(١) بأى لغة تحدث الله إلى موسى عليه السلام؟ وبأى كتابة كتب له الوصايا العشر؟! يقول وسيم السيسى عن أ.د. فؤاد حسنين على، أستاذ اليونانية بجامعة القاهرة، صاحب كتاب «التوراة الهيروغليفية»: إن موسى ولد فى مصر، ونشأ فى مصر، وتثقف فى مصر، وتدرج فى مختلف الوظائف العسكرية، كما يحدثنا المؤرخ اليهودى «يوسيفوس فلافيوس»: إن موسى كان ضابطاً فى الجيش المصرى، ولم ير فلسطين، وتوفى قبل أن تظهر العبرية إلى الوجود بأكثر من قرن، فلغته كانت ولا شك اللغة المصرية القديمة «المصدر السابق ص٥»، وبالتالى فقد كتب الله لموسى الوصايا العشر بالكتابة الهيروغليفية، أو النقش المقدس، كما يسميها اليونانيون، وهى حقاً لغة مقدسة وجب علينا أن نتعلمها لأنها اللغة الوحيدة التى نطق بها الله لأحد أنبيائه، وهو النبى موسى كليم الله.

(٢) نبيل سالم الكاتب الفنان صديقى كتب على الفيس بوك إنه يريد أن يرانى لنتذكر فترة الجامعة والنضال فى وجه السادات.. كم كافح جيلنا من أجل مصر.. قال لى صديقى الدكتور مدحت الجيار فى أتيليه القاهرة إن أحلامه مازالت كبيرة رغم وصوله سن المعاش وأخبرنى أن الرئيس مرسى لن يمكث فى الحكم أكثر من عام، فاندهشت..!

قامت سهر.. أغلقت الدار بعد خروجها.. سارت إلى البيت يتبعها العصفور العاشق لعطرها، والذى كان واقفًا ينتظرها على غصن شجرة أمام دار شهرزاد..

شهرزادتودِّد النساء عند اللزوم وتعالجهن عند اللزوم وتزين بعضهن، وتدلك أكتاف النساء وصدورهن عندما تشكين من الألم الخفى.. وجع الروح حين يتحول إلى ألم جسدى.. خرجت سهر إلى بيتها لم تشبع من حكاية نور.. لكن غدًا ستسمع..

الفصل (٦)
بعنوان
"أَفَلا تَذَكَّرُونَ"

الليل والوحدة وشهرزاد، والبرد والجبل.. كيف تكون النساء.. شهرزاد بلا رجل بلا ابن بلا أهل؛ ماتوا أو سافروا، حتى حبيبها حامد الصقر سافر، وقال البعض مات فى البحر والبعض قال مازال حيًا.. الغربة اللعينة، والوحدة ونميمة النساء فى كل صباح ومساء إذا ذكر اسم شهرزاد.. يا ويلنا من الوحدة..[١]

ترى ماذا تقول الوردة فى المساء فى غرفة النوم لشهرزاد حين تضعها على الوسادة التى تجاورها؟..

أحيانا تسمع صوت دقات مرتعشة على بابها ربما كانت من المختار الحقير "زير النساء"، ربما من رجل حقير سولت له نفسه أنها تحتاج إلى رجل فى هذا المساء البارد.. هى لا تفتح الباب فى المساء إلا إذا سمعت صراخ امرأة بها تستغيث.. لكنها الليلة سمعت بكاء رجل على بابها ترى من يكون؟ وماذا يريد؟ أهو قاتل؟ أم مقتول؟.. سيان.. فى قرية يغيب فيها العدل القاتل والمقتول يتساويان.. ربما هو جنى؟ ربما هو ملاك اقترف ذنبًا وهرب من السماء. ربما رجل غريب من مدينة شهبا او صلخد به وجع.

"لن أفتح الباب.. هناك من يفتح باب داره فيلقى الجحيم، ومن يفتح باب قلبه لغريب فيلقى العذاب أشكالًا وألوانا. ربما رجل جاء من عرمان أوتعلا"

ازداد بكاء وتشنج صوت الرجل خلف الباب..

"لن أفتح الباب.. ربما هو صوت القمر نزل ليطمئن على ويشكو لى من النساء"

---

(١) لماذا يصر النقاد أن أسير على قواعد ثابتة فى الكتابة.. شهر رمضان جاى.. وأنا مفلس بس ربنا كريم.. وكمان الدنيا حر.. الواحد يروح فين.. والتكييف عطلان.. والتليفزيون أبحث فيه عن فرصة لعرض إحدى القنوات مسلسل من تأليفى ليمشى الحال وتتعدل الأحوال.. لكن حراس الحكومة العميقة موجودون.. وأنا كتبت ضدهم.. أين أذهب يا إلهى؟؟ مصر لا تطيقنى.. وأنا أحتويها. كاتب محاصر فى وطن يحاصر فيه كاتب مثلى ..فقير إلى الله ويحاصر الأغنياء الفقراء, ويحاصر الفقراء بعضهم بعضاً.. أى وطن يكون هذا؟؟

ربما هو الجبل جاء على هيئة رجل ليزورها؟

"لن أفتح الباب.. أيها الخوف الكامن فى أعماقى لن أجعلك تتمكن منى.. إنه الخوف يهزم النساء العازبات فى المساء بلا خجل.. عرفت الآن أنه صوت هزيمة أحلامى المؤجلة.. لن أفتح الباب"

شدت الغطاء على وجهها حتى أخفت الرأس.. لم ترد ولم تفتح الباب حتى الصباح.

خرجت بحثا عن نور
فى وطنى التائه فى الظلام
لم أجد الشمس
ولا النور ولا حتى الظلام..
كأننا وطن..
كأننا بشر..
كأننا نحيا..

عندما يشاهد مشهداً عاطفياً
على شاشة التلفاز
تغرورق عيناه
ويشعر بوجع السنين
الشاعر/ أشرف عامر

كاظم يجلس يشاهد فيلم "الوسادة الخالية" فى البيت، هى المرة المائة للمشاهدة، وكأنه أول مرة يشاهده، وعبد الحليم حافظ ولبنى عبد العزيز.. قال له أحد الزملاء فى الصباح كثرت الأقاويل حولك.. يقولون إنك صرت لا تهتم إلا بفصل واحد للبنات، والباقى كأنهم أموات.. لم يرد عليه، ولم يعره اهتمامًا..

"الغيرة والحسد دائما يلاحقان الواحد منا. إن العمل والكسل سيان. الإتقان والإهمال سيان. والموت والحياة سيان. والفرح والحزن سيان. تساوت كل أشياء العالم أمامى".

تذكر كاظم حين سأل الطالبات فى الفصل: كل واحدة منكن تحكى لى من هو فارس أحلامها؟؟ يومها أجابت وردة مدرس عربى.. ضحكت البنات، أما سهر أجابت فارس أحلامى أحب أن يكون طيارًا.. سألها كاظم لماذا؟ أجابت:

- بدى أشوف العالم أستاذ وبدى يفسحنى كل سنة فى بلد.

عرف لحظتها أنه ليس طيارًا ولم يركب طائرة ولا مرة فى حياته حتى الآن..

الثلج يغطى الجبل المطل على قريتنا فى الشتاء.. قريتنا مكان أم حزن أم سر الأنبياء.. كانت تنتابنى حالات مزاجية مفاجئة فأنا رجل متقلب المزاج.. أحياناً أشعر أننى نبى أو أننى زعيم أو حيوان اجتماعى سياسى برى يبحث عن غزالة برية ومهرة النور.. أقاوم تلك المشاعر العنيفة.. ريح الحب والعشق لسهر تدفعنى أن أدق بابها.. أتجنب هذه الفكرة ألف مرة.. كل الجبال تعرف أنى أحبها ، حتى جبال الشام تعرف ذلك، لكنهم يتجاهلون..

هدفى الحصول عليها، تمنيت أن آخذها إلى بلاد بعيدة. أنا رجل غامض وأشعر أحيانًا أنى بسيط إلى حد التفاهة. ماذا لو خبطت عليها الباب، وسألتها أن أمارس معها الحب ، لكن ترى من سيفتح الباب أبوها أم أخوها أم أمها؟؟ كنت أتمنى أن أجدها ضعيفة فى الإملاء.. بعض المدرسين يحاولون أن يضطهدوا الطالبات.. كنت أحدد قطعة الإملاء التى سأمليها عليهن..

قلبى يتورم فى كل يوم وأنا أنظر إليها وهى تختال بشعرها، وصدرها النافر فى بلوزة المدرسة يفتك بقلبى.. ما هو الحب؟.. كم ساعة أتقلب فى

الفراش يميناً ويساراً.. كم مرت على الساعات والأيام والأسابيع والشهور، وأنا أفكر فيها.. سيأتى شهر مايو، وتمتحن وتسافر هى إلى أبى ظبى وأظل أنا وحيداً سجينا مع وردة.. [1] هنا فى الجبل

دق باب الدار، فتح كاظم الباب دخل راغب بغلاسته المعتادة، وهو يحمل زوادة طعام أرسلها المختار لابنته وردة وزوجها كاظم، قال راغب وهو ينظر للتلفزيون ، شاهد فيلما يعرض لعبد الحليم حافظ:

- عبد الحليم حافظ مات.. شوفوا لنا فيلم جديد.

قالت وردة:

- كاظم بيحب عبد الحليم حافظ، وفيلم الوسادة الخالية.
- آه.. وأنا عم بحبه بس بحب عمرو دياب ومحمد فؤاد أكثر ومحمد منير.

لم يرد كاظم..

- أمى بتقولك هى بعتت لك لحم طازة.. بتقولك اطبخيها بسرعة عشان تستطعمى به أنت وزوجك..
- ما بدى أطبخ اليوم.. عندى طبخ.

صاح كاظم:

- قوم اطبخ أنت راغب، وعشينا..
- لا أنا حمشى ورايا موعد على القهوة..

خرج راغب من البيت، وقابله فى الطريق أبو الريش، ارتعد أبو الريش.. نظر له راغب..

- ولد.
- نعم سيدى .
- تعال ولد.
- أأمرنى سيدى.

---

(١) اليوم دعانى أحد الأصدقاء الموهبين جدًا من الشعراء هو أيمن صادق على الغداء، فى كافتيريا المجلس الأعلى للثقافة فى الأوبرا .. تحدثنا فى أشياء وأشياء.. وشاهدت امرأة كنت أعرفها . ونسيتها لأنها لا تعرف الفرق بين الرجال وأشباه الرجال.. ربما أكون تزوجتها شهورا.. وانفصلنا بهدووووووء.مع الاعتذار للمثقف الفاسد فكريا عماد أديب..الجميل العبارة .

- معاك حشيش؟
- شا بتقول سيدى.
- حشيش بدى أشرب سيجارتين حشيش.
- أأمرنى سيدى إدينى مصارى أروح أشترى لك وأجى لك على القهوة..
- بسرعة.(١)
- هوااااااااء..

جرى أبو الريش؛ لقد رضى عنه راغب ابن المختار ونسى ما كان.. الحشيش يجمع الأمير مع الخفير.. الثرى مع الفقير.. الحشيش هو الوطن السفلى للضائعين.. عالم الحرافيش والمهمشين والسفلة.. متسع وضيق لا يعرف اتساعه إلا من ملك كلمة السر.. حشيش.. وبينما يجرى أبو الريش متجهًا إلى الجبل عند تجار الحشيش وجد أمامه شداد، تاجر التفاح والزيتون، وسيارته الفارهة؛ فصرخ فيه شداد:

- وين رايح يا ولد؟(٢)
- سيدى وسيد الناس. تعال ادخل السيارة بدى احكى لى شو صار فى البلد من ساعة ما غبت عنها.
- بخير الحمد لله.
- كيف بخير؟
- قصدى مو بخير زفت.. إنت سيد الناس، وتعرف كل شىء أحسن منى.

---

(١) زرت الأتيليه، قابلت الشاعر سعدنى السلامونى، والفنان التشكيلى أحمد الجناينى، والنجم الفنان نور الشريف.. منذ ٣ سنوات لم أقابل نور الشريف سألته عامل إيه؟ قالى ما بشوفش أخبار التليفزيون ولا ببص فى الجرايد من شهرين.. حتى أكسب رأسى.. صح. قال فين روايتك نسكافيه عاوز اقراها.. ذهبت إلى مكتبة عمر ستور اشتريت نسخة وكتبت الإهداء وأعطيتها له.

(٢) فى الغروب فى أتيليه القاهرة قابلت الفنان التشكيلى محمد الشربينى الرفيع المستوى فكرًا وفنًا .. كان يجلس بجانبه القاص أسامة أمين ابن الكاتب الكبير أمين ريان قال الشربينى : أنا سامع كلام كويس جدًا عن رواية نسكافيه .. قلت يا رب يقروا ويعرفوا.. خرجت إلى الهرم قابلت فى الليل الكاتب الصحفى أسامة عفيفى فى مقهى صدفة فى شارع خاتم المرسلين في الهرم.. وهنأته على تولية منصب رئيس تحرير مجلة المجلة وعودتها للحياة الثقافية طلب منى مسرحية فصل واحد للنشر فى المجلة.. ودعوة أصدقائى العرب للكتابة. وعدته ومشيت..

- مين عم بيشترى التفاح والزيتون؟ بعدما تركت لهم المحصول.
- كتير والله..
- زى مين؟
- ما بعرف.
- لازم تعرف أسامى التجار..
- حاضر بس اتركنى أروح.
- وين رايح دلوقت؟
- أجيب غرض لراغب.
- ما تجيب شئ أنا معايا اللى بده إياه.. اركب معايا السيارة..

ركب معه السيارة، وذهب معه ليدله على المقهى التى يجلس عليها راغب.. فوجئ راغب بظهور شداد بعد امتناعه عن شراء الزيتون والتفاح منذ فترة واشتكى الناس من الكساد، لكن كل واحد من الناس تصرف بطريقته، والله ستر، وجاء بعض تجار صغار وكانت فرصة للبيع بسعر أعلى أحيانًا..

جلس شداد وراغب، وفرش الأرض لهم أبو الريش جلسة الحشيش والضحك والنكات.. كان شداد قد عود راغب على شرب الحشيش لأنه من لوازم الرجولة، وفوجئ راغب بأن شداد يخبره بأن سهر مازالت معلقة فى ذهنه، وأنه يود الحصول عليها بأى شكل حتى ولو ساعة واحدة، بأى مبلغ وبأى طريقة.. قال راغب مازحًا:

- يا ليت.. أنت خدها ساعة وأنا ساعة والا أقولك أنت يوم وأنا يوم.. وألا أنت أسبوع وأنا أسبوع.. البنت حلوة.. قشطة.. عسل.. تتلحس لحس.
- ههههههههههههههههه
- لا أنا لوحدى.
- فى الأحلام يا سيد الناس.

الحشيش فرح وبلاء ، هم وقضاء، الحشيش يسلب العقل فتحلق الروح بعيداً فى الأثير.

قال شداد:

- تخيل يا راغب أن سهر عم ترقص الآن طبل لها يا ولد على الطاولة .

وأبو الريش يصفق[١] أبو الريش خادم الاغنياء، عدو الفقراء والأغبياء، ليس هناك أى مانع أن يقف ويرقص مقابل عشرين ليرة، ويتخيل الاثنان أنها سهر وينادون عليه:

- ادلعى يا سهر..

قام راغب يطبل والمعلم يصفق وأبو الريش يرقص. أخرج شداد من شنطة السيارة كيسا به ملابس نسائية، وارتدى أبو الريش ملابس نسائي حتى يضحك شداد مقابل مائة ليرة أخرى.

همس شداد فى أذن راغب برغبته فى عودة الميثاء إلى الجبل، وأنها أخطأت وتابت وأنابت، وقال سورة من القرآن:

{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ....}...

كانت سهر فى احتفال سبوع نادية بعد ولادتها.. ذهبت سهر مع أمها إلى بيت نادية بنت الحاج قاسم وهناك التقت بشهرزاد (رب صدفة خير من ميعاد).. اقتربت منها، واختلت بها بعد الاحتفال وقالت لها:

- خبرينى خالتى شو صار مع محب ونور وموسى.
- ها الحكاية طويلة يا قلبى.. مو هون..
- والله احكى شوى شوى صغيرين يا خالتى.. شو صار بعدما وقع محب فى العشق والعشق ماله كبير..
- كيف ماله كبير يا سهر؟ قصة حب بتجنن
- الحب يسهرنا.. يعذبنا ويفرحنا ويؤلمنا.. الحب يعذبنا بقوة.. ويفرحنا بجنون..
- شو صار مع أخوك سالم؟
- النسوان يتشاجرون من أجله .
- أخوى سالم؟

---

(١) من رواية غواية للكاتب الليبى محمد عياد المغبوب.. صدرت عن دار المحروسة.. (هى عارية بجانبى أدركت معنى تمجيد الجسد، من قبل الفنانين، وهم يرسمون الجسد النسائى لأنه دلالة على الخصوبة. والأرض التى يزرع فيها النواة، كما أن الشعراء والقصاصين، وهم يصورون بالحروف اللوحات لأجمل النساء، ربما ليظهروا روعة الخالق وقدرته المطلقة فى تشكيل الجسد.

لم تكن تدرى أن سالم احترف إقامة العلاقات مع النساء المتزوجات.. اللائى هاجر أزواجهن من القرية بحثاً عن المال فى الخليج وأوربا وفنزويلا.. الرجال يهربون بحثًا عن المال وينسون أن النساء تبحثن فى الليالى عن حضن رجل دافئ، أى رجل مهما كان خفيرًا أو حمالاً أو عابر سبيل؟.. البرد والرغبة والشهوة كافرة عمياء هوجاء ليس لها عين ولا أنف ولا عقل، ولا استحياء.. هو يلمح فى عيون النساء المحرومات من العشق، الرغبة؛ فيرسل إشارته فى الحال، وعندما قالت بعض النسوة إن سالم جيد الأداء فى الفراش، طارت سمعته بين النساء، وبالطبع النساء كلهن كتاب مفتوح أمام شهرزاد التى يتناثر الكلام من أسنانها الذهب وعينيها الزرقاوين وأحياناً الخضرواين..

اعترفت لشهرزاد بعض النسوة من وراء بعضهن أنها تحب سالم لأنه وسيم وقوى العضلات وشاطر فى السرير، وتردن الطلاق والزواج منه..

- أنت شو بتقولى يا خالتى؟
- أخوك لازم تاخديه معاك الإمارات.. أحسن لو طول هون بيتقتل من أى راجل مرته حامل أو شئ.
- شو بتقولى خالتى.. أنتى عارفه شئ ومخبيتيه عنى يا خالتى؟؟
- بدك تعرفى.. أقولك.. أخوك محبل اتنين نسوان وبدهم يتخلصوا من الحمل ومحتاسين..
- شو بتقولى يا خالتى؟؟ يا ويلى يا ويلى يا ولى ى ى ى ى

ارتبكت شهرزاد حينما ولولت سهر وأخذت تلطم خديها.. قالت شهرزاد:

- وطى حسك إحنا فى سبوع.
- وبعدين.[(١)]
- أنا بعت كل واحدة من الحوامل فى سكة وعنوان.. من شان ما يشوفوا بعض.. اتستر عليهن.. وربى هو الستار على النسوان..

---

(١)عاتبتنى الكاتبة الشاعرة عواطف الزين (سندريلا شارع الصحافة فى الإمارات) على الفيس بوك (إنى لم أضع مقالاتها ضد أعمالى المسرحية للأطفال فى كتاب دكتور على عاشور عن مسرح الطفل فى الكويت.. كتبت لها ردًا وأقسمت إنى لم جد مقالاتها وإنى أرحب بنشر مقالات من يكتب ضدى.. وأنا فعلت نفس الشىء مع ليلى أحمد الكاتبة والناقدة الكويتية، ونفس الشىء فقدت مقالات الشاعرة الصحفية دكتورة منيرة مصباح، اعتذرت لها، ولهن ولكل الكاتبات والشاعرات اللائى نسيت أن أكتب مقالاتهن فى كتابى.

صمتت سهر..

- أقولك شو اللى صار مع نور ومحب..
- وأخوى..
- أنا بعت لأخوك يقابلنى من شان أكلمه.. ما تكلميه أنت..
- حاضر.
- مين النسوان دول.؟

لا تقل شهرزاد أسماء من يشكو ومن يبوح ومن ينوح.

- هن سافلات.[١].. نسوان سفلة..
- الله أعلم.. لا تظلميهن لأنهن من السيدات أولاد الناس.
- يا ويلى . أحك لى يا خالتى.
- غدا تعال لى نحكى سوا..

لم تنم ليلتها سهر.. كيف تسكت.. ولكن ظلت كلمة شهرزاد فى أذنها: "الراجل ما بيسأل نفسه أبداً الست تتحمل قد إيه غياب الراجل عنها فى الفراش؟" [٢]

وتعمل إيه؟ وإزاى تشفى وجع الروح وسخونة الجسد؟؟ ومن يسيطر على من الجسد أم الروح؟ ومن يسيطر على الروح؟

آه... آه... آه...

فى الصباح راحت سهر إلى المدرسة.. وجدت فى درج الفصل خطاًبا آخر كله شوق وحب وحنان، خط آخر، ليس بنفس الخط السابق: "ياسهر أنا لا أنام الليل وأتحسسك فى المنام.. أنا لا أنام".. ترى أي مدرس كتب هذه الرسالة.. أى بنت أتت بها ربما أخو بنت.. ربما قريبها.. ربمايكون شخصاً آخر، ومثلت سهر أنها متعبة وطلبت بإذن خروج، لكنها فوجئت بأن الناظر

---

(١) قرأت رواية الشاعر سمير عبد الباقى (زمن الزنازين) عن دار مكتبة جزيرة الورد يقول فيها (سجن المنصورة يأتيه الجميع من كل فج عميق.. جنود مطرودون من الجيش، معاقبون، ومزيفون ونصابون، ومزورون ونشالون، وهجامون، وهفافون وخطافون، وقطاع طرق، ولصوص ليل، وحرامية بط وفراخ، وعمال أفران خبز، وصنايعية بؤساء، وفلاحون مستورون لكنهم مدينون مبددون، وشغيلة، وتجار مخدرات، ومهربون، وقتلة ينتظرون الأحكام، وأحداث يرحل منهم من يرحل..)

(٢) تصفحت مجموعة صحف مصرية، كلها تشبه بعضها، ألقيت بها فى سلة المهملات دون أسف.. سحقًا للإفلاس الفكرى..

مدير المدرسة يطلبها فى مكتبه.. راحت إلى مكتبه، وجدته مشغولاً.. قال لها:

- اجلسى يا سهر..

جلست سهر.. حاول الناظر أن يخلي المكتب من المدرسين والطالبات، كأنه يريد عطرها يعبيء المكان، وعندما خلا المكان سألها:

- سلامتك.. سهر.. شو بك تحبى أبعت لك سيارة تيجى تاخدك من هون للبيت؟

قام واتجه نحوها.. فى عينيه دمعتان بهما وجع مراهق عجوز وقع فى نزوة ويقاوم حتى النخاع.. هبت سهر واقفة:

- لا .. ممكن أستاذ أروح البيت..

- ممكن

مد يده يصافحها، ولمسها، شعرت بالحرج الشديد، مدت أصابعها بسرعة وخطفتها، وفتحت باب المكتب بسرعة، وخرجت.. ارتبكت كثيراً، وقلقت، بينما جلس هو منهارًا على كرسى جميل بجوار باب مكتبه وأخرج منديله ومسح عرقه الذى تفصد من جبينه...

خرجت سهر بحجة الدورة الشهرية وذهبت إلى بيت شهرزاد.. رفضت شهرزاد أن تحكى لها عن سالم أخيها.. مع الإلحاح من سهر لمعرفة أسماء ضحايا أخيها من النساء..

قالت شهرزاد وهى تشرب القهوة :

- بلغنى يا أميرة القمر أن البنت نور عشقت محب والحب خطر..

كان ظهور الميثاء فى القرية أشبه بعاصفة خفيفة[١] كيف عادت ومتى جاءت بعد فعلتها الشنيعة وإبلاغها عن وردة، وكادت وردة تدفع حياتها من هذه الفتنة.. عندما أخبرت أسرتها أنها زارت كاظم فى المشفى فى دمشق أثناء مرضه؛ الناس تحب أخبار النميمة والشر بالسليقة، والمصريون والعرب

---

(١) اتصل بى صديقى الشاعر الصحفى ناجح خليل الفلسطينى من الأردن يسألنى عامل إيه ؟؟ وعايش إزاى؟؟ وطمنى عنك؟ وأنا فى دهشة.. مرتين اتصل .. لم يتصل بى أحد من آلاف الأصدقاء فى الوطن العربى للسؤال عنى وكيف عايش؟ أما فى مصر عندى ٣ أرقام موبايل وتليفون أرضى لا يتصل بى أحد.. ولم يسألنى بشر كيف عايش؟ هم دول المصريين والعرب اللى أنا منهم.. ناجح شهم شجاع كاتب له رأى حاد ان الفلسطنيين ..هم سبب ضياع القضية الفلسطينية لكثرة جدلهم ومؤامراتهم..

بالذات يمارسون هذا باستمتاع وتلذذ.. الميثاء فتحت باب دارها.. وقبلها راحت وقبلت يد المختار أمام كل الناس واعتذرت وحملت التراب فوق رأسها، وطلبت العفو منه.. راحت الميثاء إلى سالم أخي سهر، وقالت له إنها تعرف عدد النساء اللائى لهن علاقة به، وأسماء هن.. ارتبك فى أول الأمر ثم ضحكت وساومته أن يزورها كلما احتاجت إليه ووعدته أنها ستستحم وتضع العطر الذى يحبه، وأنها لا تريد المال ولا الرشوة منه وأنها ستحصل على ساعة فى الفراش معه..

شداد عاد إلى البلاد ودعا سامى أخا سهر مرة أخرى إلى العمل معه ، الناس تغمض عينيها أمام المال حتى ولو مس الشرف من قريب أو من بعيد..

راحت الميثاء إلى شهرزاد.. ودقت عليها الباب فتحت لها االباب شهرزاد وقالت لها:

- حمدا لله على السلامة يا ميثاء، والله عندى ضيوف وما أقدر أضيفك..

أغلقت الباب؛ لم يكن لديها ضيوف وغضبت الميثاء، وأسرت فى نفسها أن تنتقم منها وتدمرها، وهى تعلم أن شهرزاد طلبت مقابلة سالم. خافت الميثاء أن تساوم شهرزاد سالماً .. سالم ثور هائج فحل انطلق على نساء القرية ونساء الجبل فى الخفاء.. ليس كل الخفاء ستراً ، وليس كل ستر خفاءً، وليست كل النساء بغايا، وليس كل البغايا نساء، والشرف معنى وليس جسداً..[1]

لماذا لم تفكر شهرزاد فى عمل علاقة مع سالم أو أى رجل فى الجبل منذ زمن؟ لأنها هى المرأة التى عشقها آلاف الرجال منذ الصغر، وهى من قالوا عنها إنها جامعت ألف رجل، ربما نسيت أن لها عضو جهاز تناسلى، وأنها امرأة من دم ولحم مثل النساء.. هى تعيش كحلم وروح وحكايات..[2] وتحب حامد الصقر المهاجر من عشرين سنة

(١) حدثتنى أمى عن ضرورة حضورى للإسكندرية وترك القاهرة.. امى تريدنى أن أتزوج.. البحث عن أنثى تحتوينى أمر صعب.. وأنا أنتظر القدر أن يمنحنى إياها دون عذابات أو مشاكل.. امرأة بسيطة طيبة..فى الطبعة الثانية هذه أمى توفت..منذ ارعين يوما

(٢) كتبت فى صفحتى فى الفيس بوك.. إلهى العظيم، وأعلم أنك البهى والرقى والرخاء والنماء وأعلم أنك الحب والعشق والعطاء اللهم أعطنا من فضلك وامسح بيديك عنا عذابات الروح وظلم عبادك الطغاة صغارهم وكبارهم.. اللهم أسألك ولا أسأل سواك.

كنت أكتفي بي..
وما إن وجدتك لا أدري ماحدث.
"الشاعرة نوف محمد
حجازية العينين
***

الفصل (٧) بعنوان...
أعطيك ما أعطتنى الدنيا من فرح ومرح
(لقاء يوم حظ عظيم ماذا تقول؟)
أنضم للفصل الثامن

الفصل (٨)
بعنوان
فسر لى يا قلبى ؟

قال الكاهن المصرى خع خبر رع سنب عن مصر فى لوح موجود الآن بالمتحف البريطانى و هو من الأسرة الثامنة عشر منذ ٣ آلاف سنة قبل الميلاد (ليتنى كنت أعرف صيغا للكلام لايعلمها أحد وأمثالا غير معروفة أو حتى أحاديث جديدة لم تقل من قبل غير مكررة ، إن العدالة فى مصر قد نبذت وأخذ الظلم مكانه وسط قاعة المحكمة وتعاليم الآلهة انتهكت حريتها وأهملت أنظمتها والبلاد صارت فى هم والحزن عم كل مكان وصارت المدن والأقاليم فى عويل وكل الناس صاروا على السواء يرزحون تحت عبء الظلم أما الاحترام بين الناس قد انتهى ..إن كل البلاد فى اضطراب عظيم .. فسر لى ياقلبى ماذا يحدث الآن على الأرض. إن المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت. ليس إنسان خاليا من الشر فلإن جميع الناس فى مصر على السواء يأتون بالشر والقلوب بالحزن مفعمة والناس على الشر يستيقظون كل صباح و قلوبهم لاتنبذه ولاتزال على مافعلته فى ذلك بالأمس فلا يوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان يدفعه الغضب إلى الاحتجاج أو الكلام .. والناس تستيقظ فى الصباح كل يوم على ألم .. والرجل الفقير لاحول له ولا قوة لينجو ممن هو أشد منه قوة وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان ساكتا على الأشياء التى يسمعها .. ولكن المؤلم المؤلم أن الرجل الجاهل يجيبك: كل شيىء تمام)

فكر فتحى أن يرسل إلى العمة سعدة فى قرية الضهرية بحيرة عشرة جنيهات، ووضعها فى ظرف، ولفها بورقة بيضاء؛ لأنها لا تعرف توقع، ولا تعرف طريقة الحوالات، حيث يصل إليها البوسطجى. لكن سلمان ابن عشيبة البوسطجى فتح الظرف وأخذ العشرة جنيهات.. هل تأثر ابن عشيبة بفيلم

البوسطجى، حيث كان شكرى سرحان يفتح الرسائل.. أرسلت إلى عمتى مع أحد أقاربنا فى القرية.. هل وصلتك الفلوس.. قالت: أى فلوس؟.. عرفت العمة سعدة ، خرجت إلى دار سلمان بن عشيبة ودقت الباب بعنف:

- افتح يا حرامى.. فين العشرة جنيه يا سلمان يا ابن عشيبة يا حرامى.

ارتبك سلمان.. تجمع الناس حول الدار، قالت العمة سعدة صارخة:

يا ناس.. يا هوه.. يا شيخ البلد يا شيخ الخفر.. يا خلق هوه ه ه.. سلمان ابن عشيبة سرق جوابي وفيه عشرة جنيه (تساوى الآن ألف جنيه)

قال ابن عشيبة وهو خجل:

- فيه ايه يا خالة.. والله ما أنا فاهم حاجة.. عشرة جنيه إيه وجواب إيه..؟؟ اهدى بس بلاش صوات وفضايح.. فيه إيه؟

اجتمع كبار القرية الذين مروا بالصدفة وبينهم سيد أبو راضى.. تذكر سيد أبو راضى الجزار، أن سلمان بن عشيبة اشترى منه منذ أسبوع كيلو لحم وأعطاه عشرة جنيه صحيحة وجديدة [1].

- قال سيد أبو راضى:
- يمكن يا خالة سعدة الجواب ما جاش من إسكندرية..
- رد سلمان بسرعة مؤكدا:
- أيوة يا خاله... يمكن يجى بعد الضهر أو يجى بكرة ولا حاجة؟
- يا حرامى.. الجواب بقى له ١٥ يوم.. يا ناس يا هوه
- همس الجميع.. خاف سلمان خاصة بعد همس له سيد أبو راضى:
- العشرة جنيه أنت أخذتها وأنا اللى فكتها لك لما أخدت كيلو لحمة منى من أسبوع..
- فى الليل ذهب سلمان إلى الخالة سعدة وبكى بين يديها وطلب منها السماح ، وأعطاها خمسة جنيهات، وطلب منها أن تقسط المبلغ كل شهر جنيها، وهمس لها:

---

(١) اتصلت بالصيدلية طلبت منهم اسبرين للصداع.. وطلبت دواءً للهضم.. واتصلت بأمى أطمئن عليها.. واتصلت ببعض الأصدقاء للسؤال.. يبدو أن الدواء أصبح شيئًا هامًا فى تلك الأيام, مثل السكن والطعام والملبس.. غالبية الناس مرضى..

- والنبى يا خالة قولى لفتحى بيه رضوان يجيب لى جزمة من عنده أحسن جزمتى اتقطعت..

فرحت أنها حصلت على الخمسة جنيهات، وقالت:

- حاضر حأقوله يجيب لك جزمة يا جزمة..

ضحك وقبل يدها ومشى.

قالت العمة سعدة لفتحى:

- ابقى هات لسلمان بن عشيبة الحرامى جزمة..

تذكر فتحى فى القرية وهو طفل صغير فى سن الثانية عشر حيث ذهب مع جده هناك واكتشف أن كل الأطفال حفاة والرجال والنساء وقلة فقط هى التى تنتعل الحذاء، وعرف فتحى حين كبر ما كتبه الشيخ يوسف الشربينى فى كتابه هز الكحوف حيث قال: (يجتمع أهل الريف حول العروس وينادى فيهم رجل فلفوس بيده مشعلة مش شرموط هاتوا النقوط صاحب العروس بقى فى أمان هاتوا يا ناس يا جدعان فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين والذى يرمى نصف أو نصفين وبعد هذا يقبلوا على العروس بوجوه كأنها وجوه التيوس، وينادى واقح والأشعر والاسم مشقور غزير فإن كانت مليحة فالواقع زرياً أو سمسم مقشور وإن كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور ثم إنهم يدخلونهما إلى الفرن أو البيت ويسرجون لهم بشئ من عكار الزيت ويفرشون لهم شيئاً من التبن أو القصل ويضعون لهم وسائد محشوة من قش البصل ويغلقون عليهم الباب ويدقون لهم بالحجارة على الأعتاب فإن أخذ وجهها (أى فض بكارتها) هموه وإلا جرسوه وتكوه، وقالوا له شرفت البلاد وهتكتنا بين العباد فعرسهم هتيكه وفرحهم مصيبة ووليمتهم الكشك والفول ونوع من البقول والأرز بالعسل يشبه الطين والأرز باللبن طعام المجانين[(١)]

ويقول الشيخ الشربينى أيضاً فى كتابه هز القحوف فى شرح قصيدة أبي شادوف فى وصف أهل الريف فى مصر(صفحة ٥) عدم اكتراثهم بالصلاة والدين، إذ أن الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت، والنقز والبنتوت،

(١) دعيت لمشاهدة مسرحية فى هيئة المسرح، للأسف لم تعجبنى الكل يأكل على قفا الثورة أغنياء الثورة وتجار الثورة.. ومسخرة.. الكل يتاجر بأى حدث للوطن.. كم من حالات نصب واحتيال فى الوطن بإسم الإبداع؟..

والساقية والفرقلة، وشيل الطين والجلة، والعياط والغارة، والطبلة والزمارة، والحدوة خلف قفاه ومزراقه وهزراده وحزامه الليف والتبن والشنيف وخلقته المشرمطة وصورته الملخبطة وطربوشه الدنس وزره الغلس وطرده للغازات والدواهى والبليات ومشيه حافى فى الحر والخلا وعياطه فى الظلام بالسعد أو بالحرام فتجتمع عليه اللموم ويقع منهم على البلاد الهجوم وهم سعد أو حرام ويخرج إليهم الآخرون بالتمام فيقع بينهم الحرب والعناد وتخرب بسببهم البلاد وتقطع الطرق على العدو والصديق وترتب على ذلك المفاسد وتمنع عن بلادهم الفوائد وكل هذا من قلة عقلهم وكثرة جهلهم وسوء خلقهم وعدم اتفاقهم إذ كلهم فى الظاهر مسلمون والقتل عندهم مثل الديون وأيضًا عندهم قلة الوفا، وعدم الأنس والصفا، لا يؤدون القروض ولا يعرفون السنة من الفروض، إن عاملتهم أكلوك، وإن نصحتهم أبغضوك، وإن أقمت لهم الشرع رفضوك، وإن ألنت لهم الجانب مقتوك.. الرجل العالم عندهم حقير والرجل الظالم عندهم كبير.. أمورهم معاند.. وليس عندهم فؤاد.. عندهم قبض المال أعز من العم والخال.. سود الوجوه إذا رأوا معروفا أنكروه..

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا ** فإن إكرامهم فى عقبه ندم

يبدو الصياح بلا ضرب ولا ألم ** سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

إذا أقاموا أفراحا لا تكون إلا بالعياط والصراخ والصياح وشدة الاضطراب، وربما وقع فيها البطح والضرب، وشاهدنا كثيرًا من أفراحهم وما يقع فيها من عدم نجاحهم، وستأتى كيفية أفراحهم وأعراسهم، وعدم ذوقهم مع ضيوفهم، وإذا حصل منهم الكرم بالاضطرار يكون العدس والبيساره أو الفول المدمس والبقول ولو مكث منهم مدة فى مصر أو دمياط لك يكتب من أهلها الطاقة قيراط وبعض أكابرهم المشار إليهم بالبنان والمعول فى الأمور عليه إذا طلع مصر لمقابلة الأمير أو قضاء حاجة من الوزير ترى عليه لبس محبوب ومع ذلك يمشى حافى بلا مركوب.. لا يحترمون صغيًرا ولا يوقرون كبيرًا.. عوراتهم على الغساقى مكشوفة وثيابهم بالنجاسة. ملحوقة. يجتمعون لحساب المال فى المساجد، وليس فيهم راكع ولا ساجد، وأولادهم دائما عريانين فى صورة المجانين.. الرحمة فيهم قليلة والرأفة متروكة ذليلة) (من صفحة ٥ إلى ٧ كتاب هز القحوف الشيخ يوسف الشربينى سنة ١٣٠٨ هجرية.. المطبعة الأميرية

ببولاق مصر المحمية..)[1]

ويقول أيضاً فى صفحة (٨) عن الأسماء: "(الأسماء) تدل على لطافة المسمى أو على كثافته، وفى كلام أهل العلم والتأديب كل أحد له من اسمه نصيب (واما كناهم) فأبو شعره وأبو معره وأبو عفره وأبو دعموم وأبو شادوف وأبو جاروف وأبو مشكاح وأبو رماح وأبو بطاح وأبو بقر وأبو مطر وأبو هودج وأبو خرق النورج وأبو ضلام وأبو شقوير وأبو قشقوش وأبو قسيم وأبوجريده وأبو طعيمه وأبو بليله وأبو زغلول وأبو سيسى وأبو جاهل وأبو قصاله وأبو زباله وأبو بعبوص وأبو نموص وأبو لبده وأبو غدّه وأبو زعيط وأبو معيط وأبو بريطع وأبو زعيزع وأبو تعيتع وأبو شعيشع وأبو صابر وأبو خناقر وأبو هبول وأبو هوير وأبو طرطر وأبو عوكل وأبو حوقل وأبو عسقول وأبو ذبابه وأبو زغابة وأبو طريف وأبو قدح وأبو عريش وأبو كريس وأبو فتيشه وأبو دشيشه وأبو قزق وأبو قلوط وأبو حجلاط وأبو جيص وأبو كانون وأبو مقلد وأبو جعباظ (ويلقبون) عمران القلبط وعمير اقرط وقبرى وفنديسه وشحيبر وبعيببرر وعنطوز الباب وشلاطة محلاب ومحمد القلاب وكسبر التقلية وبربور الهبلة ولهاط الزبلة ومشالى الجلة ونحو ذلك كثير لا غاية له (وبجيبون السائل) بلفظة هاه وخيدوايس مالك واى مالك وايهاه مما هو مشهور بينهم.[2]

(وأما أسماء نسائهم) فمن معنى أسمائهم فيسمون زعره وبعره وهيطله وميكله وأخطيطه وحويطه ومعيكه ودعيكه ودكيكه وشباره وشراره وزراره وعلاره وعباره وشلبيايه وعطايه وعليوه وحليوه وخديه وبليه ولبده وغدّه وشمه ولمه وبلمه وسروه وبروه وفيوه وخريوه (ويكنون) بأم جعيص وأم

---

(١) انشق حذائى فجأة لأن شوارع القاهرة تقريبا والإسكندرية والجمهورية كلها مطبات وحفر.. وتذكرت ماقاله لى صديقى الكويتى بعد تحرير الكويت من غزو العراق.. مصر عاوزه تعيد تعمير الكويت.. طيب يعمروا شوارع مصر ياخوى مافى فى مصرشارع سليم ومافيه حفر.. وبعدين يعمروا الكويت.. اضطررت لشراء حذاء جديد..وأنا أسير فى الشارع..

(٢) جلست جلسة على القهوة مع الناقد عبد الغنى داود ومحمد السلامونى الناقد والكاتب البورسعيدى وزوسر مرزوق الفنان التشكيلى ورامى البكرى الفنان التشكيلى..والكاتب أحمد عادل والحوار كله غضب من الوضع الثقافى الذى لم يتغير بعد الثورة كل الوجوه هى هى .. لم يتغير أى شئ.. مصر المسخرة..

معيص وأم رميح وأم عرّام وأم زواح وأم شغيره وأم صغيره وأم شواهى وأم دواهى (ويلقبون) بجلايه وكرساية وغاسوله وفاره وفرفاره وغاره وغايره (فهذه) أسماء وألقاب وجودها كالعدم وإنما هى ألفاظ يضعونها مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى، وبعضهم إذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه يا داهيه تقول له تجيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلاً منهم دخل منزله فرأى زوجته عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تجيلك من الحيط فقال لها تعالى اتعشى فقالت له ابنك بيخرى، كل أنت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تجيلك يا أبو عنطوز (وأما أولادهم) فإنهم مثل أولاد الهنود أو أولاد القرود دائماً فى شلاتيت وشراميط ترى الواحد منهم دائماً مكشوف الرأس غارق فى الجلة والساس ونومه فى المدود وشربه من المترد وأكله من الجلد ولعبه حول العجله يشخ ويخرى فى ثيابه دائماً فى سخامه وهبابه عمره فى الدناسه وأمه فى نجاسه وإذا درج فى الحاره لا يعرف غير الطبله والزماره والطردورا الثور والفحل وسخامه فى الجله والوحل لا يلبس على طهارة قميص وعيشه دائماً فى تنغيص خالى من التنظيف وكلهم قحوف من قحوف الريف (وأما نساؤهم) عند الجماع فإنهنّ فى حكم الضباع يدخلن الأفران ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان وتظهر لهم روائح الدمس حتى يصيروا فى قلس ثم ينضجعوا على شئ من القش وما تيسر من القصل والعفش بعد أكلهم المدمس والبيسار حتى يصير الشخص منهم كأنه حمار ثم يضم زوجته إليه وهى تتشقلب عليه فيظهر من بين الاثنين روائح الجله والطين وتعطيه رجليها وينظر إلى عمشة عينيها ويطرحها على جنبها فتستغيث بربها وتقول أحيه جتك داهية جتك مصيبة أحيه جتك غاره فغنجها بليه وجماعها رزيه، وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مزود الحمارة أو فى الغيط جنب العباره، وقد تمكث المراة منهن الجمعة لا تغسل من النجاسة لمعه وكذلك الرجل بتحقيق فى أعظم الدناسة وعدم التوفيق (وأما أعراسهم) فإنها مثل قيام الغارات أو تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا بالعريس دوره وهم فى غارة أو غوره وعائط وصراخات ودواهى وبليات وزعيق وعفره وصياح وغبره والكلاب تنبح والشعرا تمدح والطبل يضرب والمشاه حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والأولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجدّ، وربما

تخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدوره يفرشوا للعريس جنب الجوره ويجلسوا على حصير أو برش من أبراش البير، ويأتوا له بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدّامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح هوف النظره وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمره ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه الفعلة "مثلة" بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم)[١]

رحم الله شيخنا الجليل العلامة يوسف بن محمدين عبد الجواد بن خضر الشربينى عفا الله عنه آمين (الطبعة الثانية – بالمطبعة الأميرية – ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠٨ هجرية)

الحمل ياما يا مدينتي يهز شاعر كان في ندره يكون غطا
ويغطي قلبك في الشتا
وإحنا سنيِّنا كلها دايماً خريف
ما عاش في راسك يا مدينتي غير عرايا الفكر
يتنفسوا بكا..
يتنزهوا فوق جبهتك في العصر..
ويشرنقوا اسم الكلام في كتاب ضرير
ويبسموا الأحزان في قلب الفجر

" الشاعر مجدى نجيب "

***

(١) أفتى بعض شيوخ التاكسى ان كل من نسى موبايل فى التاكسى فهو رزق للسائق ولايرد لصاحبه لأن الله لو مش عاوزه ينسى ماكنش خلاه نساه .. ومن نسى حقيبة مال فهى رزق لصاحب التاكسى الغلبان.. أستغفر الله.. هذا حال مصر الآن..

العمة سعدة، خضراء العينين، زوجة جدى رحمة الله عليه، فلاحة مصرية كانت تزرع وتحصد وتساعد جدى، كانت حمراء الوجه بها مسحة من الحزن وروحها مرحة تسخر من كل شئ حتى من نفسها.. كانت تقول لفتحى رضوان:

- إذا ركبت الحمار بالمندار ستكتشف العالم.. (١)

لكنه لم يسمع كلامها أبداً.. كانت تحب تدخين الشيشة، المعسل، وكان الجد يحب أن يدخن السيجارة اللف.. الجد يحب أبو زيد الهلالى سلامة، ويجلسنى بجواره على المصطبة فى أثناء زيارتى للقرية، ويسمعنى. وعندما أشعر بالملل يغّير الكتاب إلى سيرة عنتر بن شداد.. كنت أحب قصة عنتر لأسمع قصة عبلة وجمال عبله، وصراع الرجال عليها.. كنت أفكر: هل القوة هى التى تجذب النساء؟.. وأنظر لعضلاتى الصغيرة فى حزن.. لن ترضى عنى عبلة ولا هبلة..

لكن الجد قال لى المهم ليس العضلات المهم الشعر؛ لأن الشاعر يسحر عقل النساء والزعماء، لذلك كلما كبرت كنت أقول لنفسى، إن الشعراء والكتاب وأهل الفنان أصحاب رسالة خاصة، وإن الله لن يرسل أنبياء جدداً على الأرض بل مواهب من علماء وأدباء وفقهاء ومفكرين..

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ

الفلاحون فى مصر ومعظم المصريين كانوا حفاة، وحاول حزب الوفد ان يعمل مشروعًا اسمه مشروع الحفاة حذاء لكل مواطن مشروع القرش.. تبرع بقرش.. وكانوا يذهبون إلى البيوت لقياس أقدام الناس لتوفير حذاء لكل فرد فى مصر، حيث كان ينتشر القبقاب وهو حذاء خشبى، والشبشب، وكان المصريون وكذلك العرب يمشون حفاة كأمر طبيعى.. وحاول عبد الناصر أن يرسل إلى المدارس لجاناً لقياس أرجل التلاميذ لعمل حذاء، وكان يرسل للدول العربية المعونات التعليمية: المدرسين والكتب والأقلام والحذاء للطلبة.. كان من يملك

---

(١) عندما أكره المسلمون فى الأندلس على الخروج من الأندلس.. أخرج معهم اليهود، فخرجوا مع المسلمين العرب.. وعاشوا فى البلاد العربية لأن المسلمين يحرمون ما يحرم اليهود, والختان مثل المسلمين والتكبير عند الذبح.. أغلب العقائد فى الدين اليهودى قريبة للمسلمين..

حذاءً يعتبر ثرياً.. احنا مش شعب فقير، وبلد غنى جدا يسرق من ٧ آلاف عام..[1]

***

حليم حبشى بين الحلم والحلم

إذا طفت على لوحات وعوالم حليم حبشى، هذا الفنان التشكيلى المصرى المولد والعالمى الحلم بالإنسان.. أربعون عامًا مضت بين اللون وسره وبوجع الفضاء والفراغ فى اللوحة والتدريس والتحقيق والتحقق، بل وأولهم أن يصبح الرسم حياة بل الحياة هى الألوان.. هو فنان يلتقط بعينيه فضاء القاهرة وسحبها بعيدًا عن قبح الشارع وأخلاق الزحام ليحل محله فى الفرشاة واللون الأبيض ليمحو تلوث القاهرة، وتردد اللون الرمادى والأسود..

تخرج حليم حبشى في كلية الفنون الجميلة بالزمالك عام ١٩٥٤ ويشاء القدر أن يزور مصر فى ذاك الوقت مليونير سويدى ويقوم بزيارة إلى صلاح طاهر فى مرسمه ويرشح صلاح طاهر سفر لوحات حليم حبشى للسويد، وكان ذلك أول معرض له فى السويد.. مبكرًا من العمر طارت اللوحات والألوان لتعبر عن طائر الحزن المصرى مبتعدًا عن أضواء الإعلام مؤمنًا بأن التعليم واكتشاف المواهب أمام العالم المتخلف. أما المعرض الثانى فى أمريكا أقامته السيدة منى قطب فى عام ٢٠٠٤ معرض جماعى، ثم أقام فى مصر ٦ معارض بعد المعاش، وكان أول معرض له عام ١٩٩٧ فى اتيليه القاهرة.. ترى كيف عاد هذا الطائر الذى كان يعلم الفنانين والكتاب (ومن تلاميذه على سبيل المثال لا الحصر دكتور مدحت طه والشاعر وليد منير)..

---

(١) اتصلت بالناقد الأستاذ عبدالله هاشم فى الإسكندرية كى أطمئن عليه.. عبد الله هاشم ناقد من نوع نادر القسم والسلوك.. واتصلت بأمى أطمئن عليها.. والناقد شريف الجيار شاب رائع الأسلوب والناقد محمود الضبع المتوهج.. على أن أتصل بأناس أكثر طيبة ممن أراهم حولى.. واتصلت بى كاتبة سعودية وطلبت مساعدتى للتعرف على القاهرة، فاتصلت بالكاتبة سعاد سليمان معدة البرامج الشهيرة بأن تقدمها فى حلقة.. سعاد سألتنى: عمرها كام سنة؟ قلت لا أعرف لم أرها، ولكنها طلبت مساعدتى لها وهى تزور مصر.. سعاد موهوبة وذكية وجدعة وكاتبة موهوبة.. أعطيتها تليفون الكاتبة السعودية وقامت بالواجب..

إن لوحات هذا الفنان تعالج هموم الروح المصرية المثقلة بموسيقى الاستعباد والرغبة فى التحليق إلى حرية من السيد؟.. هذا السيد هو اللون الأسود الذى يكون قضبان السجن الذى يسجن فيه وطن وإنسان وفكرة وضوء، وينتشر على الأفق الظلام..

حليم حبشى أيها الفارس الشارد فوق صهوة الألوان من حلم إلى حلم، ترجل.. دعنا نتنفس بعضًا من طيف لونك الأبيض الذى يغرقنا فى أودية الأحلام والموسيقى، حيث لا يوجد خوذة جندى، ولا عصا شرطى، ولا قهر للإنسان.. أنت لا تترجل كثًيرا عند الواقع المعذب والعذاب.. تهرب فى اللون الأبيض إلى حلم ومن داخل الحلم حلم ولا تتعثر..

أى قوة خارقة تفضح عشقك للحرية والمرأة الوطن والأساطير حيث يصبح الطائر والأنثى جناحيك للهجرة من واد غير ذى زرع مع أنه أخضر من واد دون بشر مع أنه مزدحم..

أيها الفنان الرائع لكل لون أسرار، ولكل فارس ريشته وهى السلاح وسلاحك للإنسانية واضح وفاضح للعشق الأبدى المتطهر.

قد يظن البعض أنك تنتمى إلى المدرسة السريالية ولكن نساء حليم حبشى فى لوحاته حزينة ونائمة ومنكسرة أما الرجل ممدد كالميت، وكأن الرجولة فى غفوة أو موت أو ضياع.. وفى لوحة أخرى تجد الجسد الأنثوى تحمل فى يدها رأسها، وعيناها مغمضة كأن الجسد والرأس منفصلان فى العالم الثالث والمرأة قد تراها فى كل لوحاته هى الحمامة وهى الكمان وهى الحزن بلا عنوان.. هى الجسد القائم والرأس فى واد آخر.. الشخصية الانفصالية والرجال فى كل لوحاته كلهم فى اللون الرمادى.. ومهزومين ونائمين ممددين كسالى فى خمول.

(مات هذا الفنان الجميل الذى لم يكتب عنه أى ناقد)

الليـــل
والنيـل
والشجر..
فى هوة الحلم
لا تستفت القلب الذى ضاق بى قديما
فالغيمة يا رجل
ذاكرة المثقوب
" الشاعر ناجى شعيب "
من ديوان (حديث الوسادة)

***

الفصل (٩)
بعنوان
حين أفكر فى النساء أشتهيك أنت..

(الوطن معنى فى الروح وإذا أصبح واقعا فإنى برىء منه. ولكن كل أحلامى مؤجلة ليس بيدى أن أحققها ، لم يسعفنى الحظ العظيم ، بعضها هاجر أو سافر أو انقرض او اختفى أو كمد حزنا ومات آه أحلامى ياأحلامى ..)

شهرزاد، طلبتها وردة لزيارتها فى البيت.. راحت شهرزاد إليها، وكانت أول مرة تزورها إلى البيت.. كانت شهرزاد فى قلق؛ هى لا تستريح لوردة، لكنها ابنة المختار، كما أنها زوجة الأستاذ كاظم.. وبعد السلام والكلام، والقهوة والمتى، فوجئت شهرزاد بأن وردة تسألها أن تساعدها على عمل حجاب حتى يحبها زوجها كاظم أكثر.. صاحت شهرزاد:

- **حجاب.!!. أنا لست ساحرة.. ولا أؤمن بهذا الكلام..**

وبسرعة ودهاء تراجعت وردة وقالت:

- **مو أنت خالتي تعمليه.. دلينى على حد تعرفينه يعرف فى السحر يساعدنى، ولك الحلاوة خالتى..**
- **والله ما أعرف[١]**

خرجت شهرزاد من البيت غاضبة، قابلها عند باب الخروج كاظم، حياها لم ترد.. أو ربما لم تسمع، وعندما دخل إلى البيت.. سأل وردة:

- **هذه أول مرة تأتى شهرزاد إلى بيتنا.. خيرًا؟..**

ردت وردة بلؤم وخبث وقالت:

- **عم تيجى.. وانت بالمدرسة تاخد حسنة فقيرة بساعدها..**

سكت كاظم.. دخل غرفته وقفل الباب..

فتحت سهر باب حجرتها.. وفتحت حقيبة المدرسة.. أحبت اللغة العربية

---

(١) ظهرت نتيجة جوائز الدولة التقديرية والتشـــجيعية.. اللجنة العليا لجوائز الدولة التقديرية والتشـجيعية رفضــت أن تمنحنى أى جائزة، ومن قبل رفضــت أن تعطيها لنجيب سرور ومحمود دياب.. هى دى مصر العبيطة يا حبيبتى..

وظل النحو يطاردها المبتدأ المؤخر والمنصوب والمرفوع حتى فى اللغة الإنجليزية فعل ماض ناقص وتام وظلت الرياضة لعنة عليها.. فتحت كراسات المدرسة.. وجدت فى حقيبتها خطاباً.. فتحت الخطاب.. قرأت: "سهر... أنتَ لا تعلمين كم أحبك وأذوب فيكِ.. إنى أحلم بكِ ليلاً ونهاراً.. أنت امرأة لا تتكرر.."

أمسكت الرسالة فى قبضها وكأنها تعصر ما فيها من جروح.. الخط ليس خط كاظم فلديها خط الأستاذ كاظم.. فى كراستها وهو يكتب لها إلى الأمام يا سهر.. إلى المستقبل الباهر.. ترى من يكون الراسل؟.. هل يكون مدير المدرسة؟.. هل هو مدير المدرسة؟.. هل هو أخ لفتاة؟.. أم قريب لها؟.. راح عقلها فى جولة الأسماء والأشكال والألوان ثم فتحت باب النافذة ودخل عصفورها.. جلس أمامها يرتجف، بدأ الجليد يتساقط على الشام.. الجليد هل هو استراحة الطبيعة؟ أم أن نتف الجليد هى أغاني السماء للأرض.. أم رحمة من الله.. أم احتجاج ضد الشمس التى تبعث الحياة فى كل الأرض.. وقف العصفور أمامها يحاول أن يكون شامخاً، لكنه كان يرتجف؛ فأمسكته بيدها، وضعته بين النهدين، وعندما شعرت الحلمات نهضت بينما العصفور تدفأ فزقزق بحنان..

فى الصباح، فى الفصل دخلت سهر، وبينما هى تجلس فى (التختة) اكتشفت وجود ليلى الفتاة الجديدة التى انتقلت فى أجازة نصف العام قادمة من دولة قريبة.. ليلى من نفس الملة، وهى الشقراء بنت ١٧ عاماً.. سألتها سهر:

- ليش تركتى مكانك هذا مكان سلوى رفيقتى؟

- ضحكت ليلى من اليوم حاصير أنا رفيقتك..

وفتحت ليلى شنطتها، وأخرجت باكو شيكولاتة (نوع تحبه سهر): "تفضلى هذى الك.."، وأخرجت واحدة لها:

- بعرف أنت تحبينها..

اندهشت سهر وضحكت؛ بادرتها ليلى:

- بموووووت فى عطرك.

- أنا مابحط عطر

- بعرف.. يا قلبي

وبادرتها ليلى بقبلة من خدها.. حينما قبلتها من خدها، كان العصفور يدق بجناحيه شباك الفصل فى تلك اللحظة . فى هذا اليوم خرجت المدرسة كلها إدارة وطالبات مبكراً؛ تأييدا للرئيس الأسد فى موضوع ما سياسى.. راحت سهر تخرج فرحة من باب المدرسة ففوجئت بسيارة أنيقة تفتح بابها وتظهر منها ليلى زميلتها:

- تعال سهر أوصلك للبيت..
- لا شكرًا.. بحب أتمشى..

رفضت سهر أن تذهب معها، وراحت إلى شهرزاد التى كانت تطبخ بازلاء ولحما، ورائحة طعامها الشهى تغوى من يشمها.. أكلت مع شهرزاد، وقالت لها:

- احك يا شهراد عن نور ومحب. وفرعون وموسى..

ضحكت شهرزاد،

ولى فى قلبك وردة

ولك فى قلبى بستان ياسمين

طيبة خالية فى الليل.. لا صوت.. لا خبر.. لا حس.. لا بشر

تفتح نور شباك البيت، تطل على الساحة المقابلة، وتنظر منها إلى النيل الذى يستكين كأسد مهزوم هزمه إهمال المصريين له(١)

جلس محب على النيل،شارداً فى تلك المصرية الجميلة.. من أنت يا نور؟.. هل أنت لى قدر مكتوب؟.. هل أنت جنونى المسافر وعاد؟.. هل أنت أوراقى، وزهرة خبأتها من السنين فى حنايا القلب؟.. هل أنت لحظة مضيئة تعد بألف سنة مما يعدون؟ هل أنت شجرة ميلاد لا تنبت أوراقها ولا تفوح إلا لحظة وجودى والحضور؟ أعرف الآن أنك تهيمين فى قلبى دون آلاف النساء؟ إنى أجمع صفاتك من كل النساء ليستريح قلبى حين تغيبين.

سار محب على الضفاف، فى كل خطوة ينظر إلى النيل، فيرى وجه

---

(١) إن تاريخ الحمامات فى مصر والاستحمام بل وتاريخ الاستحمام فى العالم يثير الدهشة.. كان المصرى يستحم مرة كل عام ونفس الشئ كان كل المصريين تقريباً.. حتى الفرعون نفسه حتى ملكة انجلترا إليزابيث حتى القرن ١٨ الميلادى.. كانوا يتعطرون أو يمسحون جسدهم بالعطر خاصة الأغنياء والأمراء ولا يستحمون..

نور: من هى تلك العبرانية الجميلة[1].. ماذا جرى له؟ كأن عطرها يجرى فى دمه ويشمه.. "ماذا بى أنا أشاهد نساءً كثرا، لكن هذه الفتاة عطرها يهزنى..

سحب الحصان من اللجام وسار على النيل: ماذا بى؟.. عندما سأقول أحبك سيحمر خد القمر لا أعرف لماذا؟؟.. أعلم يا نور أنكِ فرسة برية خلقت من نور.. لو ملكتك ستزحفين على الأرض تتأوهين بحنين أغانى كل العاشقات والعاشقين، بدءاً من أغانى أخت قابيل أولى الجميلات من إناث الأرض حتى أنت.. متى يكف صمتك عن الصراخ فى دمى؟

لو تعلمين.. أنى أسمع صراخك عبر المسافات.. ستندمين فى كل يوم لم أغسل روحك بأنفاسي.. حلى ضفائرك كى أتسلق عليها وتنقذينى من بئر الاحزان.. ألقى بى إخوة فرعون ويوسف فى هذا الجب كى أموت فى الذاكرة وأصبح طي النسيان.. أعرف أني بدونك فقير المعانى والمشاعر وفى ضجر..

دخل محب داره.. يبدو على ملامحه سكون غريب وهدوء لم يعهده أحد من قبل.. لم يكلم أحداً بالبيت، وأغلق الباب.. لم يظهر فى البيت صوت ولا همس.. لا حس، ولا خبر..

دخلت أمه حجرته بعد فترة طويلة وجدته ممدداً بملابسه العسكرية، قالت:

- ماذا بك؟.. لم تخلع ملابسك.. أبوك قلق عليك، وأنا.. منذ أن عدت من قصر فرعون وأنت نائمٌ فى حجرتك صامتٌ.. ماذا بك يا بنى؟؟.. ماذا بك هل أنت متعب؟..

تحسست وجهه، وجدته مبللًا بالعرق..

- ماذا بك؟.. ممَ تشكو يامحب؟

---

(١) لم يكشف أكاذيب اليهود إلا اثنان ١- المسيح. ٢- شامبليون. أما شامبليون فقد كشف حقدهم وأكاذيبهم عن الحضارة المصرية، التى قال عنها سيجموند فرويد: عقدة اليهود الأزلية هى الحضارة المصرية، أما رياؤهم وتجمد أفكارهم فقد هدمهما السيد المسيح، كان يخاطبهم: يا أولاد الأفاعى، إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناءً لإبراهيم، أيها القادة العميان، أنتم كالقبور خارجها طلاء جميل، وداخلها عظام نخرة، تنظفون خارج الكأس، ومن الداخل مترعة بالرجس والدعارة، هدم شريعة النفاق والرياء، وجاء بشريعة الحب والضمير: قيل لكم لا تقتل، أما أنا فأقول: لا تغضب على أخيك باطلاً، قيل لكم عيناً بعين، أما أنا فأقول لكم لا تقابلوا الشر بالشر، قيل لكم تحب قريبك وتبغض عدوك، وأنا أقول لكم أحبوا أعداءكم.. قيل لكم تقدسون السبت، وأنا أقول لكم السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت (وسيم السيسى)

- لا أعرف يا أمى ماذا بى.. لا رغبة لى فى الغناء أو البكاء أو الترتيل.. لا أنا حزين ولا فرح ولا أرى فى الدنيا شيئا.. إننى مغمض العينين ومخطوف.. الدنيا تحمل قلبى وتلعب به يمينا ويساراً.. أنا.. أنا متعب.. ولا أعانى من شئ محددٍ، بل أعانى معاناة البشر أجمعين.. يا أمى.. ما فائدة القلب إذا انفك من الجسد طائراً بلا أجنحة.. ولا أذكر من الدنيا إلا ضوء عين أنثى تعصر الروح ، فأنشطر نوراً وقلقاً [١]

فتحت أمه يديها واحتضنته، وعندما ألقى رأسه على كتفها أخذت دموعه تنهال؛ قالت الأم:

- آه يا صغيرى.. إنه الحب ياصغيرى محب.

ثم اعتدل وتمدد فى الفراش ووضع رأسه على حجر أمه.. ظلت تداعب شعره وفروة رأسه حتى غفا.. هكذا يجعلنا الحب نعود أطفالاً إلى حجر أمهاتنا.. فى الصباح لم يستطع النهوض.. عندما يتسرب الحب إلينا كل شئ فينا يصبح بين الليونة والنعومة والأثير، نتحول من دم وعظم إلى مشاعر، حرارة وبرودة، وأحياناً نجد أطرافنا باردة وحيناً دافئة، ودقات القلب تقفز من الصدر كأنها تلعب على سلم الروح..

....

(١) فى العصر العباسى الأول كان عشرة من أهل العلم والأدب.. أهل الفصاحة والحضارة يجتمعون مع بعضهم أمام هارون الرشيد، وهم: الخليل بن أحمد «سنى»، الحمبرى «شاعر شيعى»، صالح بن عبدالقدوس «زنديق - كتابهم المقدس - الزند»، سفيان بن مجاشع «خوارج»، بن رأس الجالوت «يهودى»، ابن نظير المتكلم «مسيحى»، عمر بن المؤيد «مجوسى»، ابن سنان الحرانى «من الصابئة»، كانوا يتناشدون الأشعار، يتناقلون الأخبار، فى جو من المودة والألفة، حتى لا يكاد يخطر على بال الرائى أن بينهم ذلك الاختلاف الشديد فى دياناتهم ومذاهبهم.

فهل تشترى الأرواح
بالدمع..؟؟؟؟
"الشاعر محمد شادى"
****

الفصل (١٠)
بعنوان
صوتك صباحى ومسائى

(حين يأتى الزمن لى فأنت وردة قلما عرف سرها العاشقون.. صرت رجلا مطفأ الحلم وفى إذعان للقدر وللمكتوب ولكننى عنيد مازلت أحلم كل يوم لأن الله كل يوم هو فى شأن)

فى الصباح.. ذهبت نور إلى ساحة تدريب الجند لم يظهر محب، والغريب أنها لا تستطيع أن تقترب من أحد الجنود لتسأل، ولكن الأغرب أنها مشت بجانب اسطبل خيول الجنود.. وفجأة قفز قلب برق الحصان الغريب عندما شم عطرها من بعد.. صهل صهلة.. صهلتين. جرت نحوه.. أمسكته وأخذ يتمسح برأسه فى كتفها.. إنه يسألها عن محب، وهى تسأله نفس السؤال:[١]

- أين محب؟

قال الطبيب:

- غرق فى بحر العشق

فى المساء فى بيت محب، قال الطبيب الفرعونى:

- يا أم محب ابنك روحه قلقه تهيم، إنه الحب، الحب زلزال ناعم يهدهد الروح وينهك الجسد، هو الذى ينهض بنا ويغفو، هو الحرير والسكون يفتح جروحًا، هو غناء حلو المذاق..
- اكتب..
- أكتب ماذا؟
- اكتب له الدواء يا طبيب..

---

(١) من رواية تغريدة البجعة للكاتب الموهوب جدا مكاوى سعيد يقول فيها (للشارع قانون غير معلن ورؤساء وبلطجية وتابعون ضعفاء.. أرصفة المشاة يحتلها بائعو الفواكه والخضار والشامبوهات وأدوات التجميل المضروبة والجوارب والكوتشيهات غير آبهين بقوانين إشغال الطريق، ويحلون مشاكلهم مع السلطة بنقود يحملونها على ثمن البضاعة)

- إن محب يحتاج إلى رائحة ضفائرها، أو شالها نضعه على كفيه وكتفيه حتى ينفك وريد القلب المكلوم.. يا أم محب. عطر المحبوب يشفى القلوب.
- أنا لا أعرف من هى؟ هو لا ينام يا سيدى الطبيب.. لا يقول آهة أو استغاثة وهو فى سهد، حتى زهور البنفسج التى فى شرفته لم يسقها منذ يومين ويهيم على وجهه إذا قام
- هو يبحر فى غرق العشق وبحره هادر، وليس بقاتل، وشتاؤه بارد وليس ببارد، وربيعه معلق فى رمش عين المحبوب..
- ابنى سيموت منى؟ إنه ذراع فرعون فى الجيش وكاتم الأسرار.
- لا تخافى.. سينهض.. سيأخذه الشوق إلى طرقات المحبوبة وبيتها ومكانها.. لا تخافى سيدتى.. سينهض القائد محب.. الشوق سيناديه.. سينهض الحب قادر والشوق فاجر ومجنون يهزم الأسوار ويتخطى الحدود.. سينهض(١)

هل هى روح الحب تسكنه؟

الحب روح لا تسكننا بل نحن نسكن روح الحب.. حتى نغسل نفوسنا من الحزن والشر..

"دقى الباب. حلى ضفائرك لكى أتسلق عليها وتنقذينى من بئر الأحزان".

فتحت أم محب الباب.. وجدت أمامها وزير فرعون هامان ومعه خاماوس أشهر السحرة فى ذاك الزمان.. قالت الأم وهى فزعة:

- سيدى الوزير هامان.
- ما أخبار القائد محب؟ ماذا به؟ لم يحضر إلى القصر منذ يومين، ومولانا الفرعون العظيم يسأل عنه؟ ماذا به؟

---

(١) اتصل بى معتز العجمى الناقد والمذيع بالبرنامج الثقافى، وأخبرنى عن أن اليوم ندوة شهرية فى بيت نهاد شريف.. الرجل المناضل فى أدب الخيال العلمى .. رحمه الله شق طريقاً جديداً فى كتابة النص الأدبى الذى ينتمى للخيال العلمى فى مصر .. ولم يدر أن مصر ضاعت علميًا وأدبيًا .. لكننى وافقت .. وعملت الشاى وجلست أكتب نصف ساعة .. وذهبت إلى هناك قابلت الكاتب الجميل محمد عبد الهادى والأستاذ صلاح معاطى الإعلامى والأديب المعروف والدكتورة عطيات أبو العينين زوجته وكاتبة..والدكتور خلف الميرى الرائع المفكر .. كان حوار حول أدب الخيال العلمى ..والسيده حرمه وابنته وابنه ومعنا الشاعر محمد تعلب..

- مريض.. لا يتكلم.. لا يعلن شكواه من شئ محدد.. يتصبب عرقاً.. لا أعرف.. وجئنا بالطبيب له الآن..

نظر هامان إلى الطبيب وسأله:

- ما به.. أيها الطبيب.؟
- حمى العشق..

ضحك هامان وقال:

- عشق.. أى عشق؟.. نحن الجند نغرق قلوبنا فى الماء ونسير على الأرض.. بدونها لو تركنا قلوبنا فى أجسادنا تنهار الدولة، ينهار الحكم. لو تركنا القلوب فى أجساد جيشنا تنهزم البلاد..

نظر له وهو ممدداً وصاح:

- محب.. محب.. عليك أن تنهض.. الفرعون الإله يريدك.. مصر تحتاجك.. انهض. إن موسى وهارون يثيران قلقا فى البلاد.. انهض..

لم ينهض محب.. الحب قوى لا يتلقى أوامره من وزير أو قائد أو فرعون.. الحب قوة من الله. الحب لا يقدر عليه أحد، حتى الموت لا ينتزعه من قلوبنا.

أمسك هامان الساحر خامواس وقال له:

- ساعده، أيها الساحر، إنه من أمهر الضباط وفرعون يريده..
- سيدى.. الحب هو من أبكى الموت.

خرج هامان.. خرج الطبيب.. خرج الساحر، ولم يخرج الوهن من جسد العاشق.. مقاومة الحب تقودنا للهزيمة والجنون[1] نظرت له أمه :

---

(١) هاجمنى الفتور فجأة.. وأنا أوشك أن أكتب أو اقرأ فتوقفت واتجهت إلى المطبخ لعمل أى شئ: شاى أو قهوة أو نسكافيه أوكابتشينو أو أطبخ .. ذهبت إلى الأتيليه لمشاهدة معرض صديقى الفنان التشكيلى الكبير مصطفى عبد الوهاب وابنته مريم.. كبرت مريم الصغيرة.. وأصبحت فنانة مثل أبيها كم تمنيت أن تورث ابنتى غيداء مهنتى لكنها قالت ملعونة الكتابة أراك تعذب أمامى .. الكتابة عذاب ياأبى.. أما محمد ابنى كتب ٥ مشاهد فى فيلم وتوقف.. أحسست أن مريم ابنتى لم أرها ولم أر أباها فى المعرض، والمعرضان رائعان.. قابلت صديقى الكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد... قال لى: شوف أنا تعبان جدا نفسيا وباخد حبوب مهدئة لا أطيق الشارع ولا أى شئ.. ومد يده وأرانى حبوبا مهدئة.. احتضنته.. لكنه كان فى حالة صعبة ثم فاجأنى صديقى

- ما بك يا صغيرى..

قالت الأم:

- ما بك؟ أجبنى ما بك..
- بى وهج حزين.. .الحزن فى أوردتى هوية تسير ربما جاء الحزن من ماء النيل ربما من العشق والصحراء.. ربما.. .

لا أعرف مع أنى أنثر على كل من يعرفنى الفرح والأمل دون تحديد.. وعادة ما أرتل للفرح الأناشيد لكن بى وهج حزين..

- من أين يأتى لك..؟

سكتت شهرازد، وألقت بعض الرمال على ركوة النار، وأطفأت الفحم على القهوة:

- قومى يا سهر نكمل غداً الحكاية.

قامت سهر والدموع على خدها.. لقد فهمت أن الحكى فى هذا اليوم قد انتهى.. وهنا أدركت شهرزاد أن الوقت قد حان لتمشى سهر

فى الطريق للبيت كل من تمر من جواره يلتفت.. هذه لفتة البشر لعطر منحه القدر لامرأة جمالها خطر.. وهى فى الطريق مرت بجوار الفلاحين الذين يحصدون التفاح ويغنون أغنية جماعية "يا مال الشام يلا تعالى".. قابلت المختار بسام الذى يجرى وراء النسوان ليلاً ونهاراً.. كان يجلس معه فى السيارة سالم أخو سهر.. ووقف المختار محييا داعيًا إياها بالتوصيل مع أخيها لكنها أصرت على المشى، بحجة أنها ستزور صديقة لها مريضة..

الشاعر الكبير أشرف عامر، وذهب معى واحتفى بى بشراء نسختين من روايتى نسكافيه نسخة لى ونسخة له .. حيث أن صديقى الناشر إسلام عبد العاطى حتى الأن لم يعطنى ولا نسخة وعزمنى أشرف عامر المعجون بالشعر على سندوتش طعمية وسندوتش كبدة إسكندرانى وباكو باسكوت بالعجوة.. وقال لى أكتب إهداء لى .. عدت إلى البيت فى الشارع اكتشفت أن أبا فؤاد جارنا مات والعزاء انتهى وأولاده يقسمون أغراض بيته فى الشارع فى حقائب سياراتهم الملاكى ويضحكون.. لم أنم حتى الفجر وصليت الفجر ونمت, استيقظت, هاجمنى الفتور وأنا أوشك أن أكتب أو أقرأ فتوقفت واتجهت إلى المطبخ لعمل أى شئ شاى .. قهوة .. نسكافيه ..كابتشينو أو أطبخ.

وبعدما كبرنا،
صار يأتي الثلج
يعانق عنّا قبور الأحبّة،
ويقبّل مدارج الطفولة،
وحينما غادرنا،
صار يأتي الثلج،
يلبس ذكرياتنا،
ويلاحقنا إلى المنافي البعيدة.
شهلا العجيلي

صورة وفنان
سعاد حسنى

كتبت فى جريدة السياسة ٧ فبراير ١٩٨٢

كانت فتاة بسيطة فقيرة، أمية تجهل القراءة والكتابة.. تقتحم عالم الفن مع عبد الرحمن الخميسي.. تتعلم من الخميسي الفكر والثقافة وتنجح وتتعلم القراءة والكتابة والثقافة وتصبح نجمة الوطن العربى الأولى..

سعاد حسنى.. هذا الوعى وهذا الحزن الكامن، وهذا القلق والحيرة التى نفذت إلى أعمق أعماق القلب.. سعاد حسنى خرجت من وسط الفقراء والبسطاء؛ فكانت "سندريلا السينما المصرية"، وحلم كل الرجال.

هاجمها الكثيرون.. إشاعات هنا وهناك، وهل يهرب الفنان من قدره؟.. الإشاعة لابد وأن تقترب من حاسديه.

سعاد حسنى.. طائر الحب الأبيض.. تنزع ريشها وتهبط على الأرض حلوة الحديث تبتعد عن جلسات النميمة وسهرات الوسط.. تسرع إلى جلسات المثقفين القلة..

سعاد حسنى.. صوت الربيع الأخضر.. شباك البراءة المفقودة.. حزن القوافل المسافرة.. كل ما حكى عنها هو خرافة.. فشلت فى الزواج وانتصرت فى الفن..

سعاد حسنى، الطفلة الكبيرة، الباحثة عن مساحة للحنان والدفء سعاد حسنى هى الموضوع لبادئ ذى بدء، وأغنية الفصول الأربعة، وسطور فى بحوث السينما ونجمة فى سماء الفن.

سعاد حسنى.. لن يحتل عرشها السينمائى وجه آخر.. نجمة العرب الساطعة لهذه الأسباب.. (بساطة الآداء، صدق فى التعبير، عمق فى الإحساس)

يطرق الباب وما من مُسمع
طرقات الخائف المندفعِ
وكأنّ اللّيلَ وحشٌ كاسرٌ
سادر في لونِه الممتقعِ
وكأنّ الرّيحَ ذئب جائعٌ
زاد رعبا للمخُوفِ الجزعِ ...
"الشاعر سيف المرى"
***

الفصل (١١)
بعنوان
قلبى الأسير فى هواك..

(زحف الحزن على من كل جانب .. اللهم نجنى منه ويسر لى أمرى إلي طريق النور ... أخشى على منى.. وأخشى عليك منى.. وأخشى على قلبى وهو الأسير فى هواك)

حملت سهر حقيبة المدرسة فى أحضانها، ومشت، رفضت أن تركب سيارة بسام المختار ومعه أخوها سالم. (آه يا قلب سهر لو طرت بجناحين إلى زمن وبيت محب لتمسح جبينه بعطر روحها) خرجت سهر من بيت شهرزاد فى حالة هيام مع محب ومع نور.. هبطت من التل ودموعها تنسال على خديها وخلفها تطير زهور وفراشات تتمايل لها، وعصافير تطير فوق رأسها وأمامها، ودقات قلب الأرض على كعب قدميها تتراقص.. يحمل الهواء سر القلوب والبيوت.. الهواء يلعب مع شعرها، ويحاول أن يلمس ثدييها وصدرها؛ فيتسلل تحت قميص المدرسة.. "سهر أنثى حافلة بأنوثة نصف نساء الأرض.."

وفى منتصف الطريق من التل إلى الدار، قابلت سهر راغب ابن المختار(العمدة)، وحاول أن يتكلم معها، وسار خلفها أكثر من أربعين خطوة.. فى كل خطوة كان يلقى بوعود وعهود وحب وشوق هيام، لكن عقل سهر كان موجوداً فى مكان آخر(١) قلبها يدق.. يمتزج مع قلب نور ومحب، الذى ينام ممددًا فى بيته المطل على ضفاف النيل.. هو يرى وجه نور على صفحة الماء والهواء والجدران واللحاف والوسادة..

سهر مع نور التى تسهر فى شباك بيتها ترسل مع النجوم دقات قلبها لعاشقها محب الغائب.. لم تعرف سهر أن راغب ابن المختار فكر فى خطفها، لكنه تراجع عن فكرة الخطف لأنها فكرة فاشلة ستسبب لأبيه مشاكل ولأسرته؛ ففكر واتفق مع مجموعة من البلاطجة مقنعين على أن يمثلون أنهم يريدون

---

(١) قرأت فى كتاب اليوم.. قال أحد الحكماء: أولئك الذين يحبون الناس من أعماق قلوبهم، لا يتقدم بهم العمر أبداً!. قد يموتون بسبب الشيخوخة، لكنهم يموتون شباباً!

خطفها؛ فيقوم هو بضربهم وإطلاق رصاص فى الهواء، لقد شاهد هذا فى فيلم عربى، حتى يكسب البطل قلب البطلة وترى شجاعته.. وفعلوا هؤلاء.. هؤلاء البلاطجة أحضرهم له أبو الريش.. التفوا حول سهر فضربهم وكل واحد حصل على ألفي ليرة أجرة المشهد.. كان من بعيد يختبئ أبو الريش يراقب الموقف فى فرح.. فى أول الأمر فزعت سهر عندما شاهدتهم، ثم اطمأنت أن راغب موجود، واكتشفت اللعبة بسرعة.. قال راغب وهو يقترب منها وابتعدت هى عنه:

- امشوا يا كلاب.. فيكي شئ يا سهر؟
- لا شئ.. مين هادول يا راغب؟
- مقنعين ماشفتهم..
- أنت ابن المختار وما تعرف؟
- ولا يهمك حأحاول أعرف؟ أنا مستعد أضحى بحياتى من شانك.
- ولا يهمك؟؟
- مستعد أوصلك كل يوم إن حبيتى؟
- لا ما تخاف.. ربى بيحمينى وأخوى بيوصلنى شكراً .

فشلت خطته، لم تهتم، اكتشفت اللعبة البنت الجميلة الخبيثة.. وصلت سهر الدار، دخلت إلى غرفتها.. بمجرد أن شاهدتها أمها أخبرتها أن موعد الزواج قد اقترب.. وأرسل العريس منقذ أخته ببعض الهدايا الذهبية، ربما هذا جرس الإنذار لها. لم تخبر أمها عما حدث.. لكن سهر ترغب فى حكايات شهرزاد؛ لتعرف ما جرى لنور ومحب، وتهرب مما يجرى فى الجبل فى روايات.. ترى لماذا تعذب أرواح الناس فى الحياة؟ لأن الناس "أكثرهم للحق كارهون" ، سهر لم تخبر أباها أيضاً، لكنها كشفت بفطنتها التمثيلية التى قام بها راغب، ماذا ستقول لأبيها وأمها؟.. فوجئت بدقات باب الدار وقدوم راغب خلفها.. فتح الباب سالم أبو سهر وجد أمامه راغب..(١)

---

(١) ذهبت إلى ندوة فى المجلس الأعلى للثقافة قابلت الدكتور اسامة أبو طالب الشاعر والناقد الرائع، وقابلت ربيع مفتاح الناقد والقاص المتميز، والناقد الكبير محمد قطب.. كانت حول رواية كاتبة نسيت اسمها.. نعم والله نسيت اسمها.. حضرت الندوة الكاتبة المشاكسة فى الإبداع سلوى بكر وعمنا يوسف الشارونى ..(فى الطبعة الثانية مات يوسف الشارونى ..ولازالت سلوى بكر مبدعة مشاكسة فى الابداع)

- مساء الخير عمى.
- هلا راغب.
- انا.... خدامك.
- شكرا مابدى غرض.
- ماحكيت لك سهر؟
- عن شو حكيت لى ؟
- الزعران هجموا عليها.. أنا ضربتهم ماخلتهم لمسوها،، وضربتهم بالبارودة.. هوب هربوا..
- طيب وبعدين؟
- بس.. رجعت سليمة..
- الحمد لله.. مشكور دا واجبك أنت ابن المختار وحتصير بعد شوى مختار.. صح؟
- صح.

لم يدعه على كاسة شاى.. لم يقل له كلمة.. وأغلق الباب فى وجهه..

دخل سالم إلى غرفة ابنته سهر.. ووقف غاضبًا أمامها:

- شو صار اليوم ؟؟ راغب جه ولخبط فى الكلام.
- اجلس يا أبى..

جلس أمام ابنته وجلست امامه تحكى له.. هز رأسه.. فهم لعبة راغب.. عندما تكبر البنات يوما بعد يوم يكبر قلق الأمهات والأباء معهن يومياً ..

وصل الخبر إلى المختار.. جن الرجل.. اقتحم غرفة ابنه راغب غاضبًا:

- راغب شو سويت؟؟
- ولا شئ.
- ايش اللى صار.. كلمنى عدل؟
- ما فى شئ.
- أنا عرفت شو اللى صار.. خيبك الله..

قام المختار وأغلق الباب غاضباً ..

هذا ذنبك أيها المختار الأولاد ابتلاءات تعيش بيننا.. إن الله يعطينا الأولاد قد تكون نعمة أو نقمة وأغلبها نقمة، ودائما ننسى أفعالهم السيئة..

ماذا سيقول لوالد سهر؟ ربما لو علم أخوها سيأتى ويتشاجر مع راغب أو يقتله.. ظل ينتظر ماذا سيفعل أبو سهر؟ سوف يعتذر له.. ثمة احتمال أن يلقى بنا البلاء إلى أولاد شبه شياطين.. الأولاد يتنكرون لنا دوما بسبب أو بدون سبب[١].. ماذا فعلنا لهم، وماذا سيفعل معهم أحفادنا؟ كل الأولاد فى النار..

---

(١) رسـالة إلى حفيدتى كادى: سـأقول لك سـراً إن مصـر والأمة العربية ليسـت بلادى بل هى حدادى بلاد لا تحب الأديب ولا الذكى الربيب بل تحتفى وتختال بالتافه السـقيم والسـطحى الغريب.. كادى إن هذا الوطن العربى وطن غبى من المحيط إلى الخليج والمعذبون فيه هم الأدباء والنبهاء والشعراء والحكماء والعلماء وهم قبضة فى مهب الريح أو فى ذاكرة النسـيان القبيح.. صـباح الخير يا كادى .. فى عينيك أرى على سـطح جهاز الكمبيوتر أغنية أسـمعها لأول مرة.. إن الحب بلادى التى فى خيالى وليست التى أعيش فيها الأن..

في ردهة أنوثتك (أطلتُ المسير)
و [لازلتُ] أطَيل المسير ، فما قطفتُ إلا كل عطر خلاب ، لذا سأطيل المسير !...
عبدالرحمن محمد البخاري - سيسكومان
****

الفصل (١٢)
بعنوان
وأنا فى عشقك المقتول.."

فلاش باك

فتحى رضوان خليل

عملت بالتدريس فى مدرسة بنات. صديقى محمد السيد مرسى أحضر لى الوظيفة أنا وعادل الحوفى زميلى فى المسرح والكلية .. أحببت فتاة تلميذتى سميرة كانت شقية أوقعتنى فى حبها بينى وبينها خمس سنوات أمسك الكراسات كل ليلة وكراسة سميرة أشمها خلسة.. "الحب يخيبنا كثيراً فى السلوك.. أو ينجينا من الواقع.. أو يدغدغ قلوبنا وأرواحنا ونحن نتلذذ.. كم أحب أحرفك يا بنت الذين؟؟؟.. كأنى أشعر بأصابعك وهى تكتب على جسدى وروحى تعزف.. وأنت سحر لى أذوب فيه وأهرب منه لأنى لا أحتمل طاقة نور حنانك.. كأنى أعرفك منذ عشرين سنة قبل ولادتك.. وعشت معى كل عمرى وسنين ما قبل التاريخ.. وكنت ابنك وأباك وأخاك، وكوكبا وكنت من حولى قمرا يدور..[١] وجدلية العشق والتاريخ ونقطة ضعف الكون والتحول والتعديل وجزء من هوائى اليومى وقوة الميادين التى تنقذنى من الإحباط، وأنا فى عشقك المقتول والمشغول بالواضح والغموض وفك رموز العشق وتراثى الفرعونى واليونانى والرومانى والقبطى والإسلامى فأنا قلبى مع الأنصار وروحى مع المهاجرين وأنا من الكاثوليك وقلبى مع البروستانت وكنت مع اليهود والبوذيين، وأنا تمرد الكلمة والتجريب وأنا جبة الشيخ وناقوس القسيس.. وأنت امرأة لا تشبه أحداً مثل مصر، وأنت الظن الجميل، ودفء السطور، وأنا رجل كثير الصبر، منفلت الطموح، وأنا معك طاقة خلاقة، ومشاعرى الفائضة معك تتحول أساور وأقراطاً وتيجاناً لكل النساء، وأنت سفر، وبينى وبينك مشاعر تشابكت واشتبكت، وليس علىّ إلا الاستسلام

---

(١) " كأننى فى غابة موحشة من الجليد.. والوقت فيه سكون .. تأزمن وملل الأشياء ورتابة الخطوة .. أحمد الجناينى من "رواية عاريات موديليانى"

للأمر الواقع، كى أذوب وأذوب وأصير نوراً وتصيرين هوية تجرى فى خلاياى جميعها.. كأنى.. كأنك...

المكان / الجبل

كانت وردة تمسك الكراسات الخاصة بكاظم وتقلبها لتبحث عن خطابات غرام أو إعجاب من سهر إلى كاظم أو أى فتاة أخرى.. وردة، تحاول أن تمسك طرف خيط لتشك فى كاظم لتهاجمه بقسوة وقوة ، الغيرة نار وجحيم، الغيرة قليلها توابل عشق، وهى حارقة المذاق، وكثيرها يحرق القلب والروح ويذهب بالعقل..[1] دخلت وردة تحمل القهوة فى البالكون حيث يجلس كاظم وجلست وقالت بوقاحة:

- شفت اخوى أنقذ سهر من شوية شبيحة كان بدهم يتحرشوا فيها يا ريتهم خطفوها وريحونا.
- ها؟
- شو ها؟
- فى شيئ جديد آخر؟
- ترى أنت زعلان عليها والاشو..؟؟
- شو..

قام وترك لها المكان.. صرخت:

- أنت قمت لشو مو عاجبك كلامى.. والا من شان هالبنت المايعة. اللى اسمها سهر .
- ما بحب تجيبى سيرة الناس..
- بدك فى شو نتكلم ؟
- اى شئ غير سيرة الناس..

---

(١) تقول إحدي نظريات النمو أن الانتخابات العامة، هي (وحدها) التي يمكن أن تقود بلدا للثروة، ولكن الديمقراطية (وحدها) بمعني الممارسة الشكلية للانتخابات، لا تقيم اقتصادًا حديثًا، فالهند و المكسيك ديمقراطيتان، و لكنهما فقيرتان نسبيا، حيث أن بلاد مثل جنوب أفريقيا حققت معدلات مرتفعة من النمو الاقتصـــادي، وهي تحت حكم الابارثيايد (العزل السياسي للسود) الذي كان بعيدا عن الممارسة الديمقراطية بعد السماء عن الأرض، ربما يكون حكم القانون و التعددية طريقًا للنمو الاقتصـــادي ولكنه لا يكفي وحده لفعل ذلك. الدكتور محمد الرميحى مجلة العربى ٢٦/٠٢/٢٠٠٣

- ليس عندى لك كلام..

تركها ومشى إلى حجرة النوم: تعال أشرب الكابتشينو. لم يرد، تركها ودخل غرفته وأغلق الباب، تمدد على السرير، جاءت خلفه تحمل فنجان الكابتشينو، وضعته بجوار السرير، وضعته على الكمودينو، ومددت جسدها بجواره، ثم أخذت تقترب منه قليلا قليلا، ومدت يدها تتحرش به وتفك أزرار بيجامته، حاول أن يتهرب منها، احتكت به وتلاصقت بجسدها معه..

- بس بالراحة يا كاظم على.. أحسن ابنك فى بطنى..
- كل شئ مباح..

فى الصباح سألوا البنات سهر، والتفوا حولها:

- هل حقا هجم عليك شبيحة أمس.(١)
- لا
- سمعنا.
- إشاعة.
- هل أنت خائفة؟
- لا.

صمتت، وضحكت وقالت: هذا حكى فارغ..

اقتحم العصفور العاشق فصلها، ودخل من النافذة.. صرخت البنات فرحاً به.. حاولن الإمساك به، لكنه عاد وطار ووقف خارج الفصل على جدار ينتظر خروج سهر، وسط ضحكات البنات وهو فى حالة خجل..

---

(١) قرأت رواية (رجوع الشـــيخ) للكاتب الموهوب محمد عبدالنبى – دار روافد.. يقول فيها (مع الأيام يتسـع السـجن وتختلف اسـواره ففى المرحلتين ..الإعدادية والثانوية صار الحبس زنزانة واحدة ممتدة مابين البيت وفصول المدرسة . وصرت لعهد طويل ابن الأســتاذ عبد المتعال الشــاطر النبيه الذى يجلس فى أول الصــف وكافحت كفاح البائس لأكسب أصدقاء، لا يكترثون لابن عبد المتعال..)...

أنتظرك...

على أحر من الحرف...

أسرع... تعال... تعال...

دون الحركات والهمزات والنقاط...

لا تخف...

أقرؤك جيداً...

وأنا مغمضة العينين ...

أنسيت أن قلبي...

يسكنك منذ بدأ الزمان...

الشاعرة : هدى المهتدي الريس

صورة وفنان

شذى سالم

كتبت فى جريدة السياسة ٢٨ فبراير ١٩٨٢

شذى سالم.. يطول مجال القول عن عذوبة أداء شذى سالم، وإذا ما فكرنا فى هذه الموهبة نجد بها طاقة هائلة كجبل العتيق.. تستطيع هذه الفنانة أن تخلق فى نفسك جواً من القلق والأحاسيس المركبة وكأنك على شاطئ البحر تسمع أعماقه وينبغى أن لا تغفل قوة "الحضور" الذى تتميز به فى أى عمل؛ فعندما شاهدتها فى مسرحية "كان ياما كان" كانت فى صمتها تغطى المشاهد "الإيحاء" بوجود صفة وشخصية متفوقة نتيجة الإحساس المرهف بحدود غير عادية.. شاهدتها فى فيلم القادسية وجدت فنانة تتقدم فى الصفوف الأولى لها ذكاء محكم، وإخلاص للشخصية التى تؤديها هذا الإخلاص لا يعنى عبوديتها للشخصية التى تؤديها بل هياماً ناقداً وخلاقاً للوصول إلى أرض الواقع حتى يصبح الفنان كفءاً للتعبير فوق كل شئ عن واسع الأفكار وأكثرها تجديداً للشخصية.

استقبلها الجمهور استقبالاً حماسياً دون تشكيك فى قدرتها. دون تحفظات. داخل أى كادر تليفزيونى أو سينمائى تضع مع الكادر تأليف موسيقى وقوة موحية إيجابية...

إن هذه الفتاة إفراز طبيعى لتاريخ الحركة الفنية فى بلاد التاريخ والعبق والكفاح (العراق).. إن وجودها فى فيلم مثل القادسية مع سعاد حسنى جعلها فى منافسة خاصة بمعنى الحصول على قيمة أوسع وأعمق فى مظاهرها الواقعية.

إن أداء شذى سالم مثل تذوق المدمن على السكر لا يستطيع المشاهد أن يقاوم سحر الأداء. وإن المخرجين مطالبون بالبرهنة على هذا بتكوين وتقديم فنانة تحتاج إلى أدوار وموضوعات لها مفهوم مخالف لكل المفاهيم القديمة..

إن الرأى فى شذى سالم رأى تجريدى بحت، لأن هذه الفنانة ستكون فى السنوات القادمة واحدة من أفضل الممثلات على الساحة الإنسانية.. بكل ثقة..

تنمو المدينة من ترف لسانى
كما الحكايا... النيئة
" الشاعر/ علاء عبد الهادى"
***

الحب قصر نسكنه ولا نراه
سهر على الجبل
قل هو الله أحد.. واحد أحد.. الذى خلق السهل والجبل وخلق الجمال فى كل النساء واختص سهر .

صعدت سهر على الجبل كى ترى الخالة شهرزاد لتحكى لها باقى حكاية نور ومحب وموسى.. لم تجدها وجدت الدار مغلقة.. قالت لعصفورها:

- تعال يا عصفورى ننتظرها قليلا..

صعدت الجبل، والعصفور يطير فوقها كأنه حارس كأنه طفل شقى يرواغ صديقته أو حبيبته.. لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر، وهواء بارد يداعب الروح قبل القلب والجسد.. مشت على القمة.. القمة دومًا ناعمة وفارغة ولذيذة الإحساس.. وقف العصفور على الأرض.. أغمضت سهر عينيها وتذكرت صوت فيروز "أنا وشادى غنينا سوا ولعبنا على التل" ولوهلة بعمر ثوان رأت العصفور فى هيئة شاب وسيم يمد يده نحوها يراقصها كما فى الأفلام.. تتمايل على كتفه فى حنان.. يدور بها ويدور على صوت فيروز.. أليس الحب نور وخيال؟.. أليس الله محبة، ونحن نحب الله بقوة خيالنا اللا متناهية وإيمان فى القلب والروح؟..

جسدها تغمره السعادة والانتشاء وتعانق يداه بنشوة.. الحب حلم، خيال، تسلية، حقيقة، دراما.. الرجال متعطشون لجمالى وعطر جسدى.. وجسدى عطش للحب دون حدود.. الحب برئ حتى لو لوثناه بالخطيئة.. أشعر بأنى مع الحب أطير فى الخيال.. جسدى أهو نعمة أم نقمة؟.. والنهد فى الليل حلماته تتوجع من غياب أصابع حانية تواسيه.. إن روحى متعبة تريد التحرر من ثقل الجسد.. أشعر بجسدى يطوف فى خيال كل الرجال فى المساءات.. الحب صوفى الوجد.. الحب قصر نسكنه ولا نراه، وندفع ثمناً من الدموع من اللذة من الألم من أجله..أنا أنثى محرومة من الحب.. قالوا الرقص هو

الخلاص أرقص فوق الجبل ليتحرر الجسد والروح من الوجع والسهد..[١]

وبينما هى تدور فى الهواء مع الشاب الخيالى الوسيم.. شعرت بأنها تلمس وجهاً وجسداً حقيقياً.. فأفاقت على كاظم..

- أستاذ كاظم؟
- تعال نكمل الرقص ياسهر.
- أستاذ.؟
- سأرقص معك وأنسى أنى رقصت معك فوق الجبل.
- أستاذ.؟
- لا أحد غيرى وغيرك والحب، إنى أحبك يا سهر تعالى أمسكى يدى دعينا نرقص.
- الله يرانا.
- انا لا أفعل خطيئة.. تبخلين برقصة لى يا سهر؟

مدت يدها مرتبكة.. احتضنها.. رقص معها.. لأول مرة تمسك يد رجل.. تعانقه.. أحمر وجهها.. وشعرت بجسدها يفوح بعطرها.. هو حرمان السنين رفعت ذراعيها مع ذراعيه.. لم يكن هناك ما يمكن عمله إلا القبول بالرقص..

سمعت دقات قلبه ورأتها تخرج من صدره تقفز على صدرها وشعرها.. نافورة دقات قلب وموسيقى هذ الإحساس الخارق بالتميز هذا الإحساس الخارق للمألوف.. لمسة اليد والرقص مع رجل نبض حياة.. الصمت يرقص معنا....أنا فتاة مشحونة بمشاعر تنفجر الآن.. إنى أضغط على نفسى وقلبى.. أريد أن أضمه.. فجأة فوق كتفه لمحت وجه وردة زوجته والدموع تنهار على خدودها.. أظن أنى أخون خطيبى وهو يخون زوجته.. توقفت سهر:

---

(١) عن البواب أن المستشار الذى يسكن فى البيت الواقع أمامى أخذه أصحاب الأرض التى على ناصية الشارع شريكا معهم حتى يتم تخليص الأوراق من الحى والتصريح بعمارة ٢١ دوراً، وقال الباشـــا طيب ومحترم وعربيته بنص مليون.. الدولة بخير بخير.. فى المساء جلست على المقهى... الذى يسكن على ناصية الشارع يجلس مع بعض المقاولين أخذوه شريكا ليخلص لهم أوراق العمارات الجديدة.. قام وصـافحنى بحرارة لأنى صـــحفى.. كنت أجلس مع معتز العجمى الناقد والمذيع على المقهى وحدثنا الشاعر محمد تعلب.. قال اجى اشوفك يا أستاذ.. قلت تعال.. جاء إلى المقهى وأحضر علبة بها خمس قطع جاتوة..

- كفى.
- ما بك؟
- الأمر سخيف..

ربت كاظم على كتفى ونزلت.. فكرت أن أصرخ وأقول له: "تعال ضمنى قبلنى أيها المدرس الغبى.. ضمنى فجسدى يستصرخك.."..

فكرت أن أقول له لا تكررها.. أو أقول الحقيقة.. كررها.. أو أقول لماذا لم تقبلنى أيها الأبله قبلة العمر .؟؟.

فكرت فى هذا كله.. انهمرت دموعى على خدى.. وترقرقت على خدودى حبات ياسمين مختبئة تحت الجلد.. وقف العصفور أمامها حزينًا.. وضعت قبعة على رأسى من القش أهدتها جارتنا لها هدية جاءت بها من بيت أخيها من فنزويلا.. نزلت من فوق الجبل إلى التل لترى خالتها شهرزاد.. ضحكت شهرزاد وهى تشعل الحطب أمام الدار:

- ليش ما كملتى
- كملت شو؟؟
- الرقص.
- شفتينى ياخالتى ياويلى أصل.

وضعت شهرزاد يدها على فم سهر:

- لا تحك يابنت القمر .
- ماجرى الآن يشبه ماجرى لنور ومحب على الجبل .
- ماذا جرى لنور ومحب على الجبل؟

الفصل (١٣)
بعنوان
(حياتى سجل هزائم من الوطن والأصدقاء حياتى كانت اختبارات من الرحمن .. إنى أحتاج الى جيش إنقاذ من ملائكة السماء لتنقذنى من حوارى مع الطرشان)

قالت شهرزاد

- كان ياما كان فى بلاد مصر أم العجائب والغرائب.. بلغنى ياحبيبة القمر أن نور فى كل مساء تسير على النيل.. لكن أباها منعها من الخروج.. فماذا تفعل نور فى الصباح؟.. تلك النشوة الأسمى..

فى الصباح، تخرج نور إلى النيل وتحمل الجرة، وهى مع البنات.. أتى برق.. حصان محب.. الحصان دون صاحبه.. وقف محب من بعيد ينظر لها.. لم تنتبه له.. صهل صهلتين.. التفت نور والبنات إلى برق..[١]

قالت إحدى البنات:

- تعال..

لم يستجب برق.. همست له نور:

- تعال برق.. تعال يا غالى..

جاء الحصان إليها فى استحياء.. وقف أمامها.. ضحكت البنات.. نخى الحصان ظهره ووقف أمامها ضحكت البنات:

قالت البنات:

- هيا اركبى .
- هو يريدك أن تركبى يا نور.
- يلا اركبى دور واحنا كل واحدة دور وراك..

دفعتها البنات للركوب.. نهض الحصان.. وقام ومشى ببطء بها بخبث ودهاء خطوة ثم خطوة. ثم أسرع فى خطوة.. ثم أسرع أكثر، صاحت بنت:

---

(١) قابلت الشاعر ماجد يوسف فى الأوبرا قال لى روايتك نسكافيه مسمعه بس غالية بخمسين جنيه انا على المعاش معاشى ألف واربعين جنيها فى الشهر وانا كنت رئيس قناة التنوير .. يعملوا ايه؟ لم ارد.. مارضتش اقوله ان معاشى أقل من هذا كثيرا ومستور.. والحمد لله عظيمة يا مصر ..

- إمسكى اللجام يا نور..

أمسكت اللجام

- بخاف اسقط

- إمسكيه بقوة..

أمسكت اللجام بقوة.. انطلق الحصان.. بسرعة أكثر فأكثر حتى اختفى عن عيون البنات.

- إلى أين تأخذنى يا برق؟

صهل، ربما ليطمئنها، ربما يضحك، ربما فرح بها.. وقف على قمة الجبل بها.. كاد قلبها يتوقف من الخوف، من الفزع، ثم نظرت من أعلى الجبل على مصر..

- ما أروعك يا بلادى.. هل جئت بى هنا لأرى مصر من هنا يا برق.

- نعم.. هى ذى مصر..

كان صوت محب.. نخ الحصان.. نزلت من فوق الحصان.. أمسك محب يدها.

- تعالي يا نور .

- جرة الماء تركتها.. وأمى ستقلق على..

بكت.. خافت.. سحبت يدها من يده.

- لا تخافى..

- أريد أن أذهب إلى بيتنا..(١)

- انا بيتك ووطنك.

- لماذا أتيت بى إلى هنا.. ؟

- أريد أن أعيش معك هنا ونترك كل ما فى الوادى من مشاكل.. اليهود الإسرائيليين والفراعنة.. الكفار والمؤمنين.. هذا الصراع لن ينته أبداً يا نور.. تعال نعيش هنا نتزوج وننجب أولادنا وبناتنا..

- هل ستقبل إذا تزوجنا أن تهرب ابنتنا وتتركنا وترحل مع رجل يحبها وتحبه؟

---

(١) لا أعرف لماذا لايعرف العرب أن إخناتون كان يصـــلى خمس مرات فى اليوم ويقوم الليل .. ومن تدين بدين التوحيد أطلق لحيته ؟؟إنهم لايقرأون وقال الله فى أول كلمة لنا نحن المسلمين العرب اقرأ..أقرأ ..ونحن لانقرأ ..

- لا.
- إذا لا تجعلنى أندمِ على الزواج منك طول العمر.. لا تجعل أبى يحزن على ويموت حزناً وأمى تعمى من البكاء على اختفائى.. أقسم بالله إنى أحبك أكثر من نفسى ولكن..
- ولكن ماذا ؟
- أحب الله أكثر وموسى وهارون وقومى.. أنا جدى الأكبر من الإخناتونيين وتزوج من إسرائيلية وآمن بيوسف ويعقوب.. وأبى يؤمن بموسى..
- موسى هو السبب فى هذا البلاء واللغو والصراع..
- موسى ينفذ كلام الله.. موسى يقول عنه الإسرائيليون موسى الفرعونى والفراعنة تقول عنه الإسرائيلي اليهودى.. ألا تؤمن بالمعجزات التى يرسلها الله لنا.. ؟؟

صمت وبكى وجلس على صخرة.. راحت تحضنه.. ضمها إلى صدره.. ولفحتهما نسمة من السماء.. وكأن الملائكة تظللهما.. ظلا صامتين..[١]

من بعيد سمع الاثنان صوت ناى؛ فقاما ورقصا على الجبل.. يده فى يدها.. تتمايل يمينًا يذهب قلبه يمينًا ويسارًا تذهب روحه شمالًا..

إن أجمل اللحظات أن تصلى بمفردك وتشكو إلى الله.. أجمل لحظة أن ترقص مع من تحب بعيدًا عن عيون الناس والحراس والعوازل.. أجمل الأشياء أن ترقص بمفردك فى غرفتك.. أو وأنت فى الحمام وأن ترقص وتغنى.. وأن تسمع صوتك وأنت تشدو لتقاوم الحزن والوحدة والاكتئاب.. وتشجع نفسك فتعيد مقطعاً من الغناء..

رقصت نور ومحب فوق الجبل.. وقف الحصان برق يراقبهما من بعيد فيتمايل ويرقص هو أيضاً بخيلاء.. الرقص روح الحياة.. الرقص كان صلاة الفرد قبل ظهور الأنبياء.

---

(١) اليوم كتبت إلى كادى حفيدتى.. وكنت أظنننى فى العشق ساحر ولى سحر وكانت تظن أنى بدونها قلبى يتوقف وكانوا يظنون أنهم شعب العشق والحب، وكن يظنن أنهن أجمل نساء الأرض بلا شك ولكننى اكتشفت أن فعل كان فعل ماض ماسخ الطعم لأن الحاضر مر المذاق..اليوم اسلام زوج أبنتى غيداء الرائعة ارسل لى نقودًا كم هو نبيل رغم عدم عمله وبحثة عن وظيفة يقف جانبى.

محمد الشربينى
فنان يرسم الجمال فى خشوع الصمت

عندما تعزف أصابع موزارت على البيانو، فإن العزف لا يكون بالأوتار بل بدقات القلب.. والفنان الحقيقى يعزف بالكلمات أو الموسيقى أو أو الألوان على روح المتلقى.. والمشاهد والمستمع.. محمد الشربينى من الذين اصطفاهم الله ليعزف بألوانه فى لوحاته على الفراغ بجمال للكون القبيح.. الألوان قوية الحضور وإذا تجردت تحولت إلى أجساد نساء ممشوقات معشوقات ناشادت تحرر الجسد والروح من قيود السجن الاجتماعى وفى حالة موسيقية حانية..(١)

محمد الشربينى حالة عشق لمصر المبدعة الراقية لا ينفصل فى صومعة فنه، ولكنه يتفاعل مع كل الأحداث الثقافية والفكر العالمى المجنون والمحموم بالرغبة فى تطوير الانسان.. لذلك فلوحاته قد تصل أحيانًا إلى فضح عشقه لوطنه فيرسم مصر الحلم والواقع واللون.. ويكتب اسمها على اللوحة بخط واضح.. فهل يكشف المحب اسم حبيبته إلا إذا جن بها رغم قسوتها وظلمها..أما المرأة تستحوذ على خطوطه فيكون بها منساقا إلى الباليه وجمالياته التى تقفز فيها الروح مع الحركة..

الجمال لغة صوفية تدركها الروح فى لوحات محمد الشربينى.. الذى يستحق دراسة مطولة لأعماله..

الشربينى ينهل من ثقافة رفيعة، وصديق للكاتب الكبير نجيب محفوظ.. وهو دؤوب فى البحث عن مناطق الجمال فى الطبيعة واللون والحرف والحياة..

(فى الطبعة الثانية توفى محمد الشرينى ولم يكتب عنه خبرا ولا نقدا)

---

(١) (يحتويها بلا تدبر بين ذراعيه ، يضمها إلى صدره، يداه تتحسسان دفء كتفيها وظهرها فيما راحت قبلاته تطيش متوترة مابين الجبين والوجنتين حتى تلتقي شفتيها فتصير قبلة طويلة، فرح ولذة، فجأة وهزة، فمها حمامة تضم إليها صغارها، هو كل صغارها، تنفلت منه صيحات لاهثة ما بين القبلة والقبلة: "آه.. عدت لك، أمي الحبيبة.") من قصة التحديق فى الوجه المآلوف بغرابة.. خلف أحمد خلف كاتب البحرين.

ومازلت لم أفهم سر الهوى لأن هواكِ عاصفة ونار .
فأيهما أعرف؟ القلب يحتار؟؟
كاظم
***
ما أوسخنا ونكابر
أعترف الآن أمام الصحراء
بأنى مبتذل وبذئ وحزين
كهزيمتكم ياشرفاء مهزمين
ويا حكاما مهزومين
" الشاعر مظفر النواب "

الفصل (١٤)
بعنوان
أذكر أنى كنت أسامح الوطن ..

(لأن اسم مصر مؤنث وليس مذكرا لكنى عندما اكتشفت أن أصله مذكر وعلى اسم مصرايبم عرفت أننى لن أسامحه لأن مصر أب قاس لا يعرف الرحمة)

فتحي خليل رضوان..

احتفلنا بيوم الطالب العالمى فى مدرسة الليسية حيث إننى رئيس اتحاد الطلاب ومعنا نادية حسن رئيسة الاتحاد تلك الفتاة مثل الزجاج رقيقة المهذبة جدًا.. يوم الطالب ذكرى كوبرى عباس وشهداء الطلبة والعمال فى فبراير ١٩٤٦ ..وذكرى شهداء ٢٨ فبراير ١٩٣٥ سقط فى ميدان التحرير ١٨ شهيدا.. أمام الإنجليز فى ميدان التحرير.. ميدان التحرير..

خرجت من الاحتفالات مع شلة صبيان وبنات سرنا على الكورنيش إلى محطة الرمل.. اشتريت مجلة الآداب من عم السيد بائع الصحف.. فتحت المجلة قرأت قصة أعجبتنى فى صفحة واحدة للسيد حافظ :

الخــلق

فى اليوم الأول: خلق الله الفن والحب وآدم وحواء، أنبت الفن والموسيقى والشعر والجمال.. وعمر الكون

فى اليوم الثانى: قتل قابيل هابيل وانتشرت الجريمة والفساد وارتدى الرجال الأقنعة ، والنسوة بعض منهن ارتدين شوارب وجلست فوق الكواكب والتلال والجبال ، والرجال المخنثون صاروا عمالقة وصار الأذال كباراً .. وصار المخلصون رعاعاً ..

فى اليوم الثالث: جاء الطوفان أغرق كل شئ.. ما عدا طفلا يسمى زين العابدين.. كان يزرع زهرة على تل ويغنى أغنية بيضاء .

فى اليوم الرابع: عصر الشجر والأنهار كان.. وكانت الحرية وقسم الإنسان الكون إلى سادة وعبيد وصار زين العابدين جداً لأسرة:

٢٥ من أولاد وأحفاد ، ٥٠ من المظلومين من العباد ،
١٠٠ شخص طعنوا ، ١٠٠٠ رزق فرد قطع ،
١٠٠٠٠٠ إشاعة ضد عباد الله المطاعة + ١حسنة على فقير من باب التفاخر.

فى اليوم الخامس: استشرى الشر فى الأرض والضغينة والكراهية والحقد المأفون والكل يرى ويأكل لحم الكل والفقراء والأغنياء فى لعبة الصراع المجتمعى.. دوامة كبرى.. رجال بلا رجولة ونساء بلا حياء ونهر من العذاب يغرق فيه المجتمع.(١)

فى اليوم السادس أخذ الرب راحة

فى اليوم السابع ترك الرب الأرض وسكن فى السماء السابعة.. وحدد يوم القيامة وساعة الحساب وترك البشر..

انتهت

---

(١) لم أفهم لماذا أصر المصريون اليهود على العودة مرة اخرى إلى مصر وطلبوا من سيدنا موسى هذا ورفضوا السمان والعسل وعشقوا الفول والثوم والبصل.. اختاروا ما هو أدنى فى الطعام.. هل الأدنى هو سر تميزنا.. الأدنى فى الأكل والفكر والسلوك سؤال يحيرنى..؟؟

يا واحدتى

إنى تلصبب شوقاً فلتنسدلى ظلاً ..

ولقاءً

"الشاعر أيمن صادق"

فتحى رضوان..

جلسنا فى كافتيريا كلية الآداب القريبة من البحر مباشرة.. كنا مجموعة من الشباب أخذنا نضحك ونسخر من أساتذة الجامعة المنافقين الذين يشتمون السادات فى السر ويمدحونه فى الخطب..

قال شبل بدران

- تفتكر أستاذ الجامعة مش دا رسول علم لازم يكون محترم؟

قلت له:

- بكره يا شبل حتبقى أستاذ جامعة ونشوف حتبقى رسول علم والا تابع للنظام؟؟ انت الاول على الدفعة..

ضحكنا.. قال شبل:

- الواد إبراهيم عبد المجيد مختفى النهاردة الظاهر قبض أول الشهر واختفى عشان ما يعزمناش على الغدا؟

قالت ناهد هامسة لى:

- عاوزه أروح. يلا يا جماعة..

خرجنا.. ركبنا الترام لازم نوصل البنات الأول ثم نعود نحن الشباب إلى بيوتنا.. ترام الرمل العجيب الغريب.. فى الزحام اختلست لحظة كى أمسك يد ناهد فى الزحام حتى أظل طول الليل مشحونا بنبض يدها الساحر..

قال محمد نوار:

- على فكرة يا جماعة فى كنيسة الجزويت فيه مسرح حلو.
- خلاص نقابل القس هناك.[١]

---

(١) هناك بلدان لا تملك ثروات طبيعية صارت في غني هائل وربما شبه دائم، و الأمثلة كثيرة، منها بلدان مثل هولندا, سويسرا، اليابان، كوريا الجنوبية، تايوان، هونج كونج، سنغافورة، وهي بلاد تملك ثروة بالمعني الحديث للثروة، أي أنها ثروة متجددة وتعتمد على الاقتصاد الحديث، أما مصادرها فليست موحدة ولكنه جميعا تعتمد على ما يسمي اليوم (راس المال البشري)... دكتور محمد الرميحى .. مجلة العربى .الرميحى مفكر عربى محترم ..

قابلنا القس بيتر هناك.. كان رجلاً جميلاً .. مبتسما أستاذ فلسفة.. كنا كلنا مسلمون..يوسف عبد الحميد ومسعد خميس ونوار قال القس:

- أهلاً بكم.

احتوتنا الكنيسة.. قاعات المسرح للبروفات.. قاعات للاستراحة.. لم يناقشونا فى أمر دينى أبدًا.. لم يسألوننا عن أى شئ.. لم يتدخلوا فى شؤننا.. نحن نمثل، نسمع موسيقى، نذاكر.. وفجأة قابلتها سوزى.. فتاة مسيحية سكرتيرة القس.. ظلت بيننا نظرات حب حبيسة ونظرات إعجاب بريئة.. وشهوة لقاء مختبئة..

قال يوسف عبد الحميد:

- فاروق حسنى مدير قصر ثقافة الأنفوشى.. عاوزنا هناك عنده.

- قلت احنا هنا فى الجزويت أحسن.

قلت ليوسف عبد الحميد أخرج أنت مسرحية كبرياء التفاهة فى بلاد اللا معنى.. أنا مش عاوز أخرج..

ذات يوم ممطر انتظرت سوزى خارج الكنيسة.. المطر أغرقني رغم وقوفى تحت دار خارج مبنى الكنيسة.. خرجت تجرى فى الثامنة مساء. وكانت سيارة تنتظرها.. أدركت أن بينى وبينها فارقًا اجتماعيًا، ليس عندى سيارة.. خلقت للمشى أم أن حلم السيارة قريب.. أمشي كما مشى الأنبياء والعشاق تحت المطر.. المطر يغسل ذنوبنا وأفكارنا.. زخات المطر دقات قلب عاشق لا يشعر بها إلا العشاق.. لماذا أحب سوزى هل لأنها بيضاء ونظارتها الطبية تشبه ممثلات السينما الأمريكية.. لماذا حزنت عندما أمر عبد الناصر بمقاطعة السينما الأمريكية.. التصوير والديكور والإضاءة كل شئ فى السينما الأمريكية به إتقان شديد.

قال لى محمد نوار :

- بلاش تعمل علاقة مع البنت دى حتعمل مشاكل.

صرفت النظر عنها.. قلت لمحمد نوار:

- عاوز أكتب مسرحية سيزيف أحتاج ٣ أيام بعيداً عن البيت والمسرح..

- تعال عندى فى البيت اكتب براحتك.. أختى فايزة مسافرة دمنهور.. أنا أخرج صباحاً أعود فى المساء..

فى السابعة صباحًا يخرج نوار ويترك لى جبنة وخبز وشوربة فى المطبخ ولا يعود إلا فى المساء متأخراً .

قال لى نوار:

- إياك تجيب نسوان هنا.. إحنا سكن وسط عائلات إياك شيطانك يوزك..
- حاضر.. لا تخف.. لا أحب التعامل مع المومسات..

حى المندرة فى ذاك الوقت كان شبه منفى، رمال ومنازل قليلة وندرة فى البشر.. خرجت على الكورنيش، الكازينوهات فى الشتاء تئن من الفلس.. لا مصطافين ولا زوار.. بعض نساء الليل يخرجن فى الصباح بحثا عن زبون صدفة.. أتنهد البحر فى رئتى يتنهدنى اليود بنبض الحياة.. ورجال يبحثون عن النساء لإطفاء شهوة الجنس مهما كان الثمن والذنب والنتيجة.. الدنيا ليست بهيجة..

بدأت البروفات، وانطلقنا.. كل شئ يسير ولا يسير.. جوع وعشق للمسرح والجمال المطلق.. أو الاقتراب من منطقة الجمال المطلق.. هل كتب علينا نحن المصريين والعرب الجهل وغياب المعرفة والضياع.. إن الأمور ليست على ما يرام دوما منذ فجر التاريخ.... نحن أمة الفساد.. نحن أمة الضلال، نكره الخيال للمستقبل، ونحب تخيل أننا أمة عظيمة، ونلوى أذرع التاريخ والجغرافيا ونلفق الحكايات ونسرقها من الشعوب الأخرى، لنقول إننا عظماء...

جاء موعد العرض.. قامت نازك بالتمثيل معنا.. نازك مثل العصفور الذى جناحه من ورد الياسمين.. نازك الثرية الراقية الطيبة الحانية..

فى ليلة العرض.. فتح الستار فى مسرح الجزويت، وكان ميلاد أول مسرحية فى مصر والوطن العربى يُكتب على العرض المسرح التجريبى.. الحمد لله وجدت من يؤمن بفكرة المسرح التجريبى

قام الجمهور بالصراخ والضوضاء غضبًا. خطب الأب بيتر فى الجمهور وشرح لهم ماذا يعنى "مسرح تجريبى"، وقال هذا المسرح يحدث فى أوربا.. مسرح يخاطب العقل.. الله يخاطب عقلكم.. وأنتم احترموا عقولكم..

لم يفهموا شيئاً . الغريب أن فاروق حسنى مدير قصر الأنفوشى حضر ومعه محمود آدم الشهير بسامى، وبعد العرض قال فاروق:

- دخلتم مصر إلى أوربا.. بالمسرح التجريبى

قال الأب بيتر:

- إن فتحى رضوان (بعد ثلاث سنوات) سيقوم بثورة فى الفن

ضحك فاروق حسنى:

- ياريت.

احتفل الأب بيتر فى سكنه بالكنيسة بجماعة الاجتياز.. أول جماعة فنية أدبية تحاول اجتياز نكسة ٦٧ وأدب وفن النكسة.. جاء على الغداء فاروق حسنى ومحمود آدم أقرب صديق له فى ذاك الوقت.. ولاحظ الأب بيتر اهتمام فاروق حسنى بباريس

قال الأب بيتر: فرنسا عاصمة النور والفكر والثقافة.

قابلت فاروق حسنى منذ ٣ سنوات وقال لى أنت كاتب على مسرحيتك "الأقصى فى القدس يحترق" مسرح تجريبى، وستكون هذه فاتحة خير للمسرح.. اسمع (باريس) هى موطنك.. لقد جعل فاروق باريس حلمًا يجرى فى خيالى .. لقد شعرت بغربة شديدة جمهور لا يفهم ما نقدم، ولم أتوقع أننى سأظل طوال الوقت أنتظر الجمهور، والوعى أن يأتى إلى الناس.. الوعى هسهاس ليس شرًا ولا خناس..

قابلتنى على كورنيش الأنفوشى إيمان.. ممثلة جميلة من هواة المسرح، وطلبت منها الانضمام إلى جماعة الاجتياز.. انتقلنا إلى العرض فى مسرح قصر ثقافة الأنفوشى الذى كان اسمه مسرح يوسف وهبى، حيث قرر يوسف وهبى أن يترك القاهرة ويعيش فى الإسكندرية، فأعطوه مسرح الأنفوشى، وعلقوا لافتة على باب المسرح (مسرح يوسف وهبى)، وأعطوه فرقة الإسكندرية المسرحية. المفاجأة أن أعضاء الفرقة سخروا من الرجل عندما فكر فى تقديم ريبتوار لمسرحياته القديمة!!.. وبدأت البروفات تتحول إلى ضحك وسخرية ومسخرة.. اكتئب يوسف وهبى وهرب من الإسكندرية، وبعد عامين جاء كرم مطاوع، وأعطوه نفس المسرح؛ فرفض، وطلب مسرح سيد درويش الذى بناه الخديوى إسماعيل.. وهرب كرم مطاوع من فرقة الإسكندرية، وذهبت جماعة الاجتياز إلى قصر الأنفوشى، وفوجئنا ببلطلجية الطابية.. الطابية حي عشوائى ملاصق لقصر الانفوشى يخرج أهله للهجوم على المسرح كلما كان هناك نشاط.

حتى غدونا أمام الناس مهزلة منا الضحايا كما منا السكاكينا
بعنـا دمانـا لجار حاقـد صلف وفـوق هذا إمـام للمصلينا
سـره أن يرانا ساجدين له وفـى حدود أراضـيه قرابينا
ولم يع أننا صبر له أمد وإن ضغطنا تفجرنا براكينا

دكتور عبد العزيز المقالح

حصاد الأيام
كتبت فى جريدة السياسة ٢٥/٤/١٩٨٣

تعالى خذينى.. أنقذينى..
- من أى شئ؟
- من الجحيم.
"أبصق فى عين الغانية والبخيل والخنزير والمنافق والمغنية الخرساء التى لم تسمعنى "
- ارقص.
"رقصت مع الوطن العربى.. أمضغ لحم الهزيمة المرة والانتصار المزيف.. أتشدق بالكلمات بين فخذى الصحف الخاوية"
- غنى
"غنيت للفقراء "
- تعالى
"تعالي أنت خذينى.. كفاك جبنا وكبرياءً ففى الحب لا يهم من يسبق منا الآخر.. الرجل أم المرأة.. الحب لا يهمه الكبرياء"
إن موت بدر شاكر السياب فقيًرا بلا عمل بعد كد، محصورًا بالتجاهل فى الكويت، وبعد أن أصيب بخيبة أمل فى العمل مات وفى قلبه حب كبير للشاعر الكبير على السبتى عندما وقف إلى جوار بدر شاكر السياب وتحول إلى ضمير الكويت الوطنى.
إن هجرة غسان كنفانى بعد كد وتعب، وبعد أن وجد أن قلمه يحمل حملا كاذبا.. مأساة.. وهجرة وسفر صقر الرشود عن الكويت لأبي ظبى مأساة.. وهجرة محفوظ عبد الرحمن أطال الله فى عمره خسارة للكويت ولنا، وهجرة نبيل بدران من الكويت أيضًا خسارة، وهجرة سعد أردش للقاهرة ومحمد روميش وكرم مطاوع ـكذلك. إن هجرة العقول للبحث عن الخبز وعمل فى مكان آخر غير الكويت مأساة..
إن الكويت بلاد العرب ويجب أن تبقى كذلك أننا نحتاج إلى أكثر من ضمير وطنى لحماية هجرة المبدعين العرب من هنا..

ضــوء خـاص

الزميل الكاتب صلاح البابا قدم عملا إذاعياً هاماً عن حياة الفنان عوض دوخى أذيع فى أنحاء محطات الخليج، وقام بالكتابة عن حياة الفنانة عائشة المرطة والفنان صقر الرشود يعنى أن هذا الجهد بطولة فردية تحتاج إلى دعم من أجهزة الإعلام لحماية تراث وحياة فنانينا..

شكرا لصلاح البابا، ويجب على الإذاعة أن تتبنى أعماله، وتقدم له شهادة تقدير لهذا الجهد المشرف..

الزميل الشاعر أحمد مطر بقلمه الرشيق وجهده الكبير يتيح لنا بين الحين والحين نفحة عطر وجهده الأسبوعى وقلمه الرشيق يعطينا شهادة على موهبة أدبية كبيرة كسبتها الصحافة الكويتية .

متى يزفنى تفاحك الناضج
كى أطفو على الفراش
وأنت مثل الخرز الملون الجميل تزينين عرقى
"الشاعر / عبد المنعم رمضان"

الفصل (١٥)
بعنوان
وأنا رجل أجيد الانتظار

الزمان ليلا

المكان / الشام

(وكنت على شفا عشقك لولا برهان ربى فعدت إلى كهفى ونمت سنين عددا.. حين ترين الفراشات على كفى فى المساء والصباح لاتنزعجى فهن قلوب نساء عشقتهن وعشقننى .. فتذكرننى وذكرى الحب فراشات تطير.. عفوا قلبى اليوم بذكر الله مشغول فلا تقولى ولا أقول)

مكرم ابن أخت الميثاء فى ليلة الزفاف!!!.. مكرم أبو الشوارب، هو صاحب الشارب الذى يقف على شواربه صقران فى الجبل والشام.. الليلة ليلة زفافه اشتهر فى المقهى بوسامته وأنه حكاء عن مغامراته فى الشام ولبنان ومصر مع النساء.. الليلة ليلته سيتزوج من الهيفاء بنت الجبل التى قالوا إن سمارها جاء من لون الشمس، حيث ولدت فى شهر يوليو.. الليلة سيهز عرش السرير ويغنى أهل الجبل له.. تمت دعوة القرية كلها.. النساء فى جانب القاعة والرجال فى الجانب الآخر من القاعة.. والمطرب والغناء .. راحت فى تلك الليلة وردة وكاظم وراحت سهر وأمها وأخوها سالم.. (١)

فرح وهرج ومرج وزينة فى كل الأركان وإطلاق نيران.. وسط الزحام كان كاظم يتابع من بعيد، سهر.. تملص بحجة الرغبة فى تدخين سيجارة.. تعلم التدخين منذ زواجه من وردة.. التدخين عزاء وابتلاء .. كانوا يجهزون الطعام والعشاء فى الحديقة، وخرجت النسوة والفتيات فى ساحة قاعة الأعراس للتجهيزات، وخرجت سهر.. راقبها وهو يدخن السيجارة، أشار إليها ملوحاً بعيدا، ردت التحية، وأشارت له بعض النسوة مرحبات به، وشاهد موتور الكهرباء بجانبه، وللمرة الأولى يفكر كاظم أن يعبر عالم البراءة إلى عالم

---

(١) إننى مطالب بسداد فاتورة التلفون وفاتورة النت.. ليس لدى نقود.. يا الله إنى أسألك الستر.. لست حزينا، تلك الأيام نداولها بين الناس كنت فى يوم ما مليونيراً.. تلك الأيام نداولها بين الناس ..كنت أسدد ديون الآخرين. الآن أنتظر فرج الله لا أنتظر من الحكومة أو الأفراد إحسانا..

الشر. أشار إليها برغبته فى رشفة ماء .. قامت سهر تحمل له كوب عصير.. اكتمل لديه إحساس الشر الكامن ليحققه الآن.. يريد قبلة، ولكن كيف؟.. أمام كل البشر كلما اقتربت منه خطوة، اقترب خطوة من مولد الكهرباء .. قبلة هى حلم حياته الآن لتهز كل كيانه.. عندما اقتربت منه فكر أن يشد السلك من الموتور.. قبلة تجلب البهجة.. عندما وقفت أمامه تماما تحمل كوب العصير، شد السلك بقدمه فانطفأت الأنوار؛ جذبها نحوه وقبلها بعنف موج من الشوق ينصهر بين الشفتين.. هرج ومرج فى الحضور.. "لكننى انتزعتها".. أشعل الرجال الولاعات.. تركها.. لحظة لا يشعر بها إلا ملائكة السماء تنفطر قلوبها على العاشقين.. جاء البعض وأصلحوا العطل، لكن سهر راحت إلى البيت، لا تصدق ما حدث، وجسدها يرتعد.. هذه أول قبلة لها.. ما لونها ما طعمها.. لم تنم ليلتها، وظل العصفور قلقاً عليها.. وذهب كاظم ليلتها مع وردة ليلتها كأن أسداً يبحث عن لبوءته، لكن لبوءته الآن هى وردة..

أما أبو الشوارب العريس ليلتها لم يفلح فى أن ينهضه.. هو لم يقف.. هو لم يساعده.. كيف هذا هو لم ينتصب لماذا؟ يا فضيحتك.. هو أول مرة يرى جسد امرأة ليست فى مجلة، ولا فى فيلم ولا صور جسد حقيقى عار، وانكشفت حكايته الوهمية التى يخدع بها الكل على المقهى.. قالت الهيفاء وهى تعطيه ظهرها:

. اسمع.. اذهب إلى شهرزاد فى الصباح.. بكير واسألها ليش هو ما وقف؟ يمكن توصف لك دواءً أو تعطيك شيئا.. هى منيحة فى هالامور.. كل الناس بتقول هيك

فى بيت شهرزاد.. جاء مكرم أبو الشوارب مبكّرا ليسأل شهرزاد.. كانت كل الأهالى تتحدث عن شاربه القوى.. عن صوته الأجش القوى.. مكرم أبو الشوارب تزوج.. ولكن تعثر يا فضيحتك.. قال لشهرزاد كيف أقضى ليلة جميلة مع زوجتى؟

ضحكت شهرزاد وقالت: عليك بالاهتمام بما قبل الجماع وما بعده وسأقسم العملية إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى ما قبل الجماع.. ادخل على زوجتك المنزل بقبلة رائعة وهدية صغيرة غير مكلفة على الإطلاق مثل وردة

واحدة صغيرة أو قطعة شيكولاتة أو مصاصة أو أي قطعة من الحلوى تحبها زوجتك (لن تكلفك أكثر من ٥ ليرات) أعلم زوجتك بطريقة غير مباشرة برغبتك في مضاجعتها، وذلك بالقيام ببعض الأفعال الدالة على ذلك مثل: قم بالاستحمام وحلاقة ذقنك[١] تعطر بعطر تحبه زوجتك.. داعب زوجتك أثناء إعداد الطعام مثلا بالكلام وبملامسة جسدها.. اقترح عليها أن تلبس ملابس داخلية تحب أن تراها بها وتتعطر بعطر تحبه.. وغير ذلك من الأشياء التي تهيئ زوجتك لهذه الليلة.. حاول أن تهيئ المكان والجو المناسبين للقاء وذلك عن طريق: اختر مكاناً هادئاً وحاول أن تغير مكان اللقاء المعتاد بأن تغير الغرفة أو السرير وجرب مكاناً جديداً حتى ولو يكون أرضية الغرفة.. حاول تعطير المكان إن أمكن ذلك.. اترك إضاءة خافتة وجميلة ويفضل الشموع.. شغل موسيقى هادئة وحالمة تحبها أنت وزوجتك.. قم بمساعدتها في تجهيز العشاء.. تعشيا سويا في هذا الجو الجميل ودللها ولاعبها أثناء العشاء ويفضل أن يكون العشاء خفيفًا محبًا للطرفين.. لا تجامع زوجتك بعد العشاء مباشرة بل انتظر ساعتين على الأقل لأنك بعد الأكل ستشعر بتخمة وبتكاسل، وسيؤثر ذلك بشكل كبير على أداءك الجنسي، ومن الممكن أن ترقصا سويا بعد العشاء أو تحتسيا أياً من المشروبات كالشاي أو العصائر، ومن الممكن أيضًا أن تتجاذبا أطراف الحديث في أشياء جميلة كذكرياتكما المشتركة أيام الخطوبة وما شابه ذلك وابتعد نهائيا عن الحديث عن العمل أو أي نوع من المشاكل.. من الممكن أن تنام ساعة بعد الأكل مباشرة إذا شعرت بالتعب أو الكسل فالنوم سوف يجدد نشاطك.

عليك أن تعرف أن المرأة تختلف تماما عن الرجل في كيفية استثارتها واستمتاعها بالعملية الجنسية فحين أن الرجل يثار سريعا بمجرد اللمس ويمتعه أكثر الإيلاج فالمرأة تثار أكثر بالكلام على الأقل من تناول العشاء وقد تهيأت وهيأت زوجتك لبدء اللقاء وبالمشاعر وبالأحضان والقبلات ولا يمتعها

---

(١) تحسست ذقنى الان ذقنى طويلة لو رحت للصالون لابد من دفع عشرة جنيهات .. ليس معى الان .. سأشترى موس حلاقة ..بجنيهين ونصف واحلق فى البيت ..لو كان الفقر رجلا لقتلته صدق على بن أبى طالب رضى الله عنه .. كنت ذات يوم احلق ذقنى وادفع ثلاثين جنيها فى صالون وسط البلد فى القاهرة ..فى افخم الصالونات.. الحمد لله .. الحمد لله ..

الإيلاج بدون ذلك وإليك بعض النصائح[1]: ابدأ مع زوجتك بالكلام وذلك بأن تمتدح مفاتن جسدها وأظهر لها حبك بالكلام وعليك أن تكرر عليها كلمة بحبك وبعشقك وكلام مثل ذلك وبالغ في ذلك وكرره كثيرا ولا تمل.. فى أثناء ذلك احضن زوجتك بحرارة وضمها إليك وإلى صدرك وأشعرها بالاحتواء كأنها طفل فى حضن أمه.. قبل زوجتك كثيراً وعليك بالقبلة العميقة في الفم والتي يتلامس فيها اللسان والشفتين واللعاب والأسنان وعليك تعلم فن القبلة فإنها من أكثر الأشياء التي تثير المرأة.. ساعد زوجتك بحرفية وإثارة في خلع ملابسها وحاول أثناء ذلك أن تتلمس جميع أجزاء جسدها واجعلها أيضًا تساعدك في خلع ملابسك فهذا يثيركما معا.. عليك أن تعرف مواطن إثارة زوجتك فلكل إمرأة مكان في جسدها يثيرها بشدة وهناك أماكن مشتركة لمعظم السيدات مثل الرقبة وخلف الأذن والثديين والفم والسرة وبين الفخذين فاهتم كثيرًا بموطن إثارة زوجتك..

ابدأ إثارتك لزوجتك تدريجيًا فابدأ بالأماكن الأقل إثارة فالأكثر وهكذا قبل ما تستطيع من جسد زوجتك فهذا يسعدها ويثيرها كثيراً.. داعب الأعضاء التناسلية لزوجتك بيدك فهذا يثيرها.. خذ وقتًا كافيًا للمداعبة وفعل السابق ولا تقم بالإيلاج إلا بعد أن تتأكد تماما من أن زوجتك وصلت إلى قمة الإثارة وهذا له دلالات كثيرة.. فى هذا الوقت تكون أنت قد وصلت لكامل الانتصاب والإثارة فقم بالإيلاج برفق وببطء.. عليك أن تتعلم الكثير من أوضاع الجماع (موضوع كبير يطول شرحه) واختر ما يناسبكما واحرص على تغير وضع الجماع في المرة الواحدة باستمرار (الطريقة الواحدة تصيب الزوجان بالملل.. جرب الكثير من الأوضاع واستشعر أيهما يثير زوجتك أكثر وقم به بين الحين والآخر.. حاول أن تصل بزوجتك إلى هزة الجماع وأنت في مرحلة القذف فما أجمل أن يتم الاثنان في ذات الوقت (جسد المرأة كله ينتفض) ولو استطعت أن تصل لهزة الجماع أكثر من مرة فهذا نجاح عظيم..

المرحلة الثالثة: ما بعد الجماع قبل زوجتك بشدة واحضنها بكلتا يديك

---

(١) عامل زوجتك على انها وردة وليســـت كلبه..هذا مايجب أن يكون عندما أرى رجلا يشكو من زوجته ..وخاصة المثقفين الذين يتركون زوجاتهم فريسة للوحدة والانترنت والبحث عن رجل عشوائى يلقى لها ببعض العشق وكلمات الغزل والحنين ..ويشكو الرجال ويشكون فى صمت..

وضمها إلى صدرك وأشعرها بحنانك بعد الإنزال ولا تقم بشكل يحسسها أنك كنت في مهمة وانتهيت منها.. أكمل كلام الحب والغرام وأنتما مسترخيين، لا تخرج قضيبك بسرعة بل تمهل حتى يعود لحجمه قبل الانتصاب.. تناولا كوبين من العصير قد تم إعدادهما مسبقًا (قبل اللقاء) ويفضل وجودهما بجواركما واسق زوجتك من كوبك..

أخيراً انتظر فترة قصيرة من الوقت واذا وجدت في نفسك نشاطاً لتكرار الجماع فعاود مرة اخرى فبإمكانك مجامعة الزوجة أكثر من مرة في اللقاء الواحد وهذا سوف يسعدك ويسعدها وبعد الانتهاء اخلدا للراحة والنوم سويا وستشعر بهدوء وراحة وحاجة للنوم لم تشعر مثلها من قبل.. بعد أن تمر ساعتان لا تجامع زوجتك نهائيا وأنت مجهد بدنيا.. لا تجامع زوجتك نهائيا وأنت مشغول ذهنيا أو مشغول الفكر[١] أبعد عن ذهنك التفكير في أي شئ غير زوجتك وليلتك انس العمل والمشاكل.. لا تجامع زوجتك وأنت متخم بالأكل أو بعد الأكل مباشرة فهذا سيتعبك ويضعف انتصابك.. اهتم بالنظافة الشخصية ورائحتك ورائحة فمك[٢] اهتم بتغيير مكان الجماع من وقت لآخر واهتم بتغيير وضعية الجماع حتى لا تشعرا بالملل لا تثبت يوماً محدداً أو ميعاد للجماع ولكن عندما تشعر أنك أو زوجتك في حاجة إليه.. زوجتك مخلوق ضعيف عاملها برفق وحنان وأشعرها أنك تريد إمتاعها أكثر مما تريد لنفسك.. املأ بيتك بالحب والرحمة والمودة والمعاملة الحسنة ولا تنس الهدايا البسيطة فكل هذه الأشياء مفتاح للقاء زوجي ممتع.. لا تنس اتباع الهدي الإسلامي في أمور حياتك ومنها الجماع ولا تنس دعاء الجماع.. أتمنى لك أوقاتا سعيدة وجرب وهتدعيلي..

قام كرم أبو الشوارب فرحاً، وخرج مهرولا، أغلق باب الدار.. ضحكت شهرزاد.. قام كرم بترك مبلغا من المال تحت إحدى الوسادات الموجودات على

---

(١) ذهبت وسط البلد قهوة البستان.. طلبت من فوزى كابتشينو وشيشة.. على الرصيف المقابل يجلس الكاتب مكاوى سعيد ومعه الكاتبة سعاد سليمان والكاتبة وسيمة الخطيب ابنة صديق عمرى براء الخطيب الكاتب العبقرى، ومعهم الكاتبة رباب كساب.. وكاتب آخر لا أعرفه.. قمنا بإشارات التحية من بعيد.. جاء سعدنى السلامونى الشاعر وعادل جلال الشاعر وأحاديث المثقفين عن الوطن وجهل الوطن وجهلنا به.

(٢) كلما تذكرت فم لمى بطلة روايتى نسكافيه أقول ليس كل النساء من فصيل واحد.. أكيد وكذلك الرجال ..

الكنبة التى يجلس عليها، دون أن تدرى شهرزاد.. الليل يحمل أسراراً.. وشهرزاد تحمل حكايات..[1]

---

(١) اتصلت بصديقى الدكتور/ علاء عبد الهادى هاتفيا لم يرد.. ربما هو نائم .. حدثت فى الهاتف الكاتب/ بهيج اســماعيل للاطمئنان عليه وكذلك المخرج عباس أحمد .. بعض الأصدقاء هم الدواء للروح..

إننى أعرفُ جيداً
أننى أقامرُ على رجلٍ لا يأتى
إننى أعرفُ جيداً
أننى أكتبُ على الماء
وأقرأُ على الماء
وأقرأُ في كتابِ الريح

الدكتوره سعاد الصباح

شـادى عبد السـلام
السياسة ٢١ مارس ١٩٨٢

لست أدرى لماذا اختار الطريق الصعب، وسط عصر لا يؤمن بالفن الجاد أو التاريخ.. فجأة ومنذ عشر سنوات دخل شادى عبد السلام تاريخ السينما بفيلم "المومياء" فى ذاك الوقت كانت شعوبنا غائبة عن حلبة التاريخ، ولا تزال تدخله لا مشاركة فى صنعه ولكن فى مشاهدته.

شادى عبد السلام.. أفضل مخرج تجريبى فى السينما العربية.. صاحب أكبر جوائز فى تاريخ السينما وأفقر المخرجين مادياً لأنه لا يفعل مثلما يفعل الآخرون.. كنت أتمنى أن يكتشفه رأس المال العربى وينقذه من مصير التجاهل المخيف..

شادى عبد السلام.. رجل فهم أن التاريخ يعتمد على النشاط والجهد الإنسانى، وأن الرجال بالشجاعة وحدها تصنع آفاق الفكر الجديد.

معروف فى أرجاء العالم المتحضر، مجهول بالنسبة لجماهيرنا.. شاهد الجمهور فيلم "المومياء" فخرج من الصالة بعد ١٠ دقائق والسبب أن الجمهور استهلكته وحاصرته وجرت فى دمه شتى الفنون الاستهلاكية الرديئة ومع هذا لم يتخل عن موقفه.. وكان من الممكن أن يكون مخرجاً لمسلسلات تلفزيونية وأفلام سطحية مثل "لا والنبى يا عبده" و"حبه فوق وحبة تحت".. كان من الممكن أن يضحك على بعض الأنظمة ويخرج فيلماً دعائياً.. كان وكان، ولكنه انزوى، والمنتجون لا يهتمون به ولا يهتم بهم.

رجل مهذب.. رقيق.. جاد.. ومثقف حاصرته بعض الإشاعات ولكن ماذا يفعل رجل مهذب فى غابة من الأكاذيب، هم على هامش التاريخ وهو فى سطور كل التاريخ الآن.

وتفاءلت وقلت :
سأغرق فى نهر ملذاتى

" الشاعر الدكتور حسن طلب "

الفصل (١٦)
بعنوان
العجائز أشرار أحيانًا

حكاية خطف سهر حبيبة القمر راغب

لم يعد يطيق فكرة سفر وغياب سهر عن القرية والجبل.. لابد من لمسها وتقبيلها ويمسك صدرها ويتحسس جسدها.. ويستولى على روحها وقلبها بالقوة.. فكر جدياً فى خطفها حتى ولو ساعة.. حتى ولو مات أو قتلوه.. فكر راغب مع بعض الشبيحة على خطفها هذه المرة عن جد وأن يمتلكها حتى ولو ساعة، وذلك لن يكون إلا فى وقت الظهيرة عند خروجها من المدرسة، أو الغروب عند عودتها من الدرس الخصوصى.. دفع مبلغاً كبيراً، ولكن بعد دفع رعبون (عربون) لهم.. لم يفكر فيما سيحدث بعدها؛ لذلك فكر له أحد الشبيحة فى فكرة شيطانية فى حيلة.. وكانت:

فى الموعد المحدد خرجت سهر من المدرسة ومشت بجانبها امرأة عجوز وبنت صغيرة فى العاشرة من العمر، وادعت العجوز مرضها المفاجئ وسقطت على الأرض.. قامت سهر بمساعدتها مع الطفلة الصغيرة.. وطلبت البنت الصغيرة من سهر أن تساعدها للوصول إلى البيت فى الجبل، فقامت سهر بمساعدتهما، وحاولت سهر أن تقنعهما بالحضور لبيتها، لكن البكاء التمثيلى خدع سهر فهى لا تعرف السيدة ولا البنت الصغيرة ولم ترهما من قبل.. صعدت إلى الجبل، وهى تسند المرأة حتى وصلت إلى بيت شبه مهجور.. إن عين الله لاتنام.. ففى تلك اللحظة، كانت شهرزاد تمر من بعيد حيث كانت فى زيارة لإحدى النساء الحاملات.. واندهشت أن هذا البيت مهجور، وما الذى أتى بسهر هنا فى هذا البيت؟ ومن هذه السيده العجوز؟ وقفت شهرزاد تراقب من بعيد، ثم اتجهت بخطوات مرتبكة إلى هناك[١]

---

(١) أنا مش رايح الانتخابات.. لأن صوتى باطل واتزورت الانتخابات .. الحمد لله عشت حلم مش مهم إنه ما اتحققش المهم إنى عشت لحظات حلم جميل.. كل أحلامى ضاعت.. مش مهم لسه بحلم والحمد لله.. لم ولن اذهب لانتخابات الإعادة لرئاسة الجمهورية..بين شفيق ومرسى ..

بمجرد دخول سهر الدار أغلقت الباب الطفلة.. نامت العجوز على السرير، قالت العجوز للطفلة:

- هاتى لى كوب ماء.

خرجت الطفلة بسرعة.. قالت سهر:

- عن إذنك خالتى.

أصرت العجوز على أن تشرب سهر شايا معها وقامت العجوز لتجهز الشاى، وحاولت سهر التملص لكن العجوز الشمطاء أصرت.. ارتبكت سهر.. قامت العجوز وخرجت من الحجرة.. سمعت سهر صوت إغلاق الباب.. وفجأة ظهر راغب مرتدياً على وجهه شراب..

- من أنت؟

اقترب منها ارتعدت سهر، حاولت تحمى نفسها بالحقيبة المدرسية.. حاول يقبلها ويعتدى عليها، وهى تقاوم وتصيح وتصرخ.. فوجئ بصوت شهرزاد والعصا تدق على الباب:

- افتحوا الباب يا كلاب وين سهر؟ (١)

ارتعد راغب، هو يعرف العصا التى تمسكها شهرزاد وصوتها.. جرى للداخل وخرج من الباب الخلفى للدار، الذى خرجت منه الطفلة والعجوز.. لم تر وجهه شهرزاد، ولا حتى سهر..

جرت سهر فتحت الباب.. ارتمت فى أحضان شهرزاد وهى مرتعدة، وأخذت شهرزاد تمسح شعرها..

- ما بك ياصغيرتى.. ما الذى أتى بك هنا؟.. هذا بيت مهجور من سنين.. ؟؟ ومن الذى فعل هذه الفعلة الشنعاء..؟

أقنعت شهرزاد سهر بالحضور معها إلى بيتها حتى تستريح، وأقنعتها أن تهدأ.. ذهبت سهر وجلست.. بكت.. وحكت ماحدث لها، فهمت شهرزاد..

---

(١) اتصل بى الكاتب المسرحى والناقد والمخرج أمين بكير وهو من أسميه الفيلسوف المتخفى فى بلاد لا تعرف قيمة الفلسفة. تحدثنا عن ضياع المعرفة والتخلف والوطن الغائب الوعى منذ آلاف السنين. قمت وعملت قهوة بعد المحادثة وحدثت المرضى من أهلى والأصدقاء لأدعو لهم بالشفاء وصلة الرحم. ودخلت شغلت الغسالة وغسلت ملابسى، ثم نشرت ملابسى على الحبال. البلكونة متسخة؛ أحتاج إلى امرأة تأتى لتنظيف الشقة أجرة الشغالة لتنظيف الشقة مائة جنيها فى اليوم، ولازم تسرق أى حاجة من الشقة وهى نازلة.. لازم تتسرق يعنى حتتسرق.

هزت رأسها، وفكرت من يجرؤ على فعل هذا سوى راغب.. ولكنه لابد من أن يخاف ويرتعد.. قالت وهى تصب المتى لسهر:

- ياحبيبة القمر.. ما حدث لك حدث لنور حبيبة محب .
- كيف؟
- سأحكى لك ماجرى.. على شرط ألا تحكى ما جرى لك إلى أبيك أو أمك أو أى بشر.. دعى الأمر لى..
- ولكن.

قاطعتها.

- إذا وعدتنى سأحكى لك.. افعلى مثلما فعلت نور..
- أعدك واحك لى ما فعلت نور..

حكاية خطف نور

القلب له جناحان: جناح حب وجناح حنان.. قلوبنا تطير فى المساء إلى قلب المحبوب أو تبحث فى الكون عن نصفها المهجور.. نور ليس لها من الصديقات إلا تيتى.. تيتى ليست جميلة ولا قبيحة.. وتعرف كم عدد دقات قلب نور وكم نفساً تتنفس.. لعبت الأفكار الشيطانية برأسها حينما أغوتها نانا تلك المرأة التى تغوى الفتيات بالهدايا والمال والأزياء وأدوات الزينة.. حتى يعملن معها فى الترفيه عن الرجال الأثرياء مقابل الهدايا والعطايا.. لم تخبر تيتى نور عن علاقتها التى بدأت مع نانا..

كانت نور تلاحظ ثمة حكايا فى عين صديقتها تيتى، ولكن تيتى لا تظهر حقدها.. إلا أن جاء يوم ورأت نور قلادة جميلة على صدر تيتى.. وانبهرت بجمالها؛ فأخبرتها تيتى أنها هدية من نانا وهى سيدة طيبة.. وثرية وتحب مساعدة الناس[1]

نور لم تسترح فى بداية الأمر، وذات يوم طلبت نانا من تيتى أن تحضر نور إلى بيتها لكن نور رفضت؛ فقررت خطفها عن طريق خطة، إذ قام بعض الأطفال الصغار بخطف سلة الخضار من يد نور وهى عائدة من السوق..

---

(١) كتبت إلى ابنتى غيداء رسالة "ماسيج على الموبايل" الآن (لو تعرفى يابنت الايه انت وأخوكى وحشننى قد ايه؟) لم أستطع أن أكتب لها أن زوجتى أمها رحمها الله تحملتنى ووحشتنى طيبتها وحنانها.. كانت تعرف ميعاد قهوتى، وكم قميصا لى.. وكم زجاجة عطر عندى.. وكم كرافته فى الدولاب الأول وكم فى الدولاب الثانى.. وأين حقائب أحزانى وأحلامى..وتقول لى حين ترانى مكتئبا سافر شوية غير جو لوحدك..

جرت نور خلفهم حتى دخلوا بيت نانا.. فدقت نور الباب فتحت نانا واشتكت لها نور فطلبت منها الدخول إلى البيت، فدخلت فوجدت نفسها فجأة وسط بنات وضحكات ورجال وغناء.. ارتعدت نور وصاحت:

- أريد الخروج..

ودق الباب فجأة محب الذى كان يسير بالقرب من بيت نانا ولمح نور تدخل.. دق الباب بعنف وغضب فتحت الباب نانا:

- أهلًا..

- أين نور؟

خرجت نور مسرعة: أنقذنى يا محب سرقوا مني سلة الخضار..

ارتمت فى أحضانه، وهى تبكى.. قال صائحا:

- أين سلة خضارها؟

- بشويش حضرة القائد..

أحضرت نانا سلة الخضار، وهى غاضبة.. ركبت نور الحصان وهى تحمل سلة الخضار، وهو يسير ممسكًا بلجام الحصان.

آه يا بنت الإسرائيليين اليعاقبة عطرك يفوح والضابط الفرعونى يجذب الحصان لك.. يا بنت الذين.. يقف أهل الحى العبرانى اليهودى ينظرون لمشهد لا يصدقه عقل.. ضابط فرعونى كبير يشد حصانه ويسير على قدميه وتركبه نور الإسرائيلية.. هذا الشاب الأنيق.. ذاع الخبر وغضب أثرياء الإسرائيليين المصريين من هذا المشهد.. هل ضابط فرعون وصل لهذه الدرجة من الوقاحة؟.. همس بنيامين.. فى أذن هامان بما حدث من محب، ولقى هذا صدى فى نفس هامان فعنف محب تعنيفاً شديداً، ولم يرد عليه أى رد.

جلس محب فى بيته ثلاثة أيام صامتا لا يرد على أحد، تائهاً .. لم لم يبح إلى هامان ويخبره أنه غارق فى حبها وأنه يود أخذها إلى أبعد مكان فى العالم ويسير بها ويترك مصر والنيل والليل والأهل، ويترك القلق والصراع بين موسى وهارون وفرعون وهامان، ود لو يكون هو ونور بداية عالم جديد ، أرض جديدة.. فى اليوم الرابع خرج من بيته وجمع بعض العسكر وهجم على بيت نانا وطردها والنساء اللائى معها، وهدم البيت؛ مما أثار غضب هامان عليه مرة اخرى، وعندما سأله هامان لماذا فعلت هذا؟ قال محب له:

- لأن مصر لا تتحمل غضب الرب أكثر من هذا .

غضب هامان ونظر له:

- أنت بدأت تتأثر بكلام موسى وهارون.. البنت نور لعبت برأسك أيها الضابط الشجاع..

لم يرد محب..

"أنت يا هامان لا تعرف الحب، لا تعرف القلب، لا تعرف ماذا يفعل بنا؟.. الحب يقهرنا.. يدوخنا.. لا نعرف كيف نقهره ويقهرنا.."

تيتى صديقة نور اختفت لا يعرف حتى أين أهلها.. ونور لم تخبر أمها ولا أباها، لكن أمها سألتها عدة مرات عن تيتى:

- أنت زعلتى مع تيتى؟ لماذا لم تظهر؟[1]

لا ترد نور.. صمت نور قمر مختفٍ خلف السحاب .

آسيا زوجة فرعون لم تهدأ منذ أن جاء موسى.. تريد أن تراه وتكلمه، أن تفهم ما رسالته التى أتى بها ولماذا جاء؟.. ذهبت فى إحدى الليالى متنكرة إلى بيت موسى.. قالت له:

- موسى يا بنى يا قرة عينى.. لماذا عدت بعد هذه السنوات؟ وأنت مطلوب قتلك هنا؟

- جئت أدعو فرعون أدعوه لعبادة الله الواحد الباسط القادر.

- إذا.. أنت نبى الله يا موسى لمصر.. الحمد لله..

صمتت شهرزاد وقالت بلغة أمر لسهر:

- الآن اذهبى إلى البيت ودعينى أحل المشكلة.. لا نريد أن تشتعل البلد بسبب ولد أو رجل أو شاب أحمق..

هزت رأسها سهر وقامت إلى بيتها. قامت شهرزاد ونزلت للسوق ومرت على المقهى التى يجلس عليها راغب لم تجده، نادت صبى القهوة وقالت له:

---

(١) شعرت بالاختناق نزلت وسط البلد إلى الاتيليه قابلت المترجم الرائع مصطفى محمود والكاتبة المتوهجة غادة فاروق وعلى مائدة أخرى الشاعر المبدع سعيد شحاته والقاص المتميز فاروق الحبالى.. الاتيليه فاضى.. اتجهت إلى مكتبة عمر فوق فلفلة فى شارع طلعت حرب سألت عن عمر صاحب المكتبة لم أجده قابلت محمد وايمن (شابان رائعان يعملان هناك).. اشتريت كتابا عن رامبو وطبعة جيدة من ألف ليلة وليلة.. وعدت إلى البيت ووحدتى والكتابة والورق..

- قل له خالتك شهرزاد عاوزاك ضرورى..

رد القهوجى:

- هو أنت خالته بصحيح .
- اتنيل..

مشت وبصقت على الأرض، إشارة لاحتّقار لصبى المقهى. بعد وصولها للبيت بقليل جاءها راغب،محاولاً الابتسام فى وجهها، وكأن شيئا لم يحدث، وكأنه لا يعرف ولم يفعل شيئاً.. جلس.. نظرت فى وجهه وجدت بعض الخدوش..

- خير يا خالتى فى حد مزعلك فى الضيعة؟
- ايه فيه؟
- مين؟
- ما فى غيرك يالحيوان يا أهوج.. يالحيوان وهايج على بنات الناس.. فحل وطلوقة على المزرعة.. اشو بيك جنيت.. تخطف البنت عاوز تغتصبها.. جنيت انت.. دى سهر.

احمر وجهه خجلا ومرتبكاً.

- شو فيه ياخالتى؟ عن شو بتحكي ؟
- إسمع لو حاولت تكلم سهر أو تجرب يتلمسها أو تمسها بسوء والله أنا اللى بقتلك.. سامع انا ماحخلى البنت تحكى لأبوها سالم ولا أخوها.. سامع.. امشى وتذكر انا اللى حاقتلك بايدى لو كلمتها أو لمستها أو حاولت تعمل شئ.. سامع..

فتحت الباب..

- امشى انجلع ما شوف وشك ولا تشوفها فى طريق ولا تحكى معها..

جلست تشرب المتى..[١]

هى تعرف سر الشوق.. وسر اللوعة.. وسر الهوى....

***

(١) دثنى ابنى محمد على النت "ماسنجر" قال إنه يحتاج إلى دعائى له فى ازمته فى أبو ظبى.. وأنه يشتاق لى.. شعرت بأن قلب ابنى يدق فى الحروف حباً لأبيه.. محمد يمر بأزمة فى الإمارات.. أزمة ديون.. مثل أبيه ينتظر فرج الله .. أنا وهو مديونان لبنوك فى أبو ظبى.. اللهم فرج كربنا وسدد ديوننا..

سهر ما بين قبلة من كاظم أيقظت مشاعرها وأيقظت أنوثتها الساكنة الصامتة، وبين راغب الذى حاول أن يغتصبها، وبين حلمها بالسفر إلى الإمارات..وبين البينين يتوه القلب.

***

راح راغب على القهوة ظل صامتاً.. مكتئباً .. تعلق فى ذهنه.. كلمة شهرزاد:

- سأقتلك ابعد عنها..

جاء صبي القهوة..وقدم له الشاى.. قال له راغب:

- هالمرة شهرزاد.. شو رأيك فيها؟

- الله يكفينا شرها.. دى خلصت على ألف راجل..

- ألف رجل!!

- نعم..

صمت راغب..

- هات لى زفت..

- شيشة ؟

- ايه..

إن خدعتك الحياة..
فلا تحزن . ولا تغضب
فى اليوم الشجى اهدأ..
يوم الفرح رائق ولابد آت..

" الشاعر بوشكين "

الفصل (١٧) بعنوان
ماذا أقول لعينيك وكل الكلام أمامها يتبخر يتبخطر يتبعثر

فتحى رضوان..

تهانى.. لها قلب صنع من ورق الياسمين.. للورد قلب وقلب تهانى وردة.. كنت أرى فى عينيها براءة العالم.. هى من ستتحمل جنونى.. تتحمل نزواتى ورغباتى.. ليست خبيرة بالفكر والثقافة.. ولكنها يمكن أن تشاركنى الحياة فتعلمت الآلة الكاتبة كى تكتب مقالاتى وقصصى ومسرحياتى.. فهي ليست هدى شعرواى أول إمرأة خرجت للمظاهرات فى مصر وواجهت المجتمع، أو هى إنجى أفلاطون الفنانة التشكيلية، أو درية شفيق التى قامت بالعمل السياسى والصحافى.. قالت لا لعبد الناصر وأمر بعدم خروجها من بيتها وماتت منتحرة.. كان عبد الناصر صعيدى لا يفهم مسألة نقاش المرأة، وأنت صعيدى يا فتحى ودماغك ناشفة تريد زوجة جارية ومحظية وملكة وهانم ورقيقة فى الليل ووردة وطيبة كعطر الملائكة.. عند الزواج سألنى المأذون(١): على أى مذهب ستتزوج؟؟.

قال خالى على:

- على مذهب أبى حنيفة طبعا..

قال أبى قبل موته:

- نحن على مذهب أبى حنيفة يا ولد..
- قال المأذون:

---

(١) تمشيت فى شارع الهرم ومنه إلى شارع فيصل إلى المحامى المحترم حازم الهواري ابن عم السيناريست رأفت الهوارى حيث يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ اقتحم بلطجية دار النشر الخاصة بى رؤيا والقوا بآلاف الكتب فى الشارع والكمبيوترات والمكتب والفاترينات وكانوا محرضين من صاحبة العقار لأنى مؤجر المعرض منها، حيث أرادت ان تنهى العقد ببلطجية، ومفيش حكومة، رحت للمحامى قال التنفيذ لسه ومعانا حكم وانتظر فرج الله قريب لكن الغريب شارع فيصل كله زبالة يمينا ويسارا وشارع العريش كذلك وشارع عز الدين عمر وشارع الترسه زبالة وقذارة فى كل مكان، والآلاف يسيرون وسط الزبالة كأنهم لا يرون ولا يشمون.. لا تعليق..اتصل بى صديقى اليسارى عباس احمد جلسنا فى مقهى ام كلثوم فى شارع المطبعة ..حدثنى عن حزب ديمقراطى جديد به كريمة الحفناوى المناضلة قلت انا كاتب فوق الاحزاب .. انا حزب لوحدى .. ضحك وقال صحيح ..

- زوجتك يا فتحى.. على مذهب أبى حنيفة النعمان..

قالت أمى :

- يا ليتك تكون مثل أبو حنيفة النعمان..

قلت من هو أبو حنيفة النعمان؟.. سؤال دار فى ذهنى يقول المصريون تزوجتك على مذهب أبى حنيفة النعمان.. من هو هذا الرجل الذى ينتسب إليه المصريون؟؟

أبو حنيفة نعمان بن ثابت بن زوطا بن مرزبان المولود سنة ٨٠ هجريا بالكوفة هو أفغانى الأصل (٦٩٩م / ٨٠ هـ) وهو من أعلام الأفغان ومن مدينة كابول التى نشأ وتعلم فيها إذ تعود أصوله إلى كابول، والتي كانت آنذاك حاضرة من حواضر العلم، تموج بحلقات الفقه والحديث والقراءات واللغة والعلوم، وتمتلئ مساجدها بشيوخ العلم وأئمته، وفي هذه المدينة قضى النعمانمعظم حياته متعلماً وعالماً، وتردد في صباه الباكر بعد أن حفظ القرآن قضي الوقت في الطواف على مجالس العلم حاملاً أوراقه وقلمه، واتجه إلى دراسة علم الكلام حتى برع فيه براعة عظيمة مكّنته من مجادلة أصحاب الفرق المختلفة ومحاجّاتهم في بعض مسائل العقيدة، ثم انصرف للعلم.. بلغ عدد شيوخ أبي حنيفة أربعة آلاف شيخ، فيهم سبعة من الصحابة، وثلاثة وتسعون من الفقه . اشتهر بورعه، وكان تاجراً مشهوراً.(سمى أبو حنيفة لأنه أول من أجاز استخدام الصنبور الحنفية للوضوء. وأكد أنه ماء جار يجوز التوضؤ به).

قال أبو حنيفة يجوز للمرأة أن تتولى أى منصب فى الدولة ولا يحق الفتوى بحجبها عن أى منصب، واستفتاه الخليفة فى الزواج من امرأة أخرى فقال له يسمح لك القرآن بالزواج من أربع نساء ففرح الخليفة ، وأكمل أبو حنيفة وقال: ولكن القرآن أفتى وقال وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، فهل أنت عادل؟.. إذا أجبت.. تزوج بأربع؛ فرجع الخليفة فأرسلت له زوجة الخليفة هدايا حمارًا، ومالا، وثيابا، وجارية حسناء ؛ فرفضها كلها..

كان أبو حنيفة يدعو للمساواة والعدالة بين البشر وأن المرأة ليست للمتعة، بل هى كائن حى مساو للرجل، وهى حرة تتزوج وتختار متى وصلت سن العشرين دون ولى.. ولا يحق لمسلم أن يكفر مسلما.. عرض عليه الخليفة

المنصور منصب العدل فرفض.. وسقط الأمويون وجاء العباسيون فطلبوا منه نفس الطلب فقالوا له لماذا: قال أنا طالب علم.. قالوا قد غنيت بعلمك.. فرد.. من يقول أنا استغنيت عن العلم يبكى على نفسه لأنه يكون قد مات.. طلب منه الخليفة العباسى أن يتولى أمر العدالة فرفض فسجنه وعذبه وقطع الخليفة يديه وقدميه ومات وهو فى السبعين بالسم فى السجن.. مات المستنير ونور من قبس العالمين قتله أبو جعفر المنصور لعنة الله عليه.. آمين[١]

قالت تهانى:

- أنت تشبه أبا حنيفة..

قلت :

- أنا لا أستطيع ان أكون أبا حنيفة، ولكنى قد أشبهه فى بعض الأشياء فى قولة الحق ولقد خسرت كل شئ فى حياتى بسبب هذا، ولهذا أنا لن يرضى عنى المسلمون ولا النصارى ولا اليهود، فمن يرضى عنى غير الله رب العالمين.. ومما لا ريب فيه أنى فقير وأسير الهوى والعشق والتفسير، ومما لاريب فيه يترنح قلبى عند عتبات كلمات الله فى القرآن والإنجيل والتوراة، وأرانى فى كل صوفى جميل.. ضعيف أمام أقوال رسول الله علية السلام وعلى بن أبى طالب والأئمة والأولياء.. ومما لا ريب فيه أنى على موعد مع سحرك يا فيفى فى الليالى القادمة، يافاتنة، ومما لاريب فيه أنت جبانة فى العشق.. زهرة فى أحشاء النور، وأنت التين والتفاح والزيتون، وأنت هدير العشق بين النجوم، وأنت الحياة المنفية بعيدا عنى.. أى أمة

(١) شـــرح لابويســـيه للعبودية المختارة اســـتند إلى مســـألتي الإكراه والخديعة والتاريخ الإنساني حافل بأمثلة لا حصر لها من ألوان الإكراه والخداع .
الإكراه يكاد يكون مفهوما نوعا ما..أما الخداع فهو غريب وغير مفهوم إذ كيف يخدع شعب بأكمله في الاستبداد به اللهم إلا إذا كان يخدع نفسه ومعروفة هى غريزة خداع النفس وفى حقيقة الأمر هناك شـــعوب كثيرة اســـتمرأت عبوديتها.ماضـــياً وحاضـــراً ووصـــل الخوف فيها إلى درجة الاســـتلاب وما فقدته كان أكثر من حريتها إذ فقدت القدرة على الاســـتيقاظ من ســـبات المهانة والمذلة والعبودية..(حتى ليهيأ لمن يراها أنها لم تخسر حريتها بل كسبت عبوديتها) كيف يتعايش الناس مع العبودية : تنحصر إجابة لابويســـيه في القول(إن الســـبب الأول الذي يجعل الناس ينصـــاعون طواعية للاستعباد هوالمناخ الذى ينشئون فيه) وضرب مثلا بالفيلسوف الذى أحضر كلبين رضـــعا من ثدي واحد وربى أحدهما فى البيوت والمطابخ والأخر فى البراري والوديان.. ثم أحضرهما ووضع أمام أحدهما طبقًا من الحساء والآخر أرنبا.. فجرى هذا نحو الطبق والآخر نحو الأرنب.. والمعنى واضح.

عربية وإسلامية هذه تقتل أحد الأئمة الأربعة لا أستطيع أن أكون إماماً، لأمة قتلت الخلفاء الراشدين وأبا حنيفة النعمان..طوبى لمن فهم وسط الأغبياء لأنه غريب..

تهانى تشعر أنى رجل سيصنع له الوطن تمثالا قلت لها فى مصر صنعوا التماثيل على مر العصور وألقوا بها فى الشوارع، وتحتها يتبول الرعاع العشوائيون.. نحن والهنود أكثر الشعوب حبا للتبول فى الشوارع، ولكن المصريين يتفوقون على الهنود.. ألا ترى حديقة الخالدين فى الإسكندرية كل صباح يجدون تحتها براز ووساخة من الناس العشوائيين فى الليل. ارفع رأسك لتمثال نهضة مصر واشك لرب العالمين ماذا يفعل المصريون فى الشارع العام (يتبولون).. أنا لازم أسيب مصر للسادات[1].. كانت هجرة المصريين قوية.. طوال عمرى كنت أفسد حياتى باختيارى للحكمة والحب والمعرفة والكتابة.. الكاتب هو الوحيد الذى يخترع أنثاه إن لم يجدها على الأرض، ولذلك كنت أحب امرأة دومًا على الورق إذا لم أجدها على الأرض لم أترك نفسى للفراغ العاطفى أو أستسلم وأتخلى عن الأنثى فى حياتى.. لم أشبع من الحب أبداً .. أنا لا أحب أن أكون صفرًا مهما كان الوطن صفراً .. قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: "ويل لك من رجل شبع بعد جوع، وهنيئا لك من رجل جاع بعد شبع.. لذلك تهنأ النساء معى لأني أجوع بعد شبع.."

- فتحى أنا أحبك جدا..[٢]
- وأنا أيضًا ..

---

(١) الجو غير مستقر اليوم ٢/١٢/ ٢٠١١.. أمطرت السماء، القاهرة تغرق من أقل مياه مطر لان ليس هناك صيانة فى الحى للبلاعات.. وقد أذن العصر اذن سأقوم للوضوء والصلاة وليس هناك شمس وأنا مفلس.. وربنا سيفرجها.. البواب دق الباب للحصول على رسوم الصيانة الشهرية لم افتح.. عندما أقابله بعد المغرب سأتجهم فى وجهه وأقول له كمان يومين يا ولد الدنيا لم تطر انتظر.. إنى انتظر فرج الله دوما.. بعد أن كنت مليونيرا أصبحت فقيرا جدًا الحمد لله.. ذات يوم ستغرق القاهرة والإسكندرية فى مياة المجارى من البلاعات لكثرة المبانى دون تخطيط

(٢) هبت إلى مطعم الجريون فى هذا المساء الممطر قابلت هناك هناك الشاعرة الروائية المبدعة سهير المصادفة وزوجها الشاعر المبدع التونسى كمال العيادى الذى يتفجر تحضرا وشعرا.. اما هى تليق به ويليق بها.. وشاهدت الكاتب الناقد محمد رفاعى صديق عمرى فى الجامعة يجلس مع المخرج السينمائى مجدى أحمد على.. الجو برد وزحام.. خرجت مسرعا..

- بجد تحبنى؟

فى ظنى أن الرجال أصبحوا ندرة فى زحام أشباه الرجال، فى ظنى أن النساء الاستثناء أصبحن قلة وسط زحام أشباه النساء، فى ظنى أنى أبحث عن مدينة فاضلة أو من رحم ربى من النساء ومن اصطفى ربى من الرجال، اللهم أكرمنا وارزقنا ببشر حقيقيين.. كلما التفت فى الطريق أقابل كائنات أشباه بشر..

فى ظنى أنك أحلى النساء يا عمرى، وفى يقينى أنك نور عيونى.. أنت فى عيونى آية وأنا الرائى بالعشق وأنا مكسو بمعرفة الروح وأنا عبد الرحمن والشاكر وأنا مجتنب السفهاء والأدعياء وأنا السالك والمجذوب وأنا المجذوب والسالك وأنا الطفل الصغير ومطر الحنين.. وأنا المستجير ناولينى يدك حتى أنهض واجعلينى حسنة على خدك واجمعينى حسنة عند الرحمن وحسنة للعشاق، وأنت غواية الفضيلة وعصمة النساء وأمنية الشعراء، آسف أنا مشغول البال عنك بوطن يترك نفسه مستباحًا صبحًا ومساءً، وطن السائرين نياما كما قال سعد مكاوى.. مشغول بأن أبدل سيئاتى إلى حسنات مشغول بمقاومة الحنين لقهوتك فى الصباح.. سألتنى الطفلة الصغيرة بنت الجيران لماذا تحبك أمى؟.. قلت دون ادعاء أنا من تخلع النساء أحذيتهن عند عتبات دارى ومن يتعطرن له حين يقرأن كلامى ومن يتوضأن ويصلين شكرا لله ركعتين حين تلقاني، ولأنها حين تقول: آه ، تجدنى بين شهيقها وزفيرها، أمامها، وحين تفترسها الوحدة، تجد أصابعى نايًا، يعزف لها، وحين يهجرها الزمن وتداهمها الوحدة يخترق قلبها صوتى عبر الهاتف سائلا كيفك يا امرأة؟.. انزلى إلى المقهى أدعوك على فنجان قهوة، فتزغرد فساتينها فى الدولاب وكعب حذاءها العالى ينهض من كسله وتتعطر ببخور وتجئ فأقدم لها وردة وأمسح دمعها بكلمات الله والأنبياء والشعراء والحكماء فتعود ابتسامتها للحياة فأركب جوادى وأعود لدارى فلا أنا أسعى لمبتغى منها وما أنا إلا إنسان، ووجود إنسان فى هذا الزمان أعجوبة وعشقى للرقى ابتلاء وأنا الرائى والفانى ولكنى أبقى ضرورة كالهواء فى حياة الجرحى والبسطاء.. نعم يافتحى ورثت دماغ الصعايدة من جدك من أمك كان من

محافظة المنيا[١] إلى الكويت إلى الإمارات.. الكويت حرة الرأى وحر جوها وخير رزقها وشر تعاملها، فالغريب عبد إلى أن يثبت عكس ذلك. الكويت كر وفر فى السعى، الكويت درة الخليج والعرب وقلب العروبة فى عهد عبدالله السالم.. الكويت نماء وتطور ومعرفة برجالها الراغبين فى التميز بها ولها.. الكويت صفوتها من الرجال كنز وفرسان.. الإمارات عشق وحلم وأمان وهدوء لنفس المقيم والمواطن، الإمارات حياة وموت وكبرياء، ودرهم وحذاء يدوس كرامة الغرباء.. الإمارت رجالها ذهب وطيبة قلبها تحتوى العالم.. لماذا نهجر مصر ونتركها للسادات؟؟.. أخو السادات تاجر مخدرات وكل الإسكندرية تعلم وهو يدعى أنه لا يعلم.. لا أحد يجرؤ على الكلام.. مع أن أصناف الحشيش سميت باسم اخيه وباسم أنور السادات سموا نوع الحشيش نورة نسبة إليه.. وأشعر أنى فى متاهة الكتابة والنساء.. وطنى يسرقه العسكر منى منذ ٧ آلاف سنة ويدوسون البلاد والعباد بأقدامهم.. كل أحلام الثورة تداس.. إلى متى يا وطنى تبتلى؟، وأنا المبتلى بعشقك فلا أجدك أيها الذليل دومًا وتتنفس الذل والكذب وأنت حلم كل الغرباء، وأظل أبحث عن وطن آخر ويطول بيننا الغياب.. أستحي أن أقول أنك يا وطنى نور.. وأننى من أمة حرمت من أن تنير حتى ذاتها.. أستحى أن أقول إننى لست عنصريًا فى حب النساء لا يهمنى اللون أو الجنسية أو الدين ، يهمنى مشاعر الإنسانة.. أستحى أن أقول ننى مسكون بالظنون، محاصر بالواقع المر وحزن يشبه اليأس، وإننى أحمل ملايين الأحلام للفقراء من أمثالى أو ما شابهنى بعشق الحروف المرقومة وتجدد الترتيل وتلاوة الروح والنفس وتلاوة سر الأسرار فالحب ينصر ولا ينتصر والعاشق ينصر وينتصر.. الحب بصيرة للقلب من إله مقتدر.. أستحى أن أقول أنا من الجهل منهزم.."[٢]

---

(١) كم أشتاق الآن للحوار مع صديقى عبد الكريم برشيد المبدع الكبير الذى ينز إبداعا وفكرا.. إن هذا الرجل يملك روح نبي.. ولكن الأشرار من المثقفين الفاسدين فى المغرب أوقفوا مسيرته مثلما اوقفونى هنا فى مصر .. ليس معى نقود لأحدثه بالهاتف.. سأرسل له رسالة الكترونية.. وركبت الميكروباص من التحرير الى الهرم..

(٢) قرأت رواية "كادرات بصرية" للكاتب الموهوب محمود الغيطانى يقول فيها: (مايحدث حولنا فى العالم العربى كله مايحدث فى فلسطين ، العراق افغانستان البلقان مايحيط بنا من جميع الجهات كل هذه الأمور تشعرنى بالخزى والاكتئاب الشديد كل هذا يشعرنى بطاقة مدمرة راغبة فى البصق وتدمير هذه القوة الأمريكية برعونتها الفجة)

قابلت جلال مقرر لجنة الرحلات قال:

- عاوزين نعمل رحلة للأقصر واسوان..
- ماشى.
- شباب وبنات .
- ماشى .
- نفسى افهم أنت كل يوم مع واحدة .. وأنا كل ما تعرف على بنت تقولى أنت زى اخويا.. وكل ماشوفك وأنت قافل المكتب وبتبوس البنات وتحسس اتجنن.
- ولد أنت بتبص عليا؟
- أنا تعبت من العادة السرية أبويا دخل عليا الأوضة وشافنى بعمل عادة سرية على صورة نادية لطفى بالمايوه..
- والله انت مش طبيعى ياجلال ولازم أشيلك من لجنة الرحلات..
- ياريس ادينى بنت.. من قفة البنات اللى عندك يا فتحى.
- امشى يا ولد..

عند خروج جلال من غرفة رئيس الاتحاد اصطدم بناهد حجازى قادمة لى.. صاح عند الباب: ارحم..

أنا الغريب المريب الذى لا يكظم الغيظ لا يعفو عن الناس

شعر / رفعت سلام

فتحى رضوان خليل

الفصل (١٨) بعنوان

أمنت بالله . وبسطوة الحب وغربة القلب

(أمنت بان أتهجى اسمك وأبدل الحروف حين يحاصرنى لصوص الأفكار و أعلن فى نشوة الانتصار بلا خوف. لم أجد غضاضة فى هجاء السخفاء لى)

المكان : محرم بك..

جلست أقرأ قصة شجرة الدر.. كنت أذاكر فى كتاب التاريخ استوقفتنى كلمة شجرة الدر:

- ليست الأيام جميلة ما دام العسكر يحكمون الوطن ..

ولكن نحن الوطن الوحيد فى العالم الذى يحكمه العسكر من ٧ آلاف سنة..) جلست فى التاريخ.. جلست أكتب رسالة إلى سلطان العلماء العز بن عبد السلام:

إلى سيدى سلطان العلماء العز بن عبد السلام

تحية واحتراماً أكتب لك وداخلى ألف سؤال..

كيف رأيت الأمراء من المماليك فئراناً؟.. كيف استحضرت قوة الله سبحانه وتعالى؟.. إنى أريدك أن تأتى وأن تبيع أمراءنا وملوكنا ورؤساءنا.. أيها الشيخ الجليل إننا أوساخ حتى النخاع حولنا حكامنا إلى هذا الحال.. فى كل قطر عربى يوجد زعماء ولهم نساء، وفتيان، وشباب كثيرة ملقاة على قارعة الطريق يتحرش بعطر النساء لأنه لا يجد رائحة أنثى فى فراشه فى المساء.. ياسيدى نحن نتجرع الجبن والرياء والصياح والجدل على التفاهات هل ندخل بيوتنا ومساجدنا بالقدم اليمين أم بالشمال؟.. هذا هو الحال؟.. هل حلق الشارب والذقن حلال أم حرام؟؟ هل النقاب والحجاب سنة أم فرض؟ هذه قضايانا الآن..

سيدى تعال لتبيع حكامنا ورؤساءنا.. فى الحال .

المواطن العربى المقهور

فتحى رضوان خليل

أمى جهزت الشاى وشربت سيجارة بلمونت وجلست فى بالكونة البيت..أى البلاد أنت يا بلادى.. كل شئ فى حى غربال الفقيرة البسيطة الرائعة أحيانًا والقبيحة معظم الوقت.. (١)

ناهد حجازى تطاردنى فى الخيال.. كل شئ يسير نحو الغروب العشق والقلب المنهك بالتفاصيل.. الاستقامة نوع من العناء والانحلال غباء.. وأنا بين العناء والغباء.. لست أسير على الأرض بل فى الهواء.. كل ما حولى من أخبار عن الوطن والأصدقاء حزين.. أنا حزين.. فتشت فى قلبى سائلا نفسى... ما لون الحب والحزن والفرح والعشق..؟؟

لقاء الزلزلة

جلست على شاطئ الشاطبى مقابل سور جامعة الإسكندرية، ها هنا كنت ألتقى مع ناهد حجازى. وجدت الحزن فى قلبى لونه أبيض.. بى حزن وانكسار وبى ألم وأمل وبى مشاعر غريبة ترى لماذا؟؟ ما هى الحدود بينى وبين المعرفة.. وبينك وبينى؟ أود أن أفيق.. مكبل أنا بالأسئلة وغياب الأجوبة.. فاجأتنى ناهد بيديها على كتفى. قبلت يدها التي على كتفى:

- بتفكر فى إيه؟
- فيك؟
- كذاب يا راجل. كذاب بس بموت فيك.
- وبفكر فى مصر وشعب مصر.

قالت ناهد:

- أنت حتجننى.. إحنا أطيب شعب فى العالم وأجمل شعب؟؟
- لا. نحن أسوأ شعب فى العالم أول من اخترع السجون، والدليل سيدنا يوسف وضعناه فى السجن، مع أن القاضى قال إنه برىء سجناه.. ونحن أول من أخذ الثأر فى العالم، ثأر حورس وقتل عمه ست. ونحن أول من

(١) اتصـــلت هاتفياً بالكاتبة والناقدة الرائعة " فوزية مهران".. لقد ظلمناها كاتبة رائعة وناقدة متميزة.. لم نعطها قدرها.. نحن نحب الكذب وانصاف المواهب.. اطمأننت على صحتها، وعلى ظروفها الصحية.. كم شعرت بالخجل.. إننى لا أملك زاوية يومية أو أســبوعية لأكتب عنها.. عملت طبق فول بالطحينة والطماطم، واكلت بصـــل بالخل، وشـربت شـاى، ونزلت على المقهى.... ابنى لم يتصـل بى من أسـبوع ولا ابنتى.. الوحدة قاسية..

أرسل الله لهم نبيا سيدنا إدريس ليهدينا من الفساد وأرسل لنا إخناتون.. ونحن أول من اخترع الظلم منذ ٧ آلاف سنة والتعذيب لجمع الضرائب.. اقرئى سيدتى أتذكر أن شادى عبد السلام كتب مشروعا (اقرئى يا بلدى) وأنا أقول لك اقرئى يا ناهد. كيف كانوا يجمعون الضرائب من الفلاحين فى عهد الفراعنة قبل إخناتون، وتدخلت نفرتيتى لتوقف الظلم على الفلاحين بإغراق رؤسهم فى الماء حتى الموت.. وبعد.. منشأ كل ضلالة من هنا ومنشأ كل فكرة طيبة كانت من المسلمين غير العرب لأن العرب أسوأ من المصريين.. وأول من أفتى بالإرهاب والقتل كان إمام المسلمين فى مصر فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث أفتى هذا الإمام حينذاك بقتل سيدنا عثمان بن عفان ومن قتلوا سيدنا عثمان كانوا ٣٢ شخصا منهم ٢٨ مصرياً.. نحن والعرب واليهود تركيبة واحدة اقرأى التاريخ يا عزيزتى جيدًا دمت للفكر والصمود والعام والنقاء[١]

---

(١) ركبت أمس تاكسى مع شاب قال لى إنه خريج قسم يابانى جامعة القاهرة وذهب لليابان وهناك نصحه شاب مصرى بالسفر إلى ايطاليا ليكسب أكثر. وسافر إلى إيطاليا وأمضى بها عاما كما أمضى عاما فى اليابان وهناك قال مصرى آخر إن المانيا أفضل شعب فى العالم فسافر وهناك فى ألمانيا أحبته فتاه وعرضت عليه الزواج قال لا.. بلدى وبنات بلدى.. وجاء للبحث عن عروس. أبوه مات وتورط فى حماية العائلة وأخوته من شر الفقر فضاع وهو نادم. قلت له ثوابك عند الله. قال يا أستاذ أنا اكتشفت أننا ٨٠ مليون فاسد شعب فسد من ٦٠ سنة وأنا لن أنجو من هذا الفساد سأكون مثلهم. قلت له الثورة قامت ٢٥ يناير.. قال ٥ مليون مصرى ثورى لن يصلحوا ٨٠ مليون.. ونزلت عند سفارة الإمارات للتصديق على ورق أبنى محمد فى الإمارات.. قلت لنفسى المسكين لم ولن ينجو لو ظل حسين أوباما فى كينيا ولم يهاجر إلى امريكا لعاش أوباما الابن (الرئيس الأمريكي) ماسح سيارات فى دولة عربية أو بائع متجول فى العتبة.. إن هجرة شباب مصر للخارج حلا عبقريا.. للنجاة فالسفر مثل سفينة نوح من طوفان الفساد الذى يضرب مصر طولا وعرضًا وعمقًا.

ما جئتنى بالعشق كى أشقى
وأريتنى من آياتك الصغرى موتا يشد العين كى أبقى
هى ساعة هى ساعة يا قلب لا أكثر
جنية الشعر / أميمة إسماعيل

حصاد الأيام ١٩٨٣/٧/٢٦
كتبت : وقفة ثقافية

ذكاء اجتماعى

أعداء الوطن العربي الحقيقيون هم أبناؤه المنافقون الذين يطلبون ويزمرون لأي واقعة أو حادثة وهم أكثر خطورة من العدو الاسرائيلي أو القوى الخارجية الأخرى. إن المنافقين يحققون ثراء فاحشاً ويحققون أرباحاً خيالية ومكاسب اجتماعية فوق الوصف ويسقطون سريعاً ويلعن سنسفيل وجودهم في التاريخ وهم دائم يقولون " عش اليوم ومت غدًا ".

حقا الكويت فتحت أرضها لكل الخبرات وكل الأقلام ولكن على هذه الأقلام أن تكون صادقة جدًا في تعاملها مع القلم. لا تنافق. لا تطبل. لا تذمر.. ولا تأخذ موقفًا سلبيًا مما يحدث عليها وأن تمارس شرف مهنة القلم.. وأتذكر قول الله سبحانه وتعالى "نون والقلم وما يسطرون" الذي أقسم فيه بالقلم وبدوره.. وما دمت أعيش في هذا البلد. لا أنافقه ولا أخدعه. بل أساهم في بنائه بالقلم . قلت لصديقي الصحفي الكويتي الرائع فيصل القناعى. إن الغد سيحمل الكثير فبعد هذا الجيل. سيأتي جيل آخر يكتب عن الأقلام العربية التي عاشت في الكويت مساهمة في تطويره وسيحذف منها الكثيرين وأتذكر كتاب "خليفة الوقيان" "القضية العربية في الشعر الكويتي" الذي نقد فيه الكثير من الأقلام التي عاشت في القرون السابقة في الكويت ولم تؤثر فيه وأشاد بالأقلام الإيجابية وفي الجيل القادم سيظهر خليفة الوقيان آخر، ليقيم هذه الفترة التي يرتفع فيها المنافقون بمناصبهم ومرتباتهم وبنفاقهم الكبير، وتاريخ الكويت لن يرحمهم ولن يرحم أحدًا..

كتبت منذ شهرين عن مجموعة قصصية لإحدى الأديبات الخليجيات وفوجئت بعاصفة من الهجوم على من الزملاء قالوا:

- كيف تكتب عن هذه الأكذوبة؟
- كيف تسمح لقلمك أن يكتب عن هذه المدعية؟
- هل تعرف من يكتب لها؟
- ما الذي يدفعك للكتابة عنها؟
- كم دفعت لك؟

والحقيقة أنني تابعت إنتاج هذه الكاتبة. بدايتها ساذجة ثم نضجت. كيف نقتل موهبة تنضج بحكم سابق منذ سنوات. لم أدر أنها مكروهة لهذا الحد.. هل هو حقد على موهبة تنضج!! ولم أظن أننا نعاني من المراهقة الفكرية.. أيها المثقفون، الرحمة بأي موهبة والرحمة بنا!! والأغرب من هذا أن صاحبة المجموعة الأدبية التي كتبت عنها لم يعجبها ما كتبت فقد قالت إنني أهاجمها، والجميع قالوا إنني أمتدحها، ومع هذا فالحق لا يعجب أحدا!!

....

أحبك.
تعالي.
امسحي الحزن عني.
في هذا اليوم العصيب.
يقتلونني كل يوم.
وأنت من نافذة الحلم تنظرين.
أحبك.
تعالي.

* * *

قال: إن جيل الستينات كله صار بلا وجود .

الناقد المسرحي . "محمد بركات"

الفراشات أسئلة النور
أو من طريق سوى أن تقول الوداع
وتكتب مرثية للهواء..

الشاعر / جمال القصاص

الفصل (١٩)
بعنوان
يا أنثى لا تعرف قدرى

وميزانى مهما هربت منى فكل الناس حين تنظر فى عينيك تلقانى

كاظم..

إننى أدور فى حلقة مفرغة: متزوج وغير متزوج.. جسدى مع زوجتى وقلبى مع سهر.. كم رجل يعيش مثلى فى هذا العالم جسده مع زوجته وقلبه مع غيرها.. وكم زوجة قلبها مع رجل آخر وجسدها مع زوجها.. المدرس دوماً يحاصر بحكايات حب مع أهالى الأولاد أو مع البنات الطالبات.. المدرس كائن مسكين.. محاصر بالتكرار.. المدرس الآن ليس صاحب رسالة.. بل هو ببغاء.. كنت أتمنى أن أكون شاعراً.. أو كاتباً.. كلنا بداخلنا شاعر.. كلنا فى سن المراهقة نعبر بالشعر أو ما نظنه شعراً..

جلس يكتب على الطاولة (الترابيزة).. ربما كنت أظننى مهيًأ إلى أن أكون شاعرًا.. ها لقد غابت سهر عن المدرسة.. وقالوا إنها مريضة وتذاكر فى البيت.. هل قبلتى جريمة؟.. ماذا فعلت حتى أفتقدها؟.. ربما غيابها رحمة من الله حتى أتعود على سفرها مع زوجها إلى الإمارات..

تعالي لى أنا مرتبك جدًا ومكتئب جدًا
وقبل أن يجف القلب عن التنهيد
وقبل أن يدوسنا الوطن الحقير بأقدام السفلة الجهلاء .
وقبل أن أختفى بين الحروف والظروف.
وقبل أن أعتزل الحياة إلى التصوف..[1]
وقبل أن أراك ولاأراك..
وأن تغنى ولا أحد يسمعك..
وأن تبكى ومنديل دموعك معى..
وقبل أن يحتلنا العبيد ويصبح الأحرار ذكرى..
يا أيتها العالية تعال..
قبل أن يغرب الوعد والوعيد..

---

(١) قابلت صديقى الدكتور الشاعر الناقد مدحت الجيار وهو الناقد الأكاديمى الوحيد تقريبا الذى يتابع مسيرتى الروائية خطوة بخطوة، وهو يوجهَنى أحيانًا لبعض الاخطاء التى أقع فيها لغويا.. ولم لا فقد كان دستوفيسكى له أربعة من الأصدقاء يوجهون أخطاءه وينبهونه.. لكن الجميل أن الجيار يقول بحب شديد للرواية وفن الكتابة.. كان من الممكن أن يكون وزيراً للثقافة أو مسئولا عن قطاع الثقافة الجماهيرية ولكن دائما هم دائما يختارون الأسوأ. جلسنا فى الجريون شربنا شيشة وشاى ونسكافيه وأكلنا مش وفول مدمس.. تحدثنا فى الفن والإبداع.

وقبل أن وبعد أن...إنى وحيد

مشت وردة على أطراف أقدامها، ووقفت خلفه وسحبت الورقة التى بها القصيدة، ووقفت خلفه لتقرأ ما يكتب.. وصاحت:

- أنت وحيد يا ظالم امال أنا شو.. حجر.. بالبيت..

لم يرد.. تركها وخرج من البيت وهى تصيح و تولول وتلطم وجهها بيديها.. خرج كاظم إلى المقهى.. قبل الزواج لم يتعود على المقهى ولا التدخين.. هل كل الرجال يهربون من النساء إلى المقاهى؟..

"آه يا سهر إذا تزوجتنى لن تنسى بقايا أحرفى التى سقطت من ديوان أشعارى على شفتيك لحظة أن قبلتك، لن أنسى كم تمنيت أن تدوم همسات يدى على شعرك وهى تعربد فى الصباحات والمساءات.. وأشم رائحة وسادتى المبتلة بنز عشقى لك لحظة مطارحتك الغرام.. لن تنسى رائحة سجائرى ودوائر رسمتها على سرتك، ونهدك يحبل من لمساتى وينتصب راقصًا.. لن تنسى ستائر منزلى ألوانها البيضاء الزرقاء بلون السماء لن تنسى حبيبتى بقايا معادن نقدية سقطت من جيبى، وأوراق كلينكس معطرة تركتها تحت وسادتك، وسأتذكر أنى عندما قبلتك فقدت الذاكرة، وأنى حين احتضنتك وجدت وطنى وحين ارتميت على جسدك تلاشيت فى جسدك وصرت نوراً، وسأذكر أنك موطنى وهوائى وخيمتى ومهرتى، وأنت فى الليلة الظلماء قمرى..[١]

---

(١) اتصل بى الكاتب الموهوب منير عتيبة المسئول عن ورشة السرديات فى مكتبة الإسكندرية أخبرنى ان موعد ندوة عن روايتى قهوة سادة بعد شهرين وسيكون الناقد الكبير مصطفى الضبع وناقدة جديدة موهوبة من الإسكندرية اسمها دينا نبيل وهى كاتبة قصة جميلة.. تحدثنا عن أزمة الثقافة فى الإسكندرية. قلت له المشكلة العاصمة بها كل شىء.. والإسكندرية قرية بالنسبة للقاهرة.. وأوصيته خيرًا بالكاتب الناقد فؤاد نصر الدين أن يشارك فى فعاليات الورشة وليس مستمعًا فقط ، وأنه جاد.. ويجب الالتفات إليه.

صورة وفنان
د.إسماعيل موافى

السياسة ٤ ابريل ١٩٨٢

إسماعيل موافى، عاشق لبلده، قديرٌ عرف كيف يكون دوره الوطنى، قادرٌ على جذب القارئ إليه دائماً.. يحاول أن يقدم خلاصة رجالها وخلاصة التاريخ والعصر.. يختلف اختلافاً كبيراً مع أعداء الحياة وأعداء الثقافة.. أشرف على سلسلة مسرحيات عالمية والتى أتاحت لأجيال كاملة أن تتقدم وبعد أن توقفت لم يصمت. أشرف على سلسلة من المسرح العالمى حتى أصبحت لها مكانتها.. كان يعمل على إظهار مبادئه الإيديولوجية فى الإخاء والمساواة والحب والتسامح والعدل؛ فساعد كثيراً من الكتاب لإظهارهم مثل: نجيب سرور، ونشر له مسرحية "آه يا ليل يا قمر"، محمود دياب ونشر له مسرحية "الزوبعة والغريب"، وأنشأ سلسلة مسرحيات عربية حتى يخدم المسرح فى الوطن العربى.. يؤمن بالكلمة المتوهجة، نفسيته مهيأة للرحابة، يحمل أنبل المشاعر وأسماها، إنه من الإنسانية بحيث يعرف الحب والعدل والأمانة.. لم يشارك فى قتل موهبة أو جريمة طعن فكرة.. مبدع، قد تراه شخصا عاديا ولكنه كالمحيط فى صمته، يؤمن بالإنسان، تراه فى أسلوبه يتقصى كل الحقائق والدقائق،ويحاول أن ينقل لنا الواقع نقلاً جديداً برؤية جديدة..

إسماعيل موافى.. سيذكره التاريخ لموقفه الشريف مع نجيب سرور ومحمود دياب وغيرهم، لأنه نشر لهم رغم محاولات منع أعمالهم وجاءته مكالمة، كما حكى لى، من رشاد رشدى.. سيذكره لأن الرجل الوطنى هو الذى يعرف قدر الرجال الشرفاء ويساعدهم، ولأن الفنان الحقيقى يعرف قدر الفنانين..

البكارة
ملك الأبكار
وحدهم
حتى لو كرهوا
نظرية التملك
"الشاعر حلمى سالم"
***

كاظم..

أوشك الليل أن يأتى، وعشقك لا يأتى أبداً إلا فى الأحلام.. كل شئ لا يمر دون عناء.. فى ساحة البيت تلهو وتفرفر وتموت كل أحلامى.. غريب أنا.. أى جبال الشام.. أى سوريا.. أيتها الجبال افتحى ذراعيك احضنينى، لعلى منك أخرج من ضلوعى عشق سهر.. ويشفى قلبى من الدق باسمها.. عشقها يصهرنى وأغيب وأفقد الذاكرة.. أيا جبال سوريا الماكرة.. تلقين على قلوب العاشقين بالحور العين الحسان وتنفلت قلوب الرجال وتنقلب الأحوال.. أيا جبال سوريا والشام تلقين فى الليل الجمال على النساء[١] وعلى الرجال القلق..

أغلق كاظم كتاباً فى يده، وذهب إلى الحمام، اكتشف بينما هو يتبول علبة قطيفة صغيرة على رف من رفوف الحمام.. فتح العلبة وجد حجاباً.. خرج وهو يصرخ:

- ماهذه الخرافات؟.. ماهذا؟.. تكلمى؟

ارتبكت وردة :

- حجاب.
- حجاب لشو؟
- شو؟

---

(١) أقسمت سلمى أمام المجلس بطهارة الماء، أن تقول كل ما تعرف وأكملت قسمها ببحر القلزم الذى أطاع الله فانشق لموسى وبالقمر المكتمل الذى انشق باقتراب الساعة ولما أشار إليها كبير المجلس وقال لها: شقى رأسك.. من رواية "ساحل الغواية" للروائى محمد رفيع

- شو هذا حجاب؟
- لى من شان الحسد حجاب لى؟
- وردة.

لم تقل وردة له أى شئ.. إن أمها هى التى أحضرت الحجاب لها قالت إنه سيحمى زوجها حتى لا يفكر وهو فى الحمام بأى أنثى غيرها.. لم تقنع كلمات وردة كاظم، الذى ارتدى ملابسه وخرج إلى دار المختار غاضباً..

سمع المختار الحكاية.. ضحك بقوة.. قام كاظم غاضباً(١) تجهم المختار:

- اقعد يااستاذ.
- أنت بتضحك
- لازم تضحك على عقل النسوان
- دى ممكن تموتنى بأى حاجة تحطها فى الأكل اتسمم وأموت

ضحك الأب:

- لا أعتقد
- أنا أعتقد..

.. إذا كلمها أنت أبوها وكبير البلد.. أنا ما راح حاكل من يديها شيئا ولا أشرب شيئا.. أنا راجل متعلم ومثقف وأستاذ فى مدرسة بفتح وأعلم العقول ..

- ما تكبر الموضع أستاذ ..
- بكبر الموضوع ..
- شوف أستاذ بنتى بكسر دماغها عشان تطيعك.. بس انت ما تتحجج بهيك أو هيك لتهرب من المسئولية والبنت حامل ..

خرج كاظم غاضبًا من بيت الأب..

دخل الأب حجرة الأم صارخا:

- انتى يا مره ما تبطلى هالخزعبلات.. والحجاب.. حتخربى على بنتك..

---

(١) كل الرجال يعتقدون ان زوجاتهم قبلهم لم يكن نســـاء، وبعدهم كففن ان يكن نســـاء، والنساء تهبهم هذه السلعة مجانا..(القصة السابعة من مجموعة قصص فاتح وغامق للكاتب محمد أبو الوفا.. أعجبتنى)

- بنتى مين؟؟
- انتى حتستعبطى والا بتستهبلى والا ايه؟ عندك كام بنت هى واحدة وردة ..شو الحجاب؟
- خلاص مش حعمل لها حجاب تانى؟
- خلاص..
ماذا تقول أم راغب.. تقول له إن كاظم يحب سهر.. وأنه يتلوى فى الفراش كل ليلة.. فى عذاب؟؟[1]
ماذا يقول أبو راغب لزوجته هو يعرف أن هذا الملعون كاظم يحب سهر.. ومن لايحب سهر؟ حتى المختار نفسه.. ألقى المختار على الأم وسادة الكنبة..
خرج كاظم إلى المقهى جلس على المقهى.. لمحه من بعيد راغب الذى كان يلعب ورق الكوتشينة؛ فترك اللعب وذهب له:
- هلا بالغالى
- أختك بتعمل لى حجاب فى البيت حجاب فى كل غرفة شو بها؟
ضحك:
- شو بك يارجل.. نسوان عقلهم فارغ..-
- الحجاب والسحر.. والجن والجان
طلب راغب شيشة لكاظم الذى أخذ يسعل
فى المساء ذهبت شهرزاد إلى بيت سهر.. بعد أن انقطعت عن زيارتها بعد الحادثة ومحاولة خطفها واغتصابها.. ضحكت شهرزاد وأحضرت لها الحناء .. جلست فى غرفتها تحن لها شعرها بالحناء.. تقول شهرزاد:
- ما أجمل الحناء فى شعر النساء.. رائحة الحناء تخلب خيال الرجال وخيالى.
حكت شهرزاد عن قصة محب كيف التاع قلبه وأراد ان يقبل نور.. القبلة نور.. العشق نور فى القلب والروح ..

---

(١) اتصل بى الدكتور قال الدكتور كمال عيد استاذ الاساتذه فى الدراما إن مكافأة مناقشة الرسالة الجامعية فى مصر ٩٠ جنيها.. وأجرة التدريس أربعة شهور فى كلية الفنون الشعبية مبلغ ٢٦ جنيهًا كل اسبوع محاضرة..ومرتب دكتور دراسات فى المعهد العالى للفنون المسرحية ٥٦٠ جنيهًا.هل هذا معقول.

انتظرها عند ضفاف النيل[١] انتظرها وهى تملأ الماء، وفاجأها وطلب منها الحضور معه وأن تركب معه الحصان برق[٢]

---

(١) اتصل بى الناقد الكاتب الدكتور أحمد سخسوخ عميد المعهد العالى للفنون المسرحية السابق.. حدثنى عن الدستور المصرى الجديد وعن ضرورة بناء وزارة ثقافة قوية, سخسوخ من الناس التى تحاول بث الأمل والرغبة والتطوير فى حياتنا.. شكرته على الاتصال..

(٢) جلست فى مطعم الجريون مع دكتور مدحت الجيار حدثنا عن الانتخابات ومصر وانتخاب الرئيس, انا محبط جدًا حاول ان يخفف بالكلام عن الأمل.. وجلس معنا الشاعر المتميز سعدنى السلامونى الوطن يكبس على انفاسنا .. ركبت المكروباص الناس محبطة وتتحدث عن الانتخابات.. من سيفوز مرسى بتاع الإخوان أم شفيق بتاع العسكر

فتشت جيوبي
لأعطيك قطعة من القمر
فاكتشفت أنني فرّقته بأكمله
على قطّاع طرق
لا تصلني إلى ركابك

"**الشاعرة سهير المصادفة**"

***

"السادات جعل الجهلاء أسيادًا وجعل العلماء متسولين"

لابد أن أرحل إلى الإمارات فهى أرض رحبة.. ليست بها حالة من الفطنة السياسية الشرسة التى فى الكويت، وهى أكثر طيبة من الكويت وأقل شراسة ولكن مرتع للنصابين والأدعياء خاصة الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين والمصريين.. الإمارات تعنى لى: حبيب الصايغ ومحمد المر وسيف المرى وظبية خميس وكريم معتوق، أسماء بنت صقر القاسمى، إبراهيم محمد إبراهيم الوليد أحمد عبدالله المرزوقي. ثاني السويدي · حسين بن سوده. سالم الجمري. سلطان الشاعر. سلطان النعيمي. مانع سعيد العتيبة. عيضة المنهالى. عبد الغفار حسين. نجوم الغانم. محمد بن حاضر. محمد الرمضاني. محمد العيدروس الهاشمى. محمد صالح القرق. الماجدي بن ظاهر، وميسون القاسمى، وعارف خاجه، أحمد راشد ثان. سيرحب بى الأحياء منهم، وسوف ألقى هناك حفاوة ودفء وطن أفتقده فى مصر.. يقول لى محفوظ عبد الرحمن فى مصر كل منا يمسك خنجرًا للآخر ليطعنه حتى ولو لم يعرف اسمه.. ستكون الإمارت واحتى.. سيد شحم فتح لى نافذة جديدة فى جريدة الوثبة.. الإمارات أرض حبلى بالأحلام.. أرض بكر.. ترى هل تستوعبنى؟ أو يستوعب المثقفون والمفكرون العرب أم أذهب إلى الكويت.. احتوت الكويت زكى طليمات، سعد أردش، كرم مطاوع، أحمد عبد الحليم، عبد الغفار عودة، محمود السعدنى، أحمد بهاء الدين، على الراعى، إسماعيل موافى، عبده بدوى، أحمد أبو زيد. محفوظ عبد الرحمن، المنصف السويسى، كمال عيد، فايز قزق، الكويت استعانت بخلاصة العقول فى الصحافة والفن والفكر من مصر وسوريا وتونس ولبنان.. الإمارات لم تستعن بأى اسم من

الأسماء الكبيرة المتحققة معظم من راح إليها سقط متاع الثقافة فى مصر والوطن العربى.. ما أسباب الخلل؟

هناك دوما فى الإمارات الرجل الثانى الذى يقود الشيوخ والمسئولين ويختار أسوأ العناصر وأضعفها، كأن هناك من يريد أن تظل الإمارات أرض البدايات والبنايات والأبراج المعجزة وأرض الفراغ الفكرى والثقافى.. ترى من المسئول؟.. من اليد الخفية التى تدفع هذا الإمارات العظيمة إلى السطحية الفكرية حتى لا تترك أثراً فكرياً، ولديها كل الإمكانيات والمواهب.. لا أظن أن قدرة الاستيعاب لدى الإماراتيين أقل من الكويتيين، ولماذا نبغت اقتصاديًا وخبت ثقافيًا؟

غير معقول؟ من السبب؟ كل السبب يعود لأشباه المثقفين الخدم.. يشعر الإماراتى أنه سيد ولديه عبيد، ربما الإماراتيون تشغلهم تجارة العقارات واللحوم والعجول، ولا يهتمون بصناعة العقول.. لا يمكن سأذهب هناك وأحاول ولم لا؟.. المحاولة شرف.. الإمارات شعبها طيب أقل شراسة وقسوة فى التعامل مع الأغراب الأجانب (العرب) من السعوديين والكويتيين [١]

دبى حلم الطامحين والشباب المجانين بالفرص.. والأطفال فى الهند يحلمون بالذهاب لها.. ترى لماذا؟ وأبو ظبى تشبه القاهرة فى حميمية المكان.. استولى التجار على الإمارات وكبسوا على أنفاس المثقفين الإماراتيين الذين استسلموا.. وذلك بخلاف مثقفى الكويت كانوا أكثر قوة وشراسة فى مواجهة التجار ورأس المال فوقف أحمد العدوانى وخليفة الوقيان وسليمان الشطى وسليمان الخليفى وسامى المنيس وأحمد الخطيب وعبد العزيز السريع ومحمد السنعوسى وسليمان الفهد وفؤاد الهاشم وحمد الرجيب وعبد العزيز حسين وليلى العثمان وفاطمة يوسف العلى وفاطمة العيسى وحمد الرجيب وصقر الرشود وعواطف البدر وجاسم المطوع وسعاد الصباح وثريا البقصمى وحميد خزعل وأمل عبد الله ومنصور المنصور ومحمد المنصور.. جيوش من الأحلام والأفكار تسبح ضد التيار.. كل أشباه المثقفين فى الكويت

---

(١) كتبت فى الفيس بوك وحشانى البنت غيداء بنتى اتمشى معها على البحر وأغنى بصوتى الوحش وهى تصرخ وتقول يا بابا بلاش تغنى الناس تقول إيه؟ كبرت غيداء وتزوجت.. وصوتى يحلم بالغناء مع البنت غيداء ونحن نسير على شاطئ الشارقة ليلا.. فى القصبة الشيخ سلطان القاسمى ناصرى مثلى ومهتم بالعمارة الإسلامية.. والقصبة رائعة جدًا. إنها مدينة تسكننى فضيلتها قبل شقاوتها..

ليس لهم مساحات كبيرة، ولا يحتلون الصفوف الأولى، فى الإمارات العكس لم يمكث اسم عربى كبير وموهبة كبيرة فترة طويلة العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق..

حتى ولو.. ولو.. لابد وأن أسافر إلى الإمارات وأحاول وأحاول..

اقتحم الغرفة جلال مقرر الرحلات فى الاتحاد وألقى أمامى بورقة :

- اقرا دى يا فتحى يا ابن رضوان يا ابن خليل
- ايه دا قصيدة شعر.. بحسبك عاوز فلوس لرحلة
- يا عم اقرا القصيدة

قرأت القصيدة، فكانت متماسكة وقوية وبها حساسية شديدة.. أدهشتنى..

- ايه دا يا ولد دى قصيدة كويسة جدا.. مين اللى كتبها.. اوعى تقول انك انت اللى كاتبها؟

أخذت يده تداعب ياقة قميصه بغرور..قلت له:

- بس دى كلها جنس وعنف ورومانسية كتبتها ازاى ياواد؟
- بصراحة.. عملت عادة سرية على صورة صوفيا لورين.. وقعدت أكتب فكتبت القصيدة..

انفجرت ضاحكًا، وكاد يغمى على وأنا أضرب الأرض بقدمى وأضرب بيدى على مكتبى..

- اوكى.. اضحك.. أنت عمال تحسس وتبوس وبنات مستنياك بالطابور.. وأنا أعمل عادة سرية.

دخلت ناهد حجازى فجأة. صافحها واستأذن فى الخروج، وهمس بشفتيه (ارررحم يا بن رضوان خليل).

جلست ناهد.. حاولت أن أقبلها رفضت بقوة وقالت:

- شخص منفلت.
- مش قوى
- ضحكنا وطلبت لها شاى[١]

---

(١) وفاء كمالو شاعرة وناقدة من طراز رفيع اشكرها على الدراسة التى نشرت فى مجلة المجلة عن روايتى نسكافيه.. وتحدثت مع زوجها الصديق الفنان القدير رضا الجمال.. مصر محور حديثنا..

عيسى صقر
الفنان الكويتى يبرز فى مجلة الفن التشكيلى

فى الخليج العربى: المطابع العراقية وحدها تنتج خمسة كتب فى اليوم الواحد.. هكذا يقول الشاعر العراقى الكبير سامى مهدى فى حديث له وبالرغم من مرور إحدى عشر شهرا من القتال فى الحرب العراقية الإيرانية، إلا أن العراق مازال فى الصدارة والريادة الثقافية فى منطقة الخليج ودوره الطليعى فى المنطقة العربية وقد توقع الكثيرون أن النهضة الثقافية فى العراق قد تتأخر إلا أن العراق يؤكد انتصاره الثقافى والحربى فى كل يوم.. وقد صدر العدد الأول من دراسات فنية وموضوعه عن "الفن التشكيلى فى الخليج العربى" تأليف شوكت الربيعى وفيه يتعرض كاتبه لواقع الحركة التشكيلية فى الخليج. يقول شوكت الربيعى":

"الفنانون التشكيليون العرب جزء من شرائح أمتهم ولهم عنها مواقف إزاء تفسير ظواهر التاريخ المستمر فى ذاكرتهم على الدوام وهذا يفسر غياب المنطلق الأيديولوجى الذى يحكم مسيرة أمتهم ويحلل مرحلتها ويفسر صراعاتها وينظم تصوراتها وطموحها ويؤشر أهدافها ويعمل على دمج ذهنية أبنائها بطبيعة العصر وتقنياته ويبلور خطط وأهداف مؤسساته المستقبلية.

ومن هنا نتواجه مع ذهنية الفنان التشكيلي وازدواجيته بين ارتماء سلفى فى أحضان التاريخ وبين طبيعة عصر يواجهه كل لحظة ويتحداه. ومن هنا يتجسد بشكل أكثر حدة التناقص بين عنصر المكان وعنصر الزمان الحاضرين إلا أن المسافة التى تتطاول بسرعة هائلة تكمن فى عنصر الزمان الحضارى الذى نعانى منه الآن فى محاولة تكيفنا مع المرحلة التاريخية المحددة التى نسعى إلى تجاوزها..

الفنان النحات الكويتى الراحل عيسى صقر الخلف أول فنان كويتى منح التفرغ الفنى في الكويت، وهو نحات ورسام زيتى، تلقى تعليمه الفنى في كلية الفنون الجميلة في القاهرة، منح جائزة الأقصر، منح لقب شيخ النحاتين،

وتقديرا لعطائه الفنى فقد سميت جائزة مهرجان القرين للفنون التشكيلية باسمه تقديرا وعرفانا لما قدمه من أعمال فنية ومنحوتات رائعة للفن التشكيلى الكويتى، أبدع في عمل التماثيل لمواد البرواز، والخشب، والجبس، كما أنه أنجز كثيرا من اللوحات الزيتية والمائية، ولديه كثير من الأعمال في مختلف بلدان العالم، ومتاحفه. انتقل إلى رحمة الله تعالى أثناء العلاج في الولايات المتحدة بسبب مرض السرطان.

كاظم..

الفصل (٢٠)
بعنوان
فى قلبى إحساس

(بأنك جنون وجمال عجينة من الياسمين والمحال
سأدغدك..)

***

بركَة

عِنْدَمَا تَجَلَّى الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْعَالَمِ الضَّجِرِ ،
بِقَرَارٍ مِنَ الْقُوى الْعُلْيَا ،
أَشْهَرَتْ أمه الْمَذْعُورَةُ الطَّافِحَةُ بِالتَّجْدِيف
قَبْضَتَيْهَا نَحْوَ الرَّب ،الَّذِي يُشْفِقُ عَلَيْهَا:
' آه ! لِمَ لَمْ أَضَع حَشْداً مِنَ الْحَيَّات
أَفْضَلَ مِنْ إِرْضَاعِ هَذَا الْمَسْخِ!
فَاللَّعْنَةُ عَلَى لَيْلَةِ الْمَلَذَّاتِ الْعَابِرَةِ
الَّتِى حَمَلَت فِيهَا بَطْنِى كَفَّارَتِى

"الشاعر بودلير"

***

الفصل دون سهر ضجر، والمدرسة موحشة قفر وفقر فى المشاعر.. لا لون لا طعم لا رائحة.. لقد خنت المهنة وقبلت تلميذتى.. إنها بنت ١٧ سنة وأنا ٢٤ سنة.. إذا نحن مقتربان فى السن.. أهوى والهوى جنون والناس لا تعرف فى الهوى إلا سئ الظنون.. ماذا سأفعل معها؟؟.. هل أذهب لها فى البيت؟.. هذا جنون.. هل أرسل لها طالبة برسالة شفهية، فضيحة. أى شئ سأفعل، وبينما أفكر وأفكر، قلت فى الفصل بصوت عال:

- وين سهر يا بنات..

أجابت ليلى رفيقتها الجديدة فى الفصل:

- والله مريضة.. بروح أزورها الليلة..

في الليل ذهبت ليلى بسيارتها إلى بيت سهر.. فتحت الباب أمها:

- أهلين مرحبًا بنتي.
- أنا ليلى رفيقة سهر في الفصل.
- تفضلي.
- وينها.؟
- هي مريضة شوي.
- لا سلامتها..

دخلت ليلى إلى حجرة سهر في الوقت الذى كانت سوسن أختها تبدل لها ملابسها؛ فقالت ليلى:

- سلامات يا قمر.. عنك أنا ببدل لها ملابسها دي رفيقتي في الفصل.

ابتسمت سوسن وتركت ليلى لتقوم بتغيير ملابس سهر وخرجت من الحجرة.. كانت أنفاس ليلى ساخنة في رقبة سهر، ويداها تداعب جسد سهر جلست على ركبتيها وقالت:

- شو رأيك بدي اعملك مساج.. جسمك يتنفس..

وبسرعة البرق راحت يد ليلى تعبث بجسد سهر.. راحت.. تدغدغ الحلمات والثدي والأذنين.. بينما العصفور يضرب بجناحيه على وجه ليلى التي صرخت:

- شو هذا؟

ضحكت سهر:

- هو عصفوري .
- آه.. قالت لي البنات هو يعشقك.
- هو قلب عاشق كما قالت خالتي شهرزاد.

تركت ليلى سهر لم تستطع أن تكمل ما بدأت بسبب العصفور..

لابد من حل كاظم في قلق

سهر تحمل فوق طاقتها.. سر قبلة كاظم.. سر الحيلة ومحاولة اغتصاب قبلة.. آه... يا قلبي.. يااااااا ويلي.. يا عيوني ي ي ي ي ي

في اليوم التالي في بيت سهر، وجدت أمها على عتبة الباب رسالة إلى سهر.. أخذتها الأم بفرح، لكن سهر فزعت.. إنها رسالة العاشق.. ترى كيف وصل إلى بيتها وعنوانها.. لا يمكن الا أن يكون شخصا مجنونًا..

سألتها أمها.. لم ترد.

الأم حبلى بالكثير والقليل والفراغ والوحدة..

خلقنا الله لنعرف قدرته ونتذوق السعادة ونتألم.. مزيج سحرى هى الحياة يا كاظم.. تدخل وردة عليه تحمل صينية المتى المشروب العجيب اللذيذ.. ثم صبت له الكوب وجلست تحت قدميه تدلك الأصابع..

- يا سيدى أنا بحبك وبدوب فيك.. وبخاف عليك.. وبغير عليك..
- ارحمينى من هذا الحب الذى سيقتلنى..
- ألف بعد الشر عليك.

أخذت تدعك أقدامه بالماء الساخن ثم نشفتها، ثم مسحتها بالكولونيا، وقطعة قطن.. ثم أخذت تدعك الأصابع بالعطر ثم أخذت تمص أصبعا اصبعا فى فمها، حتى هاج وقام عليها وضاجعها على الأرض وترك المتى تبرد على مهلها..

على مهل يا قلب على مهل..

تحمل نداء الجسد؛ فالروح تطير بنا ولا تطير.. تحط بنا على أجساد أخرى.. من المؤكد أننا ننسى عند حاجة الجسد أن أرواحنا تذهب إلى من نحب حتى لو هزمنا الجسد...

جاءت شهرزاد فى هذا المساء إلى بيت سهر، وحدثتها سهر عن الرسالة التى وصلتها على باب البيت..

تنهدت شهرزاد وهدأت من روع سهر.. وقالت وهى تحاول أن تشرح لها من يفعل هذا مخبل.. لكنه ليس راغب.. وليس كاظم وليس ناظر المدرسة.. إنه شخص آخر.. ومسحت جبين سهر..

قالت سهر:

- احك لى ياخالتى عن ما حدث مع نور؟
- بلغنى يا ست البنات.. يا حبيبة القمر.. إنه ذات مساء سارت نور مع أبيها فى السوق.. وفى ذلك اليوم الغريب شاهدها بنيامين.. التاجر المشهور المعروف والذى يعتبر الثانى فى قائمة الأغنياء.. بعد قارون.. ولمح جمال نور تلك المهرة التى تسر القلب قبل العين.. وتسر الروح قبل القلب.. وسأل عن أبيها وعنها..[(١)]

---

(١) معدة برامج لعمل لقاء تلفزيونى معى اعتذرت.. ليس عندى الرغبة فى لقاء تلفزيونى أو إذاعى.. ماذا ستقول للناس وهم السائرون نياما.. على رأى عمنا سعد مكاوى..

مرة صبغت شعرها بالرمادي
متشبهة بعجوز في البصرة
مرة شبكت يديها الصغيرتين
خلف رأسها وحكت عن القاهرة
فلمعت عيناها ودمعت عيناي

الشاعرة/ ميسون القاسمى

***

بنيامين ليس وسيماً وليس قبيحاً.. بنيامين ينافس قارون ولكن دائما يهزم فى أى صفقة تجارية.. الإسرائيليون والمصريون يحبون قارون لأنه وسيم وصوته رخيم.. وماله كثير، وهو وزير الخزانة لفرعون.. أما بنيامين فهو قريب من فرعون ولكن ليس بقرب قارون.. بنيامين أرمل منذ وقت ليس بالبعيد كل الجميلات يتمنين الزواج من رجل ثرى مثله وله قصر على النيل جميل..

يعرف الرجال بالفطرة أن النساء يحببن المال والذهب والثراء، وهو يمكنه أن يستخدم هذه الأسلحة.. الرجال لعبة النساء والنساء لعبة الرجال.. ومابين اللعب والجد يولد الحب.. واللعب عادة يكون وحشًيا وجسدًيا.. وجد العلاقة روح تجمع الاثنين.. وعندما جلس وحسب قيمة الهدايا منعه قارون ونصحه بأن المال أهم للرجل من النسوان والعيال، ففكر أن ينسى الأمر وألا يهتم أصلا بمشروع الزواج..

محب يوجعه الحب.. إذا مررتم على باب نور.. ضعوا على بابها باقة زهور.. أيها العابرون المؤمنون بموسى أو الكافرون بفرعون.. أعلموا نور أن حبى لها فاق الحدود..

راح محب يعبر الشوارع والحارات وهو يركب حصانه، إلى الساحر توت، جلس أمامه وقال:

- توت أنت ساحر وشاعر وأنا لست من السحرة، أرانى أحتاجك فى أمر هام.
- أؤمرني سيدى القائد.
- قلبى.
- أنت تقع بين الإيمان والعشق.

صهل برق صهلتين

دق الباب صاح رجل :

- يا خالتى شهرزاد مرتى عم تولد تعالي الحقينا.
- حاضر ابنى انطرنى

قامت سهر وشهرزاد، وخرجت سهر إلى بيتها، وشهرزاد مع الفلاح إلى داره..

الخيول في عيون فنانات العرب
ميسون الصادق

ميسون الصادق فنانة سعودية تتعامل مع الفرس كأنه في حالة تفرد خاصة.. إن الفرس في لوحة ميسون في حالة حرية.. إنها الفرس.. جميلة سيدة اللوحة تلك الفرس في حالة عرس وفرح وسراجها أبيض والفرس بيضاء كأنها تنتظر العريس.. إن أرجل الفرس غير واضحة إنها رقيقة جدا

اللوحة مقاس ٦٠ في ٥٦ سم

الخامـة فحم

استخدام اللون الأبيض والأسود، وهذا النوع من الدرجات والقمر من الخلف.. إن هذه اللوحة تجسد العالم الروحي وحالة من حالات التعبير عن البيئة.. إنها رؤية خاصة في التعامل مع الفحم والمساحات والتقسيمات.. اللوحة رائعة تنطلق من حالة صدق وصفاء النفس والعنصر البشري مختفيا.. في حالة اختفاء قد يري البعض أن استخدام الفحم في هذه اللوحة يفقدها عنصر التنوع ويعطي إيقاعا لونيا مملا ورتيبا ولكن الحقيقة لا.. لا

إن استخدام الفحم بهذه الدرجة من الشفافية أعطى موسيقي وغني وتنوع واضح في اختلاف الدرجات في تون الأسود والأبيض خاصة وأن الخطوط رقيقة علي سطح مستوي اللوحة.

تفاصيل اللوحة قليلة وتغلب عليها المساحات المسطحة. واهتمت الفنانة بالظلال واستخدام الرمادي والأبيض والأسود.

إن الصراع في هذه اللوحة قائم علي الصراع بين الغامق والفاتح ويقل فيها الإحساس بالكثافة والاتزان.. كما أن زمن اللوحة ليلا والمسافة بين القمر والفرس والأرض وحجم الفرس في غير اتساق ولكنها تعطينا الإحساس بالتدرج بين الرمادي الغامق الداكن والفاتح الواضح.

لماذا اختيار القمر؟

لماذا اختارت القمر ميسون القمر؟

ولماذا ألبست الفرس ملابس عرس؟

هل هذه ليلة العرس للفرس وستنطلق بعدها؟

تلك المهرة الجميلة النحيلة المعتزة بكبريائها وهي تقف شامخة في كبرياء وخجل وكأن العريس هو القمر الذي ظهر في أفضل ما يليق به من بهاء

وابتهاج.

إن عناصر اللوحة :

الفرس: البطلة (العروس)

القمر: البطل الموازي (العريس)

السماء: الأب

الأرض : الأم

في تلك الدراما تعيش اللوحة.. إن اللوحة بخطوطها تعطينا الإحساس بالصعود والرقي.. اللوحة بها إيقاع فرح بين عناصرها قد يري البعض أن اللوحة باردة وتفتقر إلى الحيوية والحقيقة هي محاولة بسيطة صادقة لإنجاز عمل فني بأسلوب جديد.. إن الفنانة داعية وراغبة في تقديم شئ جديد، وأسلوبها عذب والأداء والأسلوب في تصويرها مازالت في بداية مشوارها.. وجاءت الألوان بتدفق ما بين يديها وكانت كالتالي:

١) الإحساس باللون وتوناته

٢) الإيقاع بين العناصر

٣) الإحساس الرفيع بالجمال

إن الفنانة ميسون تسعي إلى التقنيات الرفيعة وهذا قد يلفت نظر النقاد إليها، وقد يرجع هذا إلى كونها شخصية هادئة جدا أو منعزلة وشديدة الاستغراق في المشاكل المتعلقة بفنها، وأعتقد ن الفنانة ميسون الصادق لو اهتمت برسومات الأطفال ستحقق نجاحا باهرا حيث أن ألوانها ودرجة الإحساس لديها تؤهلها لتكون من رسامات الأطفال الأوائل وهي مهمة شاقة لا يقوم بها إلا القلة من الرسامين حيث أن رسومها تتدرج من البسيط إلى المركب ثم المعقد، وفيها عنصر التشويق وسهولة الاستيعاب والوضوح والبساطة مع التركيز علي القيم الجمالية. وكل هذه الصفات هي التي تنمي في الطفل ملكة الخيال وتقوي إحساسه الفني وتذوقه الجمالي وتحافظ علي حماسة وارتباطه بالكتاب، وياحبذا لو قامت الفنانة بمزيد من الدراسة في هذا الموضوع..

إن القمر والفرس في هذه اللوحة صنوان معادل موضوعي.. القمر هو الخيال الجامع والصعود إلى عالم آخر من العوالم الفسيحة المنطلقة في

مناطق أبعد ما تكون وأقرب ما تكون.. والفرس هنا هو السفر والهجرة والانتقال السريع..

هل هذه الفرس في الصورة تنتظر الفارس كي تسافر إلى القمر؟

أم تنتظر فارسه، والفارسة ستهرب مع الفرس ليلامسا السماء وتسير على القمر ليس بخيالهما بل فى الواقع ويطلقان الخيال.

إن التابو الذي أقامه البعض حول الفن التشكيلي أبعد الناس وأبعد النقاد لأن الفنان التشكيلي صاحب المهنة متهم بالغموض..

ويعتقد أن من يفهم المساحة والخط واللون وغيرها من أدوات مصطلحية للناقد التشكيلي حق خاص لا يستطيع أن ينازعه أحد فيه ولكن الحقيقة كانت أن الفنان التشكيلي يحتاج إلى سماع الناس وأن يتفاعل معه الجمهور، ومن أجل هذا فإن مثل هذه الفنانة ميسون الصادق لو توجهت برسوماتها إلى جمهورها من الأطفال مثل رسوم قصص الأطفال فإنها سوف تصل إلى قاعدة عريضة من جماهير الفن التشكيلي من الأطفال.

إن الفنانة ميسون الصادق من نفس مدرسة الفنانة رشا منير التي حققت في مصر نجاحا في رسوم الأطفال باستخدام هذا العالم السحري للقمر والخيول والبشر والحيوانات.. إننا أمام لوحة تفجر أسئلة ونحن نعلم أن علي الفنان أن يطور ذاكرته البصرية ووسيلته في التعبير والفنان بدون رؤية وأسلوب لا يستطيع الدخول إلى قلب وذهن المشاهد ويبقى عمله عاديا. أي لن يكون عنصرا ضروريا في حياة مجتمع ووطنه.

وأعتقد أن الفنانة ميسون الصادق لديها الرغبة والطموح في لوحاتها لتكون مختلفة ومتطورة وقادرة على الدخول إلى عالم الناس وأحلامهم بشكل يثري الحياة الثقافية والفنية.

ذات مساء
والأحلام تداعب ثغر الأيام
أكلت من تفاحة قلبي
شربت من سحر الأفكار
من ساعتها..
كفت عن كل غناء

الشاعر/ أحمد فضل شبلول

***

كاظم كتب قصيدة إلى سهر أثناء اليوم الدراسى وتركها فى دولابه بالمدرسة، يقول فيها

سيدتى لك الغرور ولى الحروف والنور
سأتجرد من كل ملابسى على جسدك.
وأرسم خريطة العالم وأنسى اسمى وعنوانى وناسى.
وبين نهديك أختبئ منك لامتص رشفة من حليبهما .
وأختفى فى الميدان حيث الوطن عطش للحرية
صباح المشاعر والحب والمعرفة العالية..
صباح الفهم والإدراك ودعوة لله أن يرحمنا
صباح الروايات والحكايات وقصاصات الأشعار
صباح الجمال لعينيك الراقدتين على جناح قلبى تشعان نور الحنان..
صباح التحفظ و الانضباط..
صباح الموسيقى الفضاء والمرح الجميل
صباح السعادة المتوالية يا غالية
تعال..
غفوت عن ذكر الله ساعات ولم يغفل ربى عنى طرفة عين..
فأعاننى وقوانى وقادنى وأخرجنى من كل بلاء عظيم..
غفوت وأنا الغافى والمغامر والشارد والصاخب والمتأخر والمتردد والعاف عن قول الزور وغير مستعد للنفاق ومتفرد بالدهشة .
وخارج مقهى الحياة.
وخارج شوارع تفاصيل الروح العقيمة
وأنا الجارح والفوضوى فى العشق والهوى

كاظم

أترقب ليلي كي أصحو
وأسامر نجما أو بدر
بفؤاد منفطر آسٍ
محترق يتقطر جمًرا
عذبه الصد ومزقه
وذراه كأشلاء نثًرا
وإذا بالفجر غدا حلًما
وإذا بالليل غدا دهًرا
"الشاعرة جنة القرينى"

***

سهر فى بيتها، وعصفورها يقف على باب النافذة، العصفور يقف مشدوها.. أبوها ينتظر العريس خلال شهور وتسافر إلى الإمارات.. سهر لا يشغلها الآن إلا عصفورها، وحكاية روحها..

جاءت أخت منقذ إلى بيت سهر، وحملت بعض الهدايا التى أرسلها لها منقذ من الإمارات، زجاجتي عطر فرنسى، وعلبتي مكياج، وقطع اكسسوار.. قالت أخت منقذ:

- والله منقذ بيعد الأيام والليالى.. بينتظر الثانوية العامة تمر على خير.. ويجى وتسافر الشحرورة ..
- هى مش صباح.. مش شحرورة.. نقول سنيورة زى المصريين..

قالت الأم سلمى:

- أبوها وأنا كمان مشتاقين وأختها سوسن..
- سوسن كيف حالها؟ مع زوجها.. الطبيب..
- بخير..

تذكرت سهر أن أختها سوسن لم تأت للزيارة منذ أسبوعين، وعرفت بالصدفة من أمها أن سوسن حامل، ولم تأتها الدورة الشهرية، وتأخرت وهذا فأل خير ..

عندما همت أخت منقذ للخروج قالت سهر:

- سأخرج معك سأذهب لزيارة أختى سوسن ..

- يلا تننسينى فى الطريق.. كان بدى أروح معك أزورها.
- يلا بينا.

كانت سهر تود أن تخرج لزيارة شهرزاد لتعرف ما جرى فى الحكاية.. نور ومحب وموسى..

على بيت أختها تسير، وعصفورها فوق رأسها يطير، وعطرها يداعب شمس الأصيل التى تذهب وراء التل فى خجل.. كانت الزيارة مملة أو فاترة فزوج أختها الطبيب بخيل، ودائما يشكو الفقر وحظه القليل فى الرزق، وأن الله يرزق غيره من زملائه بحظ كبير ورزق وفير ..

لم تطل زيارة سهر مع أن زوج أختها كرم يحب أن تكون سهر عندهم فعطرها يعم المكان. ذات مرة سأل سوسن:

- شو نوع العطر اللى عم تستعمله أختك سهر؟

لم تجب.. ماذا تقول؟

قامت سهر بهدوء وهمست لأختها:

- بدى أروح أشوف خالتى شهرزاد كي تقرا لى الفنجان؟
- روحى.. بس ما تطولى الغيبة
- لا ما راح أطول ما تخافى..

فى الطريق قابلها كاظم

- مسا الخير سهر.
- مساء الخير أستاذ.
- كيف الحال؟
- بخير.. كيف وردة؟
- كيفك أنت؟
- الحمد لله.
- وأنت الحمد لله

مشت.. وقف ضائعًا فى فوح عطرها، والعصفور الذى يطير فوق رأسها.. قالت شهرزاد لسهر، وهى جالسة تشرب (مشروب المتى) أمامها ووضعت يدها على خدها وقد أحضرت لها تنكة زيت زيتون لتشاركها أكلة زعتر:

الفصل (٢١)
بعنوان
"كيف أحمل وحدي ثقلكم وحملكم وخصومتكم".. موسى عليه السلام

كان يا ما كان.. عادت نور إلى البيت بعد مقابلتها حبيب القلب (محب) الضابط الفرعونى.. جهزت الطعام مع أمها دون كلام وكأنها تضئ بروحها فى كل الأمكنة فى جدران البيت الطينية.. الحب ليس إلا طاقة تضئ النفس وكل ما حولنا.. "آه يا محب أيها الضابط الفرعونى.. أعرف أنك لى.. لى رغم أنك جنونى المسافر وأنك أوراق وردة وأنك زهرة خبأتها من السنين فى حنايا القلب ولحظة مضيئة تعد بألف سنة مما يعدون وأعرف أنك شجرة ميلاد لا تنبت أوراقها ولا تفوح إلا لحظة وجودى والحضور، وأعرف أنك تدور على آلاف النساء تجمع صفاتى ليستريح قلبك حين أغيب عن عينيك..

جلست نور بعد غسيل الصحون.. وسألت أباها الذى راح يصلح مقعدًا خشبيا وحاول أن يكلمها حتى تخرج من شرودها:

- تعالي يا نور أحكي لكِ ماذا فعل موسى بعد أن تزوج ساريس ابنة فرعون؟

قال الأب وهو يضحك بعد أن أصلح منوال النسيج الذى فى يده وجلس:

ترك النبى موسى عاصمة تانيس وراح يزور أخوته فى الرضاعة[1] وفى الطريق التقى موسى برجلين يتشاجران. رجل مصرى ورجل عبرانى من قوم موسى؛ فقتل موسى المصرى بضربة واحدة.. ضربة واحدة على وجهه، ولم يظن أن الرجل سيموت.. ودفنه فى الرمل.. جلس موسى شاردًا.. "آه يا مصر يا وطنى.. أنتِ رعد وسحب ومطر وعسل.. آه يا مصر إنى بك ينتصب ظهرى وأصير قامةً للنخل والقمر.."..كانت عصبية موسى لجنسه أقوى من حكمته.. لم ينم موسى؛ كيف يقتل رجلاً ؟.. جلس على النيل ونظر.. "عندما أسمع

---

(١) نمت ساعة. قطع النوم رنة فى الهاتف صوت شاب من الاخوان المسلمين عبد الجليل الشرنوبى يكتب قصة، وعدته أن أحضر حفل توقيع كتابه.. أخذت شاور حمام وتعطرت وصليت .. وجئت للكتابة فأفسد مزاجى بعض الرسائل السخيفة التى تخلو من اللياقة أحيانًا.. ماذا يمكن ان يفعل المرء.. طوبى للنساء اللائى شوه مشاعرهن بعض الرجال الفاسدين طوبى للتسامح فأنى اسامح الحمقاوات وأعفو كما قال رب العالمين والعافين عن الناس والكاظمين الغيظ..

صوتك يا مصر تمطر فى سماء قلبى أغانى المساء الجميل وأسمع صوت النيل والقمر.. لصوتك يا مصر أنت سحر أم أنت هبة من السماء والقدر لى.. يا مصر إنى أحبك.. ولم أقصد أن أقتل رجلاً".. وفى اليوم التالى سار موسى فى الطريق، فوجد رجلين عبرانيين يتشاجران، فقال لأحدهما بعد أن استمع إلى الخصومة:

- لماذا تضرب أخاك؟

قال له أحدهم:

- من جعلك رئيسا وقاضيًا علينًا؟.. هل تريد أن تقتلنى كما قتلت المصرى بالأمس ودفنته فى الرمل؟؟

خاف موسى، فقال لنفسه: "قد انكشف أمرى، وعرف السفهاء بما جرى، وفرعون لن يترك الأمر يمر بسهولة"..

وصل الأمر إلى فرعون عظيم مصر.. همس أحدهم فى أذن الفرعون.. صرخ الفرعون:

- ماذا تقول؟.. قتل موسى أحد المصريين.. ابن العبرانية نسى نفسه..

تدخلت حينذاك حتشبسوت أخت الفرعون، وتدخلت آسيا زوجة فرعون الثانية.. قالت آسيا:

- اغفر له وارحمه.. هو ابنك وابنى.. ربيناه هنا فى القصر واتخذناه ولداً، ولعب بين أحضانك وأحضانى، ومرح وضحك.. هو ابن القصر وابن الملوك ابننا.. وابن هليوبوليس.

قال فرعون:

- إنه جبار لا أنسى أبداً أنه شد شعرة من ذقنى وخلعها وهو طفل صغير فى المهد.. وهذا فأل شؤم من هذا الصبى. كلما كنت أنظر فى عينيه أشعر برهبة ووحشة لم أرها فى عين صبى من قبل ولا إنسان من قبل[١]

---

(١) قال هيكل فى كتاب من المنصة إلى الميدان (ان حسنى مبارك وضع قنبلة فى سلة المانجو على طائرة المهدى فى السودان فقتل الرجل).. ذهبت إلى الاتيليه جلست فى امسية سمعت أشعار وفاء امين شاعرة متميزة ولها أسلوب جميل وجلست وشربت الشاى مع الفنان سعيد الجزار وتحدثنا عن تاريخ مصر الفاطمية .. سعيد تشكيلى تجريبى..

تضحك حتشبسوت:

- هذا الصبى هو ابن القصر والعرش وصار كبيرًا وجنديًا وقائدًا.. وقاد جيوش مصر إلى الحبشة وانتصر وانتصر وانتصر؟

قال الفرعون

- هذا الفتى لا يصلى فى معابدنا لا يعترف بآلهتنا.. قلت لى يا آسيا صغيرٌ ، وعندما يكبر يفهم، وكلما كبر لم يتقدم بخطوة واحدةً نحو المعبد، ولم يقبل يد كاهن من كهنة أمون رع.. أو أى كاهن من هليوبوليس أو معبد آخر، ويذهب فى الخفاء إلى مرضعته التى اعتقد أنها أمه ولا يعود هنا إلا بطلبنا له.. والحجة دائما أنه نسى أو فى غفوة نوم، أو كان يستريح هناك..
- إنه ابنك وابنى.
- إنه ابن الإسرائيليين..
- هههههههاو ربما هو ابن الإخناتونيين الموحدين.
- لا.. لا.. لا.. هو ابن أفكار مرضعته التى أرضعته أفكارًا عنيدة ورضع منها العناد وعدم الاقتناع.. إنه لا يهتف باسمى كإله للمصريين. أنا فرعون الإله وابن الإله..

قالت حتشبسوت :

- إن موسى قوة لك ويسير خلفك هو ظلك هو قوتك وبطشك؟
- لا.. لا.. قال للجنود عندما انتصر.. يا جنود مصر إن مصر اليوم بكم تفتخر.. من أجل مصر قاتلتم عدوكم فى الحبشة ومتم من أجلها..
- هذا كلام جميل.
- أى جميل.. كان من المفروض أن يقول من أجل إلهكم فرعون قاتلوا..

قالت حتشبسوت:

- إنى أطلب السماح له.
- وأنا أرفض السماح. أنا إله قوى وفرعون قوى.. وابن الإسرائيليين لن يكون حيًا بعد اليوم.

دخلت إلى بهو القصر ساريس ابنة فرعون وزوجة موسى.. قالت:

- مولاى ماذا تقول؟ هو زوجى. هو من عاش هنا وتعلم الكتابة والعلوم وفن الحرب هنا هو من بكى وهو طفل وضحك وهو طفل هنا.. هو الطيب.. الحنون.. هو من يسهر فى الليل بجانبى وأنا مريضة يسقينى بيديه ويغطينى.. هو من أحب مصر وقاد جيشها باسمك.. هو الطفل الوديع إذا رأى حتشبسوت مريضة يبكى تحت قدميها ويبكى إذا غابت آسيا، وكان يسأل عنك دوما إذا مرضت..
- أنا لا أمرض.. أنا إله.. أنا لا أفعل مثلكم.. لا أدخل الحمام، لأن الطعام ليس له عندى فضلات.. أنا إله موسى العاصى القاتل الذى لا يعترف بالجميل، وإله كل المصريين.. لقد تجرأ على مصرى وقتله..

قالت ساريس:

- يا أبى إن موسى ابن قصر فرعون
- إنى آمر بقتل موسى فوراً، والقبض عليه ميتاً أفضل منه حياً..

خرجت ساريس وحتشبسوت وآسيا يهرولن.. قبض الحراس على ساريس حتى لا تذهب إلى موسى بينما هى تصرخ:

- لا تقتل موسى.. لا تقتل موسى.. يا أبى..

أمر فرعون بقتل موسى انتشر الخبر فى أرجاء مصر[١] جلس موسى فى كوخ بعيد كان لأبيه على النيل[٢].. جاءت أمه الحقيقية (يوكابد) مستندة على ذراع هارون إليه، ودخلت الكوخ ونادت عليه:

- موسى.. ياموسى
- نعم يا أمى .
- هل حقًا ما سمعت؟..قتلت رجلاً يابنى من المصريين؟
- وأنا مصرى يا أم.
- لكننا نعبد إلها غيرهم.

---

(١) كان الملك رمسيس أول من اخترع نظام الجنود المرتزقة فى الحرب فاستعان بهم من اوربا وآسيا وليبيا والنوبة .اذا الفراعنة أول من اخترع المرتزقة والسجن الذى سجن به سيدنا يوسف ..

(٢) قال نابليون لجنوده على ضفاف النيل اوصيكم بنساء مصر ..أيها الجنود من اغتصب امرأة مصرية لاتحل له فقد شعر باللذة والمتعة قليلًا لكنه فى الحقيقة أصاب شرف فرنسا فى مقتل طويلاً .. ومن اغتصب مال مصرى بغير حق فقد شوه وجه فرنسا الحرة (دكتور رمضان حافظ كتاب مذكرات نابليون فى القاهرة)

- هم يعبدون عشرات الآلهة فى السر ويعبدون فرعون فى العلن.
- لا تنس أنه رباك وعلمك.. وجعلك قائداً لجيوشه..
- مشيئة السماء .
- الآن هو أمر بقتلك. اذهب واستسمحه واطلب العفو..
- أعرفه ما دام أصدر قرارًا، فليست هناك فرصة يا أماه.. لقد طلب رأسى من أجل مصرى ظالم.. إن قلبه يسكنه الحقد والوهم بأنه رب العالمين.. أشم فى أنفاسه رائحة الموت.. لكل مصر..
- هذه اللحظة التى لم تحسب حسابها قط.. أن تكون عدو فرعون.. أنت تسيرك الأقدار يا بنى ارحل لقد تحطمت سفن أحلامك على أبواب فرعون.. ارحل بنى. أنت مطارد الآن من كل المصريين وقلة من الإسرائيليين يريدون ذبحك طمعاً فى الحصول على مكافأة قطعة أرض أو بعض المال أو وظيفة من فرعون..
- الإخناتونيون والإسرائيليون مصريون يشربون من نيل واحد وطعام واحد وفكرهم واحد لكن الله جعلنا شعوبًا وقبائل لنتعارف..

لم يطل حديثهما، وارتمى فى أحضانها وبكى.. بكى موسى وهو فى الأربعين.. أليست أحضان الأمهات لنا أوطاناً مهما كبرنا مع الأيام؟..

وهنا فكر موسى فى الهروب وجلس مع أخيه هارون.. يفكر فى حل..

قال هارون لموسى:

- يا ابن أمى وأبى.. يا رفيق دمى وصباى وفرحى وألمى يا شقيق الروح والجروح وخوفى وأمانى.. لابد أن تترك مصر وتهرب كما قالت أمك فأنت مطارد من الفراعنة والإسرائيليين.. إن فرعون إله وملك وثرى ونفوذ، لقد طغى فرعون وتجبر فى مصر وقتل الأبرياء واختفت البراءة فى هذه البلاد واختفى الوفاء.. لابد أن تهرب (١)

لاحظ هارون التعب و الإنهاك على وجه موسى. نظر موسى له قائلا:

- لماذا أهرب؟

---

(١) كتب هيكل (حين اراد حسـنى مبارك ان ينفى عزمه توريث حكمه لأبنه رد بحدة على أحد سائليه وهو امير سعودى (ياراجل حرام عليك .. ماذا اورث ابنى .. اورثه خرابة ..ولم يسأله سامعه متى وكيف تحولت مصر إلى خرابة حسب وصفه) كتاب هيكل

- حتى تنجو من الموت؟
- أَو أترك مصر؟ أَو أترك النيل؟.. وصباى وأحلامى.. إنهم شعبى أى عار عليهم.
- إنهم يذيقوننا العذاب.. نحن عبرانيون يا أخى نحن من نسل يعقوب (إسرائيل)
- أنا مصرى يا هارون.. مصرى أنا أدفع دمى بسبب مجرم وقاطع طريق قتلته بالصدفة مجرد صفعته مات.. أقسم سيدفع الأنجاس الحكام ثمناً غالياً للتعصب والعصبية..
- ولكنك تنسى ماذا يعمل أولاد عمومتك ونحن اليهود الإسرائيليون فى أحط المهن ، نحن العمال والنجارين والحمالين والقصابين والحدادين وحاملى التراب والرمال والصخور، وأنت يا موسى فقط الذى عشت فى قصر، ولم تأكل مما نأكل ولم تشرب مما نشرب. ونمت على الحرير.اهرب يا بن أمى وأبى ياشقيق الروح والجروح..
- ونحن اليهود أيضًا منا وزير الخزانة من عهد يوسف ومنا أكبر التجار الاثرياء..

وبينما هما يتحدثان، اخترقت المكان الأميرة حتشبسوت وآسيا وهما ترتديان ملابس تنكرية ومعها حارسان.. وقاطعت آسيا كلام هارون أخي موسى، واتجهت ناحية موسى:

- نعم يا موسى لابد أن تهرب..

انحنى موسى وأمسك يدها وقبلها.(١)

- أمى وأميرتى آسيا وأمى حتشبسوت.

قالت حتشبسوت:

- أنت ابنى منذ رأيتك تسبح فى النيل فى الصندوق، وحملتك إلى أخى واسيا.. أنت لست ابن عمران وأمك ليس اسمها يوكابد بل آسيا وحتشبسوت.. يوكابد ولدتك.. حملتك فقط لمدة تسعة شهور وطلبت

(١) تقول لى كاتبة تونسية (تونس ليست بخير) وقال محمد مغبوب كاتب ليبيا ليست بخير وأنا اقول مصر ليست بخير .. هل ثورات شعوبنا العظيمة التى قام بها الشباب ثورات هى منحة من السماء لشعوب لأتستحق الحرية بل تحب العبودية والذل ولكن الشباب فهم غلط..

من أخى الفرعون أن نربيك ونتخذك ولدًا.. أنا من أطعمتك بيدى وحملتك من الفراش، وسهرت بجانبك الليل.. أنا أمك.. لا تنس أنى ربيتك.. وكم نجحت وأنا أراك قائداً ومعلماً فى الجيش لكنى فشلت فى أن أعلمك العقيدة و عبادة آلهتنا. تهرب من المعبد كلما ذهبنا للصلاة..

قالت حتشبسوت:

- آن الآوان أن تهرب من مصر كلها. اهرب يا حبة القلب أرجوك.. الكهنة والجيش كلهم يبحثون عنك، ولولا أنى أعلم أنك تحب هذا المكان الكوخ البعيد على النيل.. جئت إليك هنا أتوسل اليك.. اهرب وانـُج بنفسك؟
- ومصر؟
- مصر بدونك ظلام يا بنى.. موسى مصر بدونك تصبح وحشة للروح.. ستسكنك مصر وأنت لا تسكنها اهرب فى الظلام.. لقد أتينا لك بأسرع حصان؛ فأهرب به ومعك السلامة وآمون.. تعلمت على يدى علوم الفلك والطب والأدب وفنون الحرب

انحنى موسى وقبل يدها ويد حتشبسوت.. برضوخ مشوب بالاحترام والتبجيل.. بكت حتشبسوت.. وآسيا التى قالت:

- وضعت فى سرج الحصان لك قربة ماء وزاد من الطعام وشجن وذكريات طفل قد كبر.. اذهب لا تتراجع.. لا تعاند، فالظلم والاستبداد والطغيان أعمى وقاتل.. اذهب لا تعاند انـُج بنفسك من أجلى.. أنا أمك التى ربتك ولم ألدك.. لا تعاند انـُج من أجل مصر التى بك تفاخر.. ولكن بينك وبين أهلها فرعون الطاغي.. ارحل لا تعاند.. اسمع ساريس زوجتك هناك عند الجبل تنتظرك لتلقى عليك السلام لا تأخذها معك حتى لا تعطى فرعون فرصة لكى يخرج بجيش قوى يطاردك ويذبحك ويذبحها.. فهمت..

هز رأسه وانطلق بالحصان ناحية الجبل.. هناك وجد شبح ساريس ومعها حصانها وكان القمر يلقى بضوء على وجهها الشاحب ودموعها التى تنهمر.. الوداع مر.. الوداع يعصر القلب ويقبض الروح قليلاً..

قالت ساريس وهى تنظر إلى موسى:

- **ستتركنا.. خذنى معك..**
- **لا أستطيع سيقلب فرعون الدنيا علينا.. ويقتلني ويقتلك.**
- **ستهرب وحدك.**
- **قدرى.**
- **الأقدار تحركنا..**

قالت والدموع فى عينيها:

- **ما رأيك أن تعلن انضمامك لدين فرعون وتعترف به إلها وتخلص نفسك من تلك الورطة.**
- **لا أستطيع أن أكذب يا ساريس.**
- **حاول أن تتذكرنى.**
- **سأفعل.**

مسحت دموعها..

- **سيدى وزوجى لا تنسنى.**
- **سأفعل..**

نرتبك حين نودع من نحب أو الأعزاء، أو تضيع منا الأحرف والكلمات..

قالوا إن أمه يوكابد لم تحضر هروبه من مصر وإنها ماتت.. صارت له أم أخرى هى آسيا.. لقد ترك فى نفوس أهله وقعا شبيها باحتراق الثمار..[(١)] لم يودع أحدًا غير هارون وآسيا وحتشبسوت وساريس وركب موسى الحصان وانطلق....

"آه يا مصر الوجع.." كان هذا السفر ضد مبادئه.. لكن فرعون وجيوشه وكهنته لقد اغتيل أحدهم ويطلبون ثأراً وقتلا لموسى.

"على الرغم من أني أنجو بنفسى من مصر فإنى أنتحر يا مصر الوطن.. الرحيل كفن والهجرة والسفر عذاب وقتل بطئ وخطر.. آه يا مصر

---

(١) منع المصريون اليهود من الاحتفال بمولد مولد أبو حصيرة عام ٢٠١١ وزيارته فى محافظة البحيرة.. وطلبوا تحليل جيناته حتى يعرفوا هل هو مصرى أم يهودى ؟؟... ويظل السؤال هل الذين آمنوا من الفراعنة بموسى والدعوة إلى إله واحد.. ألم يكونوا مصريين.. إذاً بعض اليهود جيناتهم مصرية.. ولا إيه؟

الذكريات والحب والوطن.. لماذا تفعلين معى هذا؟"

هرب موسى إلى بلاد بعيدة إلى أرض مدين (الأردن) وله من العمر أربعون سنة، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْلُونَ..

قام الأب كنعان وقامت نور إلى أمها التى ظلت طوال الوقت تصرخ

- يا نور يا نور أين أنت تعال ساعدينى..

نور تبحث عن حبيبها (محب) من نافذة البيت.

"الصدق نبى فى قلب كل منا.. منحة من الله لنا.. نحن البشر نحب البشر.. ونمارس الكذب فى كل شئ الحب والعمل والكتابة والفكر.."

حبيبى أنتظرك؛ فلقاؤك يستحق الغناء والعطر؛ فأنت ملاك وأنا أنثى النور.. وأدركت شهرزاد الجبل أن الوقت قد تأخر فسكتت شهرزاد.. صاحت سهر:

- حرام يا خالتى أكملى الحكاية..
- يا بنيتى لا أريدك ان تتأخرى عن موعدك.. أبوك سيغضب..
- المرة القادمة سنكمل الحكاية.
- غداً إن شاء الله.. .
- يا خالتى؟
- آه يا قرة عينى.. غدا إن شاء الله..

خرجت نور.. كان العصفور يقف على باب بيت شهرزاد ينتظر سهر.. نظرت له شهرزاد وقالت له:

- دير بالك عليها..

تخرج سهر من بيت الخالة شهرزاد التى تحكى عن نور حبيبة محب.. لماذا العشق والحب يعذبنا ويطوف بنا من حال إلى حال..

الفصل (٢٢)
بعنوان
أشتاق

فكر كاظم أن يرحل بعد أن تسافر سهر إلى الإمارات.. كان كاظم يريد أن يهرب من مهنة التدريس؛ دوما كان يبحث عن عمل غير التدريس لكن وظيفة مدرس كانت قدره..

"أشتاق إلى عمل آخر، عمل آخر يعنى مجهول آخر.. مجهول يسكننى أو يصاحبنى، وفى كل مقابلة عمل أثير الإعجاب لدى المسئولين.. لكن نفسية المجتمع الجاهل تكره المتميزين والمثقفين والعلماء.. إن دأب الفرد فينا يحررنا من الفناء.. كما قال الفنان عبد المنعم مطاوع"...

سأل كاظم نفسه: هل للزوج الحق أن يهجر زوجته فى السرير؟ وما المفروض أن يفعله. وكم مرة يجتمع بها فى الأسبوع.. لو كانت سهر كان سيضاجعها فى اليوم مرتين أو ثلاث.. لكن وردة مرة واحدة تكفى فى الأسبوع.. هل الزواج سجن؟ هل الزواج قدر؟ هل الزواج هو الاستقرار؟..إذاً لماذا بعد الزواج يكبر قلقنا ..

صورة وفنان
وليــد إخلاصى

السياسة ٢٧ مارس ١٩٨٢

وليد إخلاصى.. فارس من فرسان الكلمة الشجاعة من فرسان الكلمة الصدمة الكلمة "الإزعاج "..

إن فناني اليوم العباقرة قد يتهمون بالجنون لأننا فى عصر مشبوه يشبه أدبنا اليوم عصر اضمحلال الأدب فى أواخر الدولة العباسية الثانية، ولذلك فليس من السهل أن تجد فى صفوف "الكتبة" ولا أقول الكتاب من يستوعب فناً راقياً وكلمة شجاعة تصدم القارئ حتى يفيق...

وليد اخلاصى.. من الفرسان الشجعان والشجاع هذه الأيام يتهم بالجنون و.. و.. إلخ.. مجتهد بحدة يعطى القارئ أكثر من إيحاء قادم بثورة فى بناء المسرحية والقصة القصيرة.. لم تتقلص جهوده الإبداعية بالرغم من دوائر الحقد الذى يحيط به.

وليد إخلاصى شاعر موهوب مسرحي كبير قصاص مجدد، وكل فن اقتحمه مازال يقرؤه ولا تمل القراءة فيه.. فهل يمكن أن نعطى هذا الرجل قدره .

وليد إخلاصى.. كاتب سورى عربى.

ظللتُ أرقُب عوْدتك
عشرين عمراً لا تؤوبُ لأيكتي
فرميتُ نفسي في محيطِ اليأسِ أنتظر الوصال
وسبحتُ حتَّاكَ التقَيتُكْ
في خدر ربّات الخيالْ

"الشاعرة فاطمة ناعوت"

***

الشعب العربى القارى عنده زى الخارى .. (١)

فتحى رضوان خليل

دوما أبحث عن الجديد..

هى شهوة الاكتشاف أنى أنا الإنسان خليفة الله على الأرض؛ فلزامًا على أن أكون كل يوم فى جديد، إنى من خلق الله الذى هو كل يوم فى شأن..)

الشوارع ليست جميلة.. الحر شديد.. لا بد من أن أركب تاكسى.. قلت لسائق التاكسى:

- ممكن تشغل التكييف؟

أستغرب نحن المصريين لا نحب استخدام التكييف خوفًا من فاتورة الكهرباء فى البيوت وخوفًا من استهلاك البنزين فى السيارات.. يتخيلون أن استخدام التكييف فى السيارة سيدمر الموتور وسيدفع بنزينا أعلى وسيكلفه الكثير.

- آسف يا باشا التكييف عطلان..

تعودت على سماع هذه الكلمة.. تعودت فى مصر على مقعد التاكسى أو القطار أو المواصلات العامة غير النظيفة.. هذا أمر طبيعى فى مصر.. سائقو التاكسى ينظفون الجسم خارج السيارة لا داخلها إلا بالصدفة؛ فتوقع احتمالات ٩٠٪ أن يكون الكرسى متسخا بالتراب وتكتشف هذا عندما تنزل من التاكسى أن بنطلونك قد اتسخ.

أشتاق إلى ناهد حجازى، ليدها، لرأسها الذى يفكر، لرائحة شفتيها

---

(١) القارى مثل الخارى مثل شعبى فلسطينى يعنى المثقف زى الجاهل عند العرب ..

قبل أن تتزوج.. وسأتزوج من تهانى بنت محرم بك مثلى فقيرة أو أعلى درجة اجتماعيا هى من الطبقة المتوسطة مثلى تشبهنى تركب الباص.. وحين يكون لديها مالا تركب التاكسى مثلى، لكن ناهد تشدنى بجمالها وقوامها وطبقتها الأعلى وتركب سيارة فااااخرة.. أبوها ضابط جيش.. الجيش فى مصر له كل شئ والشرطة والباقى عبيد.. أنا من العبيد..

ناهد تنتظرنى فى محل تريانون فى محطة الرمل.. خدعتها قلت لها إننى عندى ندوة وعاوز أشوفها ضرورى قبلها لأنى أتفاءل بها.. الكذب الأبيض ضرورى حتى نكحل عيوننا بمن نحب وهو قمة الصدق..

دخلت بفستانها الجميل وقوامها الساحر، كل الرجال التفتوا للحضور البهى؛ فهى ليست ككل النساء هى بهاء أنثى له الحضور والمقامات....

فى أول جلوسها صافحتنى باستعلاء:

- انت عاوز ايه ياراجل انت مش حتتجوز؟ وانا كمان حتجوز؟

لم أرد.. "لو تعلمين ماذا أريد؟".. إذا سمح لى أن أقبلك فى هذا المقهى أو الشارع أو فى الحديقة أو فى ندوة سأفعل إذا سمح لى أن أضع رأسى على كتفك، ركبتك، صدرك، وأحلم سأفعل إذا سمحٍ لى أن أتوسد جسدك، قلبك، عقلك، سأفعل.. إذا سمح لى أن أصير طفلاً أمسك كفك وأرافقكٍ فى كل الاتجاهات، إذا سمح لى أنٍ أصبح منديلك، دفترك، شجرتك عصفورًا فوق رأسك يحرسك. وأصير نبضاً فى أحشاء شهوتك، وشوارع نزوتك، إذا سمح لى أن أتزوجك سأفعل الآن.. أعدك سأفعل الآن..

أخرجت مفتاح شقة متولى أشهر أعزب فى شلتنا.

- إيه دا؟

- دا مفتاح شقة فى كليوباترا.. بتاعة واحد صاحبى.. ممكن نقعد شوية هناك.

- تصدق إنك حيوان وسافل، وأنا كل ما اقول انك سياسى ومحترم وكاتب وفنان تطلع زفت.. عاوز جنس.. جنس..

لم أرد.. وضعت يدى على جبينى خجلاً..

- أنت وقح وسافل.. (لم أرد..)

- جرئ فى إجرامك.. (لم أرد..)

أحضر الجرسون القهوة لنا.. جلسنا نشرب بصمت..

- اعتذر يا قليل الأدب.. قال ثورى ورئيس اتحاد وكاتب وبتحب المسرح.. وسافل كمان. (لم أرد..)

أخرجت عشرة جنيهات وضعتها على المائدة، وقمت، أمسكت يدها، فى الشارع وجدت تاكسى..

- تاكسى

وقفت السيارة.. ركبنا. أنزل السائق العداد..

- على فين يا باشا..
- كليوباترا الحمامات

....

وصلنا إلى العنوان، وصعدنا درج السلم.. العمارة على البحر أكلها البحر برطوبته، وعندما حاولت فتح باب الشقة لم يفتح، كأن الباب مغلق من الداخل بمفتاح..

شعرت بالحرج وهى أكثر حرجًا، كنا نحتاج إلى لحظات، لكن الله منعنا من الخطيئة. نزلنا إلى الشارع..بكت هى بمرارة خجلاً وشعورًا بذنب لم يحدث.. أمسكت يدها وسرنا على البحر.. قلت لها:

- سأسافر إلى الإمارات.. قالوا فى الإمارات يولد حلم للوافد فى كل لحظة، وتغتال أحلام كثيرة فى نفس الوقت، وقالوا إنك هناك دائما انت مهدد بالتفتيش أى الطرد فى كل يوم ..ليس عيب الخليج بل العيب فى النظام الرأسمالى الذى يجعل الناس عبيدًا..[١] لم يتعلم المسلمون من سيدنا محمد أنه قسم أموال الأنصار بالتساوى مع المهاجرين حتى النساء من له زوجة ثانية يتركها لأخيه الأعزب، لكن بنى أمية أفسدوا الأمة واغتصبوا من على ابن أبى طالب الخلافة وورثوا الحكم لأولادهم ولغوا نظام الشورى.. وعندما تولى عمر بن عبد العزيز العادل الأمثل قتلته بنى أمية.. لم يتحملوا العدالة.. نحن أمة اختفت منها العدالة بعد عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز.. فى الخليج أنت عبد للنظام الرأسمالى وتطرد دون أى سبب،

---

(١) الطاغيه هو النار التى وقودها طاعة الناس وخنوعهم وخضـــوعهم له وفى تمردهم وإباءهم انطفاء هذه النار:(إن الشرارة تستفحل نارها وتعظم كلما وجدت حطبا فتزداد اشـــتعالا ثم تخبو وحدها دون أن نصـــب ماء عليها يكفي ألا نلقي إليها بالحطب كأنها إذا عدمت ما تهلك.. تهلك نفسها بنفسها.. وتمسي بلا قوة وليست نارا. كذلك الطغاة كلما نهبوا.. طمعوا.كلما دمروا.. كلما زادوا جرأة واستقووا.فإن أمسكنا عن تموينهم ورجعنا عن طاعتهم صـــاروا عرايا مكســـورين لا شـــبه لهم بشـــئ إلا أن يكون فرعاً عدمت جذوره الماء والغذاء فجف وذوي.(اتنين لابوسيه)

لذلك يصاب معظم الناس المهاجرين للخليج للعمل بجلطات فى القلب.. الإمارات عشق دافئ وقلب بارد.. مدينة تبحث عن خارطة التقدم بأي شكل وأى وسيلة.. ومصر لا تبحث عن أى شيىء " إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ".. تاريخ العبودية والرأسمالية فى العالم شديد.. فقراء أمريكا ٩٠٪ والـ١٠٪ يملكون كل شئ.. العدالة قانون السماء. والله يحب العدل..[١]...

- **انت اسمك هنا بيكبر وشهرتك بتزيد فى المسرح. حتسافر ليه يا فتحى؟**
- **السادات بيكره العقول.. بيكره الفكر.. بيحب الحشيش والفلوس والتجارة.. السادات محروم ولقى حتة لحمة، واللى بعده حيكمل الفساد شكلها كده.. مصر ميت سنة لقدام مش حتشوف نور الحرية والعدالة..**
- **انس عبد الناصر شوية؟**
- **حاضر.**

ابتسمت:

- **بحب فيك كلمة حاضر دى..**

---

(١) إن الناس يسهل تحولهم تحت وطأة الطغيان إلى جبناء مخنثين - ولا أدرى لم استخدم لابويسـيه تعبير مخنثين _ يخافون حتى من ظلهم المنطقة الأكثر ضـعفا في النفس البشرية) بوصفها المنطقة التي (تحبل بالطاغية فينا) ذلك أن ضعفنا وخوفنا كثيرا ما يفرضـان علينا طاعة القوة حتى سـاد الخوف والخنوع وتحجرت الهمم وتحول الناس إلى (حراس عبوديتهم). والمرعب فى الموضـوع هو كيف يتحول المقهورون إلى (جموع السـعداء) في خدمة قاهرهم بل كيف يتحول الخوف من الطاغية إلى ثقافة تسـود المجتمع بأكمله ويسـتمر المحكومون في عبوديتهم التي تتلبسـهم في أدق تفاصـيل حياتهم فيسـتسـلمون للقهر ويقرون بالعجز والدونية فلا يجدون أمنهم وسلامتهم إلا في الخضوع والخنوع والاستكانة و الإهانه والذل والنفاق والرشوة في تصـريف حاجاتهم الحياتية اليومية ويخضـعون لسـطوة (الطواغيت الصـغيرة) المسـتنسـخة في أجهزة الأمن ورجال الحزب ورؤسـاء الإدارات.الطاغية ببسـاطة يستقوي(بخنوع الجموع السـعيدة)يبتهج بانقيادهم وخضـوعهم له فيوظفهم كأشـياء وقوالب معدة لخدمة خياله الشخصي ولتغذية إحساسه المفرط بالعظمة الذي لا يرتوي حتى يلبس التراب. هذا الطاغية انقطع عنده كل شـعورعاطفي يربطه بالإنسـانية..ثمة شئ أسود يكمن فى أعمق أعماق فؤاده..إذ يقولون إن هذا الآنقطاع شرط مهم للغاية لممارسـة الطغيان المطلق الذي يجعل من الخوف المعنى الوحيد والأداة الوحيدة لممارسـة السـياسـة وبالتالي تصبح الحرية وحدها هي ما لا يرغب الناس فيها!.وهو ما نراه فى ما يعرف بمجتمعات الخوف. خافوا المنية فجبنوا وما علموا أن المنية لا ترد بالحيل(.مقال العبودية المختارة) هشام الحمامصى.

سرنا.. الخطوات على البحر هى غسيل للروح من الذنوب والوجع[١] كورنيش الإسكندرية يملك حكايات لايسمعها الكثير من الأغبياء[٢]

فى محطة الرمل اشترت ناهد آيس كريم ومشت..

ذهبت إلى عم السيد بتاع الجرايد والحاج الرملى أشهر موزعى الصحف.. وجدت جلال (أمين لجنة الرحلات).. لم يرني، وجدته يشترى كل المجلات الاجنبيةٍ والعربية التى على غلافها بنات بمايوه أو شبه عاريات.. وقفت خلفه هامسًا فى أذنه:

- جلجل.. جلال كل دى نسوان..

ضحك ببرود.. وقال لى ببرود وحسد :

- أنا شايفك بتاكل آيس كريم أنت وناهد.. أحلى بنت فى الجامعة.. قلت اشترى مجلات.

- يا ابنى العادة السرية دى مضرة..

- خلاص أمى حتجيب خدامة من الفلاحين.. حشتغل عملى.

ضحكنا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

---

(١) اتصـــل بى الآن المخرج المســـرحى (عباس أحمد) هو واحد من القلة المتميزين فى المسـرح إخراجاً وفهما للمسـرح ودوره وجمالياته.. هو أسـتاذ الأسـاتذة كما يطلقون عليه.. وقال لى رأيه فى مسرحيتى بوابة الميناء.. وأنها أعجبته جدا وشـدته من أول سطر فيها للنهاية ويتمنى إخراجها.. اعتبرتها شـهادة تقدير من فنان كبير مظلوم فى وطن يتنفس ظلما، وأهله كما وصـــفهم القرآن فى ســـورة الدخان القوم المجرمون.. صدق الله العظيم..

(٢) أخبرنى الكاتب والناقد عبد الغنى داود أن متحف طه حســـين يحتفل بمحفوظ عبد الرحمن.. وذهبت وحضـر محمد الســلامونى الناقد البورســعيدى وطارق الشــناوى فكتبت شـهادة فى صفحة تكريما لمحفوظ عبد الرحمن قلت فيها هو صـانع الجمال فى فن الدراما التلفزيونية وهو الفاتح فى الدراما التاريخية والفاتح فى الكتابة لمســـرح الطفل فى الكويت.. وبعد أن وصـــلت البيت أخبرنى عبد الغنى داود أن محفوظ عبد الرحمن سأله إيه الشو اللى عمله السيد حافظ؟؟؟ ندمت أنى ذهبت وأنى كتبت الشهادة وأنى أول من فكر فى تكريمه فى الإسكندرية مع قاسم محمد من العراق وحاتم السيد من الاردن وموسى زينل من قطر فى الإسكندرية فى مؤسستى رؤية لمدة ٣ أيام على حسابى الخاص فى فندق مكة ١٩٩٨

عيناك ضائعتان فى تلال من نحاس

"الشاعر أمجد ريان"

***

فتحى رضوان خليل..

الفصل (٢٣)

بعنوان

آه من قلبك الذى ينسى وينسانى

فى الصباح.. شربت كابتشينو فى كافتيريا كلية الآداب وقلبت الفنجان وانتظرت حبيبتى يديك تمسك الفنجان، وعيناك تقرأ لى ما خبأته الأيام لى، وتفتحين صندوق الدنيا وحقيبة الساحر، وتعرفين أين هرب نسر حظى وطار حين غافلنى وأنا مشغول بالنور والتنوير والحرية المضرجة بالدماء، وبلمس اللُب وبروح إخناتون فى تل العمارنة.. ثم شربت قهوة وقلبت الفنجان أمامى.. إنى أبتغى من الله الوسيلة لا لأتعلم من العلم قليلًا وأسمع البحر، وأسمع دقة قلبك فى غيابى، تركت الفنجان مقلوبًا، وقمت للصلاة[1] فى مسجد الكلية.. شباب الجامعات الإسلامية يندهشون عندما أصلى.. لم أمنع لهم مجلة أو مقالا بسبب أنهم يمنعون كل شئ، حتى الهواء حرام لنا.. كم أكره التعصب..

رحت إلى البيت.. دق جرس الباب وجدت أمامى صبرى الجمل جاء من السعودية.. دعانى للعشاء فى مطعم وقهوة فى العجوزة..

---

(١) ركبت اليوم تاكسى سائق التاكسى سألنى عندك كام سنة يا بيه؟؟ قلت له فوق الستين بكام سـنة قالى شـكلك مايبنش قلت له لأنى أنام ولا أحمل حقدا فى قلبى على أحد .. قال لى بتشتغل قلت له لا عاطل قالى باين عليك طيب ومحترم تحب تشتغل أنا اشتريت تاكسى جديد تشتغل عليه سواق وتاخد التلت قلت له أفكر ادينى تلفونك حتى لا أحرجه .. واستغربت واندهشت فى مصر أم الدنيا والتدنى كنت أستضيف ٨٦ كاتبا وصحافيا منها للكتابة في مجلة الشـاشـة فى دبى أثناء توليتى منصب مدير التحرير ولما جيت واتقفلت المجلة وقابلت الجميع لم يطلب منى مثقف واحد أو مسـئول واحد أن أكتب عنده فى جريدته أو أشـتغل معه أو عنده.. أخلاق المصـريين العظيمة قد تجدها فى سائق تاكسى عشوائى لا يعرفك أما اخلاق المسئولين وأخلاق المثقفين أخلاق العبيد الذين اشتراهم محمد على وابنه ابراهيم وأعطاهم الجنسية فصاروا مصريين وصاروا قادة وجنود فى جيش مصـر أيام محمد على بالمرة كان محمد على يشـترى يوميا ما بين مائة إلى ثلاثمائة عبد ويمنحهم الجنسـية المصـرية ويعدهم للجيش بما يسـمى الجيش المصرى حينذاك.. دول الآن اصبحوا مصريين غصبن عنا

- ها أخبرنى عن السعودية كيف المدينة هناك؟..

ابتسم وقال لى :

تركت مصر من أجل أن أهرب من إهانة البحث عن رغيف العيش.. مصر مسروقة من آلاف السنين طبقة تسرق طبقات، فوجدت فى السعودية الإهانات أكثر للمصريين.. يبدو أن الإهانة قدر مكتوب على المصريين فى الداخل والخارج، وأن المصرى يعمل هناك بحجة أنه أكل العيش مر.. انس كرامتك فى خزانة فى المطار، أيام وتعدى، الكل عبيد الريال، السادات حول الاقتصاد المصرى إلى الانفتاح.. والريال أصبح بثلاثة جنيه مصرى، وأهين الجنيه المصرى الغلبان وكذلك أهين الإنسان[1] ومشيا بجانب حائط التاريخ يبكيان.. غلبان..

ذهب صبرى الجمل إلى السعودية ليعمل فى جامعة هناك فى النشاط الفنى أو الشباب والرياضة.. تعودنا أن نجلس على مقهى الجوهرة فى العجوزة خلف مسرح البالون أو مقهى لحظة.. تذكرنا عندما سألنى وأنا أشرب الشيشة:

- حتسافر الإمارات يافتحى رضوان خليل؟
- أيوه.. حسافر.
- ومصر؟
- مصر الشعب والا الأرض ولا الزمان والا المكان؟
- الشعب.
- شعب (بزرميط) زى الأمريكان.. دائما أسأل نفسى من هم المصريون؟ أصلاً فراعنة.. ومن هم الفراعنة؟ قبائل غجرية هندية وإيرانية سكنت عند النيل، ثم نقول هذا كلام كذب.. كيف دخل العبيد بالآلاف فى عهد محمد على والمماليك وحصلوا على الجنسية، مثل أمريكا أمة المهاجرين.. قضية أصالة ونقاء العنصر المصرى مشكوك فيها مائة فى المائة.. نحن مثل الأمريكان.
- يا رجل ماذا تقول؟

---

(١) فى هذه الآونة أقصد فى تلك اللحظة ثلاثة ميكرفونات تؤذن العشاء من مسجد تحت بيتى فى العمارة.. ومن مسجد بعده بخطوات مسجد فى نصف الشارع والمؤذنون كل منهم يتبارى فى ان يرفع صوته والميكرفون .. تتداخل الاصوات .. اصواتهم غير مريحة ثلاثتهم.. ولا يكتفون بمسجد واحد.. اللهم نجنا من فوضى التعصب.. ألا يكفى مؤذن واحد بصوت جميل ومنخفض الميكرفون..

- لو فحصت فى أصول وجذور العائلات المصرية خذ عندك مثال الزعيم أحمد عرابى ليس مصرياً أصلاً وهو شرف فى النضال المصرى فى القرن السابق، فأحمد عرابى ينسب إلى والده محمد عرابى بن محمد وافى بن محمد غنيم، من ذرية صالح البلاسى البطائحى وهو أول من قدم إلى مصر من العراق وهو من ذرية الإمام على الرضا بن الإمام موسى الكاظم من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، أما والدته فهى السيدة فاطمة بنت سليمان تجتمع مع والده عرابى فى جده الثالث عشر المسمى إبراهيم مقلد.
- ماذا ستفعل فى الإمارات يا فتحى؟
- سأعمل صحفياً ؟ الكتابة عذاب وشقاء وهناء وبهاء وعناء وصفاء وغسيل للروح.. لكن السؤال لمن أكتب؟ وأنا من شعب جاهل ٨٠٪ منه و١٥٪ أمية ثقافية.. أعتقد أن الكتابة رسالة يشقى بها صاحبها فى الدول التى مثلنا فتكون تطهيرا لنا من ذنوبنا أمام رب العالمين فندخل الجنة فيكفى عذابنا بها من شعوبنا فى هذه الدنيا وهذا حالنا الشعب العربى والمصرى طوال عمرنا.. أكره الفعل الماضى وأحن وأحب الفعل المضارع.. أما فعل المستقبل لا أكتبه أبدًا الفعل الماضى من الفضة صنعه البشر والمضارع صنع بيد القدر.. أما فعل المستقبل فهو من القصدير صنعه قدر مجهول.. ويمطر عليه الرصاص رغم أن لونه أخضر، وطعمه سكر الفعل الماضى أرابيسك ومنمنمات، والفعل المضارع دفء حار ونفحة أنفاس وصور سعيدة وخوف من نحس وإشارة ضوء للروح.. طوال عمرى حزين حزن فتى مسافر فى الحروف يدركه الموت وتنقذه السماء وأتوحد مع الماء والهواء طوال عمرى أنتظرك يا عمرى..
- أنت تعيش فى رومانسية مع الكلام والحروف.. أنت مجنون يا فتحى.
- نعم.. ما الذى أتعبك هناك.. فى السعودية؟
- الجنس الثالث.. منتشر هناك يا فتحى.. هم يدعون أن الشذوذ جاء مع غزو الفرس.. ولكن لا أعرف الحقيقة
- اسمع مصر فى عهد كافور الأخشيد كان ينتشر بها الزواج المثلى

لأن كافور كان خصياً فأباح كل شئ.. وفى عهد الأيوبيين كان حفيد صلاح الدين جنس ثالث ويحكم مصر.. هذه ظاهرة موجودة.. مرض فى البشرية.. ماذا فعلوا معك هناك؟.. (يضحك)

- **لم يفعلوا شيئا.. حصلت على فيلا هناك.. وذات صباح وجدت المدير الخاص بالنشاط عقد اجتماع للموظفين المصريين.. وقف المدير السعودى وطلب من الموظفين المسئولين عن النشاط أن يقفوا كالتلاميذ أثناء كلامه لهم اندهشت[١].. شعرت بالإهانة وتداعت صور المصريين فى صفوف السخرة أمام الإنجليز التى حكى لى أبي عنها، كنت أريد أن أحقق جزءًا من أحلامى هناك بالحصول على المال، لكننى لم أتوقع الإهانة حاولت أن أبلع الإهانة داخلًيا وخارجًيا.. فكرت أن أصرخ فى وجهه كف عن إهانتنا أيها السيد النفطى.. ولكن تراءى لى وجه زوجتى وابنى وأننى إذا عدت إلى مصر سأبدأ من نقطة الصفر.. زوجتى لم ترث من أهلها مالا وأنا أخ لأحد عشر أخًا وأختا ماذا سأورث غير موهبتى لأولادى.. هل العمل فى الخليج يعنى التنازل عن الكرامة مقابل الريال السعودى، السنوات تلاحقنى.. أحتاج إلى شقة فى مصر.. يا فتحى كرامة الكاتب تسكن فى عاطفته وعقلة وتختبئ. وصوت المشرف السعودى الذى بدأ يسب ولا أحد يقدر على إيقافه أو التحكم فيه.. وبدأ الخواء فى كلماته.. فجأة جلست على أحد المكاتب الثلاثة المتفرقة فى الغرفة وصرخت فى وجه المشرف السعودى..**
- **خير فيه ايه؟**

جن المشرف كيف لا أقف صفا مع الموظفين المصريين..

- **فز يامصرى ياللى اسمك صبرى الجمل لما أحكى معك..**

---

(١) اتصلت فرحا بابراهيم اصلان لأنه أصبح مشرفًا على مكتبة الأسرة فطلبت منه أن انشر كتابا فى السلسلة.. قال ارسل.. أرسلت كتابا منشورا فى قطاع خاص.. واتصلت به طلب منى كتابا آخر منشورا فى هيئة الكتاب، وليس قطاعًا خاصًا.. أرسلت له كتابا منشورا فى الهيئة، و بعد ٢٠ يوماً مات الكاتب الكبير عمى ابراهيم أصلان (٧٧ سنة).. سألت عن كتبى فى مكتبه لم اجدها لا فى اللجنة ولا هو وافق عليها.. ولم يحرك أى كتاب لا قطاع خاص ولا عام .. أعرف إبراهيم أصلان رحمه الله منذ عام ١٩٦٤ .. لاتعليق..فى الطبعة الثانية هذه قد مات ابراهيم اصلان منذ عامين ..

لم يقف صبرى وتحدى بصمت.. خرج المشرف من الحجرة وكان آخر يوم له فى العمل هناك، والظالمون ما لهم من ولى ولانصير.. لم يبق لصبرى إلا الله.. عليه توكلت وإليه أنيب.

وخرج صبرى الجمل بواسطة رجل داعية إسلامي شهير هناك هو الشيخ محمد متولى شعرواى أحضر له الجواز والتذكرة بعد أن تم طرده من الفيلا إلى الشارع وأبلغوه أن الموظف المسئول أغلق على جوازه الدرج وسافر إلى أمريكا. حملت زوجته الطفل وظل يبحث عن من يؤويه هو وابنه وزوجته.. وعرف بعد أربعة أيام أن هناك شيخًا اسمه الشيخ متولى شعرواى فقابله فى المسجد وشكى له وساعده الشيخ الشعرواى على العودة لمصر..

- حمدا لله على سلامتك ياصبرى..

رجعت إلى محرم بك بيت خطيبتى تهانى.. تكلمنا كثًيرا وفجأة قالت تهاني:

- كلما حدثتك عن الحب حدثتنى عن مصر.. يا رجل..

تركتها ونزلت.. مررت على بيت جلال وجدته فرحا بوجود الخادمه الجديدة ضحكت وفتشت فى مكتبة أبيه وجدت كتب طه حسين أشعر بالاختناق، وجلست أقرأ طه حسين

- ما بك يا ولد يا فتحى؟

- لا شئ مجرد ضيق بلا سبب..

- ماذا تقرأ يافتحى؟

- طه حسين

- ماذا يقول؟ (١)

قال طه حسين وهو يحدثنا عن التفسير فى السيرة النبوية كان الرسول عليه

---

(١) اليوم فى الصباح رحت الشهر العقارى ورغم الزحام الشديد والعرق والحر المفاجئ اليوم جلس بجوارى شاب فى الثلاثين سألته اليوم ٩ والا ١٠ والا ١١قالى والله يا عمى أى حاجة اليوم زى امبارح زى أول امبارح كل الأيام تشبه بعض.. بعد شوية جلس بجوارى محامى عجوز قال لى انت مش مصرى شكلك مش مصرى قلت له والله مصرى بس بحب استحمى فى اليوم ثلاث مرات، وضحكنا.. قال عاوز اقولك حاجة انا محامى بس فعلا القضاء المصرى الغالبية العظمى فاسدة قلت وأنا أعتقد أيضا.. بعد ساعتين فى محطة رمسيس كنت أنتظر الباص وجلس رجل فى الخمسين على الرصيف سألته أتوبيس الأهرام من هنا قالى مش عارف ؟ قلت أمال انت رايح فين؟ قال أنا لقيت زحمة قلت قلت أكيد الاتوبيس بتاعى حيمر من هنا ؟؟؟.. وضحكنا وظل يضحك كالأطفال أكيد حييجى الأتوبيس بتاعى هنا، وركبت وتركته ينتظر.

السلام عظيما لكن المفسرين لم يفهموا عظمته وقال لو طال عمرى لفسرت ألف حديث نبوى يرضى الله سبحانه وتعالى وسورة النور التى أحبها إذا امتد بى العمر ولكن العمر لا يمتد، ولكنه يتمدد أمامك على الفراش.

ثم قرأت مقال انيس منصور فى الأهرام: قال توفيق الحكيم لأنيس منصور قبل أن يموت: أريد أن أعترف بأخطائى لك قبل أن يسألنى الملكان:

الغلطة الأولى أنى اشتغلت بالأدب أما الغلطة الثانية أنى توهمت أنها صناعة محترمة أما الغلطة الثالثة أننى أقفلت بابى وشباكى فى وجه الناس كى أنفرد بنفسى أفضل.. الغلطة الرابعة أنى توهمت أنى مع نفسى أفضل منى مع الناس.. الغلطة الخامسة أنى عرفت كل هذه الحقائق ولكنى لم أفعل شيئا.. الغلطة السادسة أنى سوف أموت وحدى كما كنت أكتب وحدى[1] إذا كانت الحياة هى العذاب والحرمان فالموت هو الراحة من العذاب والحرمان.. الغلطة السابعة أنى أصدقك الآن أنك سوف ترحل بى فى أسرع وقت فالحياة هي الكذب والموت هو الحقيقة الوحيدة.. على مهلك فى ترك هذه الحياة.. على قول المعرى "مشيناها خطى كتبت علينا.."

تركت جلال يخطط لمضاجعة الخادمة بعد نوم أبيه وأمه.. واتجهت إلى شارع محرم بك اتصلت بتهانى التى سألتنى[2]

- لماذا تتركنى دومًا فى مواعيدنا لتقابل المثقفين.. فتحى لماذا تكتب يا فتحى

---

(١) ابنى محمد فى أزمة ديون شديدة فى الشارقة وأنا مديون لبنك HSBC فى الشارقة لعنة الديون تطاردنى منذ خسرت كل أموالي الحمد لله قلت له فى الهاتف صلى واسأل الله.. سألنى هل يمكن تدبير ٢٥ ألف دولار قلت له يا حبة القلب التلفزيون المصرى مازالت عصابة على بابا هناك فى التلفزيون وأنا عاجز عن تنفيذ مسلسل.. قمت استحممت وصليت وعملت شاى وجلست أكتب فى الرواية.

(٢) يا لذل شعوب فقدت العقل ويا لبؤسها.. تسلبون أجمل مواردكم وأنتم علي السلب عيان. تتركون حقولكم تنهب ومنازلكم تسرق وتجرد من متاعها القديم الموروث عن آبائكم! تحيون نوعاً من الحياة لا تملكون فيه الفخر بشئ حتي لكأنها نعمة كبري في ناظركم لو بقي لكم نصف أملاككم وأسركم وأعماركم.. كل هذا الخراب وهذا البؤس وهذا الدمار يأتيكم لا علي يد أعدائكم، بل يأتيكم يقيناً علي يد العدو الذي صنعتموه أنتم.. هذا العدو الذي يسودكم إلي هذا المدى ليس له إلا عينان ويدان وجسد واحد.. لا يملك شيئاً فوق ما يملكه أقلكم علي كثرة مدنكم التي لا يحصرها العد إلا ما أسبغتموه عليه من القدرة علي تدميركم، فأنى له بالعيون التي يتبصص بها عليكم إن لم تقرضوه إياها؟ وكيف له بالأكف التي بها يصفعكم إن لم يستمدها منكم؟ أنى له بالأقدام التي يدوسكم بها إن لم تكن من أقدامكم؟ كيف يقوي عليكم إن لم يقو بكم؟ كيف يجرؤ علي مهاجمتكم لولا تواطؤكم معه؟ أي قدرة له عليكم إن لم تكونوا حماة للص الذي ينهبكم شركاء للقاتل الذي يصرعكم خونة لأنفسكم؟ (كتاب العبودية المختارة)

وأنت قادر ان تستخدم عقلك للتجارة.. كتابة إيه؟

قلت لها:

- الحقيقة الأزلية يا تهانى.. إننا شعب به جميع المفاسد وتراكمت من كل العصور ونحن أيضًا أكثر الشعوب العربية بل والعالمية رومانسية وعاطفة وانفعالات والعقل لدينا يعمل ببطء ثم يعود ليركن ويتوقف عاماً أو أعواماً أو قرناً ويعطل بلا سبب.. وأنا أعمل على تفسير وإصلاح وعطب العقل المصرى والعربى(١) كنت أظن أن كتاب البخلاء للجاحظ ترفيه فكرى ولكن عندما سافرت إلى بلاد العرب أوطانى اكتشفت أن العرب بخلاء فى دول الخليج خاصة ولما عدت لمصر وجدت البخل أكبر ولا أعرف أن العربى كريم أو المصرى كريم والدليل لا يوجد كتاب واحد عن كرم العرب أو المصريين حتى المقريزى والسهروردى وابن إياس والجبرتى الكل يتحدث بين الأسطر عن البخل لذلك تحية لشيخى العالم الجليل الجاحظ الآن فهمت يا سيدى لماذا كتبت كتاباً عن البخلاء فى ٨٠٠ صفحة وليس لدينا فى العرب ومصر إلا ذكر حاتم الطائى الذى لا هو مسلم ولا فرعونى كان كافرًا ولكن كريماً.. رحم الله الجاحظ.. .

- باى يا فتحى.. نفسى لما تكلمنى تكلمني عنى مش عن مصر والعرب والجاحظ باى باى .

***

سؤال تهاني دوما لى(٢)

---

(١) تزوج سعد باشا زغلول من صفية ابنة مصطفى باشا فهمى رئيس وزراء مصر .. مصطفى فهمى عميل الإنجليز فى مصر. وأصبح سعد باشا صديق اللورد كرومر.. رحب سعد بمشروع باندونج لأستخدام اللغة الإنجليزية.. ولكن رفض أن تكون الإنجليزية الأولى بحجة أن العربية لغة القرآن.. قال سعد لعنة الله على هذه الامة التى تكره أبناءها النابغين.. لم يغير شيئا عندما كان وزيرا فى وزارة التربية ولا وزارة الحقانية. وكان منهجه الاعتدال.. ويحسب له أنه استقال من الحقانية بسبب القبض على الزعيم محمد فريد دون إذنه.. وكان يحب لعب القمار وكان يبكى.. فى مذكراته كتب أنه لا يستطيع أن يتوقف عن لعب القمار ويشعر بأنها إدمان غريب مدمر.. وأنه يدمر نفسه (مذكرات سعد زغلول)... قال: إن لم أرتدع عن القمار فإنى لابد أن أستعد للانتحار.. سعد زغلول

(٢) قام الملك عبد العزيز بن سعود بإنهاء حركة الإخوان فى نجد بعد معركة السبلة فى ٢٩ مارس ١٩٢٩ واستسلام قادتها .. قام عبد العزيز الرشيد فى الكويت بكتابة

- لماذا تكتب وتحاول أن تصلح عطب وعطل العقل المصرى والعربى؟؟
قلت لها مبتسماً:
- أنت لا تدرين ماذا فعلوا مع الإمام مالك الذى كان يعمل على العقل..

عن قتيبة قال كنا إذا دخلنا على مالكخرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً قد لبس من أحسن ثيابه وتصدر الحلقة ودعا بالمراوح فأعطى لكل منا مروحة وقال لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس وإن كنت لا أتهمه في الحديث، أو صالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

تعرض الإمام مالك لمحنة وبلاء بسبب حسد ووشاية بينه وبين والي المدينة جعفر بن سليمان، ويروى أنه ضرب بالسياط حتى أثر ذلك على يده؛ فيقول إبراهيم بن حماد أنه كان ينظر إلى مالك إذا أقيم من مجلسه حمل يده بالأخرى، ولعل البعض يتعجب فيقول وما شأن خليفة بفتوى في الطلاق؟ ولكن العجب يزول عندما نعرف أن هذه الفتوى كانت أيام حركة النفس الزكية ثورة المدينة والبصرة وقد رأى فيها أبو جعفر المنصور المسوغ الشرعي لنكص الناس عن بيعتهم للمنصور بدعوى أنهم مكرهون عليها وقد ربط المنصور بين تعلم مالك على يد جعفر الصادق من أئمة أهل البيت وبين هذه الفتوى وثورة المدينة. الأئمة الأربعة عاشوا فى ظلم الجهل وقسوة الحكام وجهل الشعب..

إنى أشعر بأن كل نابه متهم.. ما فعلوه مع الإمام مالك دليل واضح..

(لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

" الأعراف: الآية ١٧"

إنهم من كثرة الضرب للإمام مالك، فقد سجنوه وخلعوا كتفه يا حبه عينى لأنه يستنير وينير الناس.. جهل الحكام وجهل العامة قتلوه.. المسلمون الجهلاء قتلوه ونرى أكثرهم للحق كارهون.. وبعد ذلك اعتنقوا مذهبه، مثلما فعل اليهود

مقالات تأييد الملك عبد العزيز بن سعود. قبلها بعام فى عام ١٩٢٨قام الرشيد برئاسة تحرير مجلة الكويت وأشـــرف عليها ومولها تمويلا كاملا من جيبه.. قرر الرحيل مع أسرته إلى البحرين هربا من الإخوان المتعصبين وفى عام ١٩٣٣ تعرض للقتل بآلة حادة كادت تسـبب له العمى .. التعصـب سـمح بتوزيع كتابه تاريخ الكويت بعد وفاته واحتجازه اثنتى عشرة سنة..

مع موسى عذبوه وكذبوه وبعدها تمسكوا بمبادئه ومثلما فعل المسيحيون مع عيسى.. نحن أمة لا تحب الاستنارة والنور.. من نبغ منا نبغ بمفرده، بقدرة الله ودفع الثمن حسداً، وجوعاًوحرباً وسجناً وقتلاً وسحلاًوفقراً.. ونمشى فى الجنازات نقول رحمه الله كان عظيماً..

وبخصوص الجنازات.. كما قال الأمير عباس حلمى الاول بعد موت جده محمد على (عباس حلمي باشا ١٨٤٩ ١٨٥٤ هو حفيد محمد على وابن أخ إبراهيم فى عهده اضمحل الجيش والبحرية فى مصر وأغلقت كثير من المدارس والمعاهد. عاش عيشة بذخ وانصرف عن التفرغ لشئون الدولة.. ظل فى الحكم قرابة الخمس سنوات، واغتيل فى قصره فى بنها فى يوليو) قال عباس حلمى فى رسالة إلى السفير البريطانى: الحمد لله صنعت جيشا فى مصر يستطيع أن يمشى فى الجنازات بخطوات عسكرية منتظمة.. (كانت أوربا وروسيا وبروسيا أجبروا محمد علي، على حل الجيش المصرى) بعد أن حل جيش محمد على المكون من عبيد كان يشتريهم كل يوم (٣٠٠ عبدٍ) ويعطيهم الجنسية المصرية، وكون جيشا عظيما.. أليست أمريكا جيشها القوى مثل جيش محمد على من كل الأصناف عبيد المال حصلوا على الجنسية الامريكية[1].. غالبية من حكموا مصر كانوا لا يفقهون إلا قليلا..

---

(١) اتصلت بى الناقدة ابتسام سعيد شفت المتظاهرين حرقوا المكتبة العلمية فى وسط البلد قلت عادى حرقت مكتبة الإسكندرية من قبل أكثر من مرة أيام البطالمة ومرة عمرو بن العاص ومرة حرق دار الحكمة قراقوش مساعد صلاح الدين الايوبى بأمر صلاح الدين الايوبى وكان بها أربعة ألف الف كتاب زى ماقال المقريزى . لا تقلقى سيدتى واغلقت الهاتف ورحت اعمل سندوتسش جبنه قريش بالطماطم ..

قراءة في لوحة للفنان " فاروق حسنى "
" دراما اللون الأزرق "
(خلفية قبل القراءة)

في عام ١٩٦٨ تعرفت علي الفنان فاروق حسني في قصر ثقافة الأنفوشي وكان قد قرأ مسرحيتي "الأقصي في القدس يحترق"، وكنا قد خرجنا من النكسة نصرخ في وجه العالم: إننا خسرنا المعركة ولم نخسر الحرب..

وشاهدت فاروق حسني في أول لوحة له كان اسمها "الأزرق العملاق" ومن يومها وأنا أتابع أعماله وهو يتابع أعمالي قد لا نلتقي بالسنوات ولكننا دائما نلتقي في هدف واحد هو الفن الرفيع..

<u>قراءة في لوحة الفنان فاروق حسني</u>

اللوحة التي أمامنا هي (اكرايليك) على قماش ٥٠ في ٧٠ سم.. يبدو فيها اللون الأزرق سيد اللوحة ومن يتابع أعمال فاروق حسني يكتشف هذا السحر الخاص بين الفنان واللون الأزرق.. لماذا الأزرق؟

الذي لا يعرفه الكثيرون أن فاروق حسني هو فنان سكندري المولد، عاش صباه وشبابه في الإسكندرية.

والإسكندرية مدينة عبقرية كما يقول الكاتب والناقد الكبير د. عبد الكريم برشيد.. مدينة البحر.. عاصمة مصر قبل الفتح الإسلامي.. مركز التجارة والآثار مدينة الفنار ومكتبة الإسكندرية القديمة.. البحر وكليوباترا.. الإسكندرية مدينة الفلاسفة، والتي عشقها الشعراء العرب والأجانب.. هي مدينة السحر.. فاروق حسني ولد على شاطئ الإسكندرية من مواليد منطقة الأنفوشي، وكان يقيم هناك بينه وبين البحر مسافة أقل من مائة متر.. يري البحر كل يوم ويمر عليه للذهاب والعودة.. وأهل منطقة الأنفوشي دائما ما يعيشون مع البحر حالة توحد كأنه واحد منهم كائن يتنفس؛ فهم يجلسون على الرصيف كل ليلة صيف ويتنفسون معه دون استحياء وببساطة ودون عقد ودون زيف.. وكنا ونحن شباب نسير علي الشاطئ في الأنفوشي وكان معنا فاروق حسني حيث كنا نكون مجموعة مسرحية تجريبية في الستينيات اسمها "جماعة الاجتياز".

البحر كان جزءاً من حياة فاروق حسني إذ اللون الأزرق جزء من حياته من تركيبته يري العالم من خلاله هو الأساس وهو الثانوي وهو الثابت

والمتحول وهو الحاضر وهو الغائب وهو المنفصل وهو المتصل..

وفي قراءة للناقدة "هند عمارة" عن هذه اللوحة تقول في هذه اللوحة مجموعة لونية متوافقة، حيث للأزرق والأسود سحرهما معاً .. أما أن يضيئهما الأبيض في قمة اللوحة، فهو أكثر جذباً للنظر وكأن الأفق بالضرورة أبيض.. إذاً فهو كذلك هذه المرة وفق صياغة الفنان كل هنا يقتحمه رمز برتقالي على شكل حرف (T) يخرق تلازم الأزرق والأسود معاً ليستقر التكوين الكلي للوحة رصينا وتمويهات (الأزرق ـ الأسود) التي تذاب في الخلفية الرمادية تزيد التوافق اللوني.

وتقول إن فاروق حسني يحول الفوضي إلىنظام بدلاً من أن يشيع الفوضي أو يكون سبباً فيها، ونتيجة لذلك فإن الفوضي لا تعود ولا تظل عنصر تفكيك وعقم وإنما تصبح قوة نشطة باعثة للبهجة".

ويقول دكتور (فؤاد مايكل):

"يعرف فاروق حسني الكم والكثير عن فنون الماضي والحاضر؛ فهو فنان مثقف، وفي الوقت نفسه فنان تلقائي فطري امتلك أدواته الخاصة ليحقق أسلوباً خاصاً في التعبير، وهو رسام معروف على مستوي العالم، وفي الوقت نفسه تطل مصريته من لوحاته، وهو يخاف من حريته لأنه مبدع أصيل ولا يملك الا أن يكون مختلفا.

وتقول الناقدة الإيطالية "لونرزا تروش":

"إن أكثر ما يصدم ويجذب في آن واحد في رسوم فاروق حسني هو الطاقة. طاقة مطلقة تنبع من الأحاسيس والعقل معا. إن لوحاته الشعرية الأصيلة والعميقة تتبع الواحدة منها الأخري كأيام حياة متتالية وتنقل الأفكار والمشاعر من خلال التصريح الصادق بالعلامة واللون وهو رسام حقيقي اختار طريق الملونين العظماء الذين أبدعوا، من (فان جوخ) إلى (جوجان) إلى (كاندنسكي) و(ماتيس)، وهو قد اختار أن يسير في الجانب الأكثر انفتاحا من طريق الألوان، وتري ذلك بوضوح في إضاءاته اللونية التي تعكس علاقه عميقة مع الطبيعة بما تضمه من عناصر".

إن فاروق حسني منذ بدايته الأولى، وهو يشعر بالقلق تجاه الفن والعالم وتنبض ألوانه بحثاً عن إيقاع خاص وتوازن خاص لعالم جديد متمرد على الواقع المعاش والحاضر.. إنه مشغول بالتجاوز.. تجاوز النفس التشكيلي الحقيقي.. يستطيع أن يكون لونا متميزاً على خارطه الفن التشكيلي العالمي أو بمعني أدق حظا.. أي أن المعادلة عنده:

اللون أزرق + تمرد = الحياة

صراع الألوان + الإيقاع = حضارة

وهنا يصل الفنان إلى حضارة، أي يحمل حضارة أمته وحضارة تجربته الفنية، ولننظر ماذا يقول "جون فاهي" رئيسٍ جمعية "ناشيونال جيوجرافيك": يعرف الأمريكيون تماما أن مصر تحوي كنوزاً من الآثار لا يمكن أن تقدر بأي ثمن، ولكن ما لا يعرفه الأمريكيون أو الأمريكي العادي هو أن الفن المصري له رؤية معاصرة تنبض باللون والحياة. ولذلك نقدم هنا في قاعة "المستكشفون" معرضا للفنان فاروق حسني لتضيف حلقة جديدة من النقاش الدائر دائما حول الحضارة المصرية ".

إذاً الفنان يساوي حضارة بكل مقايسها وبكل امكانياتها..

عرفت فاروق حسني فى أواخر عام ١٩٦٧ كنا وقتها نحاول أن نكتشف سر هزيمة اللونٍ وسر احتياج اللون والكلمة والنهوض بالفن الذي يعطيٍ مساحة للمبدع أولاً أن يعبر عن الوطن وعن همومه وعن أحلامه ثانيا ..

كنا نعلم أن الفن حضارة وأن الحضارة تعني توحد الفنون وكيفٍ تعرف الطلسم وتفسر توحد الفنون أو تماسها أو تكون أنت رمزاً أو شكلاً يخترق فلك العالم ويجتاز مساحة السذاجة والسطحية.. كنا نرى الدراما في كل شئ في اللوحة والألوان في المسرح.. في الشعر.. في الموسيقي.. في القصة.. في الرواية.. في الطبقة.. في المجتمع.. كنا نعرف أن الفن عندما يكون حقيقيا يكون حضاريا أي عالميا وعندما تكون خارج إطار التفاصيل السطحية تكون أنت وطنك وأمتك وأنت العالم..

---

(١) مجلة الثقافة الجديدة العدد ١٥٥ إبريل ٢٠٠٣ / القاهرة ص ١١٥
(٢) مجلة فنون المصرية العدد ٤ إبريل ٢٠٠٥ / ص ٩٨
(٣) نفس المرجع السابق . ص ٩٩

وحين يشرق الربيع
في الكويت
تزغرد الصحارى
فترتدي فستانها العشبي
عقدها.. أقراطها..
لآلئ الخليج
وتسكب الخزامى
والأقحوان والنوار غيمة الأريج
تغرد البلابل
ويصدح اليمام
"الشاعر خليفة الوقيان"

الفصل (٢٤)
بعنوان
النور في دمي يجرى

كاظم..

هذا يوم غريب لم تحضر سهر إلى الفصل منذ أسابيع.. إن حضور سهر للفصل يعنى حضور الحياة له، وحضور المدرسة والفصل بالطبع.. هل من الممكن أن أحضر روحها للفصل أو حضور قلبها.. كنت أحلم أن اكون روائياً. وهل لو كتبت ستكون فى مستوى كتاب "النبي" لجبران خليل جبران؟؟.. يحكى التلاميذ عن ذكرياتهم ولا يهتمون بنا.. نحن محطات أو لمبات أو شموع أو خناجر في حياتهم.. هم لا يحبون زمننا هم أكثر منا اندفاعا وأحلاماً.. زمننا غير زمنهم.. نحن زمننا يسير ببطء.. نحمل على أكتافنا عمرنا.. محكومين بعبء الماضى والوقت.. هم ينطلقون للمستقبل ونحن متجهون للموت..

مر اليوم بطيئاً.. الغروب يحط بجناحيه على الجبل.. النور يسرى فى دمنا حين نحب.. يقف فى نافذة البيت. يطل على الجبل.. فكر كاظم فى هذا الغروب.. لو يهرب ويأخذ سهر ويترك الجبل.. ويعيش فى أحد ضواحى الشام.. دمشق تتسع للغرباء كل العواصم تحتوى كل المتناقضات.. سنذوب هناك يا عمرى.. فلا يقلقنا المختار ولا التاجر شداد ولا شيخ عقل ولا تقاليد ولا عادات الموحدين. الحب لا يعترف بكل الأشياء.. الحب ملك للأذكياء والبلهاء.. همّ بالخروج من البيت، وقفت أمامه وردة[١]

- وين رايح؟
- رايح الجبل.
- آجى معاك.

---

(١) من السعادة سرقه الابتلاء منى.. كل ما اكتسبته من معرفة صار فى ٧١ كتابا والقارئ الذى أتمناه لم اقابله بعد.. كل ما اكتسبته من فهم وإدراك سقط تحت أقدام الأغبياء المسئولين على مدى ٤٠ عاما. كل ما اكتسبته من حب من جميلات ونساء أهديته حبا للوطن فى المظاهرات، وكان الوطن يسحق وينهض ومازال.. كل ما اكتسبته من الحياة عرفت أن الله هو الاول والآخر والبداية والنهاية وأن الخلود وهم نبحث عنه وأن البقاء هو فناء الجسد ورحلة الروح بين يدى الله كل ما اكتسبته من الكتابة هو العذاب والشقاء فالمعرفة ابتلاء والغباء نعيم والفهم جحيم فى بلدنا.

- لا
- انت لسه زعلان منى؟
- لا.
- آجى معك.

خرج وأغلق الباب، وسار نحو الجبل.. وفى الطريق قابل سهر..

- سهر
- هلا أستاذ كاظم.
- وين رايحة؟
- عند خالتى شهرزاد.
- سهر.
- نعم أستاذ كاظم.
- انتى ليش ما تيجى للدرس والمدرسة.. وممكن أسألك سؤالا شخصيا.. انتى بتحبى منقذ؟
- هو زوجى وبيكون إن شاء الله .
- متأكدة من مشاعرك؟
- كيف وردة أستاذ؟ والبيبى فى بطنها إن شاء الله يكون بخير..

(لم يرد.. ماذا يقول لها.. ألا ترين دموعى السجينة.. ألا تسمعين دقات قلبى؟ ألا تشعرين بأنفاسى وصهد الشتاء فى وجهى يلفحك بحنين.. عندما أراك.. أرى النور فى وجهك وأحس بالنور فى دمى يجرى.. النور فى دمى يسير)

- أشوفك بخير أستاذ... سلم لى على وردة..

مشت ببطء ومشى قلبى خلفها، والعصفور يطير فوق رأسها كأنه يرقص أو يسبح فى الهواء أو يتطاير.. يراقبها كاظم وهى تصعد.. ووقف صامتا ودقات قلبه تلاحق خطواتها وتقفز خلفها وهى تصعد الجبل.. وظل يراقبها حتى اختفت.. وقبل أن يفيق، أفزعته.. حركة يد على كتفه، فالتفت إذ يرى

أمامه راغب.. أخا وردة وابن العمدة[١]

- شو بك أستاذ؟
- لا شئ؟
- ليش واقف هون.
- بحب أطلع الجبل.
- وهو عم يحبك.. تعال نقعد على القهوة شوى تعال..

جذبه من يده وسار كاظم كطفل لا يعرف أين يذهب أو إلى أين يمضى.. أحيانًا تحولنا الحياة إلى دمى فى يد الآخرين لا ندرى يميننا من يسارنا.. لا نعرف الصواب من الخطأ..

تقف سهر أمام دار شهرزاد، وهى تمسك فى يدها بعض الكراسات.. فتحت لها الباب، أجلستها.. شربت المتى، وبينما تجهز القهوة قالت شهرزاد..

- اسمعى يا حبة القلب.. هل تحملين شيئا فى قلبك للأستاذ كاظم الآن؟
- لا
- لا تكذبين علىّ؟
- أنا أشعر برعشة خفيفة كلما رأيته.[٢]
- هل يمر على خيالك؟
- فى الحقيقة لا ولكن كلما فتحت الكراسة ووجدته يترك لى بعض الكلمات مثل إلى الأمام دوما يا سهر.. أشعر بالفرح. لكنه لايمر على بالى إلا كلما دخل الصف. الفصل.
- قدره وردة وقدرك منقذ.. الزواج أقدار..
- وقدر نور عشق محب وموسى قدره مصر .

ضحكت شهرزاد وقالت:

---

(١) أخى الدكتور عادل حافظ سـألنى عن أحوالى المالية خاصـة وأن أولادى فى دبى فى ظروف حرجة، وقال لى سـأحول لك غدا ألف جنيها.. شـكرته وقال إنه سـدد فاتورة التليفون الخاصة بي..

(٢) اتصل أخى أحمد حافظ، أخبرنى أن أخى الدكتور رمضان حافظ مريض جدا.. ادعوا له بالشفاء.. اتصل بى الشاعر سعدنى السلامونى.. حدثنى عن مستشرق أمريكى جاء أمس إلى اتيليه القاهرة بالصدفة وسمع أشعار الشعراء صدفة كما قال يجلس الأدباء على مقهى البسـتان فى انتظار مقابلة مسـتشـرق صـدفة لترجمة أعمالهم.. لكن السعدنى الشاعر الرائع أتاه المستشرق بالصدفة فى الاتيليه لأن السعدنى لا يسعى إليهم. اتصل بى الشاعر والناقد الرائع دكتور مدحت الجيار.. والكاتب عبد الغنى داود سـألنى عن رأيي فى مسـرحيته الجديدة التى كتبها بعنوان (عرابى) ..(توفى اخى رمضان منذ ٤ سنوات)

الفصل (٢٥)
بعنوان
الشقاء

- كان يامكان فى سالف العصر والأوان روحك الثانية اسمها نور وكانت فى عهد موسى عليه السلام وكان موسى قد ضرب أحد المصريين الذى تهجم على أحد اليعاقبة الإسرائيليين؛ فهرب موسى من مصر..
- هرب موسى من مصر!
- نعم هرب موسى إلى بلاد بعيدة إلى أرض مدين (الأردن) وله من العمر أربعون سنة.. أقام موسى فى بلاد مدين، وهى تسمى بهذا الاسم نسبة إلى مدين أحد أبناء إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة. وكان رئيس الكهنة فى مدين يدعى (يثرون) أى صاحب سعادة ويدعى أيضا رعوئيل. وكان له سبع بنات يقمن على رعاية غنمه[١] وذات يوم أخذت بنتان من بنات (يثرون) الأغنام لتشرب من بئر.. ولكن الرعاة الآخرين الأجلاف الخشنة قلوبهم طردوا البنات عن البئر؛ فلم يستطعن أن يسقين قطعانهن.. ولكن موسى أنجدهن وسقى لهن.. أراد كاهن مدين ويدعى يثرون أن يزوج موسى من ابنته صفورة ويسكنه معه، فقبل موسى وظل يرعى قطعان يثرون، وأنجب موسى ولدين ذكرين أسماهما جرثوم واليعازر ومكث فى بلاده أربعين سنة..

قالت نور لأبيها وهى تسمع حكاية موسى:

- يا أبى وكيف عاد موسى إلى مصر الآن.. عاد إلينا هنا؟؟
- عاد يا ابنتي وذات يوم وهو فى طريق عودته اقترب من جبل سيناء (جبل حوريب) مع قطعانه التى كان يرتحل معها هناك رأى عجبا.

إن الله ظهر لموسى عند جبل حوريب بلهيب نار وسط عليقة؛ فنظر موسى وإذا بعليقة تتوقد بالنار دون أن تحترق. فقال موسى :

---

(١) زرت الأردن ثلاث مرات .. عرفت أن الفلسطينيين يكرهون الأردنيين والأردنيين يكرهون الفلسطينيين، والمسيحيين يكرهون المسلمين ، والمسلمين يكرهون المسيحيين. صراع اجتماعى غريب. أى أردنى العزيز هل الكراهية هنا فى الأردن بالمجان مثل مصر؟ الكراهية بين العرب اصبحت أمرًا طبيعيًا.

- أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم.. لماذا لا تحترق العليقة؟ سآتيكم بنار انتظرونى هنا..

فلما رأى الله أن موسى اقترب من الشجرة ناداه من وسط العليقة قائلا:

- موسى موسى.. لا تقترب إلى هنا.. اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة إنك بالوادى المقدس طوى..

ثم قال:

- أنا إله أبيك.. إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب.. لقد رأيت مذلة شعبى فى مصر.. وسمعت صراخهم، وإنى قد علمت أوجاعهم.. سأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة.. لقد أتى إلىّ صراخ بنى إسرائيل.. ورأيت الضيقة التى يضايقهم بها المصريون.. هلم أرسلك إلى فرعون.. وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر.. اذهب إلى فرعون إنه طغى.. نزلت لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأرض إلىأَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إلىأَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إلى مَكَان الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ" لكن موسى لم يوافق على إرساله نبيًا إلى بنى إسرائيل واعتذر خمس مرات (خمسة اعتذارات) هى أنه قال لله :

- من أنا حتى أذهب إلى فرعون؟[1]

كان موسى خائفًا من اختباره وتهديد فرعون له بالقتل لأنه قتل المصرى، ولكن الله قال له:

- إنى أكون معك.

- يارب. ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم هو أرسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه؟.. فماذا أقول لهم عن اسمك؟

---

(١) كان يوما جميلا الحمد لله قرأت رواية معراج الموت للكاتب السورى ممدوح عزام هو كاتب سورى من السويداء قدم رواية رائعة تدل على كاتب متميز ومن قافلة الاستثنائيين يملك لغة مدهشة أمتعتنى.. كتبت صفحتين فى روايتى قهوة سادة ج٣ .. فطرت صباحا كوب بليلة بدون سكر لأنى زدت فى الوزن صرت ٩٠ ك أحتاج أن اخس عشرين ك .. تغديت قرنبيط باللحم.. نزلت إلى معرض فى الاتيلية للفنان التشكيلى مصطفى سليم أعجبنى عنوان المعرض حيوانات مصطفى سليم يعرض من خلاله تجربة الفنان بإيجاد علاقة بين الأشكال والأحجام المختلفة للحيوانات مع اللوحة والمساحة في العمل الفني، فالوجود المكاني للحجم الذي يشغل الهواء المحيط، يقابله وجود روحي يشغل الحياة.

فقال الله:

- أهيه هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم.

(وأهيه اسم عبرى معناه الكائن الموجود بذاته بلا بداية له)

واعتذر موسى لله قائلا:

- إنهم لن يصدقوننى ولا يسمعون لقولى.. بل يقولون لم يظهر لك الرب؟

فأعطى الله موسى ثلاث معجزات، ليقنع بنى إسرائيل أنه مرسل من عند الله. المعجزة الاولى عصا موسى التى تحولت إلى حية، فهرب موسى منها ثم عادت من جديد عصا ثم يد موسى. قال الله لموسى: أدخل يدك فى عبك، فأدخلها ثم أخرجها وإذا يده البرصاء (بيضاء) فقال الله لموسى:

- رد يدك إلى عبك، تعد سليمة من جديد.. وإذا لم يصدقوك بسبب المعجزة الأولى تحويل العصا إلى حية فإنهم سيصدقونك بسبب المعجزة الثانية.. وإذا لم يصدقوا المعجزتين، فعليك أن تأخذ من ماء نهر النيل وتسكب على الأرض فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دمًا على الأرض..

اعتذر موسى قائلا للرب:

- ـ استمع أيها السيد.. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس، ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان..
- ـ "اذهبا إلى فرعون إنه طغى.. قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيًرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً". "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبِّح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون".

فرعون تجبر وعتا وطغى وبغى وآثر الحياة الدنيا، وأعرض عن طاعة الرب الأعلى، وجعل أهلها شيعاً ، أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع، يستضعف طائفة منهم، وهم شعب بني إسرائيل، الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقد

سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرداها وأدناها ومع هذا (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين).[١]

وكان بنو إسرائيل يتدارسون فيما بينهم ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك - والله أعلم - حين كان جرى على سارة إمرأة الخليل من ملك مصر من رغبته إياها على السوء وعصمها الله. وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل فتحدث بها القبط (القبط تعنى المصريين) فيما بينهم ووصلت إلى فرعون فذكرها له بعض أمرائه وأساورته وهم يسمرون عنده فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذرا من وجود هذا الغلام ولن يغني حذر من قدر. وها قد عاد موسى إلينا بعدعشر سنوات.. وفى التوراة ٤٠ سنة.. كان جدك شاهده وحكى لنا جاء هذه الأيام.. يحمل الرسالة

أكمل كنعان (أبو نور)

- وجاء موسى إلينا بعد أربعين عامًا صار فى الثمانين جميلا وسيمًا طيبًا...[٢].. نعم وذهب موسى وهارون إلى فرعون مصر وقالا له: إن الله يريد منك أن تطلق بنى إسرائيل فى الصحراء ليعبدوه وليقدموا له الذبائح، ولكن فرعون رفض وزاد من إرهاق بنى إسرائيل وتسخيرهم وقال لهم: "متكاسلون أنتم لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب.".. وغضب رؤساء بنى إسرائيل من موسى وهارون وقالوا لهما

---

(١) أخى الدكتور رمضـــان قرأ القرآن ألف مرة وحفظه وتألق فى فهمه والكتابة عنه وانضم للاخوان المسلمين وسبقهم فكريا فتجنبوه وهو لم يتجنبهم اما انا استمع كل صباح إلى اذاعة القرآن واطلق البخور واخد حمام واصلى واشرب نسكافيه ثم اكتب ساعة ثم اتصفح الجرائد ..كلما استمعت القرآن اكتشفت شيئا جديدا وكذلك الآنجيل والتوراة هى حيرة المعرفة والعشق لله وفى الله والبحث وراءه؟؟

(٢) أرسـل لى اخى عادل دعما ماليا، ألف جنيها لهذا الشـهر، حدثنى عن مشـاكل سـهل العجمى فى المجلس الوطنى لا يريد شـراء كتابه الكويت شـمس لا تغيب .. وبعدها حدثنى بهيج إسـماعيل بأن أحمد عبد الرازق أبو العلا اوقف مسـرحية له وطلب من المخرج أن يغير النص وعندما أصر المخرج على نص بهيج قال له أحمد عبد الرازق خليه يتنازل عن أجره.. قال سـأتنازل وأنا أحتاج سـبعة آلاف جنيها من المسـرحية.. قال لى ما رأيك قلت له اذكر آية (ويمنعون الماعون) أى الرزق السـهل الذى يجئ إليك سهلا..

عاتبين:

- أعطيتما فرعون سيفًا ليقتلنا.. ويرهقنا ويذبحنا. أى رسالة تحملان لفرعون..

فتضايق موسى واحتج على الله لأنه أرسله إلى هذا الشعب (الشعب المصرى).. وقال الله مشجعا له :

. الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون؛ فإنه بيد قوية يطلق بنى إسرائيل، وبيد قوية يطردهم من أرضه. أنا الرب أخرجكمٍ من تحت أثقال المصريين، وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلصكم وأتخذكم لى شعبًا، فتعلمون أنى أنا الرب إلهكم.. كان الله يحب شعب مصر ويريد أن يهديه فأرسل لهم موسى كليمه..

بكت نور.. وقررت فى نفسها أنها ستذهب إلى موسى فقد دلها أحدهم على ابن موسى اليعاذر.. الذى جاء معه وهو رجل طيب وعمره الآن ٤٠ عاما..

الليلة غير كل ليلة يا محب، أنت الذى تعرف قيمة الانتصارات والهزائم، أنت من تعرف قيمة المجد العسكرى، رأته أمه شارداً.. قالت له:

- ما بك؟

- لا شئ.

- هامان وزير فرعون يريدك. ادعى أنه مريض، ولم يتحرك من الفراش.. تركه هامان.. راح شاردًا..

كيف تضعف فى لحظة وتتحدث مع أنثى إسرائيلية.. شئ ما يجذبك إليها.. إنها لا تفارق خيالك يا محب.. لا تفكر بها.. فكر فى المجد الذى يرتفع بك للعلا مع فرعون. لقد حصلت على خوذة جديدة من فرعون أهداها للفرسان المميزين. إن عبء الخوذة ثقيل على الرأس، وعبء الحب على القلب أثقل.. حب؟ حب؟ هل أنت تحب يا محب؟... أنت تتعامل مع النساء للجنس فى الفراش فقط. لتتأوه النساء، وتنتهك السرير وتجهده وتجهدها..

هو فارس فى الفراش وفى الميدان لا يعرف الرومانسية، وقال له كاهن خبيث فى المعبد.. سر قواعد الإمتاع الذى يجب أن يمارسها قال له:

المطلوب الأول تفريغ نفسه من المشاغل والهموم قدر الإمكان فالاستمتاع

الجيد بالجنس يتطلب حالة نفسية جيدة في أغلب الأحيان[١] أيضًا لابد أن يكون جسمه في حالة جيدة من النشاط فممارسة الجنس والبدن مرهق ومتعب لا تساعد على الاستمتاع بالجنس؛ فالبدن المرهق المتعب الذي أضناه السهر لن يستمتع بالجنس كما يستمتع البدن النشيط الذي أخذ بحظه من الراحة وليس معنى هذا عدم ممارسة الجنس في ساعات الليل المتأخرة ولكن لابد أن يكون البدن مرتاحًا نشيطًا، وله مكان خاص يتم فيه ممارسة الجنس ولابد أن يكون مهيئا وهذا يختلف باختلاف الأذواق والمقصود أن لا تكون هناك منغصات أثناء العملية الجنسية.. محب يبدأ التهيئة للاتصال الجنسي بالكلام والقبلات والمداعبات، وغير ذلك من حركات مثيرة للشهوة وتساعد على التهيئة للاتصال الجنسي .

عندما يصبح مع أنثى في حالة إثارة كاملة (وهنا لابد أن يراعي بعضهما البعض فأحيانا يصل الرجل إلى الإثارة الكاملة والمرأة لم تصل بعد أو العكس) حين يصبح في الإثارة تبدأ عملية الاتصال بين الجسدين ويمكن ممارسة الجنس بأوضاع مختلفة ويستمر النكاح حتى يصل الطرفان إلى بلوغ اللذة النهائية وهي القذف عند الرجل والرعشة عند المرأة[٢]

بعد نهاية الاتصال الجنسي تحتاج المرأة أكثر من الرجل إلى كلام لطيف وقبلات خفيفة وهو يفعله محب.. ويقوم محب أيضا باحتضانها لبضع دقائق وهذا ما يهمله معظم الرجال وهو مما يفسد متعة الجنس عند النساء، لكن لم يلمس نور ويرتبك أمامها، ويفكر فيها طوال الوقت.

الأمور كانت تسير للسوء سريعا بين الإسرائيلين المصريين وبين فرعون مصر.. خاصة بعد عودة موسى إلى مصر...كان فرعون جالساً على كرسيه المذهب وبجواره رئيس وزرائه هامان رمز الفساد وناهب خيرات العباد ومرعب أمن البلاد، وكبار الأشراف والقوم، فلما استأذن الحارس لدخول موسى

---

(١) أخذت حفيدتى كادى ٦ شهور معى فى الاحتجاج امام مسجد القائد ابراهيم.. ورسمت علم مصر على خديها وجعلتها تسمع هتاف حكم القضاة باطل والشعب يريد تطهير القضاء..

(٢) تقول لى تونس ليست بخير وقال لى ليبيا ليست بخير وأنا اقول مصر ليست بخير.. هل ثورات شعوبنا العظيمة التى قام بها الشباب ثورات؟ هى منحة من السماء لشعوب لا تستحق الحرية بل تحب العبودية والذل ولكن الشباب فهم غلط.

وهارون أذن لهما فدخلا وقال موسى:

- السلام على من اتبع الهدى. فقال فرعون:
- من؟ موسى.. الذى ربيناه صغيراً وقتل وهرب وهو من العاصين الكافرين بنعمة ربه فرعون.
- لم أهرب ولكنى خفتكم، ولم أكفر فضلك ولكنى أقر به.. وأنا رسول رب العالمين إليك.

فقال فرعون:

- وما رب العالمين يا موسى؟

فقال موسى:

- رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . فقال لمن حوله: ألا تستمعون ما يقوله موسى وهارون؟..

فقال موسى:

- الله ربكم ورب آبائكم الآولين.

فضحك فرعون ساخراً وقال:

- إن رسولكم موسى الذى أرسل إليكم لمجنون. وما رب العالمين يا موسى؟
- رب المشرق والمغرب وما بينها إن كنتم تعقلون.

فقال فرعون مهدداً:

- لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين.

فقال موسى:

- أو لو جئتك بشئ مبين؟

فقال فرعون:

- فأت به إن كنت من الصادقين.

فألقى موسى عصاه فإذا ثعبان مبين ضخم يتحرك هنا وهناك ففزع القوم أجمعين. واتجهوا إلى الوراء خائفين ومن بينهم فرعون. ثم أمسك موسى بالعصا بعد أن قال بسم الله فعادت إلى سيرتها الأولى ثم أدخل موسى يده فى صدره ثم أخرجها فإذا هى بيضاء للناظرين. دهش القوم وأعجبوا بما رأوا وشاهدوا ولكن فرعون استعاد وعيه وقال:

- ما هذا إلا سحر مفترى. وقال هامان:

- نعم هو سحر وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين. فقال موسى:
- ربى أعلم بمن جاء بالسحر ومن جاء بالهدى من عنده. ومن تكون له عاقبة الدار. إنه لا يفلح الظالمون.

فقال فرعون [١]:

- يا موسى أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك وتفتننا فى ديننا. فلنأتك بسحر مثله.

ثم نادى فرعون على هامان قائلاً:

- يا هامان اجعل بيننا وبين موسى موعداً لا نخلفه، نحن ولا هو مكاناً سوى. يجتمع فيه السحرة مع موسى. فقال هامان:
- سمعاً وطاعة.. وقال موسى لفرعون:
- موعدكم يوم الزينة "يوم العيد" وأن يحشر الناس ضحى بعد شروق الشمس صباحاً

وقال فرعون لكبار القوم والوزراء بعد انصراف موسى وهارون:

- إن موسى هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم بسحره من أرضكم فماذا تأمرون؟

فقال أحد أعوان الملك:

- مولاى.. أرجه وأخاه فى المدينة هنا، وابعث فى المدائن طالبين وحاشدين كل سحار عليم، فإذا اجتمع السحرة لميقات يوم معلوم، جمعنا الناس معهم أجمعين ليروا سحر موسى وغلبة سحرة فرعون العظيم.

بدأت الدعاية بين الناس حتى يتجمعوا يوم عيدهم لمشاهدة مبارة بين موسى وسحرة مصر أجمعين (أكثر من ثمانية آلاف ساحر) وكان على رأسهم خامواس أعظم سحرة فرعون كان يستطيع استحضار الموتى من القبور وأعادتهم، وكانت ثقة أعوان فرعون به، تفوق ثقة موسى بربه أو تماثلها،

---

(١) من كتاب أنبياء الله والفراعنة الطغاة من إدريس المرفوع إلى مبارك المخلوع للدكتور رمضان حافظ. اتصلت بالشاعر والناقد الدكتور أمجد ريان .. سافرت حفيدتى كادى مع أمها أوحشتنى البنت العكروتة.. وجاءتنى رسالة من الكاتب الامريكى آرون ليرنر يقول فيها أنه يصلى من أجل مصر أن تمر من محنتها ومصر لا تصلى ..

لأن أصحاب الفكر الخرافى، لديهم القابلية للاستهواء، والإيمان بالأكاذيب والتخيلات، والثقة العمياء دون مقاومة أو معارضة أو مناقشة.

لبى السحرة دعوة فرعون، وكانوا فرحين وواثقين فى أنفسهم، وزيف دعوتهم؛ فملايين المصريين يصدقون أقوالهم ويثنون عليهم وماذا يعنى موسى بالنسبة للمصريين؟

فرد واحد من الملايين فطلب كبير السحرة مقابلة فرعون وقال له:

- مولاى الفرعون.. آئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين.

فقال فرعون :

- نعم أنت وجميع السحرة لكم أجر عظيم وستكونون من المقربين.

ذهب كبير السحرة خامواس إلى أعوانه وبشرهم بالبشرى العظيمة، ووعود فرعون لهم، وقال لهم:

- إن هذان لساحران (موسى وهارون) يريدان أن يخرجاكم من أرضكم (مصر) بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى

وفى ضحى يوم العيد كان الميعاد، وجاء أهل البلاد من كل فج وصوب، إلى الساحة العامة لمشاهدة مهرجان السحر، فقد كانت المناقشة بين رجلين يدعيان النبوة (موسى وهارون) وملك البلاد وسيد العباد وأعوانه السحرة (ثمانية آلاف ساحر) وليروا لمن تكون الغلبة؟.. فقال موسى للسحرة قبل بدء المنازعة والمنافسة:

- يا معشر السحرة، ويلكم لا تفتروا على الله كذباً ، فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى.

فزع السحرة وأخذوا يتهامسون، وقال أحد كبارهم وقد كان أعمى النظر بصير القلب والعقل لأحد أعوانه هامساً:

- هل رأيت عصا موسى حين تحولت إلى حية؟

فقال له: أجل..

فقال كبير السحرة:

- وهل ثعبان موسى له ذيل يتحرك بقوة وجسم ينتفض واقفاً كالجان؟ فقال:

- أجل.. وعزة فرعون.. فقال كبير السحرة إنه لصادق.

جاءت لحظة التحدى. موسى يريد أن ينصر الله ويحق الحق ويعلنه ويبطل الباطل ويهزمه والسحرة يريدون أن ينصروا فرعون الإله الكذاب؛ فقال خامواس كبير السحرة لموسى:

- يا موسى.. إما أن تلقى عصاك وإما أن نكون نحن الملقين لعصينا.

فقال موسى:

- بل ألقوا عصيكم أنتم.

فألقى ثمانية آلاف ساحر قوى عصيهم وحبالهم فى لحظة واحدة، ومشهد مثير، فسحروا أعين الشعب المصرى المشاهد فى الساحة.. فبهت القوم وقال باخواس كبير السحرة:

- بعزة فرعون إنا نحن الغالبون..

وقال موسى وهو خائف بعض الشئ :

- بعزة الله إنكم اليوم لمهزومون.. (يقصد المصريون الذين يؤمنون بفرعون إلهاً).. بسم الله..

وألقى موسى عصاه وسمى، فإذا حية عظيمة ضخمة، قوية العضلات، تنتفض وترتفع إلى السماء وتخيف كل من فى الساحة وترعبه. ويتراجع الجميع للوراء ويمسك كل واحد بمن يجلس إلى جواره طلباً للأمن. وتتجه الحية إلى ثمانية آلاف حية وحبل لتبتلعهم أجمعين؛ فصاح موسى وخلفه هارون:

- الله أكبر.. جاء الحق وزهق الباطل وبطل ما كنتم تعملون.

خر خامواس كبير السحرة ساجداً لله فى وسط الساحة وتبعه ثمانية آلاف ساحر سجدوا لله رب العالمين، وقال كبيرهم والساحرون يرددون وراءه آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

وقال السحرة فى آن واحد وراءه: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.. (آمن ٨ آلاف ساحر مصرى برب موسى ودعوة الله لوحدانيته)

فكر فرعون بسرعة ونظر إلى هامان.. همس هامان فى أذنه: وافق يا مولاى على انتصار موسى..

صاح فرعون:

- أنا لا أمنع أى فرد من الاسرائيليين من الإيمان، وإننى كما تعلمون قد جعلت من بنى إسرائيل وزرائى ومنهم قارون أكبر التجار والأثرياء فى

مصر وهو ابن خالة موسى.. كلكم مصريون.. ولكن كل من نطق بكلمة كفرت بفرعون لابد أن يعاقب. هذا هو القانون، نحن دولة القانون، لأن فرعون رمز مصر وقوة مصر وهذا تطاول علىّ سأصلب وأعاقب من فعل هذا.. أما الذين آمنوا بموسى من المصريين فى الخفاء فهل يتقدمون لنا لنمنحهم سكنا وأرضا وبيتا من حجر..

كان فرعون يريد أن يعرف من فى المصريين الذى آمن بموسى فى الخفاء ليكشفهم هى خدعة حتى يعرف أسماءهم وعناوينهم ويمنحهم بيتًا فى أحياء الأثرياء.. أما الفقراء فكان ينكل بهم فى الخفاء.. أما من تطاول عليه فعلقه على صليب، وجعل فرعون من أذكيائهم سادة على بنى إسرائيل، وجعل لكل الطوائف آلهة وأرباب، وطبق سياسة فرق تسد والوحدة خير من الجماعة، والعزلة خير من رفيق السوء وليس فى الإمكان أبدع مما كان، ومصلحة مصر أهم من أى جماعة أو إنسان. ومصر هى فرعون وفرعون هو مصر ومن عادى مصر فقد عادى فرعون وجائزة الفرعون وهامان لمن يبلغ عن أى فكر معادي لفرعون فى أى مكان.

ولكن فرعون الخبيث تدارك الموقف الصعب وهب واقفاً صارخاً فى السحرة الساجدين:

- ويلكم أيها السحرة الكفرة.. آمنتم لموسى قبل أن آذن لكم؟ إنه لكبيركم الذى علمكم السحر.. إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة معه لتخرجوا منها أهلها، وهذا يخالف القانون.

تصدع صرح الألوهية فى الساحة الكبيرة وكادت أن تهوى هيبة الملك المؤلمة، وينتهى ليل الكفر والطغيان والاستعباد؛ فصرخ فرعون مهدداً:

- أيها السحرة الملاعين.. بعزة فرعون وأبيه لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين فى جذوع النخل وأعمدة الخشب لتكونوا عبرة للعالمين.. اقبضوا عليهم.

هجم الجنود بوحشية على عباد الله المؤمنين الذين كانوا السحرة الكافرين منذ حين، وفى مشهد مأسوى مثير ومرعب ومفزع دق جنود الطاغية فرعون وبأمر وزيره (٨) آلاف صليب خشبى وصلبوا عليهم جميع السحرة المؤمنين فى شوارع الشهداء بالمدينة، ليراهم الناس فيفزعوا وإلى طاعة فرعون

يهرعوا، ويظلوا على كفرهم بالله، وإيمانهم بفرعون الإله. فقال موسى: أرسل معى بنى إسرائيل، فقال فرعون:

- على شرط أن تدعو ربك ليبارك لنا فى زرعنا فقد تشاءمنا منك ومن قومك فما قولك؟

اتفق موسى وفرعون أن يدعو الأول ربه أن يرفع غضبه ويعالج القحط والجدب وينزل الغيث والمطر فى مقابل أن يسمح الثانى بخروج موسى وقومه من مصر إلى سيناء. استجاب الله دعوة موسى ونفذ وعده وعاد الماء يجرى فى أرض مصر كما كان، ولكن فرعون كان سريع النسيان؛ فتنكر لوعوده واستشار وزيره هامان، فقال له:

- أرى يا مولاى أن يبقى الحال على ما هو عليه وعلى المتضرر اللجوء للبرقاء

اهتز إيمان المصريين بألوهية فرعون وكاد أغلبهم أن يؤمن برب العالمين رب موسى وأصبح معظم المصريين يهوداً، إذ اجتمع فرعون مصر ومعه سحرته وحراسه وبينهم محب(١)، واجتمع الإسرائيليون مع موسى فى الساحة أمام قصر فرعون.. وقفت نور بجوار أبيها تمسك فى ثوبه وهى خائفة.. وقفوا فى ساحة القصر، ولمحت من بعيد محب يقف خلف فرعون.. دق قلبها دقة له طارت كعصفور بين الشرق والغرب يهدهد الأحلام ويرسل السلام.. قال فرعون لموسى:

- اسمع يا موسى هات علامة أخرى من ربك..

وضع موسى يده فى عبه.. وأخرج يده فصارت بيضاء.. صاح الناس: ها.. قال فرعون مكفهرًا: أرني إشارة ثالثة يا موسى.

قام موسى وسكب ماءً من نهر النيل فصار دماً(٢)

---

(١) وصف القرآن الكريم المصريين بالقوم الظالمين والفاسدين والمجرمين.. دعاة النار.. المنكرين.. المستخفين بالعقول.. ووصف فرعون بالطاغية.. ودخل الدين اليهودى مع نبى الله موسى الآلاف من المصريين سرا أو علانية !!!!! الإنسانية واحدة فعلام يختلفون..

(٢) كلمة نبى بمعنى الرسول تأتى من نبأ وما معنى هذا فى العقل مما يدل على نبوءة مثل تنبأ ونبأ ونابا. فإن فيها معنى الاخبار ويلوح لنا أن اليهود استخدموها وحولوها إلى نبى.. أما معناها عند الفراعنة نب فى اللغة الفرعونية يعنى سيد وقد تنسب الياء ياء المتكلم تعنى سيدى.

صاح المصريون والإسرائيليون معا: ها

غضب الفرعون.. لكن المصريين خافوا فقاموا بالتهليل إلى فرعون..

- عاش فرعون..

قال فرعون لهامان:

- اضربوا هؤلاء الإسرائيليين وأخرجوهم من ساحتى.. واصلبوا السحرة الذين آمنوا بموسى.

غضب الله على فرعون والمصريين وإيمانهم بآلهتهم المتعددة، وذكر بين العامة أن هامان كان الذراع اليمنى لفرعون، نائبه ورئيس وزرائه وجيشه ومستشاره للأمن المصرى. استكبر هامان وطغى وبغى، وقتل الكثير من الرجال، واستحيى كثيرا من النساء، واستخدم كل وسائل البطش والقوة مع كل المعارضين لفرعون فى الفكر والدين. وكان هامان هو منفذ فكرة فرعون ببناء قصر عال له برج يصعد عليه فرعون ليقتل إله موسى بالنبال والرماح وهو الذى اختار لقباً لموسى يدعى به أمام فرعون وهو: يا أيها الساحر الكذاب.

قام جنود فرعون بضرب الإسرائيليين المصريين بقسوة وكان يشارك معهم محب فى الضرب بحجة القضاء على السحرة الإرهابيين الذين يقولون عيسى نبى الله ويقفون ضد فرعون.. وفى إحدى الصباحات فى السوق وجدت نور الناس تجرى فى هرج ومرج فى ضوضاء.. ثم صدمت عندما رأت محب فارسها يضرب أهلها وناسها.. اكتشفت نور أن محب يعمل مع فرعون وأنه عدو أهلها.. ووقع أبوها العجوز العم كنعان على الأرض وجرح.. وجاء محب على حصانه يحمل الكرباج، ليضربه بعشوائية، أمسكت يده نور وسط الجموع وقالت لمحب:

- اضربنى أنا بدلا منه.. لا تضرب أبى..

تجمدت أصابع يده على السوط (الكرباج)، قال محب:

- احملي أباك أيتها الفتاة العبرانية وابتعدى عن الساحة الآن فورا..

ضرب عسكر فرعون الإسرائيليين، ومشى موسى حزينًا.. وجنود فرعون يضربونهم.. وقام جنود فرعون بصلب السحرة المصريين الذين آمنوا برب موسى.. أصيب كنعان أبو نور بجروح، حملته نور إلى بيتهم على النيل.. طيبة مجروحة.. العبرانيون حزانى.. وموسى وهارون فى حزن وهم..

ذهب محب إلى بيته الحجرى الفاخر بجوار قصر فرعون.. إنه بيت ليس من بيوت الفقراء المصريين ولا اليهود.. لم ينم محب.. صورة نور أمامه والدموع التى تسيل من عيونها..

"ماذا فعلت فّى نور؟ دموعها تحاصرنى؟ هل الدموع تحاصرنى؟ أم عطرها؟ صوتها؟ عيونها؟ حزنها؟ هل عندما أمسكت معصم يدى أمسكت جنونى الغبى؟".. وتذكر أن فرسه لم يدهمها؟ بل هى التى وقفت أمام فرسه برق، فخجل برق ولم أخجل أنا؟ هل يأتى الحب حقيقة؟ الحب يضع على رءوس العشاق أكاليل القلق والوهج وأشعة تبدأ شاحبة فى منحدر الروح الشاحبة ثم تزداد الأشعة لتسكن النشوى والجنون وحلاوة القرب والابتعاد..

لماذا هذه البنت العبرانية من بنى إسرائيل لا تفارق صورتها الخيال.. المرأة تبحث عن الكفاءة فى الرجل دوما.. يجمع بينها.. كفاءة جنسية.. كفاءة مالية.. كفاءة اجتماعية.. وتختلط وتتغير معايير الكفاءة من واحدة لواحدة وترتيب كل واحدة منها، وهكذا فى خلال ساعة حدث تبدل وتغير إيمانى بالعشق.

فى الصباح كان سحرة فرعون كفارًا وفى المساء صاروا شهداء الإيمان وتحملوا الأذى والتشريد والتهديد(١)

وصلت أخبار انتصار موسى على سحرة فرعون إلى بنى إسرائيل، ففرحوا واستبشروا خيراً وأعلن بعضهم عن فرحته وسعادته، ولما وصلت أخبار فرحتهم إلى فرعون ضاق بهم ذرعًا وأمر بالقبض على الرجال الذى أظهروا فرحتهم وأقاربهم الذكور وذبحهم، وسبى نساءهم واستعبد أولادهم.. ففزع بنو إسرائيل وذهب وفد منهم لموسى يقول له:

- يا موسى لقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما أتيتنا ازداد الإيذاء، الرجال يذبحون والنساء يسبون والأطفال يسترقون..

ركب محب حصانه (برق) وخرج فى هذا الليل على النيل.. يسير فى ممر طويل على جانبيه الأشجار والصلبان، وقد علق فرعون عليها السحرة

(١) اشتريت مجلة المجلة.. صديقى اسامة عفيفى الشاعر والصحفى القدير تولى رئاسة تحريرها.. أسـامة قابلنى على مقهى صـدفة فى الهرم وسـألنى إن كنت اشـتريها وأشارك فى الكتابة.. شكرا لهذا النبيل ..

الذين آمنوا برب موسى.. وجد بيوت الإسرائيليين ضوؤها شحيح وصوت ضفادع النيل.. اتجه إلى بيوت الإسرائيليين بحثًا عن نور.. كلما تقدم خطوة نحو بيوتهم سقطت ورقة بعد ورقة من شجرة كبريائه.. كان يدور حول البيوت لا يعرف كيف يعتذر، ونسى بيتها.. بيتها والليل غرباء وأنا الغريب والعجيب.. وأنا صريع الهوى.. كيف يلاقيها؟.. وبماذا يناديها؟ كأن كل العالم وحياتى مليئة بالظلام حتى جاء نورها.. جذبتنى فى لحظة فانقشع ضباب الحزن وجاء وجه فرح جديد على العالم، ما عدت أرى الآن إلا دمعتين محاصرتين فى عينيها.. كان يشم هواء البيوت ليهدأ قلبه ويستطيع النوم[١] البحث عن فردوس كلمة العفو التى أود أن أنطق بها لها.. ربت على كتف حصانه برق.. قال:

- أتعرف بيت الفتاة التى سقتك الماء، هل تستطيع أن تشم عطرها؟

الليل والبيوت الفقيرة ورائحة الموت فى جاسان والمشاعل التى تعلق على بيوت الحارات والأزقة.. ظل يسير بحصانه بين البيوت حتى وقف برق أمام بيت نور وصهل صهلة العاشق، صهلة صعدت إلى القمر والنجوم..

ارتعش قلب نور وهى فى الفراش.. قامت واتجهت إلى نافذتها وأزاحت الستار ونظرت، لمحت الحصان ومحب.. ترى هل هما ملائكة أم أشباح صديقة؟.. هل تخرج بعد أن فعل هذا؟.. ما الذي يغريها للخروج فى ليلة صعبة ضرب فيها فرعون الإسرائيليين (اليعاقبة) المصريين وشنق بعض سحرته بعد أن هزمه موسى.. قلب المحب يسامح دائما. خرجت نور، فتحت الباب وسندت جسدها على الباب.. نظر لها محب. صمته محتشد بألف كلمة اعتذار، حاول أن يمشى دون كلمة لكن (برق) وقف أخذ يحركه للخلف لليمين لليسار ولكنه اتجه ناحية نور، وراح يمسح رأسه بكتفها.. ابتسمت والدموع

---

(١) اليوم فى الصباح كان هادئا مثل كل صباح النسكافيه واستماع القرآن والبخور وحمام وعطور. إنى عندما أتجه للكتابة كأنى أقابل أنثى استثناء.. جلست للقراءة فى القرآن والإنجيل والتوراة .. يشغلنى الآن سيدنا موسى وعصر الفراعنة.. ما كتبته اليوم ٢٠ سطرًا فى روايتى.. الوقت بطئ والبرد وغياب امرأة وفى الدار شربت قهوة نسكافيه شاى..٣ تلفونات أتت لى من الأصدقاء.. ابنى لم يتصل بى منذ ثلاثة أيام وابنتى منذ يومين.. جاءنى فى المســاء تلفون من الناقد عادل حســان حوار وعتاب جميل، ليس لدى نية الخروج الليلة تشـغلنى برودة العقل والقلب والروح فى مصـر فى خواء وما حولى أيضاً ربما هى شبه حياة وشبه وطن.. مساء لك أيتها البعيدة عنى دون معنى.

من مقلتيها تتساقط ببطء وهمس لها محب:

- ما....؟ (تلعثم)

- اسمى نور..

ربتت على الحصان وقال: اسمه.. اسمه برق

- برق.. (وضعت خدها على جبين الحصان، وهمست له:) اذهب لتنام يا برق.. أنا أحبك(١)

هل هى رسالة لبرق أم إلى محب ام إلى الاثنين معًا.. سار الحصان بخطوات بطيئة وكأنه يطير فى حركة بطيئة إلى الفضاء ليحتضن الكون..

الرب غاضب فى السماء لابد من ضرب المصريين وعقابهم على ما اقترفوه من ظلم على اليعاقبة المصريين الإسرائيليين.

فى القصر جلس فرعون مع هامان ووزيره وقارون وزير ماليته وهو فى ربكة.. قال فرعون:

- ماذا نفعل يا هامان؟

- إنى أقترح يا مولاى أن تظهر أمام الناس بأنك الإله الرحيم، ولنجعل قارون يؤمن بما يقول موسى ويقترب منه ويحفظ ما يقول ويعرف سر سحره.. وقارون بالتدريج يحل محل موسى يجذب الناس بالمال وجمال وجهه وصوته فنكسب الناس.. ويعترف قارون أنك رب الأرباب وإله الجميع.

صاح فرعون:

- تأتينى الأخبار أن العشرات من المصريين يدخلون إلى الدين الجديد.. المصريون الفراعنة أصبحوا إسرائيليين يعاقبة تابع يوسف عزيز مصر. يؤمنون بإله موسى الذى فى السماء وليس بفرعون إلههم..

صاح قارون:

- يا مولاى وعزتك وجلالك ليعود كل شئ كما كان.

---

(١) ما اكتسبته من السعادة سرقه الابتلاء منى.. كل ما اكتسبته من معرفة صار فى ٧١ كتابا والقارئ الذى أتمناه لم اقابله بعد.. كل ما اكتسبته من فهم وإدراك سقط تحت أقدام الأغبياء المسئولين على مدى ٤٠ عاما. كل ما اكتسبته من حب من جميلات ونساء أهديته حبا للوطن فى المظاهرات، وكان الوطن يسحق وينهض ومازال.. كل ما اكتسبته من الحياة عرفت أن الله هو الاول والآخر والبداية والنهاية وأن الخلود وهم نبحث عنه وأن البقاء هو فناء الجسد ورحلة الروح بين يدى الله كل ما اكتسبته من الكتابة هو العذاب والشقاء فالمعرفة ابتلاء والغباء نعيم والفهم جحيم فى بلدنا.

نظر فرعون إلى قارون وضحك قائلا:

- ما رأيك يا قارون ستقترب منه وستحفظ ما فى اللوحات وترتل مثله أمام الإسرائيليين، أريدك أن تخطف قلوبهم حتى يظنوا أنك أنت الأقرب لهم وأنت نبيهم ثم تعلن بعد ذلك أن فرعون هو رب إلهكم ما رأيك؟

- أمر مولاى..

خرج قارون من قصر فرعون إلى بيت موسى.. قلبه ينقسم قسمين.. قسم لأهله من الإسرائيليين وقسم مع الفرعون وماله وتجارته.. جلس قارون أمام موسى:

- يا ابن الخالة.. أنا وأنت لا نستطع أن نقف أمام فرعون.. يا من تجرى فى عروقى دمك ودمى.. إن فرعون وجيوشه وأنت أدرى بهذه الجيوش وأنت كنت قائدها.. اسمع أستطيع أن أجعل فرعون يصدر أمراً قضائيا بالعفو العام عنك بشأن ما فعلت من قتل، وإعادتك قائدًا للجيش المصرى، وأن يمنحك قصراً ومالاً تستطيع أن توزع كثيرًا منه على الفقراء هذا المال نستطيع أن نجعله من خزانة المال العام.

- هل تعتقد يا قارون أنى جئت من أجل المال؟

- يا موسى أنت تعلم أن المصريين الفراعنة لا يحبون التوحيد وقتلوا إخناتون عندما دعاهم إلى ذاك التوحيد، وسجنوا نبى الله يوسف ولولا المجاعة ما آمنوا بيوسف الذى أنقذهم من المجاعة سبع سنوات.. المصريون يؤمنون بالتعددية والدليل على ذلك فهم يؤمنون بآلهة تفوق الأربعين إلهاً بكثير وأولهم فرعون رب الأرباب.

لم يرد نبى الله موسى أما قارون فكان يراقب الحوار، اغرورقت عينا قارون ونظر إلى موسى:

- لم أشاهد فى حياتى رجلا مثلك يرفض أن تفتح له خزائن مصر ومنصب قائد الجيوش.. اعتبرنى من الآن أول من سيحفظ الألواح وكلام الله، وسوف أصلى معك، وأتلوا عليهم بعض ما أرسله الله لك ولنا..

تهلل وجه موسى وقارون.. فرحين.

فى المساء.. فى قصر فرعون كانت آسيا زوجة الفرعون تسير فى القصر فى قلق، لقد شاهدت معجزات الله مع موسى والسحر، نظرت آسيا زوجة

فرعون إلى السماء وقالت:

- ربى ابن لى قصرًا فى الجنة ونجنى من القوم الظالمين[١] إن ابنى موسى جاء بالرسالة إلى مصر ولأهل مصر كلهم ولى..

دخل فرعون إلى غرفة النوم..فجأة. نظر إليها فادعت النوم، فدخل إلى السرير ونام.. نظرت له.. وهو نائم.. وقفت عند النافذة..

"موسى يا بنى يا نبى الله.. إني أرى فرعون بشًرا.. وهو نائم الآن.. الله لا ينام.. إلهى ابن لى قصرا فى جنتك وارحمنى من القوم الظالمين.. إلهى مد يديك لى أنقذنى"..

بكت حتى تعبت العيون والقلب، ونامت..

الخيول في عيون فنانات العرب......

ريم إسكندرانى

يقول المتنبي:

الليل والخيل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ومن لا يعرف خيل ريم إسكندراني.. إنها اختارت الحصان لترسمه في لوحة خرجت من الأساطير بقرن واحد متميز، أو من الحلم أو من لحظة الوسن أو الفجر، وهذا الحصان يحمل فارسة أسطورية.. فارسة حلم أتت من ضباب الأحلام والأساطير.. الحصان عند ريم إسكندراني الفنانة التشكيلية السعودية هو لحظة انفلات من القيود والسجن والعادات القديمة والحكم علي المرأة بالاختناق وتقييد انطلاقها الفكرية.. إن ريم إسكندراني هي الرسامة الوحيدة التي ساهمت في المعرض السادس (معرض تباشير ملونة السادس) التي رسمت الحصان وعليه فارسة وليس فارساً.. نعم إنها تؤمن بالمرأة وقدرتها علي ركوب الخيل.. إنها ابنة شبه الجزيرة العربية ابنة التاريخ والسير الشعبية.. إنها استمدت روح الفارسة من السير الشعبية سيرة "عنترة" حيث كانت عبلة تركب الخيل وتقاتل، نعم وابنة عنترة، والحديث يطول عن المرأة

---

(١) اتصلت بى الأن اسماء زوجة ابنى محمد وهى هدية من السماء لابنى قلت لها علمى حفيدتى كادى الكلام أريد ان احكى لها كثيرا عن وجعى والمى من مصر القاتلة للمبدعين..ثم اتصل بى الدكتور عمر ابن اخى الدكتور رمضان حافظ وعمر طبيب اسنان رائع مشروع رائع..كلمنى عن مرض أبيه..

العربية الفارسة التي تزخر فيها الحكايات والأساطير والسير الشعبية في الوطن العربي ولننظر إلى اللوحة.

مقاس اللوحة ٣١ في ٤٥ سم

الخامات/ ألوان زيتية

إن اللون المستخدم هو اللون الأزرق بدرجاته والأسود والأبيض.. واللون الأبيض هو سيد اللوحة.. ونحن ننظر إلى اللوحة ننظر إلى رعد أو برق من السماء وحالة من غضب الطبيعة. هل الرعد والبرق هنا أمام حصان الفارسة هو في حاله تأييد لها أو هو المعادل الموضوعي لرفضها؟

هل الرعد هنا هو القدر الغامض أو العقاب لخروج هذه الفارسة هاربة إلى حلمها إلى عالم الحرية، عالم البهاء ومغرب الشمس حين ترسل أشعتها الذهبية على الأبراج والقصور والبيوت أو تنعكس على مياه البحر.. فهل هذه الفارسة تحلم بعالم بيوته من حرير الشرق وطيلسان ومخمل وديباجة من خيوط الذهب والفضة.. إن خطوط ريم إسكندراني في رسم اللوحة خطوط رفيعة والألوان زاهية في وقار، الخطوط رشيقة خاصة في تصوير الفارسة والرقة التي في وجه الفارسة كأنها أنثى من وحي الخيال، والألوان الزيتية تستخدم بسهولة ويسر ونظيفة وكأنها تلمح أن الثوب الذي ترتديه الفارسة كأنه عصري وكأنه أسطوري.. ريم إسكندراني ليست حاذقة ولكنها تملك ريشة جميلة وأصابع ممتازة وهي متحمسة وتحب المجهود ولا تعرف الملل، وكأن ريم إسكندراني هي الفنانة الوحيدة التي هربت بتجسيد الآدميين مع الحصان ذي القرن الواحد واختارتها أنثى وهذا يذكرني بواقعة السلطان محمد الثاني العثماني في عام ١٤٧٤ ميلادية(١).

كان يرسم له مصور إيطالي جينسكي حجرات نومه فرسم في الحجرات صوراً غرامية منعشة وعندما مات السلطان عام ١٤٨١ ميلادية كان خليفته قد منع المصورين من رسم الآدميين فقام بمسح كل الصور ماعدا صورتين نسي حرقهما وكانتا تحفة عالمية.

إن اللوحة الوحيدة في المعرض التي فيها الفارسة على الحصان أما باقي اللوحات فقط اختفى فيها الإنسان، إن الفارسة في اللوحة ليست خليعة ولا مبتذلة ولا ساقطة إنها تملك تمردا طبيعيا، تمردا اجتماعيا، تهرب من

الأقمشة الناعمة والستان المصبوغ ولآلاء وترف، تهرب إلى الطبيعة إلى السماء تستغيث والسماء ترسل لها إشارة.. إن اللوحة تشبه لوحات أخرى في الصور والمنحوتات في الفن الغربي، لكن هنا التعبير من خروج الفارسة من السجن الانفرادي.. تهرب من الفساقي والحدائق والمظلات والقوارير وما في داخلها من أرض صنعت من الرخام.. إنها لوحة رومانسية خروج وسفر إلى الطبيعة، إلى التحرر من مدافئ فخمة وأثاث مطعم مرصع بالمعدن المنقوش، إن الرومانسية فارسها الفنان ديلاكروا قد خرجت من الواقعة لتواجه الواقع بشراسته.

إن ريم إسكندراني تعزف باللون الأزرق قيثارة الحلم والفجر.. إنها طموحة لإزاحة الواقع وإعادة الالتحام بقوة الحلم والدفاع عن الخروج، خروج المرأة، خروج المشاعر، خروج الحلم من شراسة الواقع المميت.. إنها ريم تبعث في الفارسة الأنثى قوة مادية وجسدية، إنها لخصت تجربة الوجود الأنثوي في عالم ذكوري قاهر لمشاعرها.. إن الصورة لا يمكن أن تسمى الانطلاق، انطلاق لصورة الفارسة من سياسة تقهر الحلم الأنثوي وإداري وتكنوقراط وسلطات أخري أكثر طغياناً وغواية ونفاذاً.. إن الفارسة فارسة اللحظة والحصان وسيلتها في صراع داخل الصورة مع قوى أخرى مظلمة وقاسية، وأمام الصورة تبارك السماء خروج الفارسة والحصان ذي القرن الواحد من الحصار والقهر والسجن، إنه يتحدى الرعد والبرق فهو الواقع الموازي(٢).. كما أن الفارسة به تسعى في كشف الحقيقة، إن الثورة في أعماق ريم إسكندراني ثورة تطلب تعديل جوهري في أيديولوجيا الفن، لأن الفن في نظر ريم هو وسيلة للتواصل وريم حالمة وشاعرة وحساسة وقوية وراقية، يسكنها حلم ثوري في الفن.. إن ريم ترفض الشهوة التي لا راد لها، اللحم الضعيف، الجسد الفارض لقانونه على الشخص، الشخص الخاضع لسلطة تقهره من الخارج، معادل رائق لفعل السلطة السياسية الشرقية على أفراد لا يملكون إلا الخضوع لمشيئة ملحة ومتصاعدة تحل بهم، إنها ترفض نظرية السلطان وحريمه وصاحب الثروة والحريم وحجم اللذة هو أكبر قياس للسلطة، فقد اختارت ذلك الحصان ذا القرن الواحد لتفرده، وفارسة تكاد تشبهها.. هذه هي ريم إسكندراني تخرج من أصوات اللون الأزرق والأبيض بحصان وأنثى

فارسة تركبه وهي في غاية العذوبة والجمال الفائق.. إنها فارسة هربت من الغثيان، غثيان لمجرد التفكير في التظاهر الدائم ببذل جهد لإرضاء الآخر، إنها تكسر الرقابة وتهرب إلي البحر، إلى الجبال.. إن الحصان رمز ودلالة إلى مكنونات في فضاء النفس واللا شعور.. إن الريشة في أصابع ريم إسكندراني مثل عازف موسيقي ولكنها تعزف بالألوان برقة وعذوبة علي سطح اللوحة، أي دهشة تملكها إنها تعطينا جرعات من الجمال البصري وتسمعنا صوت الموسيقي والرعد وصهيل الخيل فرحاً بالحرية، إن الألوان في ثورة هادئة والتمرد شديد النعومة والقوة، وخيال متدفق.. إن اللوحة ناعمة والخطوط كالحرير وعذبة كالماء من الينبوع، إنها حساسة حساسية مفرطة.
إنها شاعرة لم تمتلك الخبرة الجمالية ولكنها تسعي إليها بجنون وشغف.. إنها في حالة جنوح للجمال المطلق، وفي لحظة معينة سوف تتمكن من كبح جماح التجربة.. إنها مليئة بالهوى للفن والرسم والحدس المعرفي.. إنها تسعي للعمق وعفوية ومتمردة وعقلانية متدبرة.. إنها تسعى بجموح للتجربة وهوى الفن ومغرمة بالعشق ولكنه عشق بدائي المشاعر قائم على احتمال ذهني وليس مادي.. إن بطلة اللوحة الفارسة تبحث عن إنعاش الروح، عن الغرام، عن الأحلام، وتحلم بالنسيان للقهر والدهر والضمائر .
إن ريم تحتاج إلى دراسة الفن القديم وعلم المنظور الحديث لتكون من أحسن الرسامين (المصورين) ومن أفضل ما أنتجته مدارس التصوير الرومانسي إنها فنانة أرستقراطية خالصة وفنها في خدمة القلة المختارة وأيضاً سيظل العامة من متذوقي الفن يحبون اقتفاء لوحاتها عندما تطبع علي بوستر واحتفالات، لأن الفقراء دائماً يكسبون الفن عن طريق هذا بدلاً من اقتفاء اللوحات.

(١) ول ديورانت قصة الحضارة عصر النهضة – ترجمة محمد بدران - الهيئة العامة للكتاب –٢٠٠١

(٢) الصورة والسلطة – مجلة الكتابة الأخرى - عدد ٢٣/٢٤ – ديسمبر ٢٠٠١ عادل السيوي

وباكورة مجاعة
تطفو....
تعترش الوطن..

شعر/ علاء عبد الهادى
من ديوان حليب الرماد

الفصل (٣٦)
بعنوان
أحبها دون النساء سيدة قلبى

فتحى رضوان خليل..

..... اختارت تهانى أن تكون زوجة لى. فيفى لا تحب الثرثرة وصامتة معظم الوقت ولا تحب التدخل فيما لا يعنيها تنصت لى جيدا باهتمام وتهون على خيانة المثقفين وخيانة الوطن(١)..

قرر فتحى السفر إلى الإمارات بعد أن أبلغ عنه محمد غنيم مدير قصر الثقافة أمن الدولة، بأنه شيوعى لأنه يخرج مسرحية لصلاح عبد الصبور مسافر ليل.. فى المساء جلس فى الفرقة حيث كان يخرج لفرقة القصر مسرحية حديقة الحيوان لادوارد اولبى ترجمة على شلش الناقد المحترم.. وهناك تعرف على فاتن الجميلة الساحرة.. التى قالت له:

- أكتب لى كلمة على كتابك..

فكتب "خففى ما شئت وتعففى وتمردى فكل حروفى كبرياء منك ولك.."..

نظرت فى عينيها التى تحمل شهوة لى فى الخفاء.. آه لو ملكتك الآن.. لارتشفتك وردًا ورمانًا.. وفى شفتيك أسقيك جنة الحنان، وألبستك من همزاتى الواصلة والقاطعة ثوباً، ومن حلمات النساء، أنا من كتبت على جسد النساء أنك ياسمينتى، وملكة الملكات، وأنك مسك النساء وسيدة المساء، وقمر الجمال.. أنا أفتتن بين أحضانك كل أسرارى، أرتقى كوكبًا.. إذا امتدت حروفك على صدرى صارت نجومًا.. أنت صرت عطرى وقبلتى لك من زهرى ووردى ويدى ترسم على جلدك ألواناً .. لم تخلق ويراها البشر..

أمسكته فاتن خلف الكواليس وقبلته قبلة شديدة ساخنة خاطفة وجرت. فاتن سمراء، جسدها رشيق ليست قصيرة، وليست طويلة.. كانت رائحة عطرها جذابة بشكل خفى.. بعض النساء لهن سحر ووقار وأنوثة طاغية.. كلما خطوت نحو الفرح خطوة.. شدنى الحزن خطوتين.. ترى لماذا الجدلية

---

(١) اتصل بى بهيج اسماعيل الكاتب المتميز وسألنى شفت الحرائق فى التلفزيون للمركز العلمى.. القاهرة حتولع يا ترى الفلول حتولع البلد والا الجياع . قلت له الاثنين. قال وبعدين؟ قلت مصر احترقت مئات المرات فى التاريخ.. حتى أن شاور ترك الفسطاط اربعين يوما مشتعلة ولم يحاول اطفاء النار فيها . لكن مصر ستخرج من الأزمة مصر هى متعودة دايما. على كده على رأى عادل إمام.. شر البلية ما يضحك..

الخفية بين الفرح والحزن.. يا حياتى.. سأمر يومًا بشفتى على يديك لأمسح قبلات نساء خدعننى ودموعاً انسالت من عينى دون عنوان، وأرسم على خديك نهديك قارورة كحل للقمر. وأجعل قبلاتى أيقونة عشق فى تاريخ العشق.. أنت تاريخ النساء اختصر فى أنثاك.. يا أنثاى أنا يا أنااااااا... عندما أقول أحبك يحمر خد القمر.. أعتقد أن الحب لم يعرفه إلا قلة من البشر وأنا منهم.. والله بصير بما يعملون..

تذكرت وأنا صغير، عندما دخلت شقتنا أخبرتنى أمى أن شقة عايدة سكنت، جاء رجل اسمه جرجس صول فى الجيش المصرى، ومتزوج من سيدة طيبة للغاية اسمها سوزى وانجبت منهولداً وبنتاً ثم ماتت زوجته وذهب إلى حرب اليمن وكان يود الزواج من أختها بعد الحرب، ولم يعد من اليمن (أخذت من الجيش المصرى الكثير والكثير).. جاءته رصاصة ومات.. وبعدها سكنها موسى رسام للرسوم العارية من العصر الإيطالى.. كان لديه راديو ترانزيستور كنا نحب أن نشاهد رجلًا يحمل راديو ويذيع الأغاني وأنت تسير به.. دخلت الشقة وظن البعض أن كل من سوف يسكنها مسيحيون.. لو سكنت أسرة ثالثة فى الشقة لقالوا إن روح السيدة العذراء تسكنها خاصة وأن كنيسة بجوارنا قالت الناس إن روح السيدة العذراء جاءت وطافت فيها فأحيطت الملايين حول الكنيسة عدة أيام. ولكن خاب ظنهم جاءت أسرة مسلمة.. (١)

جاءت أسرة أم العربى من بورسعيد مهاجرة، المكونة من العربى ومسعد وجلال وأحلاهم.. العربى أكبر منى بعامين ويليه جلال الذى رفض أن يترك بورسعيد.. وبعد فترة قرر جلال الحضور إلى الإسكندرية.. جلال كان يريد الزواج من نادية قريبتى ابنة الخال، ولكن نادية تزوجت عبد الحميد الذى كان يعمل مسئولا عن التوقيع فى شركة الغزل.. عبد الحميد أبوه رجل صعيدى يعمل فى شركة الزيوت المستخلصة.. كان اسمه صابرة على.. جاء من

---

(١) عن سائق التاكسى قال لى ذهبت إلى الكويت ٢٠٠٥ وعملت محاسبًا فى شركة الأحمدى للنفط ب٤٣٠ دينار كويتى شهريا، بينما زميلى الكويتى فى نفس الوظيفة يتقاضى ٤٣٠٠ دينار.. الفرق بينى وبينه السماء للأرض وبعد عام تزوجت من فتاة من الإسكندرية وخريجة كلية التربية وعينت فى مدرسة فى منطقة حولى وبعد ثلاثة اعوام جاءوا لى بستة مواطنين كويتيين وكلفونى أعلمهم الشغل، وبعد ٦ شهور تعلموا، خصموا من مرتبى خمسين بالمائة فقلت لزوجتى سنعود لمصر.. رفضت، وقالت لن أترك الكويت طلقتها وجئت لمصر.. وجدتنى مطرودا من الوظيفة.. اشتريت سيارة تاكسى وأعمل عليها الآن..

سوهاج للإسكندرية وتزوج من الإسكندرية.. أنجب ولدين وبنتاً .. وكان عبد الحميد هو الثانى فى ترتيب الأولاد.. كبر الأولاد.. وسكن فى حى كفر عشرى فى الإسكندرية.. زوج ابنه الكبير عبد الرؤوف وابنه الثانى عبد الحميد، وبنى لعبد الرؤوف غرفة على السطح.. أما عبد الحميد سكن فى خارج البيت بعيدا عن أبيه وأخيه.. اختلف عبد الحميد مع زوجته بسبب أخته ناهد التى كانت تخلق مشاكل كثيرة وكانت متزوجة ولها أربعة أولاد.. وطلق عبد الحميد زوجته.. وذهب قلبه إلى نادية ابنة الخال، وعندما طلبت زوجته نقودا قالت لها ناهد أخته:

- روحى ارمى العيال على كوبرى التاريخ..

وكان صابرة يعطى زوجة ابنه المطلقة كل أول شهر ربع جنيه.. ومات صابرة وعاش عبد الحميد مع أمه، وفى كل يوم يحضر لها سندوتش فول من على باب الشركة وكل ١٥ يوم عند القبض يسدد لصاحب عربة الفول ثمن السندويتشات.. وظل الأولاد مع أمهم ورزقها الله برجل طيب تاجر ميسور الحال فربى العيال فى أحسن تربية.. ولم ير أباهم ولا صورته طول العمر.. كان عبد الرؤوف يصفر لزوجته التى تسكن الدور الثانى حتى تنزل السبت ويناول زوجته الطعام فيه حتى لا ترى أمه الطعام الذى أحضره وهو صاعد على السلم وهى تقطن الدور الأرضى.. كان عبد الرؤوف قلبه قاسيًا مثل أخته ناهد.. وكانت زوجته تتاجر فى السلع المنزلية بالتقسيط فتكسب.. تعلم المصريون هذه المهنة من يهود مصر.. كانت الأم تشم رائحة اللحم والفراخ بحسرة حتى ماتت الأم، وكانت طيبة للغاية.. أطلق الناس عليها اسم حنونة من كثرة حنانها.. ماتت الحنونة بحسرتها من بخل ابنها عليها.. أما زوجة عبد الرؤوف خدعها ابن عمها نادر الذى أوهمها أنه سيتاجر فى الطعام وشحنة سمك وصلت وأخذ منها ٣ آلاف جنيها على وعد بعد أسبوع ومضى أسبوعان.. ثلاثة ..أربعة.. لم يحضر النقود جاءتها ذبحة صدرية.. لم تعد صاحبة الفراخ واللحم والتجارة، ودخلت فى غيبوبة مخ.. جاء إخوتها أثناء مرضها، وسرقوا أثاث البيت قطعة قطعة حتى السرير، تركوها على الأرض.. أما زوجها فأصبح غير قادر فقد أتاه الزهيمر ويمشى فى الشارع لا يعرف أحدًا.. تزوج عبد الحميد من نادية على أساس أنه رئيس قسم وجاء عبد

الحميد بعبد الرؤوف الذى أصيب بالزهيمر إلى بيته.. وكان عبد الرؤف يخرج إلى الشارع ونادية تبحث عنه أو يقوم فى الليل يتبول على الأولاد وهم نائمين.. قال عبد الحميد لناهد أخته.. خذيه وخذى معاشه وأكليه واصرفى عليه.. كانت ناهد جبارة تضرب نفسها بسكين وتدخل القسم وتكتب محضرا وقضية ضده.. عبد الحميد كان رئيساً لقسم التوقيع كان يخاف من أخته ناهد.. أخذت ناهد أخاها عبد الرؤوف فى حجرته وأغلقت الباب عليه وكل يوم تلقى له برغيفين خبز فقط ولم يطل به الأمر مات.

أخذت ناهد أخت عبد الحميد تزور ناديه تسبها وتطلب منها الطعام.. كيلو سكر، جوربين للواد القطة ابنها وتدخل عند الجيران وتقول لهم:

- دى صارفه فلوس أخويا.. (ودوما تقول) دا خير أخويا..

مات عبد الحميد فجأة.. راحت ناهد أخذت كل ملابس أخيها عبد الحميد حتى الطاقية، وهددت نادية اعملى له شادر كبير للعزاء، واعملى له أكل للفقراء على روحه، وقدمت شكوى ضدها أن لديها شقتين.. وكانت نادية لها شقة واحدة وتأتي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فى الشتاء تطلب مشاهدة العيال، وكانت تحاول أن توسط أقاربها (تبتعد).. قامت جدة زوجته الأولى بتهديدها أن الرجل مات وكل واحد يشوف مصلحته.. وفجأة سقطت ناهد فى مرض خبيث وماتت.. أثناء دفنها وقف الشيخ يدعو لها بالرحمة وأن يجعل الحجر رطبا تحت رأسها ووقف أهل الحى: ما تسمعش كلامه يارب.. هههههه ذكريات تداهمنى.. بلا سبب..

لو كان لى عمر جديد وقدرة الساحرين لضممتك إلى أحضانى وأعدت بك العمر مرتين لأحبك مرتين حب اللون الأبيض للنهار.. باختصار أنا فى العشق لا أعرف الكذب والهذر ولا التلوين الحب عندى يقين وأنت نور.. أليس النور يقين.. شريط الذكريات مازال يداهمنى لا قوة فى الأرض توقفه إذا مشى الشريط.

فجأة مات جلال ابن أم العربى فى الإسكندرية.. كانت الشقة مسكونة بشئ ما خفى، وذهب العربى للمشاركة فى حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣، وتم حصاره

فى الجيش الثانى[1] مايسمى بالثغرة، وجاع وشرب البول وشاهدوا أيام ذل.. عاد من حصار الجيش غير.. أصبح لا يطيق مصر.. ونومه غير منتظم، ويحب التسكع.. جاء بكلب فى الشقة، وظل الكلب يخيف العمارة.. كان العربى يضرب الكلب بقسوة، وكان الكلب يخيف الأطفال بنباحه وينتهز أى فرصة لفتح الباب لكى يهجم على أى واحد من السكان.. كانت أمه تحدثه عن الأيام الرعب التى عاشتها بورسعيد.. فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦، وأنه بعد انسحاب الإنجليز هجم البلطجية البورسعيديون واستباحوا المدينة فى غياب السلطة، وأرسل عبد الناصر ذات فجر قوات الجيش والشرطة وحاصرت عزبتهم وقبضت عليهم وكل ما عندهم من أسلحة ومكاسب.. كنت أسمع حكايات بورسعيد وحكايات العربى أشعر بأننا شعب مسكين.. أقنعت العربى أن يتخلص من الكلب، خاصة بعد أن أخاف إحدى الفتيات الصغيرات وهجم عليها وأفزعها بشدة..

لابد من السفر إلى الإمارات أو الكويت قد أجد الديمقراطية هناك.. نكاد نجن فى مصر كلما قرأنا خبرا عن ديمقراطية الإمارات وخاصة الكويت وما تكتبه الصحف فى مصر. لم يكن هناك غير الوطن والله فى القلب لم يكن هناك غير الحب فى قلبى وتطهرت من الشر مذ كنت صبيًا ونسيت أن أحتوي بعضًا منه لأواجه العالم.. لم يكن هناك غير الحكمة أسعى إليها حتى أرى الله بقلبى وأرى الجمال المحدود فى النساء والجمال المطلق فى الله. لم

---

(١) الشيخ يوسف بن عيسى القناعى موقفه من الديمقراطية وتعليم المرأة تقول فاطمة حسين العيسى (كان من تلاميذة الشيخ سالم المبارك الصباح حاكم الكويت (١٩١٧-١٩٢١).. أول من اسس المدرسة المباركية أول مدرسة نظامية فى الكويت .. واول المتبرعين لها بالقليل من الروبيات التى يمتلكها كان يهدف إلى نقل الكويت إلى الحداثة فى الدين والدنيا وتأثر بالمجددين امثال الشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى وطاف على تجار الكويت يجمع الاموال ليبنى المدرسة ..وخرجت المدرسة إلى النور ١٩١٢ .. نور العلم والعقل تبرع بنصف ارضه الملاصقة لمركز سلطان اليوم عندما كانت الحكومة بحاجة إلى اقامة مستشفى ..وسمح بفتوى للمرأة بعد وفاة زوجها للخروج للبحث عن عمل أو غيره حيث كانت العادات تفرض حبسها فى البيت أربعة شهور وعشرة أيام فى حجرة حتى تتطهر ..وكان يرى ضرورة مشاركة الشعب فى الحكم امر ضرورى ..
يقول عبد الرزاق البصير أحد رواد التنوير فى كتابه تأملات فى الأدب والحياة (إن عرش الكتابة صعب المرتقى لايستطيع ان يصعد إليه إلا من سبر غور النفس، وخبر الحياة ، واخلص للقيم الآنسانية ،والمثل العليا..ثم يقول ساخرا (فنحن حين نستعرض هذه الاكوام التى تخرجها لنا المطابع كل يوم نجد أكثرها من الحديث المعاد،وبعضها من اللغو الذى لاخير فيه..

يكن هناك غير طريقٍ واحدٍ وقالوا لى اختر إما طريق الخير أو الشر وأنا لا أرى أمامى إلا طريقًا واحدًا لم يكن هناك غيرك كنتِ رسالة من الله ورحمة وكنت مسك النساء ولكن عنادك وكبرياءك هو البلاء لم يكن هناك غير الحب والحنين أسقيك إياه حين يجف حنان البشر.. لم يكن هناك غير الله لى وأننى وحيد. السادات قال لنا الديمقراطية، وضحك علينا خدعنا.. الخدعة كبيرة وتحول المثقفون إلى جواسيس على بعضهم لأمن الدولة وكتبوا عن بعضهم بعض.. إن ٩٩٪ من المثقفين خونة فما بال الشعب الذى يخون نفسه كل لحظة وكل يوم، وخان نفسه سبعة آلاف عام.. أشعر أنى أبحث عن وطن أو وطن يبحث عنى لحظة الغياب(١).. أنا لست فى دهشة ولا استغراب مما يدور.. قال لى محفوظ عبد الرحمن صديقى ذات يوم أنت فى عصر الخيانة بالمجان.. ركبت الباص شغل السائق الكاسيت شريط الشيخ كشك واستمعت الشيخ كشك وهو يقول بلهجة ريفية:

ـ لو اتكلمنا عن عيوبنا فى الريف أو المدينة نتكلم كلام يتكتب فى مجلدات احنا اللى اخترعنا الكذب فى العالم.. الواحد فى وشك يقولك كلامك مظبوط تدير وتمشى يلعن أبوك ويسفه فى أفكارك ليه؟؟ ليه بنعمل فى بعض كده؟ احنا مسلمين واحنا مصريين لازم نحب بعض ونتطهر نبطل نكذب مش معاكم معاكم.. وعليكم عليكم..

ضحكت كثيرًا على ما يقول الشيخ كشك.. كم هو رائع هذا الشيخ أصاب كبد الحقيقة.

---

(١) ركبت تاكسى سائق التاكسى سألنى عندك كام سنة يا بيه؟؟ قلت له فوق الستين بكام سنة قالى شكلك ما يبنش قلت له لأنى انام ولا أحمل حقدا فى قلبى على أحد.. قالى بتشتغل قلت له لا عاطل قالى باين عليك طيب ومحترم تحب تشتغل انا اشتريت تاكسى جديد تشتغل عليه سواق وتاخد التلت قلت له أفكر ادينى تلفونك.. حتى لا أحرجه .. واستغربت واندهشت فى مصر ام الدنيا والتدنى كنت استضيف ٨٦ كاتبا وصحافيا منها للكتابة فى مجلة الشاشة فى دبى أثناء توليتى منصب مدير التحرير ولما جيت واتقفلت المجلة وقابلت الجميع لم يطلب منى مثقف واحد أو مسئول واحد ان اكتب عنده فى جريدته أو اشتغل معه أو عنده.. أخلاق المصريين العظيمة قد تجدها فى سائق تاكسى عشوائى لا يعرفك أما أخلاق المسئولين وأخلاق المثقفين أخلاق العبيد الذين اشتراهم محمد على وابنه إبراهيم وأعطاهم الجنسية فصاروا مصريين وصاروا قادة وجنود فى جيش مصر أيام محمد على.. بالمناسبة كان محمد على يشترى يوميا ما بين مائة إلى ثلاثمائة عبد ويمنحهم الجنسية المصرية ويعدهم للجيش ٦ شهور تعليم عسكرى و٦ شهور تعليم لغة عربية وقرآن بما يسمى الجيش المصرى حينذاك .. دول الآن اصبحوا مصريين غصبا عنا.

فكرت أن أخرج مسرحية حديقة الحيوان لادوارد اولبى[1] حتى أشغل وقتى قبل ظهور نتيجة الليسانس.. فكرت فى الطفل المعجزة أحمد آدم الذى لابد وأنه كبر وكان قد اعتزل التمثيل.. بحثت عنه إنه الطفل المعجزة فى التمثيل منذ ١٠ سنوات. الآن كبر انتظرته فى محطة الرمل عند الدليل السياحى قالو لى إنه يحضر كل يوم ليعاكس البنات هناك مع مصطفى رزق صديقه.. ووجدته وأقنعته بالحضور إلى قصر الحرية والعودة للتمثيل قال لى لغة عربية فصحى إيه ومسرح عالمى.. كان أحمد آدم يرفض أن يمثل باللغة العربية، فالفصحى صعبة، وفى كل يوم آخذه إلى قهوة البرابرة فى العطارين وأحضر سندوتشات فول وفلافل، ونأكلهم ونشرب شيشة وشاياً أحمر ونبدأ فى تقطيع أداء النص والتدريب على مسرحية حديقة الحيوان لادوارد أولبى.. لغة عربية فصحى.. كانت ألفية بن مالك مازلت معلقة فى ذهنى من كلية دار العلوم.. سألنى أحمد آدم:

- أنت دماغك ناشفة ياريس لمين تعمل مسرح عالمى تعالى نعمل مسرحية كوميدى؟

قلت له:

- لا مسرح عالمى وفصحى.. جدى صعيدى دماغه ناشفه.. هرب من الثأر من المنيا فى صعيد مصر إلى قرية الضهرية بحيرة فى شمال مصر.. يا أحمد.. مصر أول شعب عرف الثأر فى التاريخ ودا اللى مش عارفينه المسئولين.. حورس أول شخص ثأر لأبيه من عمه ست ورغم أن ست أثناء المقاومة خلع عين من عيون حورس إلا أن حورس كمل القتال وثأر لأبيه وقتل عمه ست.. عارف يا أحمد العين اللى بنحطها على الأبواب تحمينا من الحسد، هذه رمز لعين حورس التى خلعها ست فى أثناء مقاومة

---

(١) توفى محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة فى يوم ٨ اغسطس ١٨٤٨فى الإسكندرية والغريب نقل إلى القاهرة ودفن فى مسجده بالقلعة لم تُغلق الحوانيت ولا الدوائر الحكومية..حضر عدة اشخاص لايتعدون اصابع يد واحدة فى جنازة محمد على .. باختصار، يسود انطباع عام مفاده أن عبّاس حلمى باشا هو الجدير باللوم، فقد قلل من شأن جدّه وذكراه اللامعة، ولم يحترم ذكراه حق الاحترام، وكيف لا يكون ذلك وقد سمح أن يُقام مأتم هذا الرجل على هذا الشكل البائس وأهمل العناية به أشد الإهمال.

الموت من حورس [١]

كانت المسرحية صعبة، لكننى رأيت كمخرج أن أظهر ما فيها من يسار ضد التخلف.. والغرب الذى يحطم مفهوم العدالة الاجتماعية والرأسمالية الحقيرة.. أشعر أن العدالة حلم المصريين منذ آلاف السنين وحلم البشرية منذ فجر التاريخ وحلم السماء لنا كبشر.. أنهيت المسرحية.. كنت أجهز أوراقى إلى الإمارات.. كان محمد رفاعى صديقى الشاعر المرهف الحس فى قسم الحضارة فى كل ليلة نمضى الوقت على المقهى يكتب لى بخطه الجميل مقالة أرسلها إلى جريدة الوثبة فى أبى ظبى إلى سيد شحم.. رفاعى يكره الصحافة ويقول إن الشعر هو مستقبله، وقابل رؤوف توفيق مدير تحرير صباح الخير فى الإسكندرية عند عبد الوهاب لطفى رئيس القسم، فعينه مراسلا لصباح الخير فى الإسكندرية، ففرح وكنت فى خلال الفترة الأولى أجمع له أخبار المثقفين فى الإسكندرية ورفاعى هو الصديق الصدوق الطيب الجميل الشاعر الإنسان، وقلت له إن الصحافة مهمة [٢] لتحقق نفسك كشاعر وإلا ستتحول كشاعر فى المحلة الكبرى، حيث مولده وكان لطفى عبد الوهاب يرى فى محمد رفاعى المستقبل لقسم الحضارة. كان محمد رفاعى رفيقى فى كل ليلة نحلم بغزو العالم بالمسرح والشعر قابلت حسن سلام فى الطريق اطمأننت عليه فهو رجل عظيم عامل بشركة النحاس يسارى الهوى والفكر وكنت أراه يذاكر الثانوية العامة منزلى لتحسين دخله ومستواه هكذا نحن الفقراء بالعلم وحده نتحدى الفقر.. أذكر أني ولدت فقيرا لذلك نزلت لأكتب عن نبض الفقراء مهما كانت جنسياتهم أو لغتهم ودياناتهم.. وكأن الفقر دين له لغة مشتركة نراها بعيوننا ونتحسس بطوننا طوال الوقت وندرك الفقر ولا يتركنا إلا بمعجزة من السماء.. قال الإمام على رضى الله عنه وعليه السلام لو كان الفقر رجلا

---

(١) الرائع الكاتب الدكتور الناقد جمال التلاوى المترجم الناقد نائب رئيس رئيس اتحاد الكتاب وقال لى ان فى مكتبة الدكتور جمال العسكرى عنده فى المكتب ويهدينى السلام ..جمال العسكرى مشروع ناقد متميز يضيع فى بيروقراطية الأغبياء فى الجامعة

(٢) نزلت من البيت إلى قهوة صدفة فى الهرم قابلت الفنان خالد محروس وأضحكنى عن طرائف الوسط الفنى ثم قررت أن أزور المخرج جمال قاسم فى شارع جمال الدين الأفغانى فى الهرم جنب معهد السينما جمال أخرج لى مسرحية حرب الملوخية .. مخرج رائع وكذلك قدم للسينما فيلما .. وله عدة افلام قصيرة مميزة .. تحدثنا عن هموم الحياة الثقافية ..

لقتلته..[١]

أحاول أن أراوغ الاكتئاب حتى لا يمس روحى وقلبى وقلمى.. الفقراء أحباب الله والأغنياء أحباب الله أيضا ولكن حسابهم أكبر.. قلت حسن يا سلام أنا أصبحت مسئولا عن المسرح فى قصر الحرية تعال وأخرج مسرحية أنا اكون عشر فرق مسرحية فى القصر فقال أبو الحسن:

- سوف أقدم مسرحية ثورة الموتى.

قلت: هيا..

قال: ومحمد غنيم

قلت: فى دورة إعداد الرواد فى القاهرة منذ شهور..

بدأت البروفات، وبعد سبع بروفات، دخل غنيم قاعة توفيق الحكيم فجأة وصاح عندما شاهد حسن سلام:

- ايه اللى جابك هنا يا ولد يا شيوعى؟

وطرده من القصر هو والممثلين قال له حسن:

- فتحى رضوان هو اللى جابنى.

قال غنيم:

- فتحى رضوان يقدم للتحقيق فورًا... أنا مدير المكان[٢]

جريت خلف حسن سلام، الذى جلس فى مقهى البوابين فى العطارين.. كنت أشعر أن مصر تنحدر بعد السادات..

وقتها نزل فى السينما فيلم انتبهوا أيها السادة، وكتب أخى رمضان كتابًا بعنوان انتبهوا ايها السادة.. لكننا لم ننتبه .إن الشعب كله انزلقت قدمه خطوة خطوة ودخلت الثقافة العشوائية وأفلام المقاولات والنصب والاحتيال وتحولت مصر

---

(١) اتصلت بى أمى أبلغتنى وهى تبكى ان العميد البحرى ابن خالى امبابى مريض جداً، ودخل المستشفى.. واخى رمضان ذهب إلى المستشفى فى التأمينات للبحث عن وسيلة للعلاج بالأشعة للكبد الذى تليف.. أمى تبكى جعلتنى أبكى معها.. اللهم ارحمنا من الامراض فنحن ضعفاء.. فشعب مصر كله مريض.. زمن التلوث..

(٢) عملت قهوه بالحليب.. بعد أن صليت العشاء.. أكلت كفتة.. قرأت ديوان الشاعرة الرائعة سهير المصادفة (فتاة تجرب حتفها) مرتين.. زوجها أيضا شاعر جميل هو كمال العيادى.. وأرسلت للمغسلة قميصين للكى..غسلت الأطباق.. أسمع اف ام أصالة نصرى وحذفت إبداع ٣ صفحات .. وكتبت ٣٠ سطرا جديدا فى رواية كابتشينو ج ٣.. اشتريت جريدة الشروق.. شاهدت واستمعت إلى قناة cbc شعرت بالغثيان.. قناة فلول حقيرة.. البطاطا لسه عندى فى البوتجاز.. قلبى لسه فى التحرير وعقلى فى تاريخ مصر والعرب.

إلى انفتاح حتى غرقت للنخاع.. أصبحت لغة الأفلام والأغانى وكل ما حولنا لغة سوقية.. كنت أفكر فى الهروب من مصر التى غرقت أمامى فى التفاهة.. ويسعون فى الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين.

فاتن تسكن أمام مقهى البوابين.. آه يا فاتن نورك يغطى حى العطارين.. محطة الرمل.. كل الإسكندرية.. كل رجال الأرض إلا أنه نور انبثق من روحى ذات مساء منحة من السماء لك لتكونى الأنثى الاستثناء.. لك تعبر الحروف ويعبر بجوانحى الخوف.. لا وقت عندك لى والزمن يلاحقنى بنسائم شوق لك فأرحل لك فى معراج ولا أشبع من ترحالى بين الحرف والقلق وشقاء وجد خفى أعترف أنى إلى حبك وعشقك منجرف ومن هواك سأنحرف فأنت استثناء النساء وأنا رجل مختلف.. الحب أحيانًا نبى واحيانًا غبى، حبيبتى سأقول لك سِرا.. أنتِ مسك النساء.. وسيدة الاستثناء.. سيناديك جنونك لى بلا قيود لأن سكوتك وبِعادك هو مقاومة احتلالى لك من بعيد فقاومى لكن فى ذات مساء سوف ترفعين علم الاستسلام وأضمك فى صدرى وأغمض عينى ولا أنام..

سألتنى فاتن لماذا أنا؟؟ ولماذا فاتن بالذات؟؟ أذهب كى أنام على صدرها وأنا أشرح درسًا وهميًا بصوت عال حتى لا يرونى وأنا أنام على صدرها.. فاتن أقسم عليك بالله وبالسؤال والانتظار والحوار والأخيار والأشرار.. أقسم عليك بالوجع والخوف والقلق.. أقسم بالحروف وبالخسوف والكسوف أن تفتحى نافذة من نور قلبك للروح.. أهلكتنى الظنون والجروح

- كل شوية تقول فاتن فاتن مالك ومال اسمى ؟

- لك فى اسمك جلجلة وقوة قاهرة لكنك معى بين منطقة التردد والجبن حائرة، وردودك على جارحة، وكأننى صياد عصافير سأسجنك فى قفص.. أى خواء أفكار يسرى فى رأسك الجميل حين يميل لى..

أنا لا أخطط للحصول عليك ولا أجعل حبك مشروعا.. الحب بهذه الطريقة مذبحة.. إننى من الممكن أن أكتفى بك معى وبجلوسك فوق مكتبى أو مقعدى أو مخدعى.. أنا شجون عاشق حليم هادئ.. محاط بجيوش من نساء يسرقن من لحظات من رجال مجهولين.. هن لصوص الحب أما أنا يا أنا، رجل تنفذ روحه إلى سيدة الاستثناء سيدة فوق التصور رجل لا يذبح ورقة ورد ولا صوت عصفور كنارى.. أنا عاشق الربيع ورعشة الخريف ومطر الشتاء ونسيم الصيف كما أعتقد وكما أعتقد انك مقتولة بالظن وجرحك نازف فى صمت.. لكنك كل صباح تتحولين إلى أنثى جديدة.. لذا اخترتك أنت يا فاتن.. أنت

حضور حافل بالمعانى وميلاد ذاتى وجدل أفكارى وأحلامى وأنت قوة ضد تفككى والانقسام وأنت لى الأم والأب والأخ وقناديل الروح فى عتمة يخلقها القصور والقيود من سلطة اللغة والأغبياء وأنا الغائب وأنت الحضور وأنت التعويض وقوة البناء وأنت ضمير كل الأشياء ، وأنت ضوء وجع يدغدغ الليالى والنهارات والبراءة دون انضباط، وأنت تلقائية التوالد فأنت توالد مستمر للبهجة والحزن وكل البدايات..

فاتن اسمك عطر ينسكب فى أيامى يشمه الناس وأنا أظل أتعطش رحيقك، تشعرين بنبض قلبى وتفتحين شهوة روحى وتبتعدين بالجسد والروح عنى وأنت منى يا قاسية كم لى فى العشق سيرة وأنت مسك النساء لى وأنت الراقية.. عرفت أن الحب مصرى الجنسية والهوى مذ قامت إيزيس بجمع أشلاء أوزوريس فاجمعى أشلاء قلبى من النساء بيديك الحانيتين.

- يا رجل أنت.. .يا أستاذ بيدوخنى كلامك.

- يا فاتن.. وأنت معى أشتاق لك مرة، وأنت بعيدة عنى أشتاق لك مرتين، وأنت صامتة أسمع صوتك عبر حروف أوراقى وأنت تتحدثين فى الهاتف، أسمع دقات قلبى تغنى فى صوتك.. من أين تأتين بكل هذه القدرة..؟؟ أم أن العشق له أسرار وأنا لم أزل لا أعرفها بعد.. ترى من له القدرة على تغيير حياتى إلا نظرة من عينيك.. ترى من يقدر أن يمسح أحزانى إلا كفاكِ حين يمسحان جبينى ترى من له القدرة أن يجمعنا غير الله[(١)]

ذهبت إلى قصر الثقافة حيث أعمل، أبدا لا أنسى لحظة حانية من امرأة جميلة أو كلمة رقيقة من أنثى أنيقة ولا أنسى أبدًا صمتا حزينا فى عين امرأة يشاكسنى وتخجل من الكلام معى ولا أنسى حنان امرأة بوردة أو كلمة أو

---

(١) أحمد الله انى عرفت الله فى الضعفاء قبل الأقوياء أحمد الله أنى عرفت أن أرواح اطفال المؤمنين فى جبل فى الجنة يكفلهم ابراهيم وسارة حتى يردوهم إلى أبائهم يوم القيامة.. أحمد الله أنى عرفت أن أرواح الكافرين تكون فى سجن يسمى سجين .. أحمد الله أنى عرفت أن أرواح عامة الناس تكون كالنائمة ليس لها صلة بدنيا ولا بآخرة.. أحمد الله أنى عرفت أن أرواح الشهداء تكون فى حواصل طير خضر فى الجنة ويكون لها التصريف التام فى الدنيا.. أحمد الله أنى عرفت أن أرواح الصديقين والأنبياء يكون لها النفع التام والتصريف الكامل فى اهل الدنيا .. أحمد لله أنى عرفت أن الآنبياء أحياء فى قبورهم يصلون .. أحمد الله أنى لا أعرف أين تذهب أرواح العاشقين.. هل ستكون فى السماء ام الأرض.. فى الجنة أم النار إنى أحتار .. والله إنى أحتار..

لمسة أو ضحكة بريئة أو هدية بسيطة، صباح معجون بالمطر وموج بحر الإسكندرية الغاضب.. صباح الحياة يا أنثاى الحب لا يعرف الكبرياء الحب يعرف البساطة والفراشة والتراب ونسمات الهواء الحب بهاء وأحيانًا غباء وأحيانًا انتعاش أو سأم من الدلال والصمت.. بهاء الحب عندى أن أسمع صوتك عبر الهاتف أو ألمس كفك أو أهمس لك حين يتم اللقاء صباح ياسمين مأسور من البنفسج.. إسكندرية غارقة فى المطر.. مطر يغسل ذنوب البشر ويغسل قلوبنا الجريحة.. ويطهر البحر من التلوث... مطر مطر مطر كنت فيما كان أعشق القبلات تحت المطر، والتسكع على البحر.. الشاطئ بلا عشاق هل اختفى الحب أم اختلف البشر؟

قدمنى مدير القصر غنيم محمد للتحقيق الإدارى فى القصر، وأبلغ عنى أمن الدولة فى شارع الفراعنة بأنى أقوم بتكون خلية شيوعية وأنى أستقبل محمد ابراهيم مبروك كاتب القصة وهو شيوعى.. وطلبنى العميد محمد خضر فى أمن الدولة.. ارتبكت الأسرة لحضور مخبر من أمن الدولة وورقة استدعاء.. ذهبت فى الموعد الساعة السابعة مساء وانتظرت ساعة وسألنى:

- أنت بتعرف شيوعيين يا فتحى؟

- إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..

- أنت حتتحول إسلامي. أنت بتعرف شيوعيين.. الأول كنت بتحب فلسطين والمظاهرات والشيخ إمام ونجم.. بتروح المركز السوفيتى وتسمع عدلى فخرى وسمير عبد الباقى وبتعرف محمد ابراهيم مبروك، وفى الجامعة بتعرف حسن عقل.. ليه كل اللى تعرفهم شيوعيين..

- أنا بعرف اشتراكيين.. مش شيوعيين يا باشا .

- نعم يا اخويا؟

- الاشتراكية هى العدالة .

- والشيوعية يا افندى .[١]

---

(١) لا أحد يعلم كيف خرج الشعب المصرى من القمقم وإلى أين يمضى ..قمت ودخلت المكتبة أحسست برغبة فى قراءة كتاب جوستاف لوبون الاحتشاد.. وكتاب الاستبداد للأفغانى ..

- دا حلم.. بعد الاشتراكية، ومش حيحصل يا باشا.. الجهلاء يا باشا مابيفرقوش بين الشيوعية والاشتراكية.. والاشتراكية دى مذهب اقتصادى مش محمد إقبال شاعر الإسلام وباكستان بيقول عن الرسول سيدنا محمد علية الصلاة والسلام: الاشتراكيون أنت إمامهم.. وغنت أم كلثوم القصيدة دى.. عشان الرسول الكريم خلى الأنصار تقسم كل فلوسها وأملاكها مع المهاجرين.. وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً..
- أنت يا بنى بتدروش عليا.. تعملى إسلام اشتراكى..

خرجت من أمن الدولة لا أعرف أين أذهب.. خرجت بحثا عن نور فى وطنى التائه فى الظلام لم أجد الشمس ولا النور ولا حتى الظلام، كـأننا وطن.. كأننا بشر.. كأننا نحيا.... ذهبت إلى بيت فاتن للدرس.. ليس كى أشرح لها بل لأحبها.. أمسكت فاتن يدى ستكونين من مريداتي، وستكونين قصيدة فى جبينى، وحكمة للنساء، وللمهرات، وأيقونة المتمردات، ستكونين فى خزائن قلبى، وتكونين زمنى الخاص، ستدخلين عارية كما ولدتك أمك.. لأنثر عليك زهورى المقدسة.. قبلتها وأنا وهى فى الصالون، سأدغدك كل يوم فى أحضانى وأنا أغنى بوجعى فى صمت.. أنا يا فاتن عندما أعشق أكتب على جسد النساء وقلوبهن وأرواحهن قبل الورق.. ضممتها فى صدرى.. ونسيت العالم.. خرجت من عندها وأحمل فى يدى كراستها.. إلى الشوارع.. الشوارع شجر ليمون وورد بنفسج وناس تائهة أيها الراحلون كل يوم على جثة الوطن.. رفقا بأحذية جنودكم إن قلبى فى كل شبر فيه ولى فيه ذكريات أغلى من الماس الذى تبحثون عنه الآن صباح الوجع والوحشة كم توحشنى يا وطنى وأنا غريب فيك.. صباح الخير يا وطنى يا وحشة الروح.. جلست على المقهى وفتحت فاتن كراستها وجدت بها خطاب حب "عندما أقرأ كلماتك أشم عطرك فأنظر إليك يهتز نهديك وأرى يديك تداريهما بأن تضع عليهما عقدًا من الفل.."

قالت فاتن:

- عارف أنا بحبك ليه؟ لأنك قذفتنى فى وجهى بمنديلك ذات بروفة[١].. فاشتعلت فى جسدى شهوة المشاكسة معك.. وأصبح عندى رغبة التسكع معك والحوار معك.. وأنت رجل مخلوق من حروف، ومن نور، ومن مشاعر، وقلبك دومًا مسافر على طرقات مدن المعرفة والشجن..

نزلت إلى ميدان محطة الرمل، اتصلت بالهاتف من السنترال ببيت فاتن

- الو مين؟
- أنا فتحى رضوان خليل مدرس فاتن.. ممكن تدينى فاتن ياطنط؟

جاءت فاتن مسرعة..

- الو
- فاتن..
- نعم.
- ذات يوم سأدغدغ أفكارك القديمة بأنفاسى واذيب قلبك فى ميدان محطة الرمل بإحساسى لأنى ساعتها سأجمعنى بروح الجموع..
- اتكلم بالعامية..

ضحكت.. قالت

. لما لقيتك فى حياتى بعد غياب سنين كأنى لقيت عمرى اللى اتسرق ومادريت بيه..

يا فاتن إنى أتبرأ من كوكبكم وأفكاركم.. أتبرأ من ظلى الذى عشق فى يوم أرضكم.. أتبرأ وأعرف أن لا رجاء فيكم ولا خوف عندى من التبعية لله ولا إخلاص لديكم ولا أحب عنادكم.. أتبرأ من اللون الأحمر والأزرق والأسود،

---

(١) مذكرات يوم ٢٢ يناير..٢٠١٢استيقظت فجرا على الآذان .. صليت وجلست أقرأ القرآن حتى السابعة صباحا ..نمت استيقظت الساعة ١١ ونصف صباحا..استمعت إلى الشيخ عبد الباسط عبد الصمد واطلقت بخور فى الشقة جاءنى من الخليج هدية ..صليت الظهر . قرأت رواية لشاب موهوب جديد اسمه ايمن رجب من اسيوط عنوان الرواية (شرنقة الجسد) الرواية جميلة اقاليم مصر بها مواهب اكبر من ادباء القاهرة ..لكن الظلم شديد .. قمت بحذف بعض الحوار فى رواياتى كابتشينو.. كتبت عشرة اسطر فى الرواية ..غسلت بيجامتى .. قرأت قصيدة فريد أبو سعدة الشاعر المتميز عنوانها المهر ..فى الفيس بوك ..طبخت خضار واشتريت سلاطة خضراء وشربت ٤ فنجان قهوة وشاى .. وحدثت ٣ من الأصدقاء .. وشغلت نفسى بأن غيرت فراش السرير . فشلت اليوم فى وضع اللحاف فى الشمس ..ثمة إمرأة انتظرها تأتى لتغير ملامح اليوم والحياة فى حياتى ولم تأت بعد مازلت رجلا ارملا..

وأحب قهوة غامضة من يد أنثى تعشق الكلمات، أتبرأ من صخور وحضور أفكاركم والتفسيرات وأعشق فى قلبى التجليات، أتبرأ من العالم إذا لمست شعر أنثى عالية المقام وأن أسيطر على مفترق جسدها وأهيمن على روحها، وأتبرأ من كل ما سبق من قصص عشقى للنساء..(ضحكت).. كلما حدثتك عن الحب حدثتنى عن مصر.. يارجل

- خلاص بكره إن شاء الله أجيب لك الكتاب باى

مشيت على شاطئ محطة الرمل.. عند تمثال سعد زغلول.. هذا المكان يشدنى.. ذكريات طفولتى وشقاء العمل من أجل أن أساعد أبى.. محطة الرمل مكان أم حصاد الروح المجروحة بالعمل..

بعد أسبوع فى مسجد النبى دانيال كنت أصلى قابلت بجوارى العميد محمد خضر من أمن الدولة.. دهش وصافحنى وخرج.. مصر تعانى من كساد فكرى وتتجه ناحية الهاوية.. كتاب جلال أمين "ماذا حدث للمصريين" يربكنى لقد لاحظ تدهور مصر منذ عام ١٩٥٠فى بعض القيم الاجتماعية.. كنت لا أعرف الكثير عن التراث المصرى.. أما التاريخ العربى فكنت لا أقترب منه كثيرا فى ذاك الوقت.. آه يا وطنى أنحنى على يديك قدميك أقبلهم وأقبل أرضك شبرا شبرا.. انهض من موتك وابعث فينا الحياة مرة واحدة.. يا وطنى أحبك الله وأرسل لك العديد من الأنبياء وتجاهلتهم وطردتهم وقتلتهم... يا وطنى اغسل يديك من الدماء وعقلية التدمير والدمار.. آه يا وطنى العظيم الحقير النذل أنت من أحبك الله وأحب أرضك دون كل أرض البشرية فكن مرة فى التاريخ شريفًا ونقيًا ونموذجًا ونبيا مع أولادك.. آه يا وطنى الظالم طول الوقت وطول التاريخ أنصف أولادك مرة وادخل التاريخ والعصر بكبرياء.. أتوسل إليك.. الانحطاط الأخلاقى والفكرى الذى فى الثقافة والفن والتعليم والشارع انعكس على السياسة فأصبحنا فى انحطاط سياسى.. أنا برئ من كل هذا أمام الله وأمام أجيال أخرى ستأتى فى المستقبل اللهم فاشهد[١]..

---

(١) سحقا لك لم تحددى موعدا لفنجان القهوة معى بعد.. اليوم من الساعة ٩ صباحا حتى الثانية والنصف بعد الظهر قمت بالاشراف على تغيير رصيف مدخل العمارة التى أسكن فيها وشراء سيراميك.. وجلست أمام العمال فى الشارع حتى انهوا عملهم.. بما أنى مسئول اتحاد الملاك .. والملاك كسالى لا يرون قبح الرصيف.. تحول الشكل

لم أعرف لماذا كان يصر أبى الرجل الطيب الحاج الأمى أن يشترى لى كل يوم جريدة حتى أقرأ، وتعبأت بالسياسة دون أن أدرى، وحتى أننى كنت أول من حفظ ميثاق عبد الناصر فى الصف الأول الثانوى، وخرجت فى أول مظاهرة وأنا فى الصف الثالث ابتدائى خلف شباب مدرسة النهضة النوبية الإعدادية..

كنت أذهب إلى بيت فاتن فى العطارين كى أشرح لها بعض دروس النحو، أم أبحث عن دروس فى الحب والقبلات، أنا رجل تطعننى الوحدة كل ليلة بسيف بارد.. أسعى ولكن أقاوم سعياً للنور رغم أن الظلام يحاصرنى ليل نهار.. ضربت جرس الباب.. فتحت الباب فاتن.. تعرف موعدى:

- مساء الخير

فتحت الباب.. فتحت باب الروح وعطرها يلفحنى، مساؤك لى أيتها المهرة البرية المتمردة. تعالي إلى حضنى أضمك أنثرك دفئا للكلمات وبخورا للمصلين فى محراب العشق أنت دخلتِ باب الملكات فى قصر عشقى فتعالي وتطهرى.. دخلنا الصالون، ضمتنى حتى دخلت إلى الحشا.. ضمينى أكثر فأشعر أنى أكبر وأصير عملاقا ونورا..

صاحت أمها: مين اللى جه يا فاتن؟

صاحت وهى فى أحضانى: أستاذ فتحى مدرس العربى.

هل تعرفين معنى الأنثى فى سطور رجل يستمد الطاقة من روح أنثاه جنونًا.. يدفعنى للخرافة مع أنثى تعشق الحياة[1] ماذا جرى ليلتئذ حين قلت لك تعالي ولم تقبل دعوتى وقهوتى.. ماذا جرى ليلتئذ على الرغم من أنى لا أحلم كثيًرا

إلى شكل مبهج . بعد مرور السنيين. أصحاب ثلاث عمارات غاروا وسألونى اسم المقاول والذى كان معى.. تحول مدخل العمارة إلى شكل أجمل.. الغريب ان ولا ساكن من ال١٨ ساكن سألنى بتعمل ايه أو قال شكرا.. فقلت لنفسى شكرا لى لانى حققت بعض الجمال فى مدخل السكن ليكون جميلا وأمسكت يدى اليمنى وصافحت اليسرى.

(١) ذهب وفد رسمى وشعبى إلى السعودية حتى يعود السفير السعودى إلى مصر لأن المظاهرات العشوائية قامت بالهجوم على السفارة وبالقذف على بابها، فقامت الخارجية السعودية بسحب السفير والقنصل.. المصريون مرتبكون بعضهم يدافع عن كرامة المصريين وبعضهم يطلب عقاب السعودية بعدم الذهاب إلى الحج والعمرة والبعض لا يعرف ماذا يفعل ؟؟ اليوم التقى خادم الحرمين بالوفد الشعبى والرسمى المصرى، ووعدهم بعودة السفير ..

فقد داهمتنى الأحلام واختلط الحلم بالوقائع وأنت كنت فى كل لقطة فى الأحلام.. ماذا جرى ليلتئذ حينما تعرى قلبى لك وتفرسته بعينيك، كنت مهتاجًا كالثور مشدودًا كالوتر، أطلب يديك وأنت كنت فى السراب ترافقينى كالعدم، ماذا جرى ليلتئذ خلعت جبة الولى العاشق حين سمعت صوتك وهربت من خراب النفوس التى تلاحقنى واستهلكنى عشق الوطن فى جميع الأحوال.. وطن يركب الحمار والأحقاد والرغبة فى الانتقام وطن ثري ويدعى أنه قحط.. ماذا جرى ليلتئذ؟ أنا لن أقف فى طابور عشاقك حتى يأتينى الدور وأجبر على الانحناء لأن العشق بلاء.

ماذا جرى ليلتئذ؟ تغمغم حروفى حين أرى اسمك أو أسمع صوتك، ماذا جرى ليلتئذ؟ المحيطون بى محبطون، وأنت وردة تفاؤلى فكونى ولو مرة مرة واحدة نسمة رحمة لى فى حياتى التى اغتيل الفرح فيها طول العمر.. على المقهى جلست..

قال الشاعر سعدنى السلامونى قصيدة..

- ما اسمك الحقيقى؟
- اسمى مصطفى أبو حسين
- وأسامة وفوزى ورمضان
- كل اسم عايش بخمس أجسام
- يبقى أنا كام؟
- يبقى أنا خمس أجسام
- جسم تدخله الكوابيس
- وجسم عايش فى الأحلام
- جسم خرسوه يتكلم
- وجسم ما بيبطلش كلام

الشاعر/ سعدنى السلامونى

***

فتحى رضوان خليل

كنت أحب فاتن.. أستعد للزواج من تهانى.. أغرق فى عشق فاتن..

آه يا فاتن ذات يوم سأخطفك وأضع حول عنقك حرف الياء وأضع فى أصابع يديك حرف الألف وألف خصرك بحرف السين.. وأضم شعرك بحرف الفاء وأعصب عينيك بحرف الألف، وأضع خلخالا فى كاحل قدميك بحرف النون.. وأكتب شهادة ميلادك من جديد وأسميك ياسمين. ولكن كل أحلامى مؤجلة ليس بيدى أن أحققها، لم يسعفنى الحظ العظيم بعضها هاجر أو سافر أو انقرض أو اختفى أو كمد حزنا ومات.. آه أحلامى يا أحلامى.. صرت رجلا مطفأ الحلم وفى إذعان للقدر وللمكتوب ولكننى عنيد مازلت أحلم كل يوم لأن الله كل يوم هو فى شأن.. ولكننى يا سيدتى حياتى سجل هزائم من الوطن والأصدقاء حياتى كانت اختبارات من الرحمن[١]

إنى أحتاج إلى جيش إنقاذ من ملائكة السماء لتنقذنى من حوارى مع الطرشان.. وأنا إنسان خلقه ربه من الفخار وخلق الجنة والنار فبأى آلاء ربكما تكذبان، ولكنهم على الرغم [٢] من جهلهم أحبهم فهم شعبى الغبى، ملأت حكاياته التاريخ وكله جواسيس ووشاة ومشعوذين ولكن فيه ثلة من النبهاء والحكماء مغتربين[٣]، ولكنها أحبها دون النساء سيدة قلبى.. فهى ست الحسن ورونق يعطر جسدها بأنوثة مطلقة وأنا رجل يجيد الانتظار. قلمى لا يبكى بل يسطر نورا.. فهل تفقهون أم غشيت الأبصار وعميت القلوب أم أنى بالحروف مفتون ومجنون وأنتم بالجهل معجونون..

آه يا فاتن.. صباحك لى دون كل رجال الأرض وقلبك لى أمرح فيه وأطلق بالونات الفرح فى فضائه وعقلك للوطن فى المظاهرات، وروحك للرحمن الذى خلق الإنسان وعلمه البيان صباح لنا يأأنا. وحماك الله من شر الناس

---

(١)(عاش العقيد ما يربو على الخمسمائة عام، وتزوج أربعين ألف زوجة وشرب نصف خمور الأرض وأنجب شعبا بأكمله وكان يعتقد أن الجمهور من أبنائه وأحفاده، و من حقهم أن يلقوا عليه النظرة الأخيرة (من قصة غليون العقيد للكاتب الكبير محمد عبد الملك – البحرين)

(٢) قصة قصيرة جدا للكاتب فؤاد نصر الدين (دائماً كنت احتضن أمى ،وهى تحكى لى حكاية قبل النوم ... عندما ماتت حكيت لنفسى الحكاية؛فأحتضنتنى أمى ونامت على صدرى)

(٣) الوجه الآخر أحبها، تبادلا المشاعر، كتب من أجلها قصص الحب والغرام، فوجدها في دفتر صديقه!. هدى الغراوى العرا ق.. قصة قصيرة جداً.

ومن شر نفسك إذا استيقظت أو وسوست[١]

اقتحم الحجرة جلال امين لجنة الرحلات.. أغلق الباب خلفه قائلا:

- الحقني ياريس؟
- خير..
- مش خير ابدا.. البنت الخدامة؟
- مالها..

اخذ يبكى كالأطفال

- فيه ايه ياولد؟
- الأول كنت بحسس عليها وأبوسها وأجيبهم واستريح.
- وبعدين؟
- شوية شوية.. بقيت أخلع هدومى.. وتمسكنى وأستريح.
- ها قول وخلص أنا مش فاضى لك؟
- وبعدين اتعلمت وعملت بجد.. ولقيته حلو بقيت أعمل كل يوم.. بتقولى امبارح إنها حامل

وأخذ يبكى

- يخرب بيتك؟ دى عيلة أقل من ١٦.
- بس حلوة.
- اعمل ايه.. أنا ما اعرفش تعمل ايه؟ ماحبلتش واحدة قبل كده.. روح شوف حد من اللى مروا بالتجربة دى.

---

(١) حدثنى الكاتب الصديق بهيج إسماعيل ، وسألنى وسط الحديث أنت تركت إيه لأولادك؟ قلت فعل الخير.. قلت ابنتى غيداء وعمرها ٦ سنوات كنا فى مطعم فاخر على كورنيش الإسكندرية وبينما تمسك سندوتش كبير سكلوب بانيه ظهر طفل من أطفال الشوارع أمامنا ووقف وقال لى أنا عاوز سندوتش زى دا.. أخذت السندوتش من يدى ابنتى وأعطيته للطفل فرح جدا بكت ابنتى طلبت لها سندوتش آخر وقلت لها إنه طفل يتيم طفل شوارع وأى طفل يتيم لازم نساعده وأتى الجرسون بسندوتش لها.. كبرت ابنتى وهى فى الجامعة وجدتها تقوم بتدريس الأطفال اليتامى فى ملجأ على بن أبى طالب، وظلت على علاقة بهن ومساعدتهن كم شعرت بسعادة كبرى.. أما محمد ابنى علمته وهو يسير معى وأنا أقوم بمشاركة الناس بما فى جيبى قلت له ان ما فى جيبه وهو فى الشارع ليس ملكه بل هناك فقراء ومحتاجين سيقابلهم فى الشارع فهم لهم حق فى هذا وعندما شاهدنى أفعل هذا ظل محمد وهو فى الجامعة وطول الوقت وحتى الآن يعلم أن ما فى جيبه ليس ملكا له ولكن يشاركه المحتاجين والمساكين.. تركت لأولادى حب الخير.. أفضل من ملايين النقود والعقارات اللهم تقبل منا وأجرنا وسامحنا إن نسينا أو أخطأنا.. آمين

- أبوس ايدك يا ريس.

اقتحمت الغرفة ناهد حجازى وأخذت تقذفنى بالكتب فى وجهى:

- يا كذاب يا نصاب يا بتاع النسوان بتنصب عليا وبتقولى بحبك وتروح تخطب واحدة تانية وبعدين تعمل علاقة مع بت فى ثانوية عامة اسمها فاتن.

نظرت إلى جلال لأنه الوحيد الذى جاء من الكلية إلى البروفات فى قصر الحرية وشاهدنى أنا وفاتن في حالة انسجام أثناء البروفة وغمز لى..

- انا اللى قلت لها ياريس..

قمت من المكتب واقفا.. صائحا:

- الكلب دا مغتصب بنت عندها ١٦ سنة وحامل وجاى يطلب مساعدتى دلوقت أنت بتصدقى واحد يغتصب القاصرات..

ذهلت ناهد.. خلعت الحذاء وهجمت على جلال:

- يا حيوان يا حيوان

كانت فرصة ان أحوشها وأمنعها وأحتضنها وأمسك نهدها، وهى شعرت فى قمة انفعالها وغضبها أنى تحسست كل جسدها صاحت:

- ابعد إيدك يا حيوان انت كمان[(١)]

خرجت ناهد.. انفجرنا أنا وجلال فى الضحك وهو يضحك والدموع فى عينيه..

بحثت عن شهيرة صاحبة السيارة الفارهة بنت الطبقة الراقية والتى تحل مشاكل البنات الحاملات باسم مساعدة الإنسانية، وأخبرتها من باب الإنسانية تساعد جلال.. صاحت:

- هو جلال حامل؟

انفجرنا فى الضحك مرة اخرى..

مر جلال من هذه الأزمة لكنه لم يتوقف عن الاعتداء عن القاصرات

---

(١) تقول الكاتبة الكبيرة ليلى العثمان فى قصة لا خبر لا (الموسيقى طوفان... والقلب غريق... والجلد يتنفس من تحت الثياب فينفث رائحة سلخه القديم... والصدر... عشق يتوارى... ووجد يتنامى بين الضلوع... والطبل، والطار... وصرخات المعجبين والمعجبات بصوت المغني ذي البحة الحزينة... وكلمات الأغنية دبابيس تنخر الذاكرة... وتنزف أحداثها. "لا خبر... لا كافيه... لا حامض حلو... لا شربت" يغني... وهم يصفقون "قلبي يحزن... فأين الخبر؟؟" لا خبر"... انقطعت الأخبار بيننا... عيناك السمراوان رحلتنا... مدن من الحزن الأسود... تلوحان من البعيد... حيث أنت.

الخادمات.. وظل جلال على هذا الحال حتى بعد أن كبرنا متخصصا فى البنات القاصرات ينزل فى الشوارع بحثًا عنهن والوقوف أمام المدارس الإعدادية[١]، وكنت كلما عاتبته قال ضاحكا:

- لو جربت واحدة مرة لن تسلنى .
- أعوذ بالله.. يا جلال.. يا شيطان..

ونضحك.. قال جلال:

- أقسم بالله الشيخ.... حاكم.... فى الخليج متخصص فى البنات القاصرات.. والشيخ.... حاكم... والوزير فلان ...

ضحكنا.. قلت أنتم نقابة بقى وزملاء عارفين بعض[٢]

(١) (ليس الان – قصة قصيرة جدا - بقلم هناء نجم) أقسمتْ أن تعصف به، كما العواصف تقلعه من حياتها من الجذور، حين يعود، هذا هو قد عاد، أسرعت إليه وارتمت فى أحضانه، وكأن العواصف ليس موسمها الآن.

(٢) تعطرت وارتدت أجمل ملابسها، أخبرت أمها أنها مدعوة لمناسبة تقيمها زميلتها في العمل بعد المغرب، خرجت من الباب لمحها وهو يهم بمغادرة العربة تمشي على الرصيف، شيء فيه اشتعل حرك العربة ولما حاذاها توقف، لما استقرت في المقعد لم يكن هو، ولما تجاوز الشارع لم تكن هي، تأملته وشعرت بالم حاد يخترقها (قصة منصور الشقحاء – المملكة العربية السعودية)

فهل لازلت هناك.. لأذهب.. أم أسترخى تحت تجاعيد الأيام..

الشاعر حسين القباحى

ديوان نقوش جنوبية

***

قراءة في لوحة مشاعل العسافة.. والقناع

مشاعل العسافة فنانة سعودية، وهي تقدم في لوحتها القناع إحساساً متميزاً باللون الأخضر.. اللون الأخضر سيد اللوحة.. القناع صارخاً .. مقتضب الجبين.. صارخاً في وجه العالم محتداً . محتجاً

يقول كافكا عن القناع: "عبر القناع يصبح للسلطة وجها مميزاً وحضوراً مغايراً ووظيفة خاصة ربما يكون القناع هو أول وجه ملموس للسلطة، سلطة لحظة بعينها على لحظات أخرى، أقل تكثيفاً ودلالة وسلطة فرد فوق الجماعة.. القناع هو سلطة الاختلاف والتميز، سلطة الساحر والطقس يفصل لحظة خاصة عن تكرارية الحياة اليومية ولابد من خلالها أن يختلف الشهود.. تتحول مشاعر الناس وتتبدل ملامحها بينما الثابت الوحيد هو صاحب القناع المنفصل داخل دوره الضروري للجميع"

أليس القناع هو الساحر.. أليس القناع هو المفتاح للعالم الخفي.. أليس هو الخفاء والدهاء والأسرار والقناع عند مشاعل قناع آخر.. هو قناع تراه برؤيتين.

القراءة الأولى.. هذا قناع الشر الذي يخيف الناس ويرعب القلوب ويجعل الناس تلتفت خلفها. هذا قناع السلطة المسلط على الناس. إن القناع هنا لذلك الشر الذي لون باللون الأخضر وسيطر على الوادي الأخضر والقلوب الخضراء والمساحة الخضراء والبسطاء وجعل كل شئ في خدعة وفي دهاء.. هذا القناع قناع الدهاء[1] إن القناع يرجعنا إلى المواجهة القديمة وتقاليد

---

(١) قصة قصيرة جدا بقلم لطيفة الحريرى (سال..قلبها قبل قلمها له عشقاً..فلما ارتوى..أخرج لها البطاقة الحمراء..ووضعها في قائمة الإحتياط.

الصيد والتمثيل والرقص البدائي هذه العلاقة بين الإنسان والقناع، علاقة سحرية، إن القناع هو مواجهة الواقع والمتخيل والوجود التاريخي والفكري..[١] إن القناع يلعب على مستوى الفرد والجماعة.. إن الفرد يسعى دائما إلى التحرر من الخوف.. إن القناع ليس شكلا محدودا في التعبير قد يستخدم فيه مدارس مختلفه مثل التعبير أو الرمزية أو التكعيبية أو التجريبية.. إن القناع يفجر لدى الفنان التشكيلي شحنات درامية قد يظن البعض أن القناع يدعونا إلى السكون بينما هو يدعونا إلى حالة من الحركة والفعل الديناميكي. إن الفنانة مشاعل مفعمة بالتفاؤل والتحريض والبساطة والسخرية. إنها تملك حساً بين الهمس والنبرة والصياح.. إنها في بداية البحث عن ذاتها[٢]

أعتقد ان هذه اللوحة يمكن أن تسمى الصرخة لموقف الفنانة من العالم..

قد تكون مشاغل العسافة لا تدري أنها شاهدة على عصرها ولحركة التاريخ..

إنها تريد أن يكون لها موقف ولكن أي المواقف.. إنها تريد أن تصرخ. هذا القلق المشروع الذي يدفع الفنان أن يرفع يده من فوق عينيه ليصيح: إنني أرى كل شئ وأعرف كل شئ وأستكشف كل شئ..

لكن المدهش حقا أن الفنانة التشكيلية مشاعل تريد أن يكون لها موقف من هذا العالم الغريب العجيب المدهش الذي نسير فيه وأنها بدأت المشوار

---

(١) حدثتنى الدكتورة المتميزة / وفاء كمالو الناقدة الادبية المعروفة زوجة النجم الرائع رضا وقالت حتنتخب مين شفيق والا محمد مرسى قلت انا مش حنتخب حد .. اللى انتخبته لم يحصل على اصوات الاغلبية لأن الاغلبية جاهلة سياسيا والقلة التى قامت بالثورة لا تستطيع أن تقود الجهلاء.. هى مصر عبيطة قد كده؟؟

(٢) يقول الكاتب إسماعيل فهد إسماعيل عن نفسه فى حديث صحفى (حاولت في معظم رواياتي أن أقدم الشخصية المقنعة بأقل قدر من الوصف، ونشداناً لهذا الأقل، يصبح من الضروري إلغاء الوصف أو تقليله بالنظر إلى داخل الشخصية وخارجها بعمل وشيجة بين العالمين، فيتحول الوصف، إلى منحىً ذاتي، وبالإحالة إلى المتلقي يتحول المتلقي إلى شريك في صنع العمل. اما الإصرار على هذه التقنيات في الروايات اللاحقة، فقد كانت له علاقة بالشخصيات، لأني كنت حريصاً على أن أولي اهتمامي الأول بالمثقف العربي المسيس، ولأن الأخير – المثقف العربي - يعاني من حالة اغتراب دائمة تجاه مجتمعه، لابد والحالة هذه من تقديمه كشخصية ارتكابية مما يبرر استنطاقه بالشكل المذكور، بيد أن هذا الاستنتاج لا يسري على شخصيات أخرى ثانوية أو أحادية الجانب أو أنها لا تعاني من حالة اغتراب تجاه واقعها..

والمشوار الطويل ولكن خطوطها تملك مساحة من التعبير والقدرة علي الفهم ولكن يبقى انها فنانة موهوبة مع لوحة القناع[1]

مجله الكتابه الأخري – امتولات كافكا

ترجمة حسن حلمي

العدد ٢٣، ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١ ص ١٤٢.

---

(١) قابلت بالصدفة صديقى السياسى الرائع جمال سالم الذى أعرفه من سنوات طوال عرفنى على المهندس غنيم غنيم والتقيت بصديقى الثالث عاطف صالح.. كنت أتوقع أن يصبح جمال سالم محافظ الإسكندرية وأن يصبح عاطف صالح صحفيًا مرموقًا أما المفاجأة المهندس غنيم فهو مهندس ومثقف من طراز رفيع وله كتابات مقالات ومسرحيات لم تنشر ..(فى الطبعة الثانية ..مات عاطف صالح ثم مات غنيم عبد الوهاب) الموت يختطف علامات الجيل..

لم يكن يجرؤ على الغناء بمفرده في ساحة
لكن عجوز مكومة في ركن
بحكايات مؤلمة
غالبا ما يستأثر المشيعون بالموت
غالبا ما يؤبون بأحزان باقية.
ويعودون ليشيعوا أرواحهم تحت ظلى
"الشاعر حمدى عابدين"

***

سهر.. هل هى أنثى أم سحر؟ الحب أحيانًا نبى وأحيانًا غبى.. كاظم مرتبك بسبب غياب سهر عن الفصل وقالت سهر لأمها وأبيها إن الثانوية العامة تحتاج إلى المذاكرة فى البيت أكثر، خاصة وأنها قسم أدبى وليست قسم علمى.. الغريب أنه فى كل يوم تجد سهر رسالة عشق على باب بيتها..

هل عشقت مرة قمرا لحظة يكون فى الأرض وألف لحظة فى السماء ومليون لحظة يكون فى قلوب العاشقين فى الخفاء.. ليمنحهم البهاء.. تلك هى سهر أجمل بنات الجبل والقرية..

جاءت ليلى إلى بيت سهر.. يوم ويوم تأتى ليلى لتذاكر مع سهر، وفى كل مرة كانت تنتهز أى فرصة لتقبلها..

- الله شفايفك بتجنن ياسهر
- أنت أحلى.
- طيب هاتى بوسه كمان.

قبلتها.. ثم غابت ليلى فى القبلة.. انتفضت سهر..

- شو هذا يا ليلى؟
- تعال خدى واحدة تانية..
- لا.
- لا.. ليش حوريك كيف.. تقبلين زوجك وكيف تتمتعين..

- لا ما بدى..[1]

فجأة دخل العصفور من نافذة الحجرة وصفع ليلى بجناحيه على وجهها.. أصابت سهر قشعريرة.. ارتبكت.. قالت ليلى:

- شو ها عصفور..

قامت سهر وقالت عندى مشاوير اليوم.. كفاية مذاكرة اليوم.. قامت ليلى مرتبكة:

- اوكيه بشوفك بكره..

خرجت ليلى.. وبعدها ارتدت سهر ملابسها وذهبت إلى شهزاد، وحكت لها ما جرى وما كان من ليلى من حركات التقبيل والتحسيس.. ابتسمت شهرزاد:

- هذه بنت موطبيعية.. هذه شاذة بتحب النساء..
- كيف يعنى ياخالتى؟
- يعنى ما تحب الرجال تحب النسوان.
- يا ويلى يا ويلى..
- لا تصاحبينها ولا تعاشرينها.. دى خطر.. أكيد أبوها جه هون من الأردن عشان فضحته هونيك..
- يا ويلى يا ويلى..
- انسى ماجرى اليوم واسمعى يا حبيبة القمر..

كان الناس فى انتظار قرار فرعون بالسماح لهن بالهجرة من مصر.. حتى أمر الله فى الضربة الأولى على المصريين وفرعون.. الضربة الاولى.. فى الصباح خرج المصريون إلى نهر النيل فوجدوا ماء النيل تحول إلى دم؛ فلم يجد المصريون ماءً ليشربوا، حتى ماء السواقى والجرار والمخزن فيها الماء تحول إلى دم.. دم.. دم.. دم، جن فرعون مصر ودعا سحرته لحفر آبار فى الأرض ليشربوا حول النهر.. وقسى قلب فرعون على اليعاقبة الإسرائيليين كل من يشرب منه من المصريين والحيوانات يمرض ويموت. حتى الأوانى الفخارية فى المنازل التى يخزن فيها الماء صارت مدممة. حفر المصريون

---

(١) دق جرس الباب البواب عاوز فلوس الصيانة ١٠٠ جنيها.. دق جرس الباب موظف شركة الكهرباء فاتورة ٨٠ جنيها.. دق جرس الباب فاتورة غاز عشرين جنيها ...اتصل معتز العجمى صديقى المثقف وقال لى محمد تعلب صديقنا عاوز يشوفنى على القهوة هو والكاتب محمد على وافقت.. نزلت على المقهى .. الهروب مع الاصدقاء..

آباراً جوفية بجوار نهر النيل ليشربوا منها فإذا هى تخرج دماء ممزوجة بالماء. وكان بنو إسرائيل المصريون يملأون أوانيهم وجراريهم من نهر النيل بالماء ويشربون منها. بينما المصريون إذا وضعوا قواريرهم وأوانيهم خرجت بالدماء. وإذا تناول المصرى من إسرائيلى كوب ماء يجد دماً فى فمه فيتقيؤه.. بينما الإسرائيلى يتناوله فيجد ماءً، حتى المرأة المصرية إذا طلبت من الإسرائيلية أن تضع ماءً من فمها فى فم المصرية يتحول الماء إلى دم فى فم المرأة المصرية.

يا الله!! كاد الشعب المصرى كله أن يهلك لولا رحمة من الله وفضل أن جعل آباراً صالحة للشرب فى الصحراء بعيدة عن نهر النيل بمسافات شاقة؛ فكان على كل من أراد أن لا يهلك أن يتجه إلى الصحراء مسافات طويلة ويملأ ما معه من أوان ويعود بها إلى بيته، وكانوا يقفون عند الآبار صفوفا ويتقاتلون.. هكذا يظهر الله نعمة الماء وفضله على المؤمنين والكافرين ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. قال فرعون:

- اطلبوا موسى وهارون فى الحال.

جاء موسى.. قال فرعون لموسى:

- ماذا تريد منا؟
- أريد أن أخرج ببنى إسرائيل من مصر.
- ومن يخدمنا إذا سمحت لكم بالخروج؟

لم يرد موسى.. نظر فرعون إلى موسى:

- قيل إن الماء عند الإسرائيليين ليس دما..(١)
- أريد أن أخرج ومعى الإسرائيليين من مصر
- ومن يحفر ومن يزرع ومن يغسل أتريد أن تأخذ الحمالين والنجارين والبنائين والقصابين والزراع وحفارى القبور والصناع والحطابين وصانعى الفخار.
- إن الله يطلبنى أن أخرج بشعب إسرائيل المؤمنين من مصر..

---

(١) اخى أحمد حافظ اتصـــل بى فهو يود رؤيتى للحوار معى .. أحمد حافظ الابن الثالث للحاج حافظ رجب .. يشـــبه أبى فى الشـــكل والقلب الطيب .. وهو يكتب مقالات بين الحين والحين .. ويشجع الاخوان المسلمين وأعطانى ٢٠٠ جنيها كنت مفلسا.

قال فرعون لموسى وهارون:

- اسمع يا موسى اسأل الله ربكما أن يعيد ماء النيل عذباً بدون دماء، وسأسمح لهم بالعبور والرحيل من مصر..

فى نفس الليلة ذهب محب فى الليل ليأخذ من بيت نور، الماء لأمه وأخته وأبيه.. دق باب نور.. فتحت الباب.. ذهلت.. كيف ولماذا جاء؟

- نور
- محب
- أريد ماءً لأبى وأمى..[1]
- ادخل خذ..

ومر إلى داخل الدار، فوجئت أم نور وكنعان بمحب.. تذكر الأب الآن هذا الضابط الذى كان يضربه من أسبوع.. خافت الأم وانكمشت بجوار كنعان. وارتعد أخو نور.. دخل إلى زير الماء وحمل قربة الماء كى يشرب.. وشرب وعندما مسح بكم ثيابه الماء وجده دما.. صرخ صائحا:

- دم لقد شربت دماً

قال الأب وهو يرتعد:

- لا يا بنى هو ماء.

مد الأب يده وحمل الماء فى كفيه

- انظر.. ماء

كان الرب يعاقب المصريين الفراعنة بأنهم عندما يلمسون الماء يتحول إلى دم.. ولم يدر محب أن الرب لا يمزح ولا يحب الظلم والجبروت.. نظر إلى نور هزت رأسها بتأييد كلام أبيها وذهبت إلى الزير وحملت بكفيها ماء وقالت له:

- اشرب من يدى أبى ومن يدى ماء.

---

(١) طلب منى صديقى الناقد والعالم شاكر عبد الحميد أمين عام المجلس الأعلى للثقافة فى مصر أن ارشح اسماء للجنة المسرح فى المجلس الأعلى فرشحت عشرة أسماء منهم الكاتب بهيج اسماعيل ووفاء الحكيم وعبد الغنى داود.. ولم ارشح نفسى لأننى طلب منى الترشيح .. فأخذ من الذين رشحتهم الكاتب بهيج اسماعيل ووفاء الحكيم لكن.. لم أنل شكرًا ولا اعترافًا من أحد.. وعندما رشحت له الدكتورة وفاء كمالو وهو وزير الثقافة لتتولى قطاع الفنون الشعبية مسرح البالون، تجاهل ترشيحى .. عادى.. خسرنا موهبة كبيرة مثل الدكتورة وفاء وعين شخصا آخر ..

- لكنه فى فمى دم وها هو على ملابسى.. انظرى

قال الأب:

- مشيئة الرب
- رب من؟
- رب موسى وهارون الذى يؤدبكم..

"آه يانور.. قلبك جناح فراشات ونبضك نور.."

- اشرب من كف أبى كنعان..

"الآن يا حبيب قلبى اشرب من كف أبى أنا من دمه وظهره.. هذا الذى ضربته منذ أسبوع"

بكى محب كطفل صغير..

- قولوا لموسى أن يسرع فى سؤال ربه أن يعيد ماء النيل لنا بدون دماء ومولاى فرعون سيسمح لكم بالرحيل كما وعد..

هز الأب رأسه.. خرج محب من الدار ودموعه على خديه.. أمسكت نور يد أبيها متوسلة:

- يا أبى.. أتوسل إليك اذهب إلى نبى الله موسى واسأله أن يصلى للرب ويطلب منه إنقاذ المصريين من العطش..

قام الأب وهو ينظر إلى ابنته التى كانت تبكى على حبيبها وعلى مصر التى تحبها فقام وذهب إلى نبى الله موسى، فوجده ليس فى داره.. إن موسى يتنقل كل ليلة فى بيت خوفًا من بطش فرعون له ولأسرته.. لقد كان موسى حزينًا على ساريس زوجته الأولى التى ماتت حزنًا وكمداً فى قصر أبيها بعد هروب ورحيل موسى إلى مدين حزيناً على آلاف المصريين الذين صلبهم فرعون لأنهم آمنوا بالله وخرجوا من الإلحاد.. قابله كنعان وكلمه..

صلى موسى فى تلك الليلة وسأل الله فعاد النيل ماءً، وليس دماً.. فرح المصريون الفراعنة بهذا وأقاموا الاحتفالات، بينما فى ذاك الوقت كان العبرانيون يجهزون أنفسهم للرحيل مع موسى فلم يذهبوا إلى أعمالهم؛ فتوقفت الحياة فى مصر..

فى الصباح، لم يجد فرعون الخدم والعبيد من الإسرائيليين، ولم يجد تجار الفراعنة الخدم والعمال.. لم يجد الإقطاعيون الفلاحين العمال الإسرائيليين

اليعاقبة.. محلات البيع والشراء مغلقة.. أصحاب المحلات لم يجدوا العمال.. اتجه التجار والاثرياء إلى قصر فرعون يصرخون:

- أنقذنا يا فرعون..

خرج فرعون إلى النافذة..

- ماذا بكم؟

صاح الفراعنة:

- الدكاكين والحقول.. كل شئ توقف فى مصر.. الإسرائيليون اليهود يحملون أغراضهم للرحيل من مصر مع نبى الله موسى[١]

- من قال؟

- قالوا إنك أعطيتهم وعداً..

صرخ فرعون:

- ليعد الإسرائيليون إلى العمل وممنوع سفر أى واحد منهم..

نزل أمر فرعون فى البلاد من يترك العمل من الإسرائيليين يقتل فى الحال.. رفض اثنان العودة للعمل، قبض عليهما وصلبا كى تأكل الطيور رأسيهما.. مر الإسرائيليون على الجثتين المعلقتين المصلوبتين، وعادوا للعمل على الرغم من أن نور كانت لا تحب الرحيل من مصر، لكن سحر الإيمان بموسى أقوى.. نور حائرة بين سحر الحب الإنسانى وسحر الحب الربانى.. ذهبت نور إلى ضفاف النيل وجلست.. الغريب أن أباها كنعان لم يسألها عن محب.. لماذا جاء إلى الدار، وظل صامتاً.. الصمت كلام وله ضجيج خاص.

ضرب جنود فرعون اليهود المصريين ليعودوا إلى أعمالهم بعنف شديد، وأن لا يغادروا مصر..

لم ينم محب فى الفراش جيِداً.. يتقلب بين اليمين واليسار بين الهوى والجوى بين الشوق والكبرياء بين نهر الرغبة وضفاف التنازل..

---

(١) كتبت فى الفيس بوك تمنيت أن تكون حفيدتى كادى عمرها ٦ سنوات بدلا من ٦ شهور لأحكى لها عما جرى لى فى مصر والوطن العربى وكم طعنة طعنونى بها.. وأن أهمس لها فى أذنها وأنا أمسح شعرها بيدى هاجرى يا صغيرتى من هنا هذا الوطن لا يطاق .. لن أذهب للانتخابات لأنها زورت فى أول أنتخابات ديمقراطية والأن وضعونا بين النار إما الاخوان أونار شفيق والعسكر.. فلن اذهب للانتخابات (أعجب بها الشاعر عادل الخطيب والأستاذه ثناء اللبان والصديق المثقف السعودى أحمد مخنوم..

"نور ياهوى يسافر بين أنفاس الضلوع بسحر ابتسامة الأطفال..
نور هل في نظرات عينيك سهام قوية أم هو شعاع عينيك كبرياء..
نور من أين أتيت؟ يا بنت الإسرائيليين بكل هذا البهاء الذى يخبل كل رجال الأرض؟.. ومن هو الله الذى تؤمنين به.. ودلك عليه موسى"

ناداه الشوق.. وللحب سحر أقوى من البشر فله يلين الحجر.. ركب حصانه برق، وطاف حول الحي الذى تسكن به من بعيد..

"من بعيد.. أحاول أن أريح القلب بأن يشم عطر أنفاسك المخبأ بها الياسمين والنرجس.. يا لوعة المحب إذا منعه الكبرياء من الانحناء وتقبيل يد المحبوب والتراب الذى يمشى عليه والتقاط لفتاته ونظراته..:

فكر فى أن يذهب إليها معتذراً عما فعله فرعون من نكوث بالوعد لكن الكبرياء منعه، لكن برق صهل مرتين؛ فأدرك أنها قريبة منه؛ فسار برق وهو مستسلم له لا يوجهه حتى وصل إلى نخلة على ضفاف النيل.. وجدها واقفة.. نعم هى نور وثوبها الحرير يهفهف.. يداعب الهواء جسدها ويتحسسها.. صهل برق فرحاً صهلتين.. نزل محب من فوق الحصان واقترب منها لم تلتفت له ولم تعطه اهتماما ولم تلتفت إلى برق.. وجد الدموع تنسال من فوق خدها ووجها للقمر.. وقف برق على يمينها ومحب على يسارها وظهرها للنخلة.. أمسك يدها واستند هو الآخر على النخلة.. ظهره خلف ظهرها؛ فجلست وجلس معها.. ووقف الحصان برق مستغربا مندهشا.. ليد العاشقين وصمتهما.. المشحون بالشجون..[١]

لا كلام.. الاثنان يمسكان يد بعضهما.. دموعها تنسال.. وهو يقاوم أن تنزل الدموع من عينيه..

الحب غالبا يعشق الصمت وأحياناً يحب الكلام وربما الغناء..

الحب حيرة، وبحيرة فرح وأحزان مختلطة لا تعرف كيف تفصل الحزن من الفرح ومتى يكون الربيع ربيعاً ومتى يكون الشتاء شتاءً..

---

(١) بوزارة الثقافة المصرية العريقة فى قتل المواهب وذبحها لطبع مسرحياتي قالوا لى تم تحويلها للجنة لتقرر مستواها.. صدر لى ٧٢ كتاباً وكتبت ١١٢ مسرحية .. وكتب عنى أكثر من ٣٠ رسالة جامعية.. الوطن رائع وجميل ومثقفوه خونه حتى آخر نقطة دم.. لجنة تقيم كتاباتى من شباب خريج المعهد لا يعرف تقسيم المسرح ولا الإملاء.هكذا يتم قتل الموهبين.

***

سكتت شهرزاد عن الكلام المباح وغير المباح..

نظرت سهر:

- **أكملى يا خالتى شهرزاد..**
- **انتهت الحكاية الآن غداً نكمل الحكاية ونقول ماتبقى من الكلام والأحلام والغرام..**

قامت سهر ونزلت من فوق التل.. العصفور كان ينتظرها على شجرة أمام بيت شهرزاد. عصفور يطير فوق رأسها والشمس تلوح لها من بعيد..

تجوال
لا أجد سببا كافيا للذهاب
ولا سببا كافيا للبقاء
وهكذا مثل نجم ضائع يبحث عن مداره
أمضى إلى مجرات أعرفها ،ولا أعرفها.

"الشاعرة ظبية خميس"

الفصل (٢٧)
بعنوان
أنتظر عصفوراً

سهر تفتح شباك بيتها على الليل والشجر والعصافير التى نامت فوق أغصانها.. عصفورها لم يأت الليلة إلى نافذتها وهى تنتظره.. ترى أين أنت يا عصفورى الصغير؟.. لقد تعودت عليك.. أنت يا عصفورى قلب رجل أو قلوب رجال تجمعت كما تقول شهرزاد.. لقد تعودت أن تأتينى فى كل مساء على نافذة شباكى وأفتحه لك وتدخل وتنام فى أحضانى فى الفراش.. أنت أيتها الطيور النائمة.. أين عصفورى؟ هل خطفته عصفورة؟ هل صاده طفل برصاصةٍ رش طائشة؟ هل هو حى أو مات.. آه.. ما أغربنى من فتاة أنتظر عصفوراً..!.. هل جننت؟

ليلتها لم تنم سهر وظلت طوال الليل تنتظر العصفور.. لم يأت وأصابها القلق وتركت الشباك مفتوحا، ودفعت ثمن الانتظار، فقد أصابها هواء الليل البارد الذى غار من عشق سهر للعصفور.. أليس الليل سيد القصائد والأشعار وتاج العشاق وساتر العاشقين ويعرف كل أسرار البشر والورد والنجوم والموج.. (١)

نامت سهر فى الفراش.. المرض هو الإشارات والتحولات التى تصيبنا فنتذكر الله والسماء ونتذكر الموت ونتمسك بالحياة ، سواء كانت الحياة سخيفة أو جميلة.. يتمكن من أجسادنا المرض.. فنغيب عن الأصدقاء والأقارب ونغيب عن المقهى والعمل وتفاصيل الحياة والمحبين.. والغياب للعاشقين عذاب..غاب العصفور عن سهر.. ومرضت سهر..

غابت سهر عن المدرسة.. كاظم شعر أن المدرسة جحيم و بيت مهجور مظلم خال من الحياة والنور.. أما فصلها فى المدرسة فتحول إلى غرفة تعذيب فى بيوت جهنم، ومكانها الخالي فى الفصل كأنه قمر بارد معتم..

وكاظم يتلوى.. بى حزن مجهول العنوان..ذات يوم سألثمك من شفتيك يتفجر فى أحشائك ديوان شعر..

فى بيته شعر بأنه لايطيق وردة زوجته و زميلتها.. لايطيق أحدا..

---

(١) عن سـائق تاكسـى قال لى احنا ليه يا اسـتاذ بنتكلم مع بعض بعد ثورة ٢٥ يناير بطريقة صيع وبلطجية قلت له أخلاق: أخلاق عبيد عندما يذهب السيد يحدث فوضى غياب الكرباج.. قال ماكنتش أعرف إننا اوسخ شعب.. إلا لما بعد الثورة..

إن الشوق الكامن فى داخل كل منا طاقة تحترق تؤرقنا وتجعلنا نذوب فى مشاعر مجهولة الهوية..

الشوق يحطمنا ويجعلنا نبكى ونحن للغناء ، البكاء ، الكتابة ، التأمل والشرود ، الشوق مجنون.

مرت النساء على شهرزاد.. سألتهن شهرزاد عن سلمى أم سهر وعن سهر أخبرنها أن سهر أصابها برد شديد....وهلى ملازمة الفراش[1].

وضعت شهرزاد الشال على كتفها حملت البخور وزيت فى زجاجة.. وطارت على بيت سهر.. دقت الباب.. فتحت الأم.. بالترحيب قبلتها شهرزاد من خديها ودخلت إلى غرفة سهر

- وين سهر.. كيف ماحدا خبرنى واتصل بى؟..

دخلت إلى سهر احتضنتها

- يا خالتى لا تحضنينى.. أنا عندى برد سأعديك وتمرضين.
- لن أمرض منك ياحبة القلب..

أخرجت زجاجة الزيت الصغيرة، وأشارت لها قائلة:

- سأدهن جسدك الآن كله بهذا الزيت وستنامين، وفى الصباح ستشفين بإذن الله.. هذا زيت مبروك به سحر بركة.. وصفة ورثتها أمى عن جدتى وورثتها عن أمى.. سأقول لك سر خلطتة حين تشفين.. اخلعى ملابسك يا وردتى..

سهر تتصبب عرقاً، والغريب أن لا رائحة لعرقها بل رائحة عطر لم تقابله شهرزاد ولم تقرأ عنه فى الكتب ولا سمعت عنه من أنس ولا يعرفه جن.. قالت شهرزاد وهى تدعك جسدها:

---

(١) اليوم ايضا ركبت مواصلات عامة طفل صغير كان مع أمه يجلس فى الكرسى الذى خلفى .. شاف شارع فيصل كله صور حازم أبو إسماعيل سألها مين دا قالت له حازم أبو اسماعيل مرشح نفسه بدل حسنى مبارك قالها هو مؤدب قالت له آه قالها هو حسنى مبارك مات؟.. قالت لا.. قالت له بتحب حسنى مبارك قالها لا.. قالت له ليه قال لها عشان موت الناس بالرصاص .. بعد شوية وقفنا قدام صورة عمرو موسى قال لها مين دا قالت له عمرو موسى مرشح رئيس جمهورية.. قال لها هو كمان؟.. قالت له آه قالها هو مؤدب قالت له آه .. التفت له وسألته يعنى إيه مؤدب يا كابتن؟.. اتكسف. قالت له أمه جاوب عمك. قال مؤدب يعنى ما يموتش الناس بالرصاص.. وخلاص.

- سبحان من خلق الإنسان وعلمه البيان وعطر الورد والهواء وعطر جسد بعض النساء..

أيدى شهرزاد تدهن الزيت على جسد سهر، الجسد المرمرى فى ليونة الماء والهواء وفى ليونة الملبن فى النهدين ونعومة عجين الياسمين، والعظام صلبة شجر من الزان قوى.. كانت شهرزاد تتمتم بكلمات ربما هى كلمات من القرآن وبعضها من الإنجيل والتوراة، وبعضها من كتاب الحكمة، وربطت جسدها بشال أبيض كبير وغطتها..

دخلت الأم سلمى تحمل المتى لهما

- المتى وبعدين القهوة..[1]

ضحكت شهرزاد:

- بدى أشرب شربات فرح سهر.
- عن قريب إن شاء الله.
- لما آخد الثانوية.
- بتروحين الإمارات. يابختها الإمارات.. وتسيبى خالتك شهرزاد هون وسط الديابة.
- مين هادول الديابة؟
- الرجال.. فى غيرهم؟

خرجت الأم وهى تضحك.. سهر زحفت حتى وضعت رأسها على حجر شهرزاد الجالسة على طرف السرير..

- احك لى خالتى شو صار مع نور بعد أن جلست على النيل مع محب.. (ضحكت شهرزاد..)

---

(١) نزلت من البيت الساعة ٦ ونص بعد صلاة المغرب رحت الاوبرا عشان مهرجان المسرح العربى واقابل اصدقائى المسرحيين من ليبيا والسعودية والمغرب .. دخلت قاعة المسرح الساعة ٨ مساء ..وجلست فى مقعدى على الطرف فى الصف الاول .. فوجئت بحفل من كازخستان وقدموا بعض المطربات لم افهم لغتهم لكنى أحسست بالكلمات والمعانى سعدت بزيهم الوطنى وجمال كل شيئ والديكور والملابس والاصوات والوجوه .. بعدها عرض لفرقة القومية للفنون الشعبية المصرية الولاد والبنات المصريين عندهم انيميا وعلى الرغم من أنهم قدموا أحسن مالديهم من ملابس الا أن ملابس الشعب الكازخستانى كانت زى ملابس الملوك واحنا كنا زى ملابس الخدم فى العيد .. رحت اشرب كوب ماء من غرفة مدير مسرح الهناجر الفنان اشرف فاروق قابلت محمود ياسين رئيس لجنة التحكيم ومحمد أبو داود وأصدقائى العرب .. هو ليه أحنا بقى شكلنا وحش فى كل شيئ .وأحنا مش حاسين.

- عاد المصريون إلى الفرح والغناء والحياة بعد أن رفع الرب عنهم غضبه وعاد النيل ماء عذباً.. اجتمع الإسرائيليون في ساحة بيت موسى، قال لهم هارون:
- أيها الناس لقد وعدنا فرعون إذا عاد النيل ماءً واختفى الدم من النيل بأمر الله.. سوف يسمح لنا بالرحيل والسفر والخروج العظيم بأمر الله..

كان قوم موسى وهارون فى انقسام: فريق يفضل الجلوس فى مصر مهما كانت الظروف سيئة.. فريق ثان يرى أن الخروج من مصر تنفيذاً لأمر الله.. فريقٍ ثالث ليسٍ له أى رأى وخائف ومرتبك.. هكذا المصريون قلوبهم شتى.. سواء كانوا يهودا مؤمنين أو فراعنة ملحدين، لكن هارون صاح:

- إن الرب قال لموسى أن نخرج وعلينا بالخروج، ولن يخيفنا صلب اثنين منا لابد من تنفيذ كلام الله .استعدو للخروج هللوا، وافرحوا

وصل الخبر إلى فرعون فغضب بشدة وأصدر أمراً وصار المنادى: "بأمر فرعون العظيم يمنع خروج اليعاقبة والإخناتونيين ومن آمنوا بموسى من المصريين وصاروا إسرائليين ويهودا ممنوع خروج قوم موسى"..

الفرعون لم يسمح لليهود بالرحيل، ونكث فرعون بعهده ووعده[١] أغضب الرب..

تقول الشاعرة منيرة مصباح فى قصيدة عن "زهرة الأوركيد":

المرآة تعكس بفرح اللون الليلكي لزهرة الأوركيد
المرآة تعكس بفرح اللون الخريفي لأيامي المتساقطة
وأنا أسافر باتجاه اللون الليلكي لزهرة الأوركيد
أتسامق في الظلام الذي جئت منه
والذي من كهوفه جاءت أحلامي
الأفكار القديمة العقيمة تشعرنى بالبرودة والصقيع..

***

(١) فى قناة الجزيرة لقطة لمهرجان الأغنية العربية فى قطر مدير المهرجان دكتور حسن رشيد.. يتكلم بفصاحته هو أخطر مثقف فى قطر .. وصاحب اكبر مكتبة وأصلح شخص يمكن أن يكون وزير ثقافة أو اعلام .. لكن أبو على صديقى لسانه لا يتوقف عن قذف الآخرين بالنقد .. الكل هناك يقول إنه مميز ولكن لسانه .. إنى أحب حسن رشيد كمثقف وصاحب قلم ..

(حكاية الماشطة ونور وبنت فرعون)

كانت بنت فرعون فى ذلك اليوم قد استحمت.. ونادت على الماشطة كى تسرح لها شعرها.. وقع المشط على الأرض؛ فأخذت تبحث عنه الماشطة وقالت:

- باسم الله

ضحكت بنت فرعون وقالت:

- ماذا قلت؟

- لا شئ

- لا قلت باسم الله

- نعم

- تقصدين أبى؟.. (صمتت).

- إذاً تقصدين رباً آخر؟

- رب السموات والأرض ورب الناس.

- هذا كلام موسى..

صرخت بنت فرعون:

- أبى أبى.

وأبلغت أباها، وألقى بجثة الماشطة من فوق الجبل أمام البشر(١)، لأنها كفرت بفرعون وآمنت بإله موسى رب العالمين..

غضب الرب على المصريين فضربهم الضربة الثانية.. بعد أسبوع فاض النيل.. ذات صباح.. فى موعد غير موعد الفيضان قام المصريون بوضع الحجارة وعمل سدود صغيرة.. لكن الله لم يعاقبهم بغرقهم بل بالضفادع التى جاءت مع النيل والتى كثرت ودخلت بيوت المصريين.. وصل الخبر إلى فرعون فضحك وقال:

- ضفادع.. هههههههههههه.

وصار كل مصرى هو وأسرته يقفون أمام كل دار لضرب الضفادع.. وأصحاب المحلات والتجار كذلك، وبينما يسير الفرد فى الطريق يقف.. لينظف ملابسه من الضفدع.. وصل الخبر إلى فرعون ضحك وقال:

---

(١) زهرة الاوركيد ثلاثة آلاف نوعا، واللون الأخضر كذلك فهل تعلمون أيها الغافلون.

- ضفادع فى الأسواق.. دعهم يتسلون.

وفجأة اقتحمت الضفادع المعابد وأخذت الكهنة تجرى من مطاردة الضفادع.. ضحك الفرعون وقال:

- دع الكهنة تتألم حتى لا يتكاسلون عن أداء صلاتهم باسمي..

وذات ليلة، وبينما فرعون كان نائمًا، كانت الضفادع تتسلق جدران القصر والنوافذ لتتصل إلى غرفة نومه بل وتتسلق سريره وزحفت الضفادع على وجهه وفمه ومد يده وأمسكه هب صارخاً واقفاً..

- السحرة آتونى بالسحرة..

جرى محب وأمر العسكر

- أحضروا السحرة..

فوق سريره صرخ فرعون.. جاءوا فصرخ:

- افعلوا شيئا للضفادع. الضفادع فى مخدعى على سريرى..

تمتم السحرة.. أطلق البخور بعضهم.. فشل السحرة.. قام محب وبعض الضباط بمطاردة الضفادع التى حول سرير الفرعون حتى ينام.. نظر الفرعون إلى محب صائحًا:

- أحضر موسى وهارون لى الآن الآن..[١]

وظل موسى يفكر لماذا يحب الله مصر والمصريين؟.. أرسل إليهم إخناتون وإدريس ويوسف ويعقوب والآن هو وهارون.. أى مصر لماذا يحبك الله ويصطفيك؟؟

خرج محب من القصر مهرولاً إلى بيت نور.. عند البيت صهل برق صهلتين معلناً حضوره.. سمعته نور التى كانت فى الحمام.. دلف محب إلى البيت فجأة.. ارتعدت الأم التى كانت تطهو طعامًا.. قام الأب مفزوعاً من فوق سريره الخشبى.. خرجت نور من الحمام تلتف بثوب أبيض.. هل النور يمكن أن يتجسد فى أنثى، هى نور بثوب الحمام. تجمد الدم فى عروق محب،

---

(١) كم استمتعت بكتاب بول فليرى وبروست وحنا مينا والطاهر وطار ويوسف إدريس ونجيب محفوظ والأعرج واسينى وامير تاج السر وإبراهيم عبد المجيد والغيطانى والقعيد وصنع الله ابراهيم وحسن البندارى.. كم استمتعت بأفلام فلينى وهيتشكوك كم استمتعت بموسيقى لا أعرف مؤلفها واشعار نسيت كاتبها وقصص قصيرة وروايات لم أعد اذكر كتابها، لكنهم أصحاب فضل فى تكوينى الكتابى

وسكت، ثم أفاق على صوت كنعان أبيها:

- خير أيها الضابط الفرعونى محب ؟
- أريدك أن تدلنى على بيت موسى النبى.
- لا أعرف
- أنت الإسرائيلى الوحيد الذى أتحدث معه وأنا أعلم أن موسى ينام فى كل ليلة فى مكان للأمان، وأنت ستدلنى على بيته أنا لا أريد قتله، أو إيذاءه..

نظر محب إلى بيت كنعان ونور فلم يجد أى ضفدع.. وهدوء.. لماذا بيوت الفراعنة بها ضفادع؟؟ وبيوت المصريين مليئة بالضفادع.. ركب الأب خلف محب فوق الحصان برق.. وذهب معه إلى المكان الذى ينام فيه موسى وهارون فى تلك الليلة.. فى الطريق مروا على شمعون الحكيم الضرير قال شمعون:

- كيف حالك يا كنعان أنت ومحب؟

أوقف محب الحصان برق قائلا بدهشة:

- هل تعرفنى يا رجل؟
- نعم

قال أبو نور:

- إنه شمعون.

استغرب محب.. قال شمعون:

-خذ حذرك يا محب. من اقترب من فرعون هلك.. احذر أن تموت فى الماء..

ضحك محب ساخرًا:

- لا تخف.. سأموت فى الهواء.

ثم التفت محب ضاحكا لكنعان:

- من هو هذا الرجل؟

- هو العراف شمعون.. من سحرة موسى[1] هو واحد ممن يؤمنون بصدق موسى.. إنه ليس بساحر..

ذهب محب إلى موسى وهارون وطلب منه الحضور الفورى بين يدى فرعون، فقاما وحضرا إلى فرعون فى الليل .

قال فرعون بكبرياء وغطرسة:

- (صَلِّيَا إلى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ الضَّفَادِعَ عَنِّى وَعَنْ شَعْبِى فَأُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحُوا لِلرَّبِّ)

فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ:

- "عَيِّنْ لِى مَتَى أُصَلِّى لأَجْلِكَ وَلأَجْلِ عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ لِقَطْعِ الضَّفَادِعِ عَنْكَ وَعَنْ بُيُوتِكَ. وَلكِنَّهَا تَبْقَى فِى النَّهْرِ"

فَقَالَ:

- «غَداً».

فطلب هارون من فرعون:

- إن الله يسألك أن تؤمن بالله

- أنا سأسمح لكم بالخروج من مصر.. الله يطلب منى مباشرة لا أحتاجك يا موسى ولا هارون

- هل ستسمح لنا بالخروج من مصر؟

قال فرعون:

- أعطونى مهلة أسبوع وسأسمح للإسرائيليين ولقومك بالرحيل.. لكن المشكلة إننا تعودنا على قوم بنى يعقوب إسرائيل فى مصر[2]..

خرج هارون وموسى وبشروا القوم بالخروج..

....

(١) قابلت الدكتور سامى عبد الحليم فى المعهد العالى للفنون المسرحية سألنى عن موسى زينل.. وقال لى إنه جاء إلى مصر وأمضى شهرين.. موسى من اطيب القلوب.. من خيرة مثقفى قطر والوطن العربى .. وسألنى سامى عن ظروف موسى قلت له يصلح وزير ثقافة قطر مثل حسن رشيد لكن موسى لم يخدم احدًا فى قطر.. قطر مثل الإسكندرية ضيقة المساحة وأهلها يأكلون لحم بعضهم نيئا.. هكذا المدن الضيقة.. وجوها ونهضتها تفوق الخيال .. ليت مصر تتعلم منها..

(٢) تعود المصريون على استغلال الإسرائيليين فى كل الوظائف العملية الرديئة واستخدام العباقرة منهم فى الهندسة وإدارة المال والاقتصاد، مثلما يفعل أهل الخليج الآن مع الهنود.. نفس الشئ والتاريخ يكرر نفسه مع اختلاف البشر والدول والأزمنة..

(حكاية آسيا ونور ومحب وقتلها)

وذهب موسى وهارون وصليا وسألا الله رب العالمين أن يحمى مصر من لعنة الضفادع على أرضها.. ثم خرج موسى وهارون من لدن فرعون، وصرخ موسى إلى الرب من اجل الضفادع التى جعلها على فرعون، ففعل الرب كقول موسى. فماتت الضفادع من البيوت والدور والحقول. وجمعوها كوماً كثيرة حتى أنتنت الأرض.

فأستجاب لهما ربهما..

فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج أغلظ قلبه ولم يسمع لهما، كما تكلم الرب انخفض ماء النيل وهربت الضفادع مع ماء النيل..

فى الصباح خرجت نور مع البنات إلى نهر النيل لتجلب المياه مع أمها.. كان محب على الضفاف ينتظرها.. فوق حصانه برق.. صهل برق صهلتين مرحبًا بها.. نظرت لها أمها بشفقة فقد لمحت فى عين نور حبها له.. فقالت لها.. (ويحى يا بنت يا حفيدة الإخناتونيين والإسرائيليين اليعاقبة تحبين ضابط فرعونى كافر).. قالت الأم:

- **سأذهب عند الساقية الحمراء هناك أنتظرك لا تتأخرين..**

....

اقتربت نور من محب الذى نزل من فوق حصانه برق وأمسك اللجام واتجه نحوها.. أغلب العسكر لا يعرفون حلو الكلام.. اقترب منها محب قائلا:

- **هو الفرعون.. هو الذى يأمرنى.. هو الذى يأمر كل شئ هنا.. الناس.. العسكر.. النيل الهواء.. الماء.. هو الإله.**
- **كيفك أنت؟ لا تحدثنى عن الفرعون؟**
- **أوحشتنى يا نور؟**
- **أوحشتك حقًا؟**
- **نعم يا نور.**
- **إن العبرانيين والإسرائيليين والإخناتونيين يستعدون للرحيل مع موسى.. هل سترحل معنا؟**
- **ماذا تقولين؟**
- **متخفيا.**

- هل جننت؟
- لم أجن؟
- أرحل وأترك الفرعون ومصر.
- نعم.
- من أجل موسى ؟
- بل من أجلى
- لا أستطيع.. هل جننت؟.. أترك الفرعون والقصر وفرقة الجيش..

تركها وركب حصانه غاضباً.. كانت أمها تقف وتراقبها من بعيد.. أتت واقتربت منها، وجدت دمعتين على خدها..

- هيا يا صغيرتى إلى البيت لقد تأخرنا..
- هيا يا أمى..

الحب وطن.. هناك بلاد يحبها الله وهى لا تحب الأنبياء ولا العلماء ولا الحكماء تلك هى مصر التى لم يفهمها نبى الله موسى ولا نور.. مصر بلد الحب الإلهى والإنسانى.. الذى خرج من ضلوع ثلة من البشر.. غنى المصريون للحب ومن خلفهم غنى العالم، ونسى المصريون أسماءهم وتاريخهم وظل الحب المجهول النسب هو هوية مصر.. وطن الحب مصر، والمصريون لايعلمون.

اليوم الأول بعد اختفاء الضفدع، فرعون لم يف بوعده وسجن كثيراً من بنى إسرائيل فى السجن بحجة الدخول غير الشرعى فى البلاد أو بمخالفة النظام العام..

اليوم الثانى: لو تشاجر مصرى مع أحد من قوم موسى عوقب الإسرائيلى وضرب وأدخل السجن، ودائماً المصرى على حق مهما فعل ومهما كان ظالماً، والإسرائيلى على خطأ.

اليوم الثالث: الشتاء فى مصر قد اقترب.. الخريف أوشك على الانصراف بلا خجل.. وضعت نور الشال على كتفها وخرجت تتمشى على النيل.. أحست وهى تمشى أن هناك من يتبعها.. فالتفتت خائفة وجدت الحصان برق يسحبه محب.. اقترب محب منها.. وقفت اقترب منها:

- نور الجو بارد الليلة..

- نعم يا محب الشتاء اقترب..
- سترحلين مع موسى
- سنرحل كلنا.. أمر الرب.
- لماذا الرحيل؟
- المؤمنون بالله هنا فى إهانة صباحاً ومساءً.. ماذا سنفعل نحن بالله؟
- وأنا وأنت وحبنا؟
- هل تريدنى حقا يا محب؟[١]
- نعم.. لا شك فى هذا..
- إذاً.. آمن برب موسى ودينانا، وتزوجنى.. سأتزوجك فى الحال.
- ولكن!!
- ولكن ماذا؟
- أعطنى فرصة..
- ستسأل أمك أم أباك أم الفرعون أم هامان؟
- سأسألهم جميعا..
- لن يوافقوا..[٢]
- وحبنا..
- لا أعرف.. لا أعرف.

مشت وتركته مع الحصان، وهو يراقبها وهى تبتعد وتختفى رويدًا رويداً .. فى ضباب شتاء يهبط كل مساء..

اليوم الرابع: ذهب هامان مساعد فرعون إلى هارون أخي موسى فى بيته.. ليتحدث معه رجلا لرجل. وجلس هامان أمام هارون قائلا:

---

(١) اتصلت هاتفيا بالدكتور سامح مهران الكاتب الذى أحب قلمه لم يرد على الهاتف.. طلبت منه شراء عشر نسخ من رواية قهوة نسكافيه لمكتبة اكاديمية الفنون بما أنه رئيس الأكاديمية لم يرد، ولم يوافق.. منذ ٧ سنوات طلبت منه ان يعين ابنتى فى وظيفة فى المركز القومى للمسرح.. لكنه رفض وعين شابا صحفيا هاويا شبه شاذ.. وعين مخرجة أفلام تسجيلية فاشلة.. كنت دوما أدافع عن سامح وموهبته وأدافع عنه كإنسان ومازلت لكنه يصر ان يكون غير ذلك معى..

(٢) هناك من يستحضر الأرواح، وأنا استحضر الأجساد، لا أعرف روحي ولا أرواح الآخرين، أعرف جسدي وجسدهم هذا يكفيني، استحضرهم وأعود إلى حكاياتي معهم عابرين في جسد عابر، لم يكونوا لي أكثر من ذلك، الأمور محددة الأفق منذ البداية.. رواية برهان العسل للكاتبة سلوى النعيمى ..

- اسمع يا هارون: إن موسى أمير تعود على القصور وقيادة الجيش.. لا أعرف ماذا أصاب عقله؟ يترك القصور وقيادة الجيش من أجل هذا الذى يقوله الله. وأنت تشاركه الرأى أنتما تدعيان النبوة.. من الممكن أن أقنع مولاى الفرعون أنكما نبيان وتقولا إن الله هو فرعون.. أنا أعلم أن سحرا جديدا متفوقا على كل سحرة مصر لديك.. وسآمر لك بقصر ولموسى بقصر آخر.. بشرط أن ترجع أنت وأخوك موسى عن فكرة هجرة بنى إسرائيل من مصر.. ومن المهم أن تكفرا عن السحر وحركات السحرة مثل الدم فى النيل والضفادع، وسأُخرج من السجن كل إسرائيلي وعبرانى وإخناتونى، ومن الممكن بعد إذن مولاى الإله فرعون أن يعود موسى قائداً للجيش وأنت تصبح مساعده، وسوف نسمح ببعض الإسرائيليين للالتحاق بالجيش من أقاربكم نسبة صغيرة، ماذا تقول يا هارون؟
- ليس الأمر فى يدى..
- فى يد موسى؟
- ولا يد موسى.
- أمر من؟ وفى يد من إذن الأمور؟
- الله رب السموات والأرض.
- إن عنادك، أنت وأخوك، سيجر مصر إلى الهاوية وسيجر الإخناتونيين وبنى إسرائيل إلى حتفهم.. سيعلقهم فرعون على الصلبان سيصلبهم.. لا تعاندنى يا هارون.. اعقل يا رجل..

أجاب هارون بثقة:

- متى سنرحل نحن؟ هل سينفذ ويفى الفرعون بوعده لنا بالخروج من مصر؟..

خرج هامان من الدار غاضباً..

اليوم الخامس: فرعون لم يعجبه كلام هارون مع هامان...

اليوم السادس: كان آل موسى يجهزون أنفسهم للرحيل.. لكن هارون أخبر موسى أن فرعون مصمم على ما فى رأسه من أفكار ويرفض الاعتراف بالنبوة أو الخروج..

اليوم السابع[1]: كانت نور تقف بجوار الشباك، كأنها تنتظر طيراً أو خبراً.. وجاء إليها الحصان برق دون محب.. جاء ووقف من بعيد وصهل صهلتين، وكأنه استراح من رؤيتها من بعيد واكتفى

قالت أم نور وهى تراقبها وهى تلوح للحصان:

- **إنسِ هذا الأمر.. إن محب ضابط فى جيش فرعون لن يؤمن بإله واحد لن يرحل معنا أفيقى يا صغيرتى..[2]**

بكت نور ونامت فى الفراش ودموعها تسيل كل دمعة دقة حزن فى قلب النيل..

اليوم السابع: حاصر جنود فرعون أحياء سكن الإسرائيليين.. شعر قوم موسى بالفزع، وبعض الشباب الصغير فى السن حاولوا أن يقتحموا الحصار سجنوهم وأصابوهم بالرماح فى عيونهم وأقدامهم.. أخذ الإسرائيليون يحملون المصابين من الشباب.. والنساء تصرخ.. والرجال يصيحون: يسقط فرعون.. والعسكر يضربونهم بعنف.. فشل الرحيل كما أمر الرب..

*****

قامت شهرزاد.. وأطفأت النار وركوة القهوة:

- **كفى اليوم قصة نور..**
- **يا خالتى**
- **سأذهب إلى الدار وسأمر عليك، والأفضل أن تقومى وتذهبى إلى المدرسة..**

---

(١) كتبت على حائط الفيس بوك نفسى اسيب مصر واهاجر الأن وانسى انى كنت هنا وعشت هنا واقتتل حلمى ألف الف مرة هنا ..نادم على الأحلام التى حلمتها لك ..ياوطنا أن تكون كريمًا وحراً وحييًا وانسانًا .. لكنك تصر ان تكون العكس تماما

(٢) ما أعجبنى.. قابلتنى ممثلة معروفة أمس فى مبنى التلفزيون.. سألتنى انت مابتكلمنيش ليه؟ قلت نمرتك ضاعت.. قالت اكتب نمرتى فى موبايلك.. قلت لها موبايلى ارخص موبايل فى العالم بسبب إنهم سرقوا موبايل ب٤ آلاف جنيه.. جابه محمد ابنى من دبى، اهدانى موبايل بألفين درهم .. اتسرق. منى ف مصر . المصريين سرقونى.. وكان على الموبايلين ٤٠٠٠ الاف رقم لأصحابى من المحيط إلى الخليج.. قالت فاكتب رقمى هاتفى فى ورقة.. كتبته.. قالت احتفظ بيه.. أخذت الرقم منها ووضعته فى جيب القميص.. والآن وانا بغسل قميصى اكتشفت ان القميص غسل وبه الرقم.. ضحكت كثيًرا، فأنا منذ عام أضع أرقام هواتف النساء فى جيب قميصى وأنسى نقلها ودائما دائما تضيع فى الغسالة.. هل موتور الغسالة يلتهم أرقام النساء؟

- أمى تقول إننى محسودة.
- كل واحد لو يهتم بحاله يختفى الحسد..

قالت سلمى أم سهر:

- شو بك وين رايحة يا شهرزاد؟؟
- رايحة الدار.

خرجت شهرزاد سيدة الحكايات والأسرار، سوريا تكحل عيون النساء بالأسرار وحوار لايفهمه إلا السحرة وجن العشاق[١]

نامت سهر فى الفراش.. تحلم بمحب ونور والليل والنيل..

قال ابن سينا عن ابن حزم: الحب أعزك الله أوله هزل وآخره جد.. دقت معانيه لجلالته عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة وليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل[٢]

وقالوا أريحوا النفوس بالحب فأنها تصدأ كما يصدأ الحديد..

---

(١) أمضيت ثلاث ساعات فى الإذاعة على الهواء أتكلم عن الراحل نعمان عاشور.. وساعتين فى حضور ندوة ثقافية عن فلسفة الإسلام فى دار أبجدية .. وساعة على قهوة البستان.. سمعت شعر وفلسفة وتاريخ الاستنارة فى الدين الاسلامى.. وجيت.. اتعشيت زبادى ورز باللبن..هى الناس تايهة والا انا اللى تايه؟؟؟

(٢) صرخت المرأة الغانية من شباك الوطن: ايها المتشاجرون فى الساحة.. الوطن فى غيبوبة منذ ٤٠ سنة لا يسمع صوتكم ولا يشعر بكم.. اللعنة عليكم كفوا عن الصراخ.. دعوه ينام..قصة قصيرة ..لى

.قالت له: أنا الانطفاء الآثم عند صهوة عشقك!
امنحني فرصة التوبة
للتخلص من.. آثامي.. وابتلائي.. وكربتي

عواطف الزين

سندريلا شارع الصحافة فى الكويت

***

قراءة في لوحة قوارب
للفنان عبد العزيز آرتى

اللوحة رسمت بالسكين للقوارب علي شاطئ الخليج.. عناصر اللوحة:

- المراكب
- الإنسان
- السماء
- الأرض

هذه العوالم قد وضعت ورسمت بالألوان الآتية:

اللون الأزرق سيد اللوحة.. لا يميل للزرقة بقدر ما يميل إلى البنفسج
اللون البني للأرض ويحتل المرتبة الثانية في درجات وتونات مختلفة مع
اللون الأسود البسيط
اللون الأبيض
اللون البرتقالي

إن اللوحة في حالتي.. الزمان: نهار.. المكان: على ضفاف الخليج.. هذه اللوحة تشعر بأن عبد العزيز آرتي صاحب خيال عزيز ينهمر مثل السيل علي الحركة الفنية والحياة.. يمتلك شجاعة بحار قديم ولديه إصرار على الإبحار في عوالم الفن التشكيلي كما أنه لديه صراحة في التكوين وأناقة في التعبير ويتعالي على صغائر التفاصيل؛ مما يجعل لوحاته عامرة بجنونه وعامرة بالتعبير وبه حس درامي مثير وثمة لمسة غموض، ولديه قدرة على إدارة الصراع بين الظل والنور والمساحة واللون والتركيز والانفلات وألوانه ناعمة..

إنه المدهش في معظم لوحاته ذات الملمس الناعم حيث لا يلجأ كثيراً إلى السكين، ولكن هنا استخدام السكين الذي يصنع علماً خشناً وأسطحاً متباينة.. إن اللون البني في اللوحة معتم.. والأزرق كئيب، والإنسان قزم فيظل بعيد، فاللوحة أمامك في ريبة وشك وغموض وحزن..

إن الفنان عبد العزيز آرتي يجمع بين البعد الفكري والتشكيل الفني والأبعاد الفلسفية ويملك صياغته الإبداعية المتميزة.. إنه ينصهر مع الجمال وحالة من التصوف مع الجمال، تتشابك عنده الحالة في كل لوحة بين الحركة واللون والضوء والظل.. إنها لوحة وعالم بالنسبة له ولا ينفصل عنها ولا يعبر عنها بل يتوحد بها.. إنه في حالة غواية مع الألوان وأداوته دائماً في تجديد؛ فلقد تابعت أعماله منذ عام ١٩٧٧ وحتى الآن، وأجد أن السمات الأساسية في هذه اللوحة هي:

- افتنان عبد العزيز آرتي بالألوان
- عشق عبد العزيز آرتي للأدوات الفنية حين يستخدمها

إن عين عبد العزيز آرتي مثل معظم الفنانين التشكيليين المتميزين، إنه بعيد عن نفايات الاستنساخ والتكرار والتقليد واتباع القديم المطروق.. إنه من جيل السبعينات في الحركة التشكيلية الكويتية،إنه يحمل غموضاً جوهرياً في معنى الألوان، وألوانه موحية بالفن الكامن في عمق نشيد المعاني، إنه يسعى ويقرع الأبواب لعالم جميل يراه هو ويدعونا لأن نراه..

إن في عينيه كاميرا تجسد غير المجسم ولديه شفرة خاصة لفتح أبواب الكون.. إنه يبحر في بحور الميتافيزيقيا المتلاطمة والأسرار ولديه نشوة وشبق دائم للجمال، شبق صوفي للجمال، وعندما أذكر الغموض لابد وأن أذكر أنه يلك غموضاً خصباً وليس سطحياً، ويملك إيقاعا لونيا قلماً يمتلكه إلا المبشرون بالفن الراقي، إن آرتي عندما ظهر في السبعينات في الشارع التشكيلي، كان صدمة لكثيرين، لقد فجر طاقة لونية خاصة وخطوطاً مكنونة ومجردة ومنمنمة.. وقد استغل الزخرف الشعبي وجمالية التنسيق في اللوحة.. وعندما نرى أعماله تسأل نفسك هذه الأسئلة الهامة:

- ما هو سر الخصب والنماء الفني المتجدد عند عبد العزيز آرتي؟
- ما هو سر الألوان البنية في معظم لوحاته؟

- ما مدى الانسجام بين الألوان والاتساق وفيما وراء التكوين؟
- ما هي الموسيقي التي تسمعها أثناء مشاهدة العمل؟
- ما هو السحر الفسيفساء في تركيب اللوحة؟

كل هذا يحتاج إلي حوار طويل وكتاب كبير لا تحتويه هذه المقالة الصغيرة وأعتذر عن مسعاي التأويل حول هذا الفنان الكبير.. ثم ما هذه المراكب في تلك اللوحة؟؟ وما هذا الحزن الغامض؟ ألم أقل لك إن سر غموض اللوحات عنده أحيانًا يكون لغة من التعبير الجديد، وأسلوب الرجل في التعامل.. إن الصورة متصلة بالطبيعة ولكنه ربطها في شاعرية حزينة مثل قصيدة لونية، فالإنسان في هذه اللوحة شبح، شبح كهل، شبح شاب بملامح بها غموض يدعونا إلي الخوف والترقب ويسيطر على الوعي ويسري في اللا وعي بهذه الصورة الشبحية.. والسماء بلا نجوم والغيوم بها بنفسجية، في ظلام حالك.

إن الفنان عبد العزيز آرتي واحد من المبشرين بالجمال الذي يمن به الله على المبدعين المتميزين، والبحر عنده قد تحول إلى كتلة بسيطة في اللوحة، تحول إلى مسافة صغيرة، فمياه البحر متسخة والخليج في حالة جذر والبشر أشباح.. كل هذا الحزن في لوحة جديرة بالكتابة والحوار عنها.[١]

---

(١) بالدكتور شاكر عبد الحميد باركت له على تعيينه وزيرا للثقافة، وهنأت الدكتور سعيد عبد الفتاح لتوليه رئيسا للمجلس الأعلى للثقافة.. أتمنى أن لا يصابا بمرض وفيرس السلطة وهو التكبر والظلم والغطرسة.. صليت.. سمعت قناة الجزيرة والعربية.. التلفزيون المصرى مازال متخلفا.. التقنية والاحتراف غائبين عن العاملين فيه مع أنه أول تلفزيون فى المنطقة..

ماذا لو..

نتصاعد أبخرةً

نتلوى دائرةً

تنداح فضاءاتٍ ودوائر؟

"د. نجمة ادريس"

الفصل (٢٨)
بعنوان
صبحك الله بعطر كلامى وجنونى

فتحى رضوان خليل

***

توحشنى القاهرة، كوطن أستقر فيه، وأن أفر من الإسكندرية.. إن الخوف يلاحقنى من القاهرة العاصمة.. أليست القاهرة قاتلة الأدباء والأنبياء والشعراء والمواهب.. ألم تترك القاهرة سيبويه المصرى الشاعر فى عهد كافور الأخشيد فى إمبابة يكاد يموت جوعًا لولا مساعدات المتنبى له حين كان لاجئًا فى مصر آنذاك. تذكرت كيف كانت مظاهرات ١٩٦٨ فى القاهرة بسبب محاكمة ضباط الطيران المسئولين عن النكسة، وكيف بدأت بهتاف "غير غير يا جمال"، وانتهت عند كوبرى الجامعة بهتاف: "يسقط يسقط حكم العسكر".. لقد شعرنا أن القضاء حينذاك العسكرى فى تلك القضية تافه وحقير وغير حقيقى..

قالت ناهد:

- ازاى انت ناصرى وبتهتف ضد العسكر وعبد الناصر.. أفهم؟
- الغلط غلط والصح صح يا ناهد.. وعبد الناصر مازعلش بل عمل اجتماع يشوف طلباتنا مع الوزراء وخاصة الديمقراطية إحنا عاوزين ديمقراطية
- وعاوزين نسوان مش كده؟ بتحب الديمقراطية أكثر والا النسوان يا فتحى..؟؟
- انا مثل الشيخ ابن سينا أحب النسوان.. أحب الاثنين.
- شيخ ويحب النسوان ازاى؟
- نعم يا ستى شوفى ابن سينا بيقول ايه عنه يوسف زيدان، عن الشيخ الرئيس ابن سينا:

فى أيامنا الحالية، تحمل كلمة «شيخ» معان ودلالات كثيرة، من أهمها: الداعيةُ الدينى، الفقيهُ الشرعى، الرجُل إذا استطالت لحيته.. وفى أصل اللغة، فإن الكلمة تشير إلى مرحلةٍ عمريةٍ من حياة الرجل إذا مَرَّ

بالمراحل المحددة «جنين، وليد، طفل، ولد، يافع، فتى، شاب، رجل، كهل، شيخ..» مثلما تمرُّ المرأة بمراحل عمريةٍ محدَّدةٍ لها أسماء أخرى، مثل: "بنت، جارية، صبية، كاعب، ناهد، امرأة، عجوزٌ".. وبالمناسبة، لا يجوز فى فصيح اللغة العربية أن يوصف الرجل بأنه «عجوز» لأنها صفةٌ للنساء، كما لا يجوز وصف «الشيخ» إلا للرجل الأشيب، أما صفة «الكهل» فالمراد بها الرجل إذا كان متوسط العمر، أى بين الثلاثين والأربعين.

طيب.. لماذا يوصف «ابن سينا» بالشيخ، الرئيس، وهو الذى لم يتقدم فى العمر، وإنما مات وقد تخطى بالكاد سنَّ الخمسين؟.

....

الشيخ الرئيس، هو: أبو على الحسين بن عبد الله، المعروف بابن سينا، عاش فى الفترة الممتدة بين عامى ٣٧٥، ٤٢٨ هجرية. ومع أن هناك عديداً من الاجتهادات البحثية المعاصرة، التى تفنَّنت وتحايلت لإيجاد تفسير لهذا الاسم العجيب، الفريد «ابن سينا»، الذى يكتبه البعض «ابن سيناء».. إلا أن هذه الاجتهادات لم تزل، حسبما أجدها، غير مقنعة. وظنٌّ خاطئٌ بأن هذا الاسم مرتبطٌ بسيناء المصرية، التى نعرفها اليوم، إن أفكار ابن سينا ونظرياته ومؤلفاته، كادت جميعاً تنطمر بعد وفاته، لولا تمَّ إحياؤها فى مصر بعد ثلاثة قرون من وفاة الشيخ الرئيس، وذلك على يد ابن النفيس «علاء الدين»، رئيس أطباء مصر

وبحسب سيرة حياة الشيخ الرئيس، فقد كان مولد «ابن سينا» لأبٍ من بلدة بلخ «أفغانستان» ومن أمٍّ كانت تعيش ببلدة بخارى «أوزبكستان».. وهنا قد يقول قائلٌ معترضٌ: ما دام ابن سينا من أصول أفغانية، وأمه أوزبكية «وهى أعراقٌ غير عربية»، فلماذا نعدُّه عالماً عربياً، وواحداً من أعمدة الحكمة العربية؟

....

عاش الشيخ الرئيس حياته الحافلة بوسط آسيا، فى المنطقة المسماة اليوم «أفغانستان» و«أوزبكستان» فقد كان مولده ببلدة أبيه «بَلْخ» ونشأته ببلدة أمه «بخارى»، وهناك أتمَّ حفظه للقرآن وهو فى العاشرة من عمره، ثم تبحَّر فى العلوم بدعمٍ من والده، الذى حكى عنه الشيخ الرئيس فيما بعد، أنه استجاب للداعى المصرى، «الفاطمى، الشيعى الإسماعيلى» وتآخى معه على

المذهب الذى كان يسمى آنذاك هناك «مذهب المصريين» نظراً لأن مصر فى زمن ابن سينا، كانت المقر العالمى للدعوة والتبشير «الكرازة» بالعقيدة الشيعية الإسماعيلية فى عموم البلدان الإسلامية، الدانية والقاصية، وهى الدعوة التى استجاب لها كثيٌر من الأفراد

حكى ابن سينا كثيراً من تفاصيل حياته لتلميذه أبى عبيد الجوزجانى، فكتبها الأخيُر، وتناقلها عنه المؤرِّخون، كما أن تلميذ الشيخ الرئيس، المعروف باسم «ابن زيلة» حكى كثيراً من تفاصيل حياة أستاذه ابن سينا، فصارت لدينا «سيرة حياة» معتمدة.. وبحسب هذه «السيرة» المشهورة، فقد بدأ سطوع نجم الشيخ الرئيس كطبيب ماهر، وهو فى سن الثامنة عشرة، فقد عالج سلطان بخارى «نوح بن منصور» من مرضٍ عضالٍ ألمَّ به، حتى شُفى. وعالج أميراً آخر، فشفى من داء القولنج «القولون»، فكان ذلك مقدمةً وباعثاً على اختياره وزيراً، وهو المنصب الذى ابتلى به ابن سينا مرتين.. كلمة «وزير» مشتقة من «الوزر» واللافت للنظر، أن الشيخ الرئيس الذى طالما عالج الناس من «القولنج» فبرءوا منه، مات بالداء ذاته!

لأنه تناول أدوية قوية، قيل إن بعض الخدم دسُّوا له فى الأدوية مقادير كبيرة من الأفيون، لأنهم كانوا قد سرقوا منه أشياء وخشوا أن يكتشفها إذا شُفى من دائه.. ولأنه، وهذا سبب آخر مباشر لوفاته، كان لا يكفُّ أثناء فترة نقاهته عن إتيان النساء! وقد أشار تلميذه «ابن زيلة» إلى أن الشيخ الرئيس يعدُّ استثناءً بين الحكماء، لأنه كان يحب النساء..

وهذا كلاٌم غريبٌ من ابن زيلة، حسبما أرى، وصحيح أن بعض الحكماء اشتهر عنهم كراهية النساء مثل «أفلاطون» لكن معظم أهل الحكمة اشتهروا بخلاف ذلك، فقد كان الحكيم اليونانى المبهر «فيثاغورس» أول من قام بتعليم البنات، وانحاز لهنَّ، فثار عليه أهل مدينته اليونانية «ساموس» وأحرقوا مدرسته..

ولم نعرف عن حكماء العرب المسلمين نزوعاً للابتعاد عن المرأة، أو الكراهية لها، حتى يكون «ابن سينا» استثناءً بينهم بسبب ميله الجارف للمرأة.. وفى الحديث الشريف الشهير، تأتى النساء كأول الأشياء الثلاثة التى أحبها النبى. وفى سيرة كبار العلماء والحكماء، ما يدل على شغف كثيرين

منهم بالمرأة، حتى الصوفية الزاهدون أمثال الشيخ الأكبر «ابن عربى» وحتى وإن كانوا من «الحنابلة» الذين اشتهر بين الناس أنهم متشّددون. فمنهم مَنْ كانت له أربع زوجاتٍ مجتمعاتٍ كالإمام الصوفى الحنبلى الجليل «عبد القادر الجيلانى»، ومنهم مَنْ اشتهرت عنه وقائعُ الصبابة، مثل الإمام العظيم «ابن الجوزى»، الذى ذكر عنه المؤرِّخون أنه: كان لا ينفك عن جاريةٍ حسناء..

«جارية فى اللغة، تعنى الفتاة صغيرة السن التى تودُّ لو تجرى بين أقرانها وتلعب» كما عُرف عن «ابن الجوزى» براعته فى الغزل، ومن وقائعه المشهورة أنه كان يحب إمرأة باهرة الحسن، اسمها «نسيم الصبا» وسعى حتى تزوَّج منها، لكنه بعد حينٍ طلَّقها لأمرٍ وقع بينهما، لكنهما ظلا من بعد ذلك متحابَّين. فكانت «نسيم الصبا» تأتى لدروس الإمام «ابن الجوزى» وتجلس فى مقدمة مقصورة النساء بحيث يراها من فوق المنبر، ولطالما بثَّ لها فى ثنايا دروسه بإشاراتٍ عشقية، شعريةٍ ونثرية، تفهمها المحبوبة ولا يغيب معناها عن الجمهور الغفير الذى كان يحضر دروس الإمام. وبينما هو على ذلك، جاءت للدرس فى أحد الأيام امرأتان بدينتان، فجلستا فى مقدمة المقصورة وحجبتا «نسيم الصبا» عن الإمام فأنشد من فوره شعراً: أيا جبلّى نُعمان بالله خلّيا/ نسيم الصبا يخلص إلّى نسيمُها.

وعلى ما سبق، فليس الشيخ الرئيس ابن سينا بدعاً بين الحكماء، أو حالة استثنائية، حسبما زعم ابن زيلة، لأنه أحب النساء.. بل الاستثناء هو عكس ما كان عليه ابن سينا، إذ كيف يمكن للرجل أن يكون حكيماً «أى متوغلاً فى الإنسانية» وهو لا يحب «المرأة» التى بها تكتمل معانى الإنسانية، وبها ارتبطت الحكمة والتأله منذ فجر الحضارة الإنسانية وحتى ظهرت الديانة اليهودية فدنَّست المرأة بعين ما تقدَّست به «على نحو ما جاء فى رواية: ظل الأفعى».

وبعيداً عن هذين السببين، اللذين ذكرهما المؤرخون لوفاة ابن سينا المبكرة نسبياً وهو فى سن الثالثة والخمسين «الثانية والخمسين بالسنوات الميلادية التى تزيد على الهجرية فى عدد الأيام» يمكن أن نقول إن الشيخ الرئيس بدأ مبكراً، فانتهى مبكراً.. ففى سن الثامنة عشرة، كان ابن سينا قد استكمل تحصيل ما وقع بين يديه من كتبٍ وما أتيح له من معارف. وهو

يشير إلى ذلك بعبارات قوية نقلها لنا «الجوزجانى» منها قوله:
(كنت أرجع بالليل إلى دارى وأضع السراج «القنديل» بين يدىَّ، وأشتغل بالقراءة والكتابة، فمهما غلبنى النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شُرب قدح من الشراب «الخمر» ريثما تعود إلى قوَّتى، ثم أرجع إلى الترقى من العلم إلى المعرفة، ومن البصر إلى البصيرة، ومن الإدراك إلى الوعى)

قلت لناهد التى كانت جالسة أمامى فى غرفة رئيس الإتحاد.. ناهد التى تسامحنى دوما :

- تعرفى إن إطلاق اللحية من أيام الفراعنة ، شوفى صور كهنة المعبد الكبار لهم ذقون.. حتى من تعمق فى الديانة أطلق ذقنه وعند اليهود والمسيحين والبوذيين.. وكانت الصلاة أيام إخناتون تؤدى خمس مرات فى اليومٍ..

اقتحم علاء مقرر اللجنة الثقافية وهمس فى أذنى، فانفجرت ضحكًا كاد يغمى على.. سألتنى ناهد:

- فيه ايه؟
- جلال فى المستشفى فى خطر
- تصدق وتؤمن بالله أنت مجنون واحد بيموت وأنت بتضحك.
- انتى مش عارفه الحكاية؟

قامت. خرج علاء.. جريت خلفها.. أمسكتها من يدها.

- أصله تعود على حركاته الوسخة مع الخادمات القاصرات.. بنت منهم ضربته بالسكينة فى عضوه الذكورى.. فاتقطع حته وركبوه له بجراحة..

أخذت تضربنى بحقيبة يدها.. وانا أجرى من أمامها ضاحكاً..

- يا قليل الأدب يا سافل..
- انتِ اللي عاوزة تعرفى.. انا حاروح اطمن عليه.

ذَهبت أنا وأعضاء الإتحاد وفرقة التمثيل فى الجامعة إلى المستشفى الجامعى لزيارة جلال حملنا له هدايا غريبة.. دخلنا الحجرة عليه ونحن نكتم الضحك.. وقفنا طابورا، وتقدم واحد واحد..

- سلامتك يا جلال.. دول اتنين كيلو موز.
- سلامتك يا جلال دا كيلو خيار..
- سلامتك يا جلجل دا كيلو جزر.

- سلامتك يا جلجول دا كيلو آتة..

فتح عينيه وهو ممد على السرير وقدماه معلقتان فى عامودين.. قائلة:

- موز وخيار وجزر وآتة.. يا ولاد..

كنا نكتم الضحك.. فانفجرنا.. صاح:

- دى فكرة فتحى رضوان خليل عشان ينتقم مني.. بره بره اطلعوا بره

وأخذ يقذفنا بالهدايا، خرجنا مهرولين ضاحكين[١] فتحت الباب بهدوء..

- المهم حتحتاجهم ما تخفش..

- بره.. بره..

قام صديقنا علاء بنشر الخبر فى الكلية، وزاد الطين بلة حين قال إن جلال ركب جهاز تناسلى صناعى وإن جهازه الأصلى معلق فى زجاجة فى حجرته..

(١) اتصلت بالناقد سمير غريب مرتين.. لم أجده.. اتصلت بالدكتور كمال عيد لم يرد.. أتصلت بالدكتور أحمد سخسوخ لم اجده.. اتصلت بالدكتور عمرو دواره لم يرد .. هذا يوم نحس لابد من كسره والتكلم مع أحد الأصدقاء أتصلت مع الدكتور اسامة ابو طالب رد .. الحمد لله .. وتكلمنا طويلا.. الصمت المطبق والوحده تدعوك لجنون.. بعدها اتصلت بالدكتور فوزى فهمى وسألته عن صحته ومزاجه وأحواله ..

خطاب إلي سيدنا نوح
وأصبحت تدور في أضاليل الغيوم
وعصفت بها الرياح
تمزق الشرع تنفض الألواح
واضطراب السكان في يد الربان

"شعر أحمد العدواني"

لا تلاوعينى وتراوغينى فأنا من كثرة ماعنيت من نار العشق يجرحنى ضوء المصباح

فتحى رضوان... قالت لى فاتن :

- **ماذا تريد يا رجل؟**
- **وحشاااانى وحشنى صوتك كأنه وطن وأعشق وطنا يسكننا ولا نسكنه، وأعشق أنثى بينى وبينها ألف ميل برى، وألف ألف ميل بحرى، وألف ألف ألف سحابة، وأعشق البهجة والضحك حتى البكاء وأن أطلق لروحى العنان أن تلعب أن تمرح أن تبكى أن تنام وأعشق الحكى مع النساء الجميلات، وأن أهدي كل واحدة فى الوداع نجمة من المساء.. وأحب الأنثى التى تقتحمنى تدخل نفق حياتى تقتسم الزمن معى ، وأصابعها ترقص على صدرى وأبكى من خشية الله لأنى كشفت سر اللون الأبيض والأسود وسر الأماكن والأسماء ويحتمل أنى فتنت للملائكة عن تناسخ الأشياء وعن سر نقص نقاء الروح عندما تفقد اليقين برب العالمين، وبأننى تمنيت أن أكون ملاكا لأن الإنسان هلاك ولا يبقى منه إلا العشق وحكايات للأمواج.**(١)

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

جلست فى شرفة بيت فاتن أقرأ أنتظَرها للدرَس.. قرأت مقالًا للدكتور وسيم السيسى لعادل إمام: هون عليك الأمر أيها الفنان العظيم، إنها ضريبة الرواد الذين يستشرفون المستقبل المشرق، فيصطدمون بالحاضر المظلم، دليلى على ذلك ما قاله أحد الشعراء:

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ «جمع جيفة»

وتستقر فى قاعه الدرر «اللآلئ»

---

(١) ذات يوم فى عام ١٩٨٦ كنت اسير بسيارتى على كورنيش الإسكندرية ..مع اسرتى وشاهدت رجلا يقف فى ركن يجهز الشاى .. اوقفت السيارة ونزلت انا واولادى .. قعدنا على الرصيف نشرب الشاى .. قالت غيداء ايه دا يابابا انا مش حاشرب لكن محمد شرب وعجبه وأم محمد رحمها الله كان الجو بردًا فشربت ..قلت لاولادى أحيانًا الفقراء يسرقون من الحياة ارغفة الخبز فى عز البرد ونحن نخطف من أيديهم الشاى الساخن من أجل الحياة .. عوضت جلسة الرصيف لغيداء بجلسه فى محل تريانون الفاخر .. وهمس محمد والله يابابا شاى الرجل الغلبان أحلى .. رحم الله زوجتى .. وظل محمد يحب البسطاء وظلت غيداء تحب الاماكن الراقية .وظللت انا احن للبحر والشاى من أيدى الفقراء أحيانًا واهوى الأماكن الفاخرة مثل غيداء.

وفى السماء نجوم لا عداد لها

ولا يخسف إلا الشمس والقمر!

والعيب ليس عيب الشمس فى خسوفها، ولكنه عيب الأرض، حين تأتى حائلاً بيننا وبين الشمس!

نعيب «شمسنا» والعيب فينا

وما «لشمسنا» عيب سوانا!

من يعرف أسماء القضاة الذين حكموا على سقراط، وتوماس مور، وبرونو، وكوبرنيكوس، جاليليو، وعادل إمام؟! يكفيك فخراً أنك صارعت «طيور الظلام» من أجل الضياء، وخاطرت بنفسك من أجل شيماء فى أسيوط حتى تبعد عنها شبح الموت، وأنك قمت بدور الإرهابى، هذا الفيلم الذى تم فيه تمثيل اغتيال الدكتور فرج فودة.. هذا المفكر الذى كتب لنا ١٩٧٩ كتابه «قبل السقوط» ولكن المصريين لا يقرأون كما قال موشيه ديان! لا تحزن أيها الصديق، فهم لا يعلمون أن الشعوب تتقدم بالإبداع، وأن الإبداع لا ينمو إلا بالفنون.. كالموسيقى، الغناء، الرسم، النحت، التمثيل، لذا قالها أفلاطون: «علموا أولادكم كيف يتذوقون الفنون ثم بعد ذلك أغلقوا السجون»! أنت فى زمن.. يناقش البرلمان فيه مضاجعة «الوداع» فلم أعد أعجب من أى شئ! حتى طرد «زويل» منه.

شاهدت فى إنجلترا مسرحية: «يسوع المسيح سوبر ستار jesus christ super star» لو مثلت هذه المسرحية فى مصر، لهدم المسرح على من فيه، كان الجمهور يرى ويسمع فى صمت وأدب وحضارة!

حرصت على التواجد فى «الهايدبارك» كل أحد، كانت التعليقات عن السيد المسيح والعذراء مريم، لا حدود لها.. وأتصور أنها لو كانت فى مصر.. لأصبحت الدماء أنهاراً!

ها هى أحزان الطبرى، والأئمة الأربعة، وابن رشد، وإخوان الصفا وخلان الوفا، تحيط بنا تذكرنا بجرائمنا معهم، وهم الذين نفخر بهم الآن.. ألم أقل لك إنه اصطدام المستقبل المشرق بالحاضر المتخلف المظلم؟! كذلك حضارة أجدادنا العظماء.. التى لولاها لما زارنا أحد، ولا نظر فى وجوهنا العكرة أحد.. فلا نملك زراعة ولا صناعة، ولا علماً، ولا حتى مالاً! علام نختال بين الأمم إلا بهذه الحضارة.. أم الدنيا وفجر الضمير.

أيها الفنان الشجاع.. لقد تصديت لأخطر قضايا عصرك - الإرهاب - ذلك لأنك كما قال أمير الشعراء :

إن الشجاعة فى القلوب كثيرة   ورأيت شجعان العقول قليلا.

وأخيراً ماذا سيفعلون بنا نحن المفكرين الأحرار.. السجن؟ خلوة! الحرمان من الطعام والشراب؟ صيام! الموت؟ راحة! منهم ومن زمانهم الأغبر، وهى الأمة التى قال حافظ إبراهيم فيها:

ويُهضم فيها الإمام الحكيم   ويكرم فيها الجهول الغبى..

قالت فاتن :

- أستاذ انت دايما بتقرأ وسايبنى
- اعملى الواجب.
- أستاذ. انا بحبك.
- وأنا أيضاً..
- أنت زعلان منى .
- لا.
- اقتربت بشفتيها من فمى..

صهد الشتاء يأتينى من شفتيها فأغرق فى قبلة لم أعرف سخونة مثلها من قبل ولا من بعد.. أبوها تاجر كبير هى سمراء وأختها شقراء، كأنهما من أمين وأبوين مختلفين، مع أننى أميل للبيضاء ، فإننى أحيانًا أجرى إلى أحضان السمراء دون تردد..

حلم فاتن أن أكون زوجها ولكنى لا أملك قوت يومى ويومها.. الفقراء سيدخلون الجنة.. مكافأة الجوع والحرمان..أم ستأكلهم كلاب جهنم لأنهم لم يثوروا.. فاتن حلم كل الشباب، وحلمى حين أكون وحيدها(١)

(١) كل يوم أتصل بالصيدلية عاوز أسبرين للصداع.. مطهر للفم.. فرشاة أسنان.. فيتامين بى مركب.. مطهر للأمعاء.. الدواء اصبح كالماء والهواء فى مصر الكل مريض الكل يشكو.. وحشانى بنتى غيداء وابنى محمد نجلس جلسة زى زمان نضحك من قلوبنا دون مشاكل..

أيتها السكينة يا من تذرفين الموسيقى كثيراً
وتعاشرين الموتى
امنحي أرواحهم بعض الهدوء
حلّي رتاج العواصف عنها
ذكريهم بأطفال غائبين
ونساء يسكنّ المتاهة.
حلّي رتاج العواصف

" الشاعر سيف الرحبى "

الفصل (٢٩)
بعنوان
(مصر لا نستحقها كشعب ومصر الشعب لا تستحق مبدعيها الشرفاء..)

فتحى رضوان خليل..

دخل علاء إلى غرفتى وهمس فى أذنى..

- معقولة.
- دخلها.

دخلت طالبة فى العشرين من العمر جميلة لم أرها من قبل فى الجامعة، وهى تبكى مرتبكة:

- إجلسى يا آنسة؟
- منى.. اسمى منى.. فى سنة أولى قسم لغة عربية..
- إيه الحكاية؟
- أنا منقولة من البحرين.. بابا كان بيشتغل هناك دبلوماسى وتوفى ماما جت ورجعنا واتنقلت لجامعة اسكندرية.. بقالى شهر.. الدكتور عبدالله الوكيل أستاذ النحو قالى انى ضعيفة وطلب منى انه يساعدنى واروح له شقته فى العجمى وعطانى عنوانه والورقة اهى وبخطه.. وعرفت من الطالبات إن دى شقة خاصة والطالبة اللى مش بتسمع كلامه بيسقطها.. قلت التجأ إلى اتحاد الطلبة يدافع عنى.

بكت.. منذ شهر هجم أستاذ الأنثربولوجى الوقور الذى يبلغ من العمر ٥٠ عامًا على فتاة فى غرفة مكتبه وكانت فضيحة.. ملفات أساتذة الجامعة مفتوحة لكن دوما لا يفصل الأستاذ ويمارس الأستاذ ضغوطًا من أجل قبلة أو ممارسة الجنس الخفيف.. والدكتور عبدالله الوكيل أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية تشكو منه الطالبات، لكن دائما يحفظ التحقيق ويكتفى بلفت نظر.. ماذا أفعل مع منى؟ نظرت لها.. أخذت ورقة العنوان منها.. قلت لها:

- سأتصرف..

صافحتنى.. وخرجت.. خرجت.. بعد ذلك متجهًا إلى مكتب الدكتور عبد الله الوكيل هو قصير القامة.. عاد من بعثة تعليمية فى السعودية منذ سنتين،

هو ليس دميماً وليس وسيماً.. دخلت إلى مكتبه، وجدت طالبيتين..

قال ضاحكا عندما رآنى:

- أهلا ياريس.. أنا متأكد انك حتبقى رئيس مصر أو على الاقل رئيس وزراء مصر..

ضحكت البنات. ابتسمت.. أشار للبنات بالخروج وأمرنى بالجلوس.. جلست أمامه قال:

- خير هات ما عندك؟
- حضرتك يا دكتور ماتعرفش إن منى صلاح الدين الطالبة المحولة من البحرين قريبتى
- والله. ماعرفهاش.. فى سنة ايه قلت لى..

قدمت له الورقة مسكها وضحك كالثعبان:

- اه افتكرت.. دى ضعيفة جداً.
- ايه رأى سعادتك نعمل لكل الضعاف محاضرة إضافى من معيد أو معيدة فى قاعة الاتحاد أو حضرتك لو تحب تديهم يبقى رائع ومثالى..
- فكرة هايلة ياريس مش بطاله أبداً.. ماشى

مزق الورقة أمامى كأنه يمزق تذكرة خاصة لدخول الوكر.. خرجت من مكتبه إلى مكتب الاتحاد.. قابلت ناهد حجازى فى ممر مكتب اتحاد الطلاب، قالت:

- إذا لم أسأل عليك.. لا تسأل عنى يا ابن رضوان خليل. من الممكن أن أنساك ولا أعبرك..
- لن تستطيعى أبداً أن تنسينى أو تتجاهليننى.
- سأخاصمك بجد.. ولا أسأل عنك(١)

إذا انقطعت عن السؤال عنى ستهجرك عصافير الجنة.. ولن تقف على باب دارك ولن يغسل شباك نافذتك زقزقة العصافير.. ستكونين وحيدة مثل

---

(١) مصروف الشهر لا يكفى الغلاء يزداد..٢٠١١ الوطن الحقير النائم لا يفكر كيف ينام الشعب وأنا واحد من هذا الشعب اليائس الحمد لله أنا مستور والطعام متوفر.. حكمة الله الستر.. اللهم استرنى فوق الارض وتحت الأرض ويوم العرض, الحكومة قطعت حرارة تلفون المنزل لعدم التسديد شكرًا يا حكومة وسخة.. أنت كاتب. طز أنت مفكر طزين. أنت عالم طززززز.. حتدفع والا لأ؟.. قطعوا الحرارة.. الغلاء زحف على الجميع والفقر يزداد بشراسة ٢٠١٧ الطبعة الثانية..

قطعة الثلج على قمة جبال الغربة.. إذا لملمت اهتمامى بك ستكونين أنثى مهجورة كقصر من الرخام فى صحراء العمر.. إذا نسيتك من ذاكرتى ستكونين فى ذرات النسيان.. مثل ميرى انطوانيت أو ربما تكونى شهقة شهقتها وكانت زفيراً لا شهيقاً أو تكونى وردة ذابلة على أرصفة الحياة.. حاصرينى بودك.. وألقى على عتبات محبتى كل لحظة كلمة أحبك سيدى.. أعرف أنى سأصفح عنك بلا عناء..

- من أنت يا رجل الذى اسمك فتحى رضوان خليل؟

قلت:

- أنا لست رجل الإهانات والضرب والسب والقذف للنساء أنا الذى يضم أنثى فى صدره لتتحول إلى قمر أو شمس أو برق أو قطرات ندى.. وأنا صوت الفقراء فى بقاع الأرض فى أى مظاهرات وبكل اللغات.. وأنا دولة رجال إذا عز الرجال واختفوا تحت غطاء المصلحة وخرسوا من أجل قطعة خبز أو سيارة أو فنجان قهوة مع مسئول.. ومن يستمع القرآن ويقرأ الإنجيل والتوراة، وكل كتب الحكماء والشعراء والفلاسفة، أنا من يشترى وردة حمراء كلما مر على محل زهور ويهديها إلى إحدى النساء أو الأطفال فى الطريق، وأنا ظل من ظلال أحرف سورة الرحمن..

قالت:

- أنت مجنون؟

قلت:

- أنا سر الجنون إذا تجلى فى الفنون.. وأنا من يدعو الله وجبينه على سجادة الصلاة والعشق خنوع وخضوع.. ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب وغباء الشعب والمسئول الجهول.. وأنا من استغنيت عن الدنيا وما فيها بسبب أنى شبعت من بحر المتع والشهوات.. أصبحت خبرتى الجمالية بالنساء والطبيعة عبئًا على الروح والعقل فأظل مستنفرًا طوال الوقت..

- أنت تحاول أن تلعب معى بالألفاظ والكلمات.. يا ابن رضوان خليل

مددت يدى ألمس يدها سحبت يدها.. قلت لها:

- أنا لا أسحب يدك نحو دفء قلبى بل أجادل رأسك الخشن من كثرة الصدامات مع رجال قلوبهم باردة لا يعرفون سر النساء.

- أنت لن تكون رئيس جمهورية كما تحلم.. لن تكون شيئًا.. ما دامت النساء فى حياتك.. وهلوسات الفن، وعشق مصر وفلسطين بجنون.. أى مصر وأى فلسطين.. وأغلب المواطنين يخونون الوطن كل لحظة..

اسمعى يا ناهد.. أعرف أنه إذا واتتنى لفتة لكاحل إمرأة قرأت فيه كم رجلًا عشقت، وأعرف أن الفلسطينيين والمصريين بينهم أغلبهم خونة فهم كثر، ولكنهم شعبى يجرون فى دمى أعرف أن المصريين قبائل هندية وفارسية خليط وأن الفلسطينيين جاءوا أصلا من تكريت لكنهم صاروا عرباً، ربما نكون قد ربينا خطأ.. عبد الناصر هو السبب.. العروبة العروبة.. أتعرفين أن عبد الناصر ليس له تمثال فى مصر مع أن له فى كل بلد عربى شارع باسمه، وأن خونة أحمد عرابى لهم أسماء فى شوارع فى مصر مثل شارع المرعشلى باشا، وهو أحد خونة عرابى، وله شارع فى جاردن سيتى، وشارع راتب باشا، وهو واحد من خونة عرابى.. له شارع كبير باسمه فى شبرا.. وهناك شارع شريف باشا فى وسط البلد فى القاهرة وهذا خان عرابى..

الغريب يا ناهد أن حى التوفيقية فى وسط البلد فى القاهرة اسمه على اسم الخديو توفيق.. حاولوا يسموه حى أحمد عرابى، لكن للأسف، الناس تعودت على اسم الخائن. أنا لا أنتظر من مصر تكريمًا لى أو لغيرى من الشرفاء.. مصر لا نستحقها كشعب، ومصر الشعب لا تستحق مبدعيها الشرفاء وقادتها الأحرار.. عرابى هزم بسبب الخيانة، وأول من خانه السلطان العثمانى الذى أصدر أمرًا بأن عرابى من العصاة، ونشر فى جريدة الطائف بأن عرابى من العصاة الخارجين عن طاعة الله ورسوله وخليفته فى أرضه، أى خالف كتاب الله وسنته.. وأول من خانه من قواده القائمقام محمد نسيم بك الذى أمره عرابى بإحضار قطار يحمل خبزًا بقسماط للإنجليز كان موجودًا بمخزن القبارى فراح الخائن وفتن للخديوى توفيق، وتوالت الخيانة محافظ بورسعيد حيث انحاز للإنجليز ضد عرابى ووكيل المحافظ على بك ياور التجأ ومجموعة من ضباط أركان حرب محافظة الشرقية وأمر الخديوى بحرمان عرابى وعائلته وذريته من كل رتبة ومرتب ومعاش وامتياز وقام محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب (مجلس الشعب) مع قائد جيش الإنجليز.. وزار المحافظات وسهل للجيش الإنجليزى ومدوهم بالطعام والمؤنة.. وخان عرابى شبكة من الضباط: زكى بك وزهراب بك، وموريس بك ويوسف ضيا، وحسين بك رمزى، وقدموا للعربان فى الشرقية رشاوى من المال مع الإنجليز وقام

العربان بنقل رسائل الإنجليز إلى الخديوى بدلا من التلغرافات زيادة فى الحرص، وجاء قائد قوات هندية بفرقته لمساعدة الجيش الإنجليزى.. وبعد تسليم عرابى نفسه اعتقل زعماء الثورة العرابية، ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى وطلبه عصمت وعبد العال حلمى ويعقوب سامى، وسجن عرابى وطلبه عصمت بمعسكر عابدين وسجن الباقون بسجن الضبطية، واعتقل جميع الوزراء السابقين مثل عبد الله باشا فكرى وحسن باشا الشريعى ومدير الشرقية أحمد ناشد وعلماء وكبار تجار وأعضاء مجلس نواب مثل أمين باشا الشمسى وأحمد بك أباظة وخطباء المساجد وبعض الموظفين والعمد ممن ناصروا الثورة وهرب عبد الله النديم[١].. وأمر الخديوى بسرعة القبض على الشيخ عليش شيخ الإسلام وعثمان بك فوزى وكيل دائرة الأزبكية وحسن موسى العقاد.

وأخلى منزل أحمد عرابى وألقيت أغراضه فى الشارع للسفهاء، وتحول البيت إلى مستشفى للجرحى كمكان مناسب.. وضعوا عرابى فى حجرة مظلمة وفى الليل تفتح الزنزانة ويدخل عليه إبراهيم أغا توتنجى الخديوى ومعه أشخاص آخرون ويسبون عرابى بأقبح الألفاظ، وجعلوا خدم السجن تفتشه وليس رجال شرطة فى كل يوم.. رفض المحامى المصرى عبد الكريم ناجى قبول الدفاع عن عرابى ووافق المحامى الإنجليزى برودلى ومعه اثنان من مساعديه، وهما نابير وايف ونفى عرابى إلى جزيرة سيلان وتعلم الإنجليزية ومحمود سامى البارودى..

وبعد عام من النفى اختلف رفاق الثورة فى المنفى.. وكتب البارودى ويعقوب سامى وقالوا إن السبب أن عرابى تزوج من خادمتين عند زوج ابنته، وقالوا زوجة واحدة، وكتب لهم من مصر النديم:

(ارجعوا إلى الإخاء الحق والتزموا فى المودة الصدق ولا تسودوا وجوهنا أمام أبناء مصر ولا تخجلونا أمام نبهاء العصر فإنى أنشر عنكم من الأخبار ما لا يؤثر إلا عن الأخيار من ألفة أكيدة ورابطة شديدة وإخاء لا ينحل

(١) جرس الباب أزعجنى البواب زوجته مريضة وعاوز دواء للحساسية الصدرية.. بحثت عن دواء جاءنى هدية من الحاج أحمد السمرة.. أعطيتهم زجاجة دواء.. اتصلت بالحاج سيد والد الأستاذ إسلام زوج ابنتى اطمئن عليه.. ووجدت الطعام حمض نسيت أسخن الحلة وأحطه فى الثلاجة.. القيت بالطعام فى الزبالة لازم اتجوز ..

ووفاء لا يختل)[1]

- ولد.. أنت بتدينى محاضرة عن عرابى ريح نفسك مش حتبقى زعيم..أنت متلخبط بين الكتابة والمسرح والصحافة والتمثيل والسياسة.. اختار عاوز تلعب سياسة سيب كل اللى حواليك واتفرغ لها. مصر مبتحبش العباقرة ولا متعددي المواهب.. مصر تكره المواهب الكبيرة مش دا كلامك قبل كده.
- عارف بس أنا إنسان، يمكن أكون حيران، يمكن أكون متلخبط يمكن أكون ببحث عن العدل ونفسى أحققه بأى طريقة وبكل الطرق.
- اعدل مع قلبك..عاوز ايه انت؟
- عاوز أسافر وتظل الكويت عروس الديمقراطية العربية وتظل دبى أجمل مدينة عربية، وأظل أنا وأنت أنت يا بلادى نحلم سويا منذ سبعة آلاف سنة بالديمقراطية وأن نزيل القمامة من الشوارع ونطهر ماء النيل ولا نحققهما أبدا

جاءنى شبل بدران من الكافتيريا وجذبنى بعيدًا وهمس فى أذنى:

- محمد شكرى أمن دولة خد بالك منه..
- مش ممكن.
- حسن عقل بيقول.
- يا رجل.

الكل يشكك فى الكل.. الحركة الطلابية فى خطر.. كل الطرق تؤدى إلى التفتيت.. عدت إلى ناهد. خرجنا وعلى البحر سرنا.. إسكندرية العبيطة أحيانًا فلا تعرف لون البحر ولون الموج.. ولا تعرف هل الجو معتدل أم الجو سئ..

- شبل بدران قالك إيه غير شكلك؟
- حذرنى من واحد من صحابنا..
- سيبك من السادات.. عبد الناصر مات وخلاص.. الزمن مش حيرجع تانى.. السادات غير عبد الناصر.. أنت فى زمن السادات يا ابنى.
- خانوا عرابى يخوننا الأصدقاء، السادات خان مبادئ ثورة يوليو.. لازم للحركة الطلابية أن تسقط السادات..

---

(١) ما يحدث الآن هو تسميم النفوس والعقول والتلاعب بالناس عن طريق وسائل الإعلام.. نحن نعيش فى تخلف فكرى شديد مثلما كان يعيش الغرب المتعصب فى العصور الوسطى حيث كانوا يرون أن المسلم متعصب لأنه مسلم وأن العربى متخلف بجوهره وعاجز عن صنع الحضارة لمجرد أنه عربى.. الآن الإخوانى إرهابى وقاتل ومجرم لمجرد أنه إخوان مسلمين.. اذا نحن نعيش بعقلية القرون الوسطى فلا أمل هناك.

ليس لدى أى فكرة هل ننجح مثل طلبة فرنسا كما أسقطوا ديجول.. السادات فرعون لن يقبل أن يترك السلطة.. كل فراعنة مصر يحكموننا للأبد حتى الموت.. لم يتنازل أحد إلا بقوة السلاح وتهديد روحه أو قتله..

- تعالى ندخل سينما؟[1]
- خير ليه؟
- عاوز بوسة؟
- لا.
- يا بنت عاوز بوسة.
- وأنا قلت لا.
- يا بنت.
- لا.
- خلاص بلاش..

سرنا متشابكين على الكورنيش طريق طويل.. الإسكندرية اليوم متكاسلة مضطربة المزاج مثل ناهد.. ناهد يا حبة القلب. صوت الموج، ويدانا متشابكتين. العشق أحيانًا شجاع ومرة جبان.

فى الطريق على الكورنيش.. قابلت منى تحمل بعض الكتب فى أحضانها، وشعرها يطير كأن الهوى يمسح أحزانها..

(١) قابلت صديقى فؤاد عبد العال لم أره منذ أربعين عامًا كان مثقفا من طراز رفيع.. كان الوحيد الذى يشترى لنا الكتب الباهظة الثمن مثل الوجود والعدم لجان بول سارتر واللا منتمى لكولن ولسن.. ويسمعنا أسطوانات فيروز الحديثة ونركب سيارته ونحن نسير على شاطئ الإسكندرية وهو من شلتنا القديمة وعلم فاروق حسنى قبل سفره إلى فرنسا عام ١٩٧٠ قيادة السيارة على سيارته الامريكية.. مازال قلبه أبيض، ويحمل قلب الدهشة البريئة..

يا خالق الملكوت بقدرة "كُن"
الأرض باعك والسما شراعك
يا معلّم الإنسان يخاوى الجن
علّم ملوكنا يخاووا أتباعك
الشاعر سعيد شحاته

***

قراءة تشكيلية في لوحتين للفنان

إبراهيم بو قيس

خارج السياق

هذا الفنان المدهش دائما

هناك لعنة الفراعنة! وهناك لعنة النفط! ولعنة الفراعنة في رأي العبد الفقير لله هي أنهم لا يحترمون الأحياء ويقدرونهم إلا بعد موتهم.. وهؤلاء الأحياء (أدباء.. شعراء.. علماء.. فنانون) أما لعنة النفط هي أن كل من يكتب عن فنان خليجي فهو متهم بالخيانة للحركة الثقافية في وجهه نظر عباد الله الفقراء من الفنانين العرب.. وأن الفقراء أولى بالكتابة عن أدباء النفط لأنهم أغنياء كما يعتقد البعض لكنني لقد تخلصت من كل هذا وقررت أن أكتب عن أي فنان عربي جيد وبالطبع منهم خليجيين، فالعروبة عندي أكبر من كل الاتهامات بالخيانات.

إبراهيم بو قيس.. هذا الفنان المدهش.. الذي أعتبره خارج السياق (الترتيبى) لمستوى الفنانين، فهو يملك كما هائلا من الدهشة في عالمه التشكيلي وخاصةً بالشعبيات وكأنه توحد مع الشعبيات وصار ساحراً.. إنه الساحر إبراهيم بو قيس في عالم الشعبيات.. إنه يملك القوة السحرية مع الشعبيات.. إن إبراهيم أبو قيس ينقلك إلى جذور الرموز الطقسية ذات القداسة والقوة السحرية في ممالك قبائل العرب قبل وبعد الإسلام. إنه معني بالنجوم والأجرا م السماوية وحركاتها.

معبأ بالارتياح.. وفرشته متأثرة بالزمان والمكان والحظ والقدر والناقة وسراجها وطلاسم الصحراء. إن فرشاته متأثرة "بدوائر الأبراج المعلقة وتأثير الأبراج علي الجسد وارتباط عناصر الإنسان البدوي بالتراث الإسلامي" إنه مرتبط بالبيئة ذات الطابع الرمزي.. هذه الفرشاة تنتقل بين يديه في سحر ورشاقة .

قراءة في اللوحة الأولي:

هذه اللوحة في حالة "تألق" ولو كان لي لسميتها "تأنق".. إنها محتشدة برسوم منمنمة بالغة الدقة والإبداع في الرسوم والتكوين وتصنيف

العناصر مع نوع من التسطيح وأجزاء منها تشبه الجدران وأخرى تشبه السجاجيد المنقوشة أو العبارات المكتوبة بخط رائع وإحكام مذهل فضلا عن تكوينها الفائق في دقته وفي روعته وتذهيبها وتحديدها.. آيات من الجمال المذهل.. اللون الأحمر هو سيد اللوحة وهو الذي يصطحبك إلي باب اللوحة وتفسيرها.. وكل العناصر في اللوحة متداخلة في شبكات معقدة..

إن إبراهيم بو قيس عندما دخل إلى عالم الشعبيات وامتزج بها استعان في اللوحة بقوة الأشكال والصور والرموز كي تصبح له قدرة ساحرة مرسومة نراها في كتلة اللوحة أو في تفسير الكيان التشكيلي والتعبير عن مستواه. إن إبراهيم بو قيس يشعر بأن الإنسان تعيس ويرغب في الرسم كي يخرجه من تعاسته. إنه مسافر عبر الألوان ليعطينا البهجة.. أنه يستشعر بالفرح وغسيل الروح عندما يرسم..

إن ألوانه تشع بهجة وغبطة بشكل تلقائي إننا أمام لوحة استخدم بها الفنان إبراهيم التقسيمات الهندسية دون أن يدري فقسمها بشكل مستطيل إلى ثلاث مستطيلات: المستطيل الأول والثاني والثالث.. وعمل على شكل لوحة في المستطيل الثاني ليحتل ثلث المساحة فهذا عالمه المحتشد في ثلثي اللوحة أما المستطيل الأول والثالث علي يمين ويسار اللوحة فهما بقايا عالم قد تغيب في صراعاته المختلفة أو هي خلاصة العالم في بعض المثلثات والأشكال الهندسية الزخرفية الشعبية.

إن عالم هذه اللوحة يشعرك بالحياة بصخبها بأهوائها برفاهيتها"٢".. الشعبية بأعيادها الشعبية والقومية تشعرك بالأرض وغناها وبهائها.. عامرة بالوعود ترسل لنا عطرا غريبا من الورد والمسك وتصلنا منها موسيقات الحياة في همسة عاشقة".

إبراهيم بو قيس.. نرى في لوحته أنه يطير بعد أن اكتملت فقد كون العناصر في وحدة كأنها كائن خرافي في عصر ما قبل التاريخ لكنه جميل مفعم بالحياة.. إن هذا الكائن قد كون من باب وشباك وعقد وحلي وسراج خيل ونقوش أبواب وهو جزء من العمارة الإسلامية. الفنان المتمكن الساحر في ريشته إبراهيم بو قيس يجعلك تتساءل كيف ينمو هذا الإبداع الشفاف وسط صمت النفط ولهيب الجو ورطوبة الهواء ولعنة النقط، إنه فنان يملك

أدواته.. الألوان المستخدمة في اللوحة:

١- البني: سيد اللوحة (بتوناته ودرجاته)

٢- الأزرق

٣- الأصفر: في لمسات خفيفة.

ماذا تبقي في العالم غير الألوان التي تمتزج وتثور وتدور وتتوحد في عناصر الحياة المختلفة، باحثة عن وجودها وتميزها في اللوحة. هذا السحر والفتنة في اللوحة تجعلها لها شخصيتها المتميزة، في حضور المشاهد في أي معرض[١]

---

(١) كانت حرب الايدولوجية الدينية محركًا اساسيًا فى تحريك الشعوب وهياج الجماهير مثل الحروب الصليبية والدعاية حرب العباسيين ضد الأمويين أسرعت بسقوط الأمويين.. ثم حلت الحرب الأيديولوجية السياسية بدلا من الأيديولوجية الدينية وأصبحت الأحزاب والنقابات تعبىء الجماهير للنزول للشارع وبدلا من الحروب بين البروتستانت والكاثوليك حلت الحروب العلمانية بين الاشتراكية والليبرالية.. الآن مصر عادت إلى قرون التخلف فقامت بحرب ضد الشيعة وسحلت وقتلت أسرة كاملة فى عهد مرسى ورجعت أكثر من ألف سنة مثل أيام صلاح الدين الأيوبى وقتل الشيعة وبعدها فى عهد العسكر صارت حرب بين الإخوان وبين العلمانيين.. نحن فى زمن مضطرب.. اللهم نجنا من الجهلاء..

الذين يؤمنون بالغد
ينتظرون هناك
عند حدائق الأطفال
والذين لايؤمنون بشيئ
ينتظرون مع أحزان الشاى
وقهقهات النرجيلة
أما أنا فأنتظر قادما مجهولا
حسب موعد قديم لم أعد أذكر عنه شيئا

"الشاعر بهيج إسماعيل"

***

الفصل (٣٠)
بعنوان
الأيام حبلى بالجنون.. والغربة

كاظم

... لم ألق حظى فى العشق مرة، راحة.. نسمة من الجنة.. العشق فى صمت يجلدنى وأحياناً يقيد قلبى ويصلب روحي أمام رمشك.. يا ويحى.. يا قهرى[(١)] فكى ضفائرك وأرخى شعرك على كتفيك لعل روحى من الصلب تنفك ولعل قلبى من القيد ينعتق ويحك يا سهر يا بنت الجبل والتفاح والزيتون والياسمين يا حبيبة القمر صوتك مطر وأحياناً خطر.. وصمتك قمر جميل وبعيد ومضئ يكبر ويصغر ويظهر ويختفى دون تصريح سفر..

إن الأمور تسير إلى المجهول.. الأيام حبلى بالجنون والغربة..سحقاً لك أيها المجهول.. إنى أشكوك لرب العالمين.. أن تعلن لنا بعض الضوء وبعض الأمل.. أيتها الأيام القادمة ألقى علينا ببعض النسيم..

آه يا سهر ستسافرين ولا عنوان لك مثل الفرح أنتِ هو بلا عنوان ولا زمان ولا مكان.. عرفت الآن أنك الفرح المؤجل لى منذ الميلاد ولكن بلا ميعاد.. بلا ميعاد[(٢)] يا أنا.. كم أفتقدك فى حياتى.. لكنك جوه الحشا.. يهمنى أن أراك.. لأنى أثق فيك لأنك منى.. أنت من ضلوعى ورائعة همستك فى أذنى سيكون لى شموع عيد الميلاد[(٣)]

دق الباب فتح كاظم وجد راغب ابن المختار.. وأخا زوجته وردة

---

(١) قال فلاح مصرى فى سيارة نقل عام تركبها اسماء زوجة ابنى .. احنا غيرنا حسنى مبارك .. بس عاوزين حد يغير الشعب المصرى كله لأنه فاسد زى مبارك..وقال لى اليوم سائق الباص ياحاج هو حسنى مبارك فات على واحد واحد فى السر وقاله كون فاسد والا أحنا حبينا فساده.. وعشنا معاه وعجبنا فساده ٣٤ سنة.. الفساد فينا يا حاج من زمان من زمان زماااان من قبل مبارك وكبر.

(٢) فى المترو من محطة الأوبرا للجيزة ركب بجانبى اثنان من السلفيين أحدهم رن هاتفه وقال لمحدثة يعنى الشيخ حازم أبو اسماعيل طلعت فعلا أمه أمريكية ..معقولة أمريكا قالت!! شكلنا بقى وحش قدام الناس!! دى تانى مرة نطلع كدابين قدام الناس!! بتقول إيه وعاطف الشاطر حينسحب وينزلوا محمد مرسى بداله الاخوان..؟ يا ترى مين كمان حيطلع بره الانتخابات؟

(٣) حل مجلس الشعب بقرار من الدستورية العليا.. فى مصر الفساد ليس فى رئيس الجمهورية والشرطة فقط بل فى كل مؤسسات الدولة أولاد .. لا أستثنى منكم أحداً..

- أهلا راغب اتفضل.
- اهلاً بك..
- هلا بيك خى كاظم.

قامت وردة من حجرة النوم.. وفتحت باب حجرتها..

- هلا راغب..
- بدى إياك أختى فى موضوع خاص .

نظر له كاظم..

- بخاطركم أنا بروح أصحح.. درجات الطالبات. وبتركك أنت وأختك تفكوا مع بعضكم شوى

تركهما وذهب إلى غرفة أخرى وأغلق الباب. هو لا يحب راغب.. ولا يتفاءل بحضوره أو لقائه. جذبت وردة يد أخيها نحوها.. وجلس بجوارها حتى يهمس لها وحتى لا يسمع كاظم أى حرف.

إنها تعلم مصائب راغب لا تتوقف ففى كل أسرة واحد منها يزعجها دومًا ويتسبب فى مشاكل كثيرة.. قالت وردة وهو ينظر للأرض.

- شو بك ؟ احكى ولد شو سويت من مصايب..

بكى راغب أمام أخته كطفل.. لأول مرة تجد هذا الأزعر المتمرد ذا الصوت العالي يبكى كالأطفال.. قالت وهى تنظر له:

- شو سويت ياولد؟
- قتلت واحد.

ضربت صدرها بيدها.. وارتجف جسدها جرت للتأكد أن كاظم بعيدا لا يسمع ثم عادت إليه:

- يا مصيبتى.. متى وأين وكيف؟
- سأحكى لك ، تعرفين زهره بنت سمعان الحلاق.
- بعرفها بنت جميلة وتزوجت من ٤ سنين ويا ما قلت لك بدى تتزوجها وانت ما رضيت.. أهى تزوجت وخلفت ٣ عيال.. شو بها زهرة؟
- زهرة جات من سنة و ٤ شهور تشكى لأبيكى المختار عن زوجها قاسم أنه بيشتغل يوم يعطل عشره.. وما فى دخل عندهم وإنه طلب منها تروح تخدم بالبيوت لأن الخدمة مصاريفها كثير خاصة فى بيوت الناس اللى جايين

من فنزويلا..

- ياعم الشوم.. دى زهرة دى قمر.. ازاى يخليها تخدم فى بيوت الناس..
- وبعدين خلص ولد.
- يوم ماجت تشكى لأبيك ما كان هناك فى الضيافة.. وكنت موجود.. رحت معاها لحد دارهم أشوف قاسم ما لقيت قاسم.. أخد ابنه الكبير وهرب.. ما ندرى وين.. وانا كل يوم ابص عليها.. أساعدها شوى.. المرأه علقت فى رأسى.. بقيت أطبب عليها وحصل بينا اللى حصل كل كام يوم أزورها؟
- وزوجها؟(١)
- ما كان موجود وما نعرف وين راح لحد من ليلة امبارح..
- شو صار يا ولد أحكى أنا بدأت ارتجف.. شو صار..
- المرأة حملت..
- منك؟
- ايوه. أمال منه.. مع أنها بتاخذ حبوب منع الحمل .
- يا مصيبتى؟
- وهو رجع ليلة امبارح.. وقالها شو اللى فى بطنك وضل يضربها وأنا وصلت عندها ومابعلم أنه موجود لقيته.. اتكاتلنا.. ضربته فى رأسه مات..
- يالهوى يالهوى..

وضع يده على فمها حتى لا يرتفع صوتها ويسمع كاظم.. ثم تركها عندما هدأت قليلاً.

- وبعدين؟
- دفنت الجثة أنا وهى فى غرفة من الغرف تحت الأرض..
- يالهوى.. يالهوى.. يالهوى.. وأبوك؟
- أبى ما يعرف شئ؟
- وأمك؟
- ما تعرف شيئا.

---

(١) أرسلت ماسيج هاتفى إلى عبد الرحمن بن زيدان الناقد والفنان فى المغرب أسأله أن يرسل لى عنوان منزله فى المغرب كى أرسل له روايتى.. هو ناقد من طراز رفيع وعلم غزير وضحكة طفل محب للإبداع والحياة على وجهه.

(لم أقل لك يا أختى إننا بعد حفر أرض الحجرة، وردمها بأشجار التفاح والزيتون.. إننى استحممت فى بيتها وضممتها إلى حضنى وضاجعتها فوق السرير الذى وضعناه فوق الجثة المدفونة فى باطن الأرض، كنا نقبل بعضنا بجنون ونلتحم بهوس على جثة هذا الندل وصراخ الأطفال فى الحجرة المجاورة.. كنا وحوشا لا تسمع ولا ترى ولا تحس بمن حولها)

- قولى لى شو أعمل فى هيك مصيبة؟..أنت أختى وأنا أخوك.
- ما بعرف شو احكى؟
- أنا فكرت لها فكرة زهرة تبلغ الشرطة أن اختفى زوجها هرب وما بيصرف عليها.. من سنة و ٤ شهور وبعد شهرين تلاته تطلب الطلاق وبتزوجها..
- حتجيب عليك راجل وبيقتلك وتتزوجه.. وتدفنك جنب زوجها الأول..

(ماذا أقول لك يا أختى لم أذق لحم امرأة يا أختى أشهى من لحم زهرة هذا قاسم الملعون العاطل.. كان ما بيقرب منها إلا كل شهرين مرة..)

- ليش ساكت يا ولد؟
- ما بعرف.. اطفش من البلد..
- جنيت أنت ايه والله جنيت.. بدك امك تموت حزن عليك أمك روحها فيك يا نذل؟
- شو اعمل شو احكى ؟
- لا تعمل شيئا الآن سيبنى أفكر ولا تروح عندها فاهم.. ما تروح بيت زهرة..
- حاضر..[1]

خرج راغب دون أن يودع كاظم. راحت وردة إلى الحمام نظرت فى المرآة وظلت تبكى..

- أخوى اخوى..

غسلت وجهها وضعت عطر ومكياج لتدارى اصفرار وجهها المفاجئ [2]

---

(١) من ثلاث أعوام قامت كاتبة مصـــرية عربية رائعة بدعوتى إلى قطر للبحث عن وظيفة.. الكاتبة الرائعة والإنســانة الراقية ســعدية عبد الحليم.. تلك المرأة المعجونة بأحاســيس طفولية نادرة وقلب مفتوح للعالم.. وعندما تقرأ أدب ســعدية عبد الحليم تكتشف إنسانية عالمية غير عادية..

(٢) أخى خالد الطريفى الذى يشكو من علاج ومعاشات الفنانين فى الأردن أقول لك معاش الكاتب المصرى فى مصر ١٠٠ جنيها فى الشـهر ومجلس الاتحاد الجديد فرحان إنه رفع المعاش من خمسـين جنيها إلى ١٠٠ جنيها فى الشـهر يا خيبتك يا مصر رجالا وشعبًا وحكومة حتى عم نجيب محفوظ الله يرحمه كان معاشه ٥٠ جنيها فى الشهر.

كاظم ظل يفكر أنه يملى على تلاميذه كل يوم تعليمات ووصايا أخلاقية مؤثرة وحكم، وقال لهم الأغنياء والفقراء لا تصنعهم الطبيعة.. بل الاستغلال والفساد.. إن الله لا يحب المفسدين ولصوص الفقراء.

فى بيت سهر، قالت أم سهر لزوجها:

- شو هالقصة.
- أى قصة؟
- قاسم زوج زهرة اللى اختفى مرة تانية.. بس أخته بتقول جاب ابنه عندها وراح عند زهرة فى الدار يجيب بقيت ولاده مارجع ويطلقها. مارجع. واخته متهمة زهرة بأنها قتلته.
- شو هالخرافات ست بتقتل راجل؟
- شو صار بالبلد مابعرف ؟
- بيقولو الظاهر فيه راجل تانى فى حياة زهرة
- دخلت عليهما سهر مقاطعة:
- حرام يا أمى هالحكى حرام!
- مو أنا اللى بقول الناس اللى بتحكى.(١)
- انتى ما تقولى يا أمى هالكلام ما تحكى هالحكى. أنا رايحة
- وين رايحة.. ؟
- لخالتى شهرزاد.

ضحك الأب:

- هالمره سحرت لك شئ
- هالمره أكثر واحدة تحبنى لله فى هالبلد
- وأنا أمك وأبوك مانحبك؟

---

(١) يسألنى صديقى الكاتب: ماذا تفعل؟.. قلت أكتب أقرأ أغسل أطبخ أنظف أراقب الشارع والأحوال والعباد أراقب مصر المنكوبة بأولادها... قال ألن تتزوج؟؟... قلت أفكر فى هذا الأمر ولكن أحتاج أنثى استثنائية.. قال والعشق قلت العشق صار أكبر صار عشقى للسماء ولله أكبر من عشق النساء والمساء والغانيات وهمسات الماء والهواء وأنا من دغدغ أذن الخبايا والأشياء وأعرف العشق وأعلم جيدا أنه داء ولكن عشق الله دواء.. وللنساء عندى حكايا ومرايا وغوايا ولكنى أنتظر مسك النساء وكحل عيون البهاء.. إذا تبقى فى بعض النساء البهاء

- هى أكتر واحدة تحبنى بعد أبوى وأمى طبعا بااى..

تحركت سهر إلى شهرزاد فى الطريق.. شاهدت راغب، ولأول مرة لا ينتبه إليها ولا يشاكسها حتى ولو بغمزة عين، وكأنه مضروب على رأسه.. ولكنها قابلت ليلى وطلبت منها أن تزور شهرزاد.. لكنها اعتذرت لها، واعتذرت بلطف وقال لها لابد أن تسأل شهرزاد أولا وتطلب الإذن منها، كانت شهرزاد تجهز المتى، وقدمت المتى لسهر.. قالت سهر:

- شو أخبارك خالتى؟
- حزينة على زهرة مرت قاسم.
- لشو؟
- البنت مسكينة قاسم ما كان من توبها أبوها ظلمها.. حب يتخلص منها عشان البنت جميلة.. فزوجها اياه.. والحين متهمة من أخته بقتله.. قاسم عاطل.. بغل عاطل.. يوم يشتغل وعشرة لا.. وكان عاوزها تشتغل خدامة عند الناس وتجيب له فلوس وهو قاعد نطع..
- سيبك منهم خالتي احكى شو حصل بعد ما ربنا شال من على مصر الضفادع ورجع فرعون عن وعوده وما ترك الإسرائيليين يمروا ويتركوا البلاد..
- بلغنى يا أجمل البنات.. إن فرعون موسى.. نكث بوعده للمرة الثانية..
- وماذا فعلت نور؟
- انتظرى حتى نبدأ الحكاية؟
- قولى يا خالتى كلى آذان صاغية.
- غضب الرب على المصريين[١]

كيف أحمل وحدى ثقلكم وحملكم وخصومتكم

موسى عليه السلام

---

(١) كتبت لمحمد ابنى ماسيج على الموبايل أتمنى أن تكون أفضل منى حظا مليون مرة.. وأن تحب نفســـك أكثر من الوطن فأنا اخطأت طول عمرى لأنى كنت أحب الوطن العربى وطنى ومصر أمى وكانت مصر أمى أما عاقرًا لا تلد أبدًا وكل أولادها بالتبنى .. والأمة العربية تفكر فى عبادة المال بدلا من الأوثان.. وظل محمد رسول الله غريبًا وكذلك القرآن.

غضب الرب على المصريين..

الضربة الثالثة: جلس موسى حزينا على ما جرى لليعاقبة الإسرائيليين.. شعر هارون بحزن أخيه الظاهر والدفين.. أوحى ربك إلى هارون فضرب التراب بعصاه وليس بعصا موسى فخرج البعوض (الناموس)

صراخ المصريون فى السوق..

- **البعوض يحاصر البيوت .**
- **البعوض يحاصر البهائم.**
- **البعوض يحاصر الوجوه.**
- **الزموا بيوتكم**
- **كل واحد يلزم بيته... أين المفر؟**

البعوض دخل البيوت ايضا وصوت طنين الذباب.. كيف ينام المرء على طنين البعوض.. دخل البعوض قصر فرعون.. كل الحجرات والمعابد. جمع هامان وزير فرعون كل السحرة وطلب منهم أن يحلوا المشكلة كان البعوض يحاصر كل بيوت المصريين إلا بيت موسى وهارون وبيوت بنى يعقوب وإسرائيل والإسرائيليين فى جاسان، ولا ببقية البلاد.. نوعاً من الذباب لا يهش ولا ينش، ولا يترك الشئ الذى يسقط عليه إلا إذا ضرب على أم رأسه ومات.

وَفَعَلَ كَذلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا الْبَعُوضَ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا. وَكَانَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ.

فَقَالَ الْعَرَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هذَا إِصْبعُ اللهِ». وَلكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُما، كَما تَكَلَّمَ الرَّبُّ.

فأصبح المصريون يضربون وجوههم وأياديهم وأقفيتهم وأفخاذهم وأذرعتهم للتخلص من الذباب، ولم يكن هناك أدوية وعقاقير لقتل الذباب والبعوض كالتى نستخدمها الآن والعسكرى الأخضر. وهكذا تألم المصريون من ضرب الذباب والبعوض ومن أثر لدغتهم .(هل لهذا يقول المصريون لا تضربنى على قفايا؟..)

لم ينم فرعون فى الليل.. الطنين يكاد يفتك به وبأذنيه وبأهل بيته.. كل قصر فرعون جاءه البعوض إلا آسيا فقد آمنت برب موسى.. ولم يلاحظ الفرعون، وصرخ فى الليل:

- استدعوا لى محب..

واستدعى محب ووقف أمام فرعون[1]

- محب.. أحضر لى موسى وهارون.. الآن.. أو أبلغهم رسالتى هذه قل لهما ما يلى..

ركب محب فرسه برق.. متجها إلى بيوت الإسرائيليين.. يفرح برق وهو يمر بجانب بيت نور صهل صهلتين محيياً إياها.. قامت نور من السرير ونظرت من الشباك لمحت محب وهو يدخل الحى يركب الحصان.. نزلت تجرى تحمل المشعل.. فتحت باب الدار..

- محب..
- نور..
- ما أجمل اسمي بين شفتيك.
- أين بيت موسى؟؟.
- سيدى موسى هناك تعالَ سر خلفى..
- لا اركبى معى خلفى..

برق يصهل تحية لها مرة أخرى.. وسحبها محب من يدها إلى أعلى لتركب معه فوق الحصان.. برق يسير ببطء شديد.. أمسكت بيدها الشعلة وبيدها الأخرى أمسكت وسط محب واستندت برأسها على ظهره.. هل شعرت مرة أن القمر ينام على ظهرك.. هل ركب ملاك فوق ظهر حصان مرة..

"هل تحممت بعطر وتنشفت بنور" .

سارت نور بخطوات الحصان ببطء كيف لحصان عاشق يحمل أنسية يحبها.. وصلت إلى بيت موسى.. نادى محب بصوت مرتفع:

---

(١) كتبت اليوم فى حائط الفيس بوك.. تعال أناشيد البرارى الجميلة الحبيسة فى قلبى.. تعال الوطن يسجنون حلمه وأنت تسجنين أحلامى البسيطة عيش حرية عدالة اجتماعية كرامة إنسانية.. تعال أنا خارج المغامرة والمقامرة وأنا فى حالة انتقاء وأنا الشجن والعواطف والاعتراف والغضب والمرارة والقسوة والغريب، وأنا حلم الرومان وأوربا والفرس والإغريق واليونان وأنا الكلمة البلور والاستشفاف والفكر المحفوف بالمخاطر وأنا انسجام العقل والفعل والقلب ومثير مشاغبات الإبداع وأنا روعة الأساطير وأنت أيقونة النساء وخيال لا يكتشفه إلا الرجال العظماء، وأنا من أعرى كتاب الصالونات وأخترق معاناة القلب وأكشف ستائر الكذب عن الأدب العربى الخداع.

- أيها القائد موسى..

فتح باب الدار موسى.. [1]

- نعم..
- مولاى فرعون يبلغك رسالة يطلب منك أنت وهارون أن تصليا للرب ليرتفع البعوض عن مصر.. على أن يطلق سراح بنى إسرائيل..

حاول أن يستدير محب.. ناداه موسى :

- أيها القائد محب.

وقف محب أمامهما:

- هل تصدق فرعون مصر بوعده؟
- أنا أحمل رسالة.
- ماذا فى قلبك وعقلك يا محب؟
- أنا جندى يحمل رسالة فقط أنا جندى ينفذ الأوامر..

(أنا لا أعرف يا سيدى موسى.. هل سيصدق فرعون أم لا ؟ لا أعرف.. هل سيكذب مثل المرات السابقة.. لا أعرف.. لا تنظر لى هكذا.. أنا رجل بسيط لا يمكنه أن يدخل قلوب الناس ولا عقولهم)

مشى محب ولم تذهب معه نور.. كانت تريد أن تتكلم مع موسى وهارون.. دون أبيها دون زحام الناس.. وقف من بعيد يتابع نور ينتظرها هو وبرق.. جاءت نور وقبلت يد موسى وهارون، ودخلا إلى بيتهما.. خرجت نور من بيت موسى بعد قليل.. مشت نور على قدميها والنسيم يداعب شعرها.. وبجوارها يسير محب على حصانه برق.. ويناديها.

- نور اركبى معى.. نور مدى يدك تعال [2] (لم ترد..)

---

(١) يطاردنى سؤال فى الشوارع وأنا اسير من سرق عمرى منى ؟ من سرق أحلامى؟ من سرق الفرح منى ؟ من سرق الحياة ؟

(٢) صباح الثورة القادمة صباح التغيير صباح التنوير والتثوير.. صباح لــ٧ مليون شاب مصرى قاموا بالثورة التى عجز الشعب فى ٧ آلاف سنة عن فعلها .. يا ثوار مصر يا شبابها الرائع اتحدوا أنتم مصر الحقيقية أنتم ٧ مليون فى كل مصر وأنتم سبعة الأف سنة وأنتم أنزل عليكم الله من سبع سموات نصره لا تيأسوا.. إنها ثورتكم أنتم وليس غيركم سواء المجلس العسكرى أو مجلس الوزراء أو مجلس الشعب أو الشورى.. أنتم الزعماء والحكماء والشرفاء والباقى أدعياء.. لا تصدقونا ولا تسمعونا فنحن جهلاء وندعى إننا حكماء وأنبياء.

إن مصافحة الأنبياء والأولياء تنير فى الدم والروح قناديل، وتلقى نجوما، على شبابيك القلب المغلقة فتفتح لنا الشعور بالسعادة والبهجة.. نزل محب من فوق حصانه وسار بجوارها غير عابئ، بنظرات اليعاقبة الفقراء والبسطاء له، أدركت نور أن الناس تنظر لها وقفت صارخة أمام النسوة:

- هذا الضابط محب الفرعونى جاء لمقابلة نبى الله موسى وذهبت معه لأريه الطريق.. وأبى يعلم أنى معه الآن.

استدارت بوجهها ربما خجًلا.. ولكن عيون النساء فيهن بعض من حسد وغيرة ربما منها ربما من عطرها ربما من سحرها ربما من وسامة الرجل.. صهل برق صهلتين..

دخلت نور إلى البيت.. ارتمت على السرير وبكت.. دخلت أمها خلفها:

- ماذا بك؟
- لم يجب على موسى؟
- ماذا بك يا قلبى؟
- لم يجب على نبى الله موسى؟
- عن ماذا لم يجب؟
- عن محب. وعشقى له وزواجى منه؟

الأمهات لهن قلوب متعددة.. قلب من حديد وقلب من ماء وقلب من هواء وقلب من جناحات الفراشات مع أولادهن.. تفهم الأم ولدها.. أليس هو ابن دمها وابن بطنها!! قالت الأم وهى تمسح شعر ابنتها:

- إن القلوب بيد الله.. صلى من أجل محب يا نور..
- حاضر يا أمى..

أخذت نور تبكى على صدر أمها.. صلى موسى واختفى البعوض فى الحال.. أصيب محب بذهول.. ذهب محب إلى بيتهم.. لم يتناول العشاء.. صاحت أمه:

- البعوض اختفى.. الهواء جاء واختفى..
- أعلم يا أمى. إن موسى هو الذى صلى وطلب من الله أن يختفى البعوض.. إن موسى يحب مصر والمصريين رغم قسوتهم يحبهم هو قال لى أنا مصرى وهذا شعبى المؤمن منهم والضال كذلك.
- إله موسى أقوى.. غير الفرعون إله المصريين..
- يا أمى الفرعون أرسلنى إلى موسى كى أسأله أن يصلى هو وأخوه هارون ليختفى البعوض ، وفعل.

- إذا هو له إله صحيح وهو قادر؟[1]
- لا أعرف يا أمى.. لا أعرف اخرجى من حجرتى دعينى لوحدى..
- أنت تقول إن فرعون طلب منك أن يتدخل موسى؟
- دعينى يا أمى.. دعينى..

وغطى محب وجهه بالوسادة حتى لا ترى أمه دموعه التي تنهمر فى صمت.. هل هى دموع اليقين؟.. هل هى دموع ندم؟.. هل هى دموع الشك؟.. هل هى دموع الهروب؟؟.. أم هى كل هذا جاءت فى دموعه..

اختفى البعوض، لم يعد هناك بعوضة، أرسل الله بعض الهواء، فحملت البعوض إلى نهايته، نام فرعون وهامان والفراعنة المصريون الذين رفضوا عبادة الله وعبدوا الفرعون وقليلا منهم آمن بالله رب السموات والأرض.. فى الصباح نسى فرعون وعوده، وطلب هامان، وطلب منه المشورة اقترح عليه أن يمنع الدخول أو الخروج من البلاد لكل البشر فراعنة ويعاقبة إسرائيليين وإخناتونيين، حتى لا يخرج قوم موسى معهم ويتركون مصر حتى لا تتوقف الحياة الاقتصادية فى البلاد.. واستدعى فرعون محب وأمره أن يعلن هذا الأمر فى كل البلاد.. هنا شعر محب أنه يكذب على موسى ويكذب على نفسه وعلى موسى وعلى إله موسى.. ركب الحصان، وهو يسير شعر بالدوار.. سقط مغشيا عليه فى الطريق، حملوه إلى بيته.. مرض الفتى محب، ولم يستطع أن يطوف البلاد ليعلن أوامر فرعون، أو يذهب إلى موسى ليقول له إن فرعون كاذب أو يذهب إلى نور ليبكى تحت قدميها..

بكت سهر.. نظرت إليها شهرزاد:

- ماذا بك يا حبة القلب ؟على من تبكين ؟ [2] على نور أم محب؟
- الاثنين يا خالتى..
- قومى لبيتكم أمك ستقلق عليك؟
- حاضر

---

(١) قابلت بالصدفة الليلة فى الأتيليه صديقى الشاعر سعدنى السلامونى ومعه المستشرقة سوزان الأمريكية ويورسلاف المستشرق الأمريكى من أصل بولوتونيا.. تكلمنا عن أمل دنقل وأزمة الشعر المعاصر.. كنت أرسلت لسوزان من قبل روايتى عبر الانترنيت لكنها لم تهتم.. تحدثنا عن نجيب سرور وجاءت الدكتورة الفنانة وفاء كمالو وزوجها الفنان رضا الجمال وانضم الينا الصحفى أحمد الشايب، الذى يحب مبارك جدا ويدافع عنه باستماتة..

(٢) سـألنى الفنان رضـا الجمال ليه ماتكرمتش فى مهرجان المسـرح العربى قلت له رشحونى منذ عشر سنوات لكن رئيس المهرجان دكتور حمدى الجابرى طلب حذف اسـمى من قائمة المكرمين، وقال لو عاوزنى ابقى رئيس شـرفى للمهرجان احذفوا اسـمه وحذف اسـمى وقالوا أنت فى لجنة التحكيم يا أسـتاذ.. ووافقت حتى لا أعطيه فرصة الرقص على دمى ومضت الأيام، وانتهى حمدى الجابرى الذى طعن الآلاف من المبدعين ومنهم أنا.

البحر رغم الصمت، أنَّات مصفدة
وأحلام مثيرة
والبحر مائدة تجمع خبزنا الدامى
وبسمتنا المريرة
"الشاعر عبد الفتاح صبحى "

***

الفصل (٣١)
بعنوان
الحبل السرى للروح

كاظم لاحظ أن وردة لم تعد كما كانت.. لا تهتم بتفاصيل حياته.. شاردة الفكر والعقل.. ترى ما الذى جعلها هكذا؟.. للنساء أحوال وأحوال أغرب من الخيال.. صمتهن لغز وشرودهن لغز وضحكهن عصافير تحلق فى الفضاء..

حاول المختار أن يتنفس مع أحد، لم يجد غير وردة ابنته.. انتهز فرصة وجود كاظم فى المدرسة وذهب إلى بيتها، بين الأب وابنته دوما سر.. كلاهما يقول للآخر حين يلتف السر كالحبل السرى على الروح.. قال لها وهو يدخن سيجارته:

- شو رأيك بعد كام يوم حتطلع السيرة فى البلد وين راح جوز زهرة وبعدين الإشاعات تكبر والشرطة والدنيا حتتكركب فوق راسنا والولد اللى حيلتى خايب.. أسيبه يموت عشان مرة عشان زهرة.. وبعدين وضعى ورقبتى كيف حتكون قدام الناس..
- شوف يابوى أنت لازم تطلع زهرة وعيالها من البلد.. تروح الشام.. وماحد يعرف عنوانها إلا أنت..
- كملى يا بنت.
- تجيب لها شقة إيجار هناك وتسدد الإيجار كل شهر، وتنقلها هى وعيالها وأغراضها فى الليل على هناك.. وتشترى سكاتها..
- فكرة يا بنت أبوك صحيح أنت أخت رجال صحيح.

فتح الباب فجأة ودخل كاظم مندهشا :

- المختار عندنا اليوم يا مرحبا اهلين..
- جيت اشوف بنتى مرتك دى وردة عمرى دى. سامحنى أنا ماشى عندى مشوار مهم
- لوين اتغدى معانا؟
- المرة الجاية، لازم أروح الشام.

ركب المختار السيارة المتجهة للشام، سيارة مخصوص، هو الراكب الوحيد، لم يأخذ سيارته ولا سائقه.. لا يريد أن يعرف أحد إلى أين يذهب؟

يكبر أولادنا.. تكبر مشاكلهم معهم.. بل وخطاياهم تلقى على أكتافنا عبئاً بلا ذنب ارتكبناه سوى أنهم كانوا أبناءنا..[١]

بين الشام والقرية ساعة وربع الساعة ذهاباً وإياباً.. الشام الشام.. بلد الحكايات والدولة الأموية وبنى أمية وحكايات الدم والمؤامرات، بلد الدسائس والجمال والعشق والثورة، بلد اللوز والتفاح والزيتون، بلد العجائب والغرائب.. الشام أم الحكايات والتنهيدات والوجع.. نجح المختار فى استئجار شقة لزهرة وأولادها فى ضواحى الشام ودفع الإيجار مقدماً لمدة عام..

الشام حبلى بالشجن والألم ودقات قلوب الغرباء هى العاصمة.. والعواصم دائما فاجرة جاحدة كافرة، رغم مئات المساجد والكنائس والمعابد.. الشام قلب من رخام وقلب من حنان مأوى الغرباء من الأقاليم.. من أنحاء البلاد.. الشام بلد الفرسان والعبيد والصمت والضوضاء.. بلد أغانى الأرامل والموال.. بلد الانقلابات والخيانات.. بلد الفتنة فى جمال النساء وفتنة السياسة.. وعروبة وحضارة.. وفقراء بلا عنوان وأغنياء بلا حدود..

فى الليل عاد المختار، ومعه عربة نقل من الشام وبها أربعة رجال حمالين اختارهم من الأقوياء.. وسمى نفسه (خالد) اسم مستعار واتفق معهم على نقل العفش والعودة فى نفس الليلة.

وقفت عربة نقل الأثاث أمام البيت فى الليل.. نزل المختار أمام بيت زهرة.. دق الباب:

- إفتحى يا بنت

فتحت.. دخل المختار بمفرده وحمل مسدسه فى وجهها.. ارتعدت زهرة..

- شو فيه يا مختار ؟
- شوفى يا مره.. ضحكتى على ابنى راغب وعملتى جريمة وقتلتى جوزك.. دلوقت تتركى الدار وعفشك حنلمه وتخدى ولادك على الشام وكل شهر حدفع لك مبلغ تعيشى منه لحد ما تدبرى حالك وتشوفى لك شغلانه. وإذا

---

(١) الشارع المصرى محتشد بسلوك غريب.. الكل يتكلم بطريقة بلطجية والزبالة فى كل خطوة.. والكل اتفق على أن مصر كلمة نقولها ولا نحس بها ابدًا.

قلتى لا بفرغ الرصاص فى رأسك وادفنك أنت وعيالك.. وفيه سيارة وحمالين حيشيلوا عفشك.. وأنا بحصلك فى سيارة تانية ويودوكى بيتك الجديد فى الشام.. تنسى أبوكى وأمك وأنك من بلادنا.. تنسى أهللك وناسك وتسمى نفسك اسم تانى فاهمه، ولو مش عجبك حقتلك الحين وادفنك جنب جوزك فى الغرفة اللى جوه ولا من شاف ولا من درى.. شو قلت؟.. وحدفع لك مبلغ كل شهر..

قالت وهى ترتعد:

- القول قولك يا مختار.. أنت الكبير وفاهم كل حاجة..

حمل الشيالون أثاث البيت المتواضع وركبت هى وطفلاها بجوار السائق دون كلام، ولقد نبه عليه المختار ألا يتناقش معها.. أو ينبس بأى كلمة فى الطريق، وأعطاه بقشيشًا مغرًيا[1]، ركب المختار سيارة أخرى بمفرده وتبعها حتى الشام والسكن الجديد..

قلق يقلق قلقًا.. قلقت أم راغب ليلتها.. قلقت وردة.. راغب لا يعرف شيئًا مما صار فى تلك الليلة كان يلزم حجرته ويفتح القرآن.. لم يفتح القرآن منذ وقت طويل.. هكذا نحن فى المحن نبحث عن الله.. وننساه إذا ما تجاوزنا الأزمات..

فى الصباح نام المختار مجهدا.. تناول إفطاره قرب الظهيرة، وقام إلى القهوة.. وجمع بعض الأفراد من رجاله من على القهوة قائلا:

- ما تيجى نشوف الواد قاسم جوز زهرة بنت سمعان الحلاق ظهر ورجع والا لسه طفشان.. ونفوت على سمعان كمان نجيبه معانا..
- ايوه صحيح.
- يلا يامختار؟
- يا قلبك الطيب يا مختارنا العزيز.

تحرك يتحرك تحركوا.. إلى الدار طرق الباب المختار.. يا زهرة يا قاسم..

- نادى على بنتك ياسمعان.

---

(١) اتصلت بابنى محمد .. محمد يملك أحلاما كبيرة وقلبه طيب يحتوى العالم.. هو نبضة منى. أدعو له الله.. سـألنى عن رأيي فى حفيدتى ابنته قلت له أحبها كثيرا أكثر منه.. ضحك، وضحكنا.. الأسرة معنى جميل..

تقدم سمعان وهو يرتجف:

- يا زهرة يا قاسم.. افتحوا يا ولاد.. المختار معنا..
- ادخل كده وزق الباب..

زق يزق.. دفع يدفع الباب..

صاح المختار:

- اكسروا الباب

كسروا الباب.. وجدوا الدار خاوية على عروشها لا حصيرة لا تنك مياه ولا زيت ولا قشة.. نظر الناس إلى بعضهم فى دهشة، وفجأة انفجر العمدة ضاحكاً:

- شفت ابنك عملها أخد مراته وعياله وهرب من البلد هههههههههههه ابنك خلبوص..

ضحك الرجال مجاملة للمختار وبينما دموع سمعان تنساب [١]

- اقفلوا الدار أنا حشتريها ادفع نص تمنها لسمعان ونص التمن اخليه لقاسم لما يرجع والدار مش حبيعها ولا اتصرف فيها أبدًا إلا لما يرجع قاسم.. لو عاوزها ياخدها واخد فلوسى منكم.. وإن قال بعت اديله تمنها تانى غلطت يا جماعة سمعان غالى عليا.. ايه رأيك يا سمعان..

لم يرد سمعان.. لن يرى زهرة مرة ثانية.. نامت ليلتها وردة فى اطمئنان..

سهر أمسكت عصفورها ووقفت على النافذة.. تحلم بالإمارات.. منقذ، أشقر اللون.. هى تحب السمر، وتحب عبد الحليم حافظ.. وأسمر يا أسمرانى.. وأغنية الأسمر لفيروز.. وهى تقف فى النافذة لمحت من بعيد خيال الأستاذ كاظم يسير وكأنه يمر صدفة أمام بيتها..

"جنّ الرجل.. سيدمرنى جنونه بى.. تزوج وسينجب.. أيها الرجل ابتعد عنى دع أحلامى تطير أنا لا أطيق أن أسجن فى هذا الريف والجبل.. إن روحى تطير إلى أفق جديد أرض الأحلام الإمارات والمال والسيارات"..

---

(١) أقام اتحاد الكتاب المصرى أمسية للكاتب المسرحى عبد الغنى داود ففوجئت بأن النقاد الشباب يهاجمونه بشراسة فدافعت عن إبداع الرجل بشهادة لى، فقال لى أحدهم بعد الندوة فيه ايه ياعم السيد بتدافع عنه ليه كنت سيبه يندبح.. قلت له لن أسمح بذبح أى فنان ومبدع مهما كان مستواه..بعد ٥ سنوات اكتشفت ان الرجل يسىء الى من خلفى ويكتب مقالات رديئة المستوى ..فى الطبعة الثانية ..

دخلت أمها إلى حجرتها:

- ما تتركى هالعصفور.. اللى شاغل بالك وعامل حكايات..

وضعت سهر العصفور جانباً..

- تركته يا أمى.. شو فيه؟
- شو حتاخدى معاك فى الإمارات.
- ما بعرف أمى شو هو أنا تزوجت قبل كده..

ضجت سهر.. ضرب العصفور بجناحيه فرحًا...

- عريسك بيقول ما تاخد شئ.. كل شئ موجود هناك فى الإمارات.
- بيستهبل هيك.
- عيب تقولى على جوزك هيك.
- شو أقول.. لابد آخد أغراضى فساتين.. ملايات سرير.. هيك مثلا.
- هو بيقول فى الإمارات فيه احسن شئ[١].. ممكن تاخدى فساتين..

أحس أن أرواحنا ترحل من أجسادنا فى المساء إلى الورود فى البساتين.. ترى هل ستكون الإمارات سجناً أم وطناً جديداً؟؟ أعتقد أن الإمارات ستكون أجمل بكثير من مصر فى كل شىء .. يكفيها الهدوء والنظافة والنظام.. يقولون إن الخليج حر شديد ورطوبة عالية.. لكن كل شئ هناك، أفخر الطعام والأكل والملابس.. يقولون إن النساء لهن مكانة كبرى تفوق الرجال.. يقولون أيضًا إن اللبنانية والسورية لها وضع أفضل من النساء العربيات الأخريات، وإن المرأة الخليجية من أصل إيراني هى التى تنافسهن فى الجمال.. هكذا همست النسوة وشهرزاد لى.. وإن الخليجى يلهث وراء اللبنانية والسورية.. النساء البيض لهن حظوة أكبر من السمروات هناك.. كنت أحلم بالذهاب إلى الكويت بدلا من الإمارات..

قالت سهر لأمها:

- بدى خالتى شهرزاد تيجى وتحكى معى شوى عن أمور الدنيا وتشرب متى..

ضحكت أمها وقالت:

- حاضر بشوف أخوك أو أبوك أو حد يمر يطلبها..

دق الباب.. جاءت شهرزاد بالصدفة.. ضحكت الأم وسهر طويلا كيف

---

(١) كلما سرت فى شوارع الإمارات شعرت بشوق للحميمية فهى مدينة عربية يسكنها الهنود.. كأننى غريب..الهنود فقط لا يشعرون بالغربة..

جاءت.. قالت شهرزاد ضاحكة:

- الأرواح جنود مجندة..
- كيف يا خالتى..
- لما تحبين تشوفى حدا بتلاقيه جاى لك..

قامت الأم تجهز حلويات لشهرزاد، وهمست سهر لها: "احكى لى يا خالتى عن نور ومحب".. قالت:

- ليس الآن.. أمك ستأتى فى الحال وتسألنى ألف سؤال..

وبالفعل أحضرت الأم اللوز، وقالت:

- هيه شهرزاد يلا سوى لنا حلويات باللوز..

ضحكت سهر(١)..

---

(١) اتصلت بى التشكيلية الرائعة فايزة نوار، وأنا محاصر فى الإمارات بالديون، سأكلم لك الفنان العراقى نصير شمه.. وأعطتنى رقمه، لكن نصير شمه اعتذر منى ووعدنى مثلما وعدنى محمود أبو العباس ووعدنى قاسم محمد ووعدنى دكتور محمد أبو بكر حميد.. لكننى ظللت محاصرًا فى الإمارات بالديون التى وصلت ٢٢٠ ألف درهما.. كأن قلوب كل الفنانين حجر، وكأننى لست بشرًا وكأن من أراهم ليسوا ملائكة ولا شئ سوى أشباح، حتى لينا الطيبى الشاعرة السورية قالت إنها سوف تكلم أحدهم، لكنها لم تتكلم.. خيبكم الله أيها الأدباء والشعراء تقولون ما لا تفعلون..

سليمان الفهد

الكاتب الفارس الكويتى سليمان الفهد يا صديقى هذا زمن الخصيان والطرشان والأقزام.. أسألك كيف تحولت الصحافة الكويتية إلى هذه الحالة؟ كانت صحافة الكويت فى الثمانينيات هى الريادة.. لماذا تحولت إلى هذه المرحلة من الضعف والوهن والخرابيط وكل من هب ودب صار صحافيا وصار كاتبا وصارت الصحف أشبه بمنشور عن مجلس الأمة الكويتى..

أنت من فرسان الصحافة العربية والفكر والاستنارة.. كيف ترى الوضع؟

لقد تحولت الصحافة العربية إلى حالة من الهذيان والضعف بما يدعو للرثاء ولا عزاء للصحافة العربية التى انتهت.. نعم انتهت ريادة مصر الصحافية واللبنانية والكويتية، والكل أصبح كؤوساً فارغة لامعة ومتسخة بالعتة..

صباح الحب يا فارس.. صباح الكتابة..

(مات سليمان الفهد فارس الكلمة وأنطفأ مصباح فكرى جميل)

قل هو الحب
قُلْ هُوَ الحُبُ
هَوَاءٌ سَيِّدٌ ، وزُجاجٌ يَفْضَحُ الرُوحَ وتَرْتِيلُ يَمَامْ.
قُلْ هُوَ الحُبُ
ولا تُصْغى لغَير القَلْبِ ،
لا تَأخُذُكَ الغَفْلَةُ ،
لا يَنْتابُكَ الخَوْفُ عَلى مَاءِ الكَلامْ.
قُلْ لَهُمْ فى بُرْهَةَ
بَينَ كتابِ اللّه والشَّهْوَةَ
تَنْسَابُ وَصَايَاكَ
ويَنْهالُ سَدِيمُ الخَلْقِ فى نَارِ الخِيامْ.
قُلْ لَهُمْ ،
فيْمَا يَنَامُونَ عَلى أحلامهمْ ،
سَتَرى فى نَرْجسِ الصَحْراءِ
فِى تَرْنِيْمَةِ العُوْدِ وغَيمِ الشَعرِ سَرْدَاً وانْهِدَامْ.

قاسم حداد

الفصل (٣٢)
بعنوان
رجل فى حقائب السفر

أنتظر.. وأنتظر.. وأنتظر، ألم تتذكرى سيدتى أنك نسيتنى فى حقائب الانتظار

فتحى رضوان خليل..

تترك كل أنثى عرفتها لفتة أو تنهيدة أو رائحة عطرها أو إيماءة وتظل فى دمى تجرى دون أن أدرى، وكلهن خرجن من ثقب ذاكرتى وبهن جراح.. ترى أين تغيب ذكرياتنا الجميلة تحت سنابك خيول أيامنا الكئيبة[١]

فى البيت يجلس.. الإسكندرية ملجأ البحارة والمغامرين وقطاع الطرق والأولياء الصالحين والهاربين من الثأر فى الصعيد.. الإسكندرية لم يعرف قدرها إلا الأجانب، الرومان، البيزنطيون، الإغريق.. سكنتها الجاليات الأجنبية وأكثرهم عددا الجالية الألمانية وأكثرهم حبا وعشقا لها الجالية اليونانية فأبدع اليونانيون والإيطاليون فى معمار الإسكندرية. وكرهها العرب لأن البحر دوماً يخلق مشاكل للعرب خاصة أهل الجزيرة العربية لأنهم أهل صحراء (كما قال عمرو بن العاص إلى سيدنا عمر بن الخطاب).. العرب لم يعرفوا أن الله أرسل للبشرية على مر ملايين السنين حوالى ٢٤ ألف نبياً ليس من بينهم إلا أربعة أنبياء عرب، وهم: صالح وهود وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام، وبعث الله ٢١٣ رسولاً وليس بينهم عربياً واحداً إلا سيدنا محمد عليه السلام أما سيدنا إبراهيم فهو من بلاد فارس ولد بالأهواز، والمصريون لا يعرفون من هم.. لايقرأون إلا فيما ندر، وأهل العلم والمعرفة فيهم يعيشون فى بلاء وجحيم وضجر..

فتحى رضوان خليل.. فى طفولته يقرأ فى كتب تاريخ المدرسة نحن أحسن شعب فى العالم نحن أفضل صناع وأفضل جيش وأفضل بنائين وأفضل

---

(١) قال هيكل إن جمال عبد الناصر عند إعدام الإخوان كان فى حالة سيئة نفسية كما كان محمد على باشا عند قتل المماليك فى مذبحة القلعة كان يشرب القهوة العربى بغزارة فنجانا وراء الآخر ويده ترتعش..

أطباء.. نحن أفضل.. مصر أفضل.. وعندما يدخل سينما الهمبرا فى محطة الرمل يوم الجمعة من كل أسبوع ويرى أفلام أمريكا والأفلام الأجنبية، يرى شوارع نظيفة ومستشفيات مجهزة أفضل مائة مرة، وأفضل السيارات، والطعام نظيف، ولا تلوث هناك ولا زحام.. كيف يصدق أن مصر أم الدنيا وهو يرى فى الأفلام فرنسا وإنجلترا وأمريكا والسويد وأسبانيا هكذا... هل هى نظافة نظام أو شعب هناك.. كيف تكون مصر أم هذه البلاد، وهل الأم قذرة وملوثة ومريضة وفقيرة ومرتبكة؟؟

قال خالى على أبوزيد، وهو يقدم يده التى عليها وشم أسد:

- عبد الناصر جاب البهايم والجاموس يديروا الشركة بتاعة الزيوت بتاعتنا.. ظباط الجيش إيه علاقتهم بالزيت والصابون؟؟

كنت أسأل نفسى دوماً ما علاقة أهل الجيش بإدارة شركات الزيت والصابون والكيماويات والبناء والكيمياء.. وهل سبب خراب القطاع العام هم هؤلاء الضباط ووضع الرجل غير المناسب فى المكان غير المناسب.. كان خالى على يجعلنى أكتب شكاوى للرئيس عبد الناصر باسم مواطن مخلص، ويشكو الفساد ويشكو رئيس مجلس الادارة ويشير لأسماء الفاسدين.. والتوقيع الدائم له عامل مخلص..

وذات يوم فى أول لقاء بى بالصحفى سيد شحم سألته:

- ليه عبد الناصر بيعمل كده إيه علاقة الضباط بالشركات وإدارة المحافظات؟

ضحك وقال لى:

- شوف يا فتحى الحكاية بسيطة جدا.. الثورة لم يكن لديها كوادر فنية.. كانت محصورة فى الضباط الأحرار، وكانوا خائفين من كل الناس، فاختاروا أهل الثقة وليس أهل الخبرة والمعرفة؛ فباظت الدنيا[١].. باظت الدنيا من يومها أم قبل ذلك أم بعد ذلك.. البوظان يعنى الخراب.. الخراب فى كل مؤسسات مصر وانتقل للإنسان

(١) اتصلت بى فنانة تشكيلية مصرية تعيش فى السعودية ..قادمة من السعودية فى اجازة لمصر قام زوجها المنفصل عنها بسرقة كل محتويات الشقة الباهظة الثمن.. أخذت تشكو من البوليس الذى لا يجيب على هاتفها.. وسألتنى تعرف واسطة للشرطة قلت لها: "يا ليت"..

فأصبح الإنسان خرباً..

فتحى.. عندما كان نشأً، كان يشعر أن الوطن لم يعد مكان فيه للشرفاء وطن الفهلوة والنصب والانفتاح والمخدرات، والسادات أسكت الوطنيين والشرفاء بأن ترك الحبل على الغارب لقطاع الطرق والرأسمالية الطفيلية.. الوطن فى حالة غياب وانحراف حاد.. المثقفون أصبحوا يلهثون على فتات الجنيهات والتعيين فى جريدة الأهرام أو الأخبار أو أى جريدة حكومية.. فى مصر المثقفون مثل طبق الحلوى أحيانًا، ومثل ذباب الحلوى معظم الوقت..

وعندما أصبح شاباً كون فرقة مسرح بقصر الحرية لكن محمد غنيم مدير القصر يكتب تقارير لأمن الدولة، وأصبح طموحى محاصراً.. أصبحت موظفًا فى قصر الحرية.. إنسان بسيط ابن محرم بك.. ابن العروبة حتى ولو كانت وهمية.. ابن مصر حتى وهى قذرة الشوارع والأفكار.. استدعانى أمن الدولة بسبب أن الدولة قررت إلغاء الاشتراكية والكتاب الاشتراكيين، وأننى أرى أن الكتاب اليساريين والاشتراكيين يحملون قضية العدالة الاجتماعية.. كانت قضيتى العدالة وكنت أرى كما يرى الشاعر محمد إقبال شاعر باكستان العظيم، أن محمد رسول الله (ص) كان أول اشتراكى فى التاريخ حين جعل الأنصار تقسم بيوتها وزادها وحتى من له زوجتين يكتفى بزوجة لمن ليس له زوجة من المهاجرين.. هذه العدالة التى لم تحدث قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ولا بعده.. ترى لماذا فتح معاوية بن أبى سفيان علينا باب القصور الفاخرة والملابس الفاخرة لخلفاء المسلمين وحكامهم وباب توريث الحكم.. هل كان معاوية بن أبى سفيان عادلا؟

جلست فى انتظار دورى لمقابلة ضابط أمن الدولة، ومعى كتاب الشيخ محمد عبده.. جهاز أمن الدولة فى شارع الفراعنة.. دخل خادم مسجد بجلباب رث وعيونه بها مكر خبيث وسأل المخبر:

- أحمد باشا موجود؟[١]
- أيوه موجود أى خدمة؟

---

(١) اتصلت بالأستاذة إيمان سعيد صاحبة ومديرة مكتبة ليليت، وسألتنى أين أنت؟.. اعتذرت عن سبب عدم ذهابى إلي المكتبة بعد حفل التوقيع بسبب انشغالى بأخى الدكتور رمضان ومرضه.. اللهم اشفيه وعافيه..مات رمضان واختفت الاستاذه ايمان.

هرش فى رأسه مبتسما:

- قوله رمزى بتاع مسجد الفتح.
- بتاع مسجد الفتح.. يعنى إيه؟
- قصدى مؤذن مسجد الفتح هو عارفنى أنا بجيله لما يبقى فيه حاجة ضرورى.

اتصل المخبر بالهاتف هامسا ونظر له:

- اتفضل.

صعد خادم المسجد.. جاء ليوشى بإمام المسجد الذى يعمل به أو يبلغ عن أحد المصلين سأل سؤالا عن السلطة، أو يبلغ عن جماعة جلست بعد صلاة العشاء تقرأ القرآن..

فتحت كتاًبا لمقالات الشيخ محمد عبده، عن طبيعة مصر والمصريين يقول شيخنا الجليل محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه فينا ثواباً لتحمله إيانا (أرض مصر ضيقة عن حاجة أهلها فمساحة الصالح منها للسكنى لا تزيد عن حاجة الساكنين زيادة بينة، وهى محاطة من أطرافها بالصحارى الجدبة والمياه المالحة وليس فيها من الغابات ما يعوذ به الوحشى من الحيوانفضلاً عن الإنسان، ولذلك نرى كثيراً من أنواع الوحوش التى كنا نراها كثيرا فى البلاد من نحو أربعين سنة كالضباع والذئاب والخنازير قد كادت تنقرض بإصلاح الأراضى الزراعية وانتشار الإنسان فى أطرافها وتعهدها بالزرع والعمارة.. وأهل مصر لا يعرفون معنى المهاجرة من دار إلى دار ولا يمكن أن يتصوروا ذلك ما دام فى أرضهم نبات ينبت، فإذا اضمحلت أرضهم فضلوا الموت فيها على المهاجرة منها، وتاريخ الماضى وشاهد الحال ينطقان بذلك. ولذلك كان أهل مصر سكان أرضهم منذ آلاف من السنين، كل قادم إليهم امتزج بهم، وغلبت عليه عوائدهم وأطوارهم، وانتسب نسبتهم فصار مصرياً، وأحرز جميع خواص المصريين ونسى أصله وغاب عن أعقابه منشأه. ثم إن طباعهم مرنت على الاحتمال وألفت مقاومة القهر بالصبر، فلو أن سيف المتغلب كان أعدى من سيف المماليك وجوره أشد من جور إسماعيل باشا لما أمكنه أن ينقص من عددهم مقداراً يذكر، ولا أن يزيلهم

عن مواقفهم مسافة تعتبر، ولهذا كان المتغلبون يفنون فيهم وهم باقون.[١]

أهل مصر قوم سريعو التقليد، أذكياء الأذهان، أقوياء الاستعداد للمدنية بأصل الفطرة، فما أيسر أن تفعل الحوادث فيهم فتنبههم إلى الأخذ بما يحفظ عليهم حياتهم فى ديارهم من أى الوجوه، فلا يبيدون من حاجة، فأهل مصر على ذلك هم رعية حاكمهم ولا يمكن لحاكمهم أن يستبدل بهم رعية أخرى فى بلادهم، فحاكمهم إذا كان رأساً فهم بدنه وإذا كان عاملاً فهم آلته، فلابد من استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمناً مديداً ترمى إليه أنظار الدول السامية المقام فى المدينة.

أهل مصر فى موقع عرف كل الناس منزلته من الأرض، وهو ممر أهل المشرق إلى المغرب، وأهل المغرب إلى المشرق، وهو فى حلق أوروبا تتلاقى فيه سيارة الأمم فقلما توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد.

الأمم العظيمة الأوروبية يحسد بعضها بعضاً على التمكن فى أرض مصر، أو الفوز بإحراز المنافع السياسية أو المالية فيها فالوساوس والدسائس لا تنقطع نفثاتها من أولئك الأحزاب يبثونها بين المصريين ليوغروا صدورهم على من علت كلمته فيهم. وأعظم فاعل فى نفوسهم (وأغلبهم مسلمون) أن يقال إن صاحب هذه المنفعة ليس من دينكم وإنكم مأمورون ببغضه وانتهاز الفرص لكشف سلطانه متى أمكنت.

أهل مصر شديدو الانفعال بما يلقى إليهم، كثيرو التذكار لما ينطق على أهوائهم، فكل كلمة من هذا القبيل مكان من نفوسهم، ولكن ربما لا يظهر أثر ذلك لاحتجابه بحجاب العجز أحياناً، غير أن طباع المصريين كالكرة المرنة تتأثر بالضغط فينخفض بعض سطحها قليلاً من الزمن، ثم لا يلبث أن يعود إلى حاله، فالله يعلم متى يظهر أثر تلك الانفعالات التى يمكن أن تتأثر بها نفوسهم بما يلقى إليهم.

يقال إن أهل مصر ضعفاء، ولكن قد أظهر التاريخ أنه متى وجد القائد كانوا أشد على الخصم من أشجع الأمم، وأثبتهم قدماً فى المواطن، ولا يعلم

---

(١) مازلت انتظر أخى أحمد فى البيت قال إنه قادم من ٣ ساعات ولم يأت جلست اكتب واراجع المسودات ..أخى عادل يدعم أخى رمضان ماديا ويقف معه فى أزمته الصحية الشديدة ..والتكاليف باهظة والعجيب اخى رمضان طبيب لكن الزملاء الاطباء لارحمة فى قلوبهم يعالملونه كمريض ..ويستغلونه ماديا ..

متى يوجد القائد، ومن أى جنس يكون إذا تركت أهواؤهم بغير تهذيب تجرى حيث تجد سبيلاً للاندفاع، ثم هم لا يقدرون النظام قدره مهما كان بالغاً من الصلاح، ولا يبالون به، بل يعتقدون أن كل نظام حبر على ورق، فلا يستطيع حاكمهم أن يثبت سلطته عليهم على أمر مكين، بل هم دائماً فى التواء عليه بالمخالفة متى أمكنت الفرصة، إلا إذا أخذوا بتربية صحيحة، فهناك تنضبط أحوالهم، وينشئ النظام احترامه فى قلوبهم ويهتدى صاحب السلطة إلى طريق تصريفهم.

احتقار أمر النظام والتأثر بالوساوس إذا لم يكن مبعثهما الحق ينشآن عند المصريين من أمرين، الأول بعد جمهورهم عن المعرفة بوجوه المصالح. والثانى حرمانهم من التربية التى تطبع فى نفوس أغلبهم الاستقامة، والتؤدة، والتبصر فى العواقب، ومرجع الأمرين إلى سوء العقيدة، وظنّ ما ليس بواجب واجباً وظنّ الواجب غير واجب، فما دامت هذه حالهم فهم رعية غير صالحة، فلا يصلحون بدناً لرأس، ولا آلة لعامل، لاختلال المدارك وفساد الإرادات.(١)

أهل مصر لم يأتهم التاريخ القديم بذى سلطة يفهم هذا السر، وتنفذ بصيرته إلى هذه الحقيقة، فلهذا لم تثبت فيهم دولة لقبيل زمناً يعتد به، وكل إصلاح نظامى نشأ فيهم كان كالبناء على الهواء، فالسلطة التى تسعى فى أن تجعلهم رعية صالحة، تكون قد فتحت فى نفوسهم فتحاً جديداً، وظفرت ببغيتها منهم ظفراً مبيناً، وأمنت كل عائلة تخشى من دسائس الأعداء ووساوسهم.

أهل مصر قوم أذكياء كما قلنا يغلب عليهم لين الطباع واشتداد القابلية للتأثر، لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية، وهى أن البذرة لا تنبت فى أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض، ويتنفس بهوائها، وإلا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها، ولا على البذرة وصحتها، وإنما ألقيت على الباذر.

أنفس المصريين أشربت الانقياد إلى الدين حتى صار طبعاً فيها، فكل من

(١) يحيرنى الصـراع بين الشـيعة والسـنة.. أعتقد ان معاوية مات وسـيدنا على بن أبى طالب مات.. إذاً الحى هو الأمة.. دعونا مما فات من ألف وخمسمائة عام .. التعصب بلاء البلاء..

طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربية التى أودعه فيها فلا ينبت ويضيع تعبه، ويخفق سعيه، وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من آثر التربية التى يسمونها أدبية من عهد محمد على إلى اليوم، فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فساداً – وإن قيل إن لهم شيئاً من المعلومات – فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها فى نفوسهم.

لا أتكلم عن إصلاح لدين غير الإسلام فى مصر، فإن غير المسلمين فيها العدد القليل والجمهور الأغلب من المسلمين.

الدين الإسلامى الحقيقى ليس عدو الألفة، ولا حرب على المحبة، ولا يحرم المسلمين من الأنتفاع بعمل من يشاركهم فى المصلحة، وإن اختلف عنهم فى الدين، وفى آدابه كفاية لتعريف الآخذ به بوجوه المصالح، وإرشاده إلى مظان الفوائد، والبصر بالعواقب، وتقويمه بفضائل الأخلاق، وبالجملة فهو أفضل كافل لجعل الرعية صالحة لأن تكون بدناً لرأس، أو آلة لعامل .

وقد أرشدتنا التجربة إلى أن كل عارف بحقيقة الدين الإسلامى كان أوسع نظراً فى الأمور، وأطهر قلباً من التعصب الجاهلى، وأقرب إلى الألفة مع أبناء الملل المختلفة، وأسبق الناس إلى ترقية المعاملة بين البشر، وإنما يبعد المسلم عن غيره جهله بحقيقة دينه، وهذه آيات القرآن شاهدة على ما نقوله، اللهم لمن يفهمها كما جاءت ويعرف معناها كما وردت.

إن القرآن وهو منبع الدين يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظنّ المتأمل فيه أنهم منهم لا يختلفون عنهم إلا فى بعض أحكام قليلة، ولكن عرض على الدين زوائد أدخلها عليه أعداؤه اللابسون ثياب أحبائه، فأفسدوا قلوب أهاليه ولا قلوب أقرب إلى الإصلاح من قلوب أهل مصر.[١]

أهل مصر مضى عليهم الزمن الطويل والقرون العديدة، ولم يروا مربياً يأخذهم بدينهم فحرموا خيره، ولم يبق عندهم إلا ما فيه المضرة لهم ولغيرهم

---

(١) اتصل أخى عادل حافظ وحدثنى عن ضرورة أن نتمسك معنويا حتى ترتفع الروح المعنوية لأخى الدكتور رمضان.. شفاه الله وعافاه، وسألنى فى آخر المكالمة معاك فلوس قلت له معايا.. أخدت من أخوك أحمد امس ما دام الحكومة شايفة إن الكتاب مالهمش لازمة.. غيداء كانت ترسل لى مبلغ ١٥٠٠ جنيها كل شهر.. منذ أن تركت العمل هى وزوجها حياتى مضطربة.

تحت اسم الدين، وليس بدين. على أنه ليس فيهم من ينكر أن القرآن كلام الله، وأنه ينبوع الدين، ولكن ليس لهم من معاهد التربية إلا جهتان، المدارس الأميرية ومدرسة الأزهر الدينية. وليس فى الجهتين ما يهديهم لما يجعلهم رعية صالحة، وهم الآن على غاية الاستعداد لقبول ما يصلحهم.

من يتوجه من ذوى السلطان إلى ذلك لا يجد أقل مقاومة من العامة، ولا أغلب الخاصة، وفى مصر فرصة لا توجد فى غيرها لمن أراد ذلك، فإن بلاداً غير مصر يوقف فيها مثل هذا الأمر على همة أهل الدين وسلامة أفكارهم ونشاطهم لفتح المدارس الدينية على الطرق المناسبة لحالة البلاد.

أما مصر فلها مدارس أميرية يمكن أن يسلك فيها أى مسلك يختار للتربية، وليس عليها رقيب سوى أهل السلطة السياسية لا غير، فلهم أن يأخذوا من الدين أصوله ويغرسوها فى المدارس ويحملوا نفوس طلاب العلم عليها، ولا يتعرضون لما زاد عنها لا بالنفى ولا بالإثبات، ويندبون لتدريس ذلك ذوى قدرة على صرف الأذهان عما وقر فيها، وتطيرها مما علق بها من الزوائد الضارة، ولا يجدون معاراَ لهم من أهل الدين لأنهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشرة، وما دامت الأصول محفوظة، فأنظارهم عن غيرها منصرفة، وأكبر دليل على ما نقول سكوت أهل الدين عن نوع التربية المعروف فى المدارس على ما فيه من مباينة الدين والانتهاء إلى خلعه بالمرة).

دخل المخبر صائحا:

- فتحى رضوان خليل..

- نعم .

أغلقت الكتاب وقمت.

- تعال

سرت من حجرة إلى حجرة وصعدت سلم الفيلا الطويل.. أمام مكتب الضابط مصطفى بك سمك.

مسئول أمن الدولة مصطفى بك سمك:

- أهلاً يا فتحى.. اقعد.

جلست.. أخذ يقلب فى ملف لى لا أعرف من كتبه.. وماذا به.. وأنا أمسك فى يدى كتاب الشيخ محمد عبده. لماذا فعلوا بالشعب المصرى هكذا كل من

يفكر لابد وأن يكون له ملف فى أمن الدولة ومصر علمت العرب كل الصفات السيئة بدءاً من السجون أيام سيدنا يوسف وأمن الدولة والضرب والقمع للمعارضة فى العصر الحديث.. [١]

كلام كثير قيل عن رأيى فى الوطن والسادات والانفتاح.. الرئيس السادات لعنة من السماء هبطت على الفقراء والطبقة الوسطى فسحقتهما.. السادات نعمة من السماء للصوص والمجرمين والفهلوية والتجار الفجار أعداء الله يسرقون أموال العامة.. فى نهاية الكلام قلت له:

- أنا حسافر أروح الإمارات أو الكويت وأسيب مصر..
- ياريت يا فتحى تسافر وترجع مليونير وتنسى فقراء مصر والطبقة الوسطى والعدالة الاجتماعية، وبلاش مهنة التدريس فى مدرسة البنات تشدك هنا!
- سأحاول أن أفعل..

خرجت إلى حديقة الشلالات.. الشجر، لفحة هواء ببرد الخريف، كيف أنسى الفقراء وهم يجرون فى دمى وكنت أراهم صفوفاً أمام دكان أبي يقفون ويوزع عليهم الطعام.. لو كان عندى أنثى الآن لارتميت فى أحضانها، كى أغسل حزنى وأيامى السوداء معها.. لماذا خلقت مصرياً أو عربياً أو لماذا خلقت إنساناً.. لماذا مصر هكذا مدينة بلا قلب، كما قال عنها عبد المعطى حجازى".. صفعتنى أجواء الخريف.. حديقة الشلالات محاطة ببيوت قديمة فاخرة بناها الإنجليز، أما البيوت الحديثة التى بناها المصريون بعد الثورة، قبيحة فقدنا القدرة على الجمال.. مصر الجديدة فى عهد إسماعيل بناها فرنسى.. مصر الفاطمية بناها الفاطميون.. مصر الخديو إسماعيل بناها الإنجليز والفرنسيون.. مصر بعد الثورة بناها المصريون مقاولون مصريون لصوص المبانى، بعد سنوات قليلة إما تنهار المبانى أو تشرخ أو الصرف الصحى ينشع فتظهر العمارات قبيحة فى الشوارع.. حكم الإسكندرية محافظون لواءات ومستشارون غالبيتهم العظمى كانوا لصوصاً..

تعلمت من مدرسة البنات أن أهتم بالملابس فى الصباح بدءاً من الحذاء اللامع والجورب المشدود الأستيك، والكرافتة وحلاقة الذقن وطريقة الأداء فى

---

(١) القناة الاولى والثانية فى التلفزيون رجعت تانى تشتم فى الثوار بتوع ٢٥ يناير ٢٠١١.

الفصل، كما اهتممت بنوع الحقيبة التى أحملها فى يدى فدائما البنات تنظر إلى يديك وطريقة حركات فمك كمدرس.. وكنت إذا أعجبت بفتاة سرا بينى وبين نفسى أو أعجبت بى فتاة.. كنت أتحمس زيادة.. كم تمنيت أن أكون مدرسا للموسيقى مثل سعد عبد الوهاب، وأن تغنى معى البنات "الدنيا ريشة فى هوا".. آه ياوطنا مستباحا يحب الشجار والكلام ويكره العمل..سرت من جوار حديقة الشلالات.. تذكرت.. حتى مدرسة البنات لديهم فكرة عنى أنى أعمل لأحسن دخلى [(١)]

عندما كنت أحب سامية زميلتى فى فرقة التمثيل بمركز الشباب بالشلالات كنت أبكى فى الحديقة التى أمام كلية الطب.. سامية مثل البطة.. جميلة مسمسمة.. قصيرة.. قال محمد مختار رئيس فرقة التمثيل يومها لى:

- فتحى سيب البنت فى حالها..

مختار يعمل فى شركة الألبان سيكلام يسكن فى حى راغب كوميديان يحب التمثيل أكبر إخوته، أبوه ميكانيكى طيب القلب.. هو يحب بنات كثيرات ولكنه نظر إلى سامية على أنها صغيرة عليه وأنا أصغر منه بعشر سنوات..

فى الشلالات بائع بطاطا صعيدى يقف، الدخان يخرج من الفرن.. ضعيف أنا أمام البطاطا وقبلات النساء الساخنة.. مررت من كوبرى شارع منشا.. جلست على مقهى عم علي، على ناصية شارع الإسكندرانى وفتحت كتاب الشيخ محمد عبده يتحدث عن أزمة التعليم فى مصر عام ١٩٠٠ ميلادية كتب الشيخ محمد عبده:

(المدارس الأميرية ليس فيها شئ من المعارف الحقيقية، ولا التربية الصحيحة، هذه المدارس أنشأها محمد على باشا بإشارة بعض الفرنسيين لتعليم بعض أولاد الأرنؤوط والأتراك والمورلية، ليكون منهم رجال عندهم إلمام ببعض الفنون المحتاج إليها فى نظام الحكومة التى أسسها، وأهم تلك الفنون الهندسية والطب والترجمة، أما غيرها من العلوم فما كان إلا وسيلة إليها، ثم لم يشترط فى العلم بها أن يكون تاما. أما التربية على أخلاق سليمة فلم

---

(١) اشتريت مشمش وتفاح وموز.. الفاكهة ليست سليمة مائة فى المائة، ولكننا نحن المصريون مضطرون لأكلها بسبب الاحتكار ، والاسمدة الفاسدة المسرطنة، نحن نعيش فى بلد السرطان.ويأكلنا ..

تخطر له ولا لمن تولى إدارة هذه المدارس على بال، ثم لما لم يكن فى أبناء تلك الأجناس وفاء لمطلبه فى الوظائف، أدخل فى تلك المدارس بعض المصريين جبراً، وما كان يدخل مجبوراً إلا الذين لا قوة لهم من الفقراء. وكان دخول المدارس أشبه بدخول العسكرية فى ثقله على المصريين ، فيبكون ويولولون.[1]

ثم جاء خلف محمد على، كلٌ من عباس وسعيد؛ فأهملوا النظر فى المدارس بالمرة، حتى جاء إسماعيل فوسع نطاقها، وزاد فيها من المعارف ماله دخل فى الإدارة والقضاء، وله تعلق بتثقيف العقول فى ظاهر الأمر. غير أن جميع ما أتاه من ذلك كان صورياً، ليقال إن له فى حكومته مثل ما لأوروبا فى حكوماتها، ولم يكن القصد منه تربية العقول، ولا تهذيب النفوس، ولا تحصيل رجال يصلحون لتولى أعمال الحكومة.

وفى زمن إسماعيل باشا كثرت رغبة الناس فى المدارس، ولكن من الأعيان الذين يطلبون لأولادهم مساندة فى الحكومة، يحتاج فى الوصول إليها إلى بعض الفنون، ومن الفقراء الذين لا يجدون ما يقتات به أبناؤهم فيرسلونهم إلى المدارس ليستريحوا من نفقتهم، ولم يكن القصد من جميع تلك الأحوال، إلا أن يتعلم التلميذ ما يؤهله للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة، أو بعبارة أخرى ليكون فى يده شهادة تبيح له أن يشغل كرسيًا من كراسى أقلام الدواوين، أما تكوينه بالتعليم والتربية رجلاً صالحاً فى نفسه، يحسن القيام بالعمل الذى يفوّض إليه فى الحكومة أو فى غيره، فذلك لم يخالط عقول المسلمين، ولا من ولاهم أمر فى الحكومة أو فى غيره، ولا من ولاهم أمر التعليم، فسرى ذلك من السابقين إلى اللاحقين حتى اليوم.

ولو كشفنا عن أذهان التلامذة لم نجد فيها غاية لتعليمهم سوى أن يعيشوا كما عاش غيرهم على أى صفات كانوا، ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه فى الكتب المقررة للتلامذة، ويطالبونهم بحفظه وفهم عبارته إن كان ليعيدوا يوم الامتحان تلاوة ما ألقى إليهم حتى تتم مدتهم فى المدرسة، فيخرجون ولا يسألونهم مرة واحدة عن

---

(١) مازلت أنتظر رســـالة من الله؛ فهو الأول والآخر والقريب والعالم والخالق وهو على كل شئ قدير.. هكذا قلت لصديقى الشاعر أيمن صادق..

مجال أفكارهم هل هو فى صالح أو فاسد؟ ولا مطامح أنظارهم هل إلى نافع أو ضار؟ وذلك رسم يؤديه المعلمون ليأخذوا مرتباتهم الشهرية لا غير. ولهذا لا يكون تلامذتها فى آخر الأمر إلا صناعاً أو ناطقين ببعض الألسنة، ولا ثقة فى الأغلب بشئ من عقولهم ولا أخلاقهم، إلا من كانت له فطرة سليمة، وله موهبة طبيعية، فأولئك تؤدبهم الأيام، وتهذبهم التجارب. وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف ولا تزال، حيث استمر السير على الطريقة المعروفة الآن كانت النتيجة دائماً كما بيناه، فلا يؤول ذلك بالمصريين إلى أن يكونوا رعية صالحة لأن تكون بدنا لرأس أو آلة لصانع.

وأما المدارس الأجنبية على تنوعها، فاختلاف المذاهب بين المعلمين والمتعلمين فى الأغلب يضعف أثر تلك المدارس من التربية العمومية؛ فقليل من المصريين من يرغب فى تعليم أولاده فيها، ومن أرسل بولده إليها داوم نصيحته بعدم الالتفات إلى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لاعتقاده. ثم ذلك يحدث من الاضطراب فى طبيعة الفكر، والتزلزل فى الأخلاق، ما يكون ضرره أكثر من نفعه. وقد غلط من زعم أن لتلك المدارس الأجنبية أثراً سياسياً أو أدبياً فى مصر، بل قد أحدثت بعض النفرة فى قلوب المسلمين من رؤساء تلك المدارس وأممهم، ولذلك التاريخ فى البلاد معروف، فهى ضارة الألفة، مبعدة للمحبة، رغماً مما يزعمه أربابها مما يخالف ذلك، فلا يصح الاكتفاء بها فى التربية عن المدارس الأهلية على اختلافها.(١)

الجامع الأزهر مدرسة دينية عامة يأتى إليها الناس إما رغبة فى تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة، وإما طمعاً فى بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه، ولا يزال بعضها إلى اليوم. ولكن مما يؤسف عليه أنه لا نظام لها فى دروسها، ولا يُسأل فيها التلميذ أيام الطلب عن شئ من أعماله، ولا يبالى أستاذه حضر عنده فى الدرس أم غاب، فهم أم لم يفهم، صلحت أخلاقه أم فسدت. ويمر عليه الزمان الطويل لا يسمع فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالصلاح فى دنياه أو دينه، وإنما يسمع منه ما يملأ القلب بغضًا لكل من لم

---

(١) أعترف انى غلطت؛ من ٧ سنوات كتبت مقالاً فى الأهرام المسائى عن فساد مدينة الإنتاج الإعلامى.. وهاجت الدنيا وماجت، ومنعت أعمالى، وبعد ٧ سنوات تم القبض على عبد الرحمن حافظ مرتين فى قضيتي رشوة وفساد .. ولكن ظلت أعمالى ممنوعة، وكل رجال عبد الرحمن حافظ فى التلفزيون..

يكن على شاكلته فى الاعتقاد حتى من بنى ملته، ويطبق على الذهن غفلته، ويستفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع، إذا كان موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلى، فأغلب الأوقات تمر على أهل الجد منهم فى فهم مباحثات لبعض المتأخرين لا فائدة فيها، ولا يتعلمون من الدين إلا بعض المسائل الفقهية، وطرفاً من العقائد على نهج يبعد عن حقيقته أكثر مما يقرب منها. وجل معلوماتهم تلك الزوائد التى عرضت على الدين، ويخشى ضررها ولا يرجى نفعها.

ثم أن المعروفين بالعلماء، وهم الذين يتممون دروسهم فى هذه المدرسة، ويؤذن لهم بالتدريس فيها، هم قدوة الناس وأئمتهم، مع أنهم أقرب إلى التأثر بالأوهام و الانقياد إلى الوساوس من العامة، وأسرع إلى مشايعتها منهم، وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الردئ، والتربية المختلفة التى لا ترجع إلى أصل صحيح، فبقاؤهم فيما هم عليه اليوم مما يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها. إصلاح مدرسة الأزهر لابد أن يكون بالتدريج فى تغيير نظام الدروس وجعلها فى الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها، بحيث يقرر فيها أن كل من أدرج اسمه فى جدول الطلبة يلزم بالحضور فى الدروس وإلا حرم الامتياز، وكل أستاذ يسأل عن طلبته، ثم يجعل ما ينالونه من المنافع الطفيفة منوطاً بالفهم لا بالكتب، وتغيير (بروغرام) الدروس، ويزاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل فيه تدريس الآداب الدينية المفقودة الآن بالكلية، ويكلف الأستاذ بتعهد أخلاق تلميذه لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الإمكان، ويجعل شيخ الجامع رقيباً على الأساتذة والتلامذة فى ذلك، ثم يعدل نظام الامتحان النهائى وشروطه، وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا توجه الأذهان إلى شئ خلاف المصلحة، وتفصيلها يكون فى لائحة مخصوصة. ولا بأس أن يجعل نظام هذه المدرسة مرتبطاً بالمعارف العمومية أو بإدارة الأوقاف على قواعد تفصل فى اللائحة المختصة به.(١)

وقد يظن بعض من لم يتفكر فى حالة البلاد ومرتبتها الأدبية والدينية أن

---

(١) عن سائق التاكسى قال لى: الشعب المصرى والعربى محتاج نصفه يعدم لأنه فقير ومعدم ولا يقدم ولا يؤخر، بل ويعطل.. وربعه يدخل مصحة نفسية وهذا الربع هم الصفوة من المثقفين والسياسيون وأصحاب الرأى والناشطون السياسيون لأنهم ليسوا أسوياء، والربع الأخير من الطيبين والراغبين فى الخير وحب السلام على الأرض يجب أن نبدأ فى تعليمهم كيف يستحمون فى اليوم ثلاث مرات!!!

إصلاح الأزهر لا يمكن، لأنه يترتب على مجرد الشروع فيه تشويش أذهان العلماء والعامة على أثرهم، فهذا ظن فاسد لا يؤيده دليل ولم تقض به تجربة، إلا ما كان من بعض الرؤساء من مدة نحو عشرين سنة عندما أراد إدخال بعض العلوم الصناعية فيه، فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء ، فيئس من الإصلاح وترك الأمر إلى اليوم، فقد كان ذلك قبل أن تتقلب الحوادث على مصر، ولم يكن بالتدريج اللائق. أما الآن فقد تغيرت الأحوال وأصبح الإصلاح فيه أهون منه فى جميع المصالح، وكل رئيس للنظار يمكنه أن يأتى هذا الإصلاح بمجرد التوجه إليه، وما يعجز عنه من ذلك. فصاحب هذا الفكر هو الكفيل بتنفيذه إذا فوّض ذلك إليه على أن العناء فى ذلك لا يطول إذا صلحت المدارس الأميرية؛ فإن الناس لا يختارون الأزهر إلا لسوء ظنهم بالمدارس، أو لاعتقادهم أن الأزهر أحفظ للدين منها. فإذا حصل الإصلاح فيها وجدوها أدنى إلى المنفعة منه، فعند ذلك تنفرد بكونها معاهد التعليم، ويصبح الناس كلهم فى طريق واحدة).[١]

ذهبت إلى محرم بك غربال إلى بيت الأسرة.. أمى جهزت شوربة العدس الرائعة والبصل، ونمت.. حلمت أنى كبرت ومر بى الزمان وأجلس أمام ناهد حجازى صامتا، عيناي فى عينيها تتحدث.. ما تبقى منى يكفى بناء مدينة عشق تليق بكبريائك أيتها الأنثى التى تغيب عنى على مهر تمرد غامض.. ما تبقى من أحلامى يكفى لبناء أمة عظيمة لكن متى غرقت فى الجهل باستمتاع غريب.. ما تبقى منى هو بقايا إنسان فى زمن هجرت الإنسانية البشر وتحولوا إلى قلوب من حجر ولصوص يدعون أنهم أمة حضارة..

"ستندمين كثيرا أنك تأخرتى علىَّ فى الحضور.. ستندمين على كل ساعة.. كل لحظة فاللحظة معى عمر جديد.. إنى اخترتك لتكونى معى فتمنعتِ وتأخرتِ وتدللتِ، وهذا عذاب لقلبك المجروح ولعشقى المؤجل على رفوف الأيامَ فأنا حقَا عرفتَ كثيرا من النساء لكن ليس عشق الفناء، ولكن هوى النفس

---

(١) قالت سيدى أنا قادمة إليك.. اشتريت قميصاً جديداً وحذاءً ووردتين، وجهزت فنجانين للكابتشينو الإيطالى الرائع.. واشتريت أحدث كتابين، وتعطرت مرتين.. الماء ظل يغلى على البوتجاز حتى جف وجفت رائحة العطرمنى واختفت من فوق قميصـــى، وظل فنجانها فارغا من الماء من العشـق من الحب من حنانى يشـكو من الانتظار أما قلبى غضب منى لأنى دوما أعده بأنها قادمة.. وينتظر وينتظر...

وبحثا عنك سيدة الحضور؛ فحضورك عيد، فبحضورك تصبح كل الفصول والأيام لى هى الربيع. خلاصة العبارة.. من غيرى أنا سيدتى سيرى زهور خدك ويقطفها لك كل صباح ومساء ألا تعلمين أن زهور خدود النساء تذبل فى الخد وفى القلب والروح إذا طال عنها القطف ما أقسى الغياب.. ترى من يرى خدود خدك والرؤية ليست بالعين بل بالقلب ومن كشف عنهم الحجاب، كلما فكرت فيك تنبت فى الأرض زهرة وفى السماء نجمة وفى البحر موجة وفى قلبى دقة تك تك.. تركتنى ناهد فى الحلم ومشت.. لا كلام..

استيقظت من النوم شربت من قلة الماء بعض الماء البارد وأكملت النوم.. لم تعد ناهد فى الحلم.. اكتشفت أن غيابك عنى وجع للروح وحضورك عيد..

كتبت رسالة إلى أحمد إبراهيم الفقيه فى ليبيا مجلة الأسبوع الثقافى، وأرسلت له قصة قصيرة بالبريد.. خرجت إلى الطريق.. قابلت عطية صديق من شارع محسن قال لى إنه سافر إيطاليا ويعيش هناك سعيداً، وقال لى:

- إذا سافرت بره مصر خاف من المصريين.. لأنهم حيأذوك..

مشيت إلى قصر الحرية.. أمسية لفاروق شوشة.. لم يحضر أحد اعتذر الشاعر ومشى.. قابلت عبد المنعم الأنصارى كان مرتبكًا، وسألنى:

- فين الناس يا عم..

قلت له:

- اسأل السادات.. احنا فى الانفتاح.. الناس بتبيع كل حاجة.. عشان الفلوس مصر ضاعت.. الأدب مالوش قيمة يا عم..

مشيت إلى محطة الرمل قابلت حسونة المغربى، عادل شاهين، ناجى أحمد ناجى، وعادل الحوفى على قهوة البوابين بجانب قهوة وادى النيل وقهوة سيد درويش.. مر من أمامنا يوسف عبد الحميد وعلى عاشور دعوناهم للمقهى.. اعتذرا..[١].

---

(١) لا شىء ينعش قلبا قدر حضن فى لحظة برد الروح.. كان جمالها يكشط ضبابا وألما خفيفا.. قلب العاشق لا يبرأ.. قلب المغرم يبرأ.. الأول يحتاج حانة وعاهرة والثانى يحتاج حضنا وخمرية مغوية بأقل تكلفة (من رواية باب الليل تأليف وحيد الطويلة)

ورغم الموتِ .. ورغم سقوطِ دلالات الأشياء..
يدورْ ولأنِّى أعرفُ أنَّ الحبَّةَ تفلْقُ سَطحَ الأرض..
وتصْعَدُ نحو الشمسِ..
ونحو النورْ أعرفُ أيضا..
أنَّ النَّهْرَ الهادئَ
.. حين يثورُ .. يثور..

.. الشاعر فهمى إبراهيم..

القاهرة تودع ٢٠٠٤؟

ب٤ معارض تشكيلية في ديسمبر
الجزار وعبلة و البحراوي و الخراط
القاهرة الحياة و العالم

- لماذا اتجه الأدباء فجأة إلى الفن التشكيلي؟

عاشت القاهرة خلال شهر ديسمبر عدة معارض؛ فالمشهد الفني والتشكيلي في مصر الأكثر اتساعا وتنوعا وتفرداً، ولقد اخترنا أربعة معارض منها، وسنقول ماذا يجمع بينهما، وماذا يحدث في القاهرة، وماذا يجري من حولنا من اختلافات وتناقضات وإشكاليات تحاصرنا..

هذا ما سوف نحاول أن نلقي عليه بعض الضوء في هذه الكلمات القادمة.. المعرض الأول الذي سأتحدث عنه

الاسم : محمد عبلة

اسم المعرض : القاهرة.. ملامح مدينة

مكان العرض : قاعة الزمالك للفن

عدد اللوحات : ٤٨ لوحة مقاسات مختلفة

عن التجربة يقول الفنان محمد عبلة:

القاهرة مدينتي، وأنا مشغول بها منذ بداياتي الأولى، تناولتها في العديد من المعرض وبأساليب مختلفة وجوهها المتغيرة تثيرني دائما.. في كل مرة أغوص في أحضانها أخرج بكثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام؛ فتدفعني للبحث ومحاولات الإجابة، حركة الناس تحدد خريطة المدينة وتكون أبعادها، لذا لا أتخيل الحياة أو الفن دون علامات البشر.. تحركاتهم إيماءاتهم الخاصة، تكتلهم، ووحدتهم، تلك العناصر البصرية والحسية هي التي تعطي للمدينة إيقاعها الخاص.. حاولت في هذه الأعمال ومن خلال هذا المعرض أن أقدم رؤيتي الخاصة لشكل المدينة في أوقات ضوئية ولونية مختلفة الليل والنهار.. ليل القاهرة له خصوصيته، حيث النيل الذي يلعب دورا مهما في إثراء مهرجان اللون المتناقض والصاخب، لترى إحساسا قويا بوجود الناس..

أحس أني أعرفهم أعرف وجوههم جميعا وأقرأ حركتهم على سطح الحياة وكأنهم هناك من أجلي.. يتحركون لكي أرسمهم أو أحولهم إلى مجرد أشباح أمام خلفية المدينة الطاغية المؤثرة كنت مشغولاً بفكرة الرسم وكنت مشتاقا للرسم بقوة وعفوية.. حاولت أن تكون الخطوط معبرة عن حركة الناس وعن تأثير وجوههم المشرقة والمتفائلة رغم المعاناة والأجواء الصاخبة.. حاولت أن أعبر عن الأمل الذي أشعر به وكنت أحلم بأعمال بانورامية تقترب من واقع الحياة الفنية حيث يختلط الناس بالمباني والحيوانات والضجيج.. بانوراما تحمل كل التناقضات فتقترب من الرموز والسحر.

إلي هنا ينتهي كلام عبلة في كتالوج المعرض، ومن هنا نرى أن الموقف الأساسي الذي يتبناه عبلة واضح بعض الشئ؛ فهو يقول إن حالتنا الاجتماعية الراهنة يعتريها الخراب، ومن ثم يجب تقويضها إن كانت هذه الحقيقة تمثل قضية ينشغل بها الفنان الحقيقي.. إلا أن عبلة يتسم أسلوبه بالمراوغة والتناقض حيث أنه يوجد شئ ما ثائر وجامح في أسلوب تعامله مع الفرشاة واللوحة؛ فعندما تظن أنك أمسكت بأفكارك على اللوحة فتجد هذه الأفكار قد تلاشت وهو على النقيض من أفكاره، فتجد أن اللوحة واضحة أمامك فالزحام والناس ليلا أو نهاراً، حياة الناس وحركاتهم في القاهرة، ولكن تصرفاتهم في اللوحة الواضحة غير معقولة..

كذلك تجد شخصية عبلة واضحة بشكل قوي في كل لوحة وليست شخصية اللوحة.. إن العلاقة الذهنية والفكرية طاغية على علاقاته بالألوان، كما أن كيمياء اللون في إجمالي اللوحات غير مكتملة وأحيانا تشعر بأن ٩٩٪ من اللوحات هي في حالة دراسة (وحدة واحدة في حالات متشابهة ومتناقضة ومختلفة) إن مشروع عبلة في هذا المعرض مشروع من الصعب أن تجده أو تعرفه فهي قضية النظرية أو الفلسفة غير الممارسة..

إن الفن والحياة هما طرفا المعادلة، لكن الفن الحقيقي لا يوجد إلا كعملية (process) أي أنه لا ينعزل عن التجربة الحياتية التي يعتريها التغير دائما باعتباره عملا فنيا مستقلا..

إن العلاقة الجدلية بين اللون وفضاء اللوحة يجب أن تكون حقيقية وملموسة.. إن الوجود المادي للبشر عند محمد عبلة غير مكتمل بكل الوجوه

التي هي بلا ملامح، وهذا ما يعجز عنه الفن بشكل رمزي وفلسفي باعتبار أن الفن شكل أسمى للواقع.. إذاً الإنسان في وجهة نظر عبلة ليس حاضرا بل هو شئ ما.. ملامح أو كامن في خطوط مخزونة مختزلة، وهذا أشبه بعالم الأساطير لكن هذه الأشباح الأسطورية تعبر عن شعور خفي يعجز الفنان عن مواجهة العالم بعد انهيار عقل العالم بعد حرب العراق..

إن روح القاهرة والمدينة تسيطر على الفنان محمد عبلة.. إنه يشعر بأن الروحانيات ليست الا مبدأً خادعا فالناس بلا روح والحركة كأنها في سكون.. إنه يشعر بأن المدينة تعوق الإنسان عن تحقيق طاقته الكامنة باعتباره خيرا.. إن روح الشر مدمرة في كل لوحاته وهي فكرة في بساطة البدائية الفلسفية؛ ولذلك قام باستبعاد الملامح أو الإشارة إلى أي ملمح على أنه تجسيد للمدينة وكأنها الشر المطلق.

إن محمد عبلة ينكر على الإنسان كيانه الحقيقي، ومن الواضح في كل اللوحات أنه يرى العالم هو الشر بعيداً عن الإيماءات والعلامات.. إنه مشحون بهموم العصر ويحاول أن يجسد الضعف في المشاعر الإنسانية ولكن بشكل فكرة الجمع بين الأضداد: النهار والليل، والحركة الطبيعية والفنية واختفاء العمق في اللحظة المكثفة.

إن شدة الغضب من الواقع قد تفقد الفنان التعمق في المشروع الفني وتجده يلهث في التجربة، فكل اللوحات تقريبا (٩٩٪) منها بشر يسيرون ليلا أو نهاراً في شوارع القاهرة وبجوار النيل، ولكن هناك لوحة كانت تكفي هذه التجربة كلها التي استخدم فيها الوجوه والحركة واللون الأصفر والأسود قد غطيا كل شيء فيها، وهي في مقياس صغير (٢٠ x ٣٠)، وكانت ملخص المعرض كله، ولوحة أخرى تحمل فكراً سياسياً على طريق الكولاج، ولكنها بالزيت والفرشاة استخدم فيها الشعارات والأخبار والرؤى السياسية من وجهات مختلفة وتحمل غضب الفنان على العصر.

***

الفنان الجزار في أتيليه القاهرة

سعيد الجزار هو الفنان التشكيلي الثاني الذي قدم معرضه في أتيليه القاهرة تحت مسمى "شعبيات وادي النيل"، وهو فنان وكاتب روائي وقصاص..

وسعيد الجزار هو فنان معاصر بخلاف الرائد التشكيلي عبد الهادي الجزار، ولا يجمع بينهما نسب ولا حسب ولا علاقة إلا علاقة أن كل واحد منهما مهموم ومشغول بالفن التشكيلي.

الجزار يحاول أن يكون معرضه مبلغا رسالة نبل الإنسان وقبح الإنسان من خلال التناول الوحشي الهزلي للمرأة في أعماله باعتبار المرأة وعاء الحياة فقد قدم الوجهتين الإنسانيتين من نبل وقبح، وهو يحاول أن يختزل العواطف النبيلة مع المرأة في تعامله معها في لوحاته؛ فالمرأة ليست بريئة لأنها تعني العالم وهذا العالم بلا براءة..

وقدم في المعرض هجوما على السفسطة الأكاديمية في الأساليب الفنية والمعرض أحيانًا يتجه الي الأسلوب الوحشي أو الفوضوي وأحيانا تشعر بالهدوء والسكينة؛ ففي حوالي ٩ لوحات من المعرض (مركب وقلوع) وحالة من حالات الدراسة للمركب والقلوع والمسافر الذي يرحل في غربة الواقعٍ وغربة النفس.. إنه احتجاج على الواقع فاللوحات التسع للمركب التي أحيانًا تكون على الشاطئ بلا حراك وأحيانا وسط العواصف وأحيانًا هي نفسها في حالة صفاء وطيور النورس تطير فوقها.

وهناك تلك المرأة التي تحول وجهها إلى صورة حيوان أو وحش أسطوري أو أفعى، وبمعني آخر هي حالة من العبودية لغرائزها الدنيوية ورغباتها الجسدية، وقد تحولت أطراف أقدامها وأرجلها إلى أرجل طائر.. إنها منغمسة في رغباتها وتحاول أن تخرج من فخذيها ميلاد شئ ما لكنه لا يولد. إن هذه اللوحة في دراسة أخرى وفى لوحة أخرى حالة ضد الجمال، ضد التقليدية التي تقوم على فردية مفادها أن العالم كما ندركه ليس أكثر من بناء ذهني، وهذا بدوره يعني عدم وجود أي تمايز حقيقي بين الإدراك والاختلال الإدراكي (الهلوسة).

وهكذا فان كل ما يفرض سطوته وتأثيره علي الجبال هو فقط ما يكتسب حقه الواقع. إن اللوحات علاقات بين حقائق عارضة تختزل في صورة استثناءات غير استثنائية، إنها تتناول الخاص بدلا من العام وتنظر إلى الشكل الخارجي باعتباره يمثل الجوهر وذلك بشكل رمزي فعلي أي أنه عالم بديل.

إن سعيد الجزار في الفن التشكيلي لا يحاول أن يقدم عالما بديلا لجمهوره، بل يدفع كل متذوق إلى تخيله، ولذلك فإن كل عنصر من هذه العناصر يعتبر هذيانا فنيا، وذلك بعيدا عن دلالاتها الفكرية، وهذا يتنافى مع سعيد الجزار عندما يكون أديبا فهو يتعامل مع القارئ بشكل بسيط وعميق وغير معقد ويقدم صوراً أدبية فيها التبسيط الشديد (السهل الممتنع)، وهو يلتقط في أدبه الحارة العربية المصرية والأحياء الشعبية بشكل تشم رائحة الحارة فيه وترى ألوان البيوت وملامح الناس وترى التركيبات المتناقضة، والزمان واضح، والمكان أيضا..

أما في لوحات سعيد الجزار فهو عنيف مع المرأة في عالمها ويعتبره عنفا دون مبرر يهدف إلى إحداث تأثيرات صارمة تصبح معها ردود الأفعال صارمة.. أما اللون الأحمر في لوحاته فهو مبالغ فيه خشن واللوحة في اللا مكان، والمكان غريب غير مألوف.

وإذا كان رامبو قد دعا إلى الإرباك المحسوب للحواس بالنسبة للشاعر فإن سعيد الجزار يدعو إلى الإرباك المحسوس البصري.. وسأتكلم عن لوحة "لأن بالباب".. الباب هنا قد يكون بابا لولي (السيد الحسين) أو (السيدة زينب) أو باب قديم من مباني مصر الفاطمية التي تكون فيها العمارة مثيرة بالنسبة للفنان (بالأكاسيد)، ولذلك فهي غريبة، ولكن تشعرك بالزمن وبنوع من الحنين معها والارتباط بها كجزء من كيانك وديمومتك..

أما لوحة (زار الحوامل) فنحن أمام ثلاث نساء حوامل.. قام الفنان أيضا بتشويه ملامح الوجه، وكأنه مسخ وجرد الجسد في نهايته فتحولت الإناث إلى ما يشبه عروسات البحر اللائي تحكي عنهن الأساطير الشعبية فهو ممتلئ بمخزون شعبيات واقعية وتراثية..

إن اللون السائد هنا، اللون "البمبي" ولكن في حالة نعومة ورومانسية، لكن الصدمة التي تأتي إليك بارتباك وجوه النسوة فهي مخلوقات مشوهة لكائنات قد تكون حيوانية أو فضائية.

المعرض القضية : (معرض إدوار الخراط)

أقيم المعرض في شهر ديسمبر في قاعة مسرح الهناجر/ القاهرة..

يعتبر إدوار الخراط الكاتب الكبير والروائي المعروف أحد علامات

الأدب العربي والمصري في الستينات وحتي الآن، ومازال يعطي من نهر إبداعه، ولكن الخراط قد فاجأنا في السنوات القليلة الماضية بمجموعة دواوين شعر وإلى هنا الأمر يبدو طبيعيا، وغير طبيعي، فالشعراء يقولون كيف ظهرت موهبته الشعرية متأخرة عنده، وهل يمكن وضع اسم هذا الروائي الكبير علي خارطة الشعر والشعراء العرب؟؟ وهناك من يرد عليهم.. من الذي يملك مفاتيح وأختام وصكوك الإجازة؟.. إنه القارئ، الجمهور صاحب اليد الطولي في الموضوع؛ فهو الذي يسمح للمبدع أن يكون ضمن مكتبته وضمن التصنيف الذي يراه: روائيا.. قاصا.. شاعرا.. مسرحيا.. فنانا تشكيليا.. لكن المعرض الأول للفنان إدوار الخراط في الفن التشكيلي أثار جدلا، إذ كان معرضا للكولاج استخدم فيه إدوار الخراط روح مصر القبطية والرومانية والفرعونية مستخدما نرجسية الفنان بوضع صوره في معظم اللوحات ضمن كولاج اللوحة.. البعض يصف وجود صوره في أتيليه القاهرة بأنه يلعب، وما الفنان المبدع الحقيقي في لحظه إبداعه إلا طفل يلعب في أرض خياله وإبداعه ليأتي لنا بالدهشة..

ويقول البعض الآخر إن القضية أعمق، وهي هروب الكتاب وأصحاب القلم إلى الفن التشكيلي بحثا عن ميلاد وعن مكانة في أرض الواقع الفني.. إن الفنان في لحظة تاريخية فاصلة لا يدري ماذا يفعل.. إنه يجري في رأسه بحثا عن إجابات كل الأسئلة الكبرى التي من حوله.. إن القضية أو ظاهرة هذة القضية تأتي نتيجة الإحساس ماذا بعد العولمة؟.. وهل تمت العولمة فعلا؟.. وهل هناك عالم آخر ما بعد الحداثة؟

معرض سيد البحراوي

(المعرض . الموقف . السياسي . الشموع) المعرض تحت اسم " تبوح الشموع" وهذا المعرض الثاني الذي تم تخصيص دخله لدعم الانتفاضة الفلسطينية، وهذا الناقد الكبير سيد البحراوي يقدم معرضا بالشموع.. هذا المعرض جزء من حوار كتبه سيد البحراوي في لوحات كبيرة مثل قصص قصيرة أو أهازيج سردية في محاولة لتحديد موقفه من العالم والقضية الفلسطينية والوضع العربي الراهن؛ فسيد البحراوي كان هاجسه في هذا المعرض هو استخدام الشموع وعليها أحيانًا ألوان بشكل العلم الفلسطيني.. وأحياناً يترك للشمع أن يتحرك ويكون شكله الخاص، وفي لحظة ما يعطيه لوناً خاصاً

إن المعرض جاء في احتفال سيد البحراوي بعيد ميلاده الخمسين،

وكان يجب أن يحتفل بالقضية الفلسطينية فأقيم المعرض في قاعة قرطبة التشكيلية.. وقد احتفى بالمعرض مجموعة من المثقفين والكتاب والفنانين.. ولكن قال سيد البحراوي: أنا لا أدري لماذا اخترت الشموع؟ ولماذا اخترت هذه الألوان؟ ولماذا قررت التعامل مع التشكيل؟..

وتبقي الأسئلة تدور في ذهني لماذا دخل الروائي الكبير إدوار الخراط إلي هذا العالم؟ ولماذا اخترت أنا أن أعود إلى الكتابة عن الفن التشكيلي بعد مرور عشرين عاماً من التوقف عن الكتابة للفن التشكيلي.. فهل الفن التشكيلي هو الملجأ لنا؟ هل بعد أن قال أدونيس: انتهي عرش الشعر في هذه الفترة من الزمان وبدأ عرش الرواية.. كما يتساءل الروائيون: لماذا الرواية أكثر حظاً من الشعر؟.. وأهل المسرح يصرحون بأن المسرح قد انتهي دوره.. وبذلك يبقي الفن التشكيلي صامتاً.. فهل هو الملجأ من القصف على الفنون والآداب الأخرى؟[١]

---

(١) هم الذين يفجعون عندما يحسون بصهد الموت (من رواية فوق الحياة قليلا للكاتب سيدالوكيل)

ليت قلبى لمحة من ذلك الضوء السجين
أهو حب كل ذلك.. أخبرينى

"الشاعر/ بدر شاكر السياب"

الفصل (٣٣)
بعنوان
العشق أحيانًا هوى وأحيانا جوى

سهر تسير إلى بيت شهرزاد.. وضعت شهرزاد أمام سهر شراب المتى..

- ما بك يا خالتى؟
- لا شئ.
- لا أنت مشغولة.
- اختفاء زهرة وقاسم مو مريحنى.. زهرة ما بتهرب مع قاسم.. دا لو حتى دبحها ما بتهرب معه أنا بعرف هالحكى..
- والله الغايب حجته معه يا خالتى
- بعرف..
- شو احكى لى شو صار مع نور ومحب.
- ايه.. بلغنى يا أميرتى سهر أن محب لم يذهب إلى قصر فرعون.. ونور لا تعرف ماذا تفعل
- مسكينة.

فتنة

شَهْوَةً لفتْنَة الَّليْل
كَانَ خصْرُهَا جَدْوَلا يَسْتَنْفر الأَحْزَانَ
وَصَدْرُهَا نَخْلَةً تَسْقُطُ بَيْنَ مَدَائن الْوَطَن.
اتَّكَأْتُ علَى لَغْوهَا
أَتَأَمَّلُ خَمْرَتَهَا الْمُنْسَابَة منْ وَثَنيَّة الْهَوَى
هَبَطَتْ فى أَغْوَار الإشَارَات
قَالَت - "اقْتَربى"
وقَهْقَهَتْ كَغَانيَة أَسْكَرَتْهَا هَمَسَاتُ الْعُشَّاق!
الشاعرة المغربية: نجاة الزباير

الضربة الرابعة.. الآية الرابعة (الذبان)

نور فى بيتها، ومحب إلى بيته..
فى الفجر صلى موسى وهارون..
قال الله لموسى :
بَكِّرْ فِى الصَّبَاحِ وَقِفْ أمام فِرْعَوْنَ. إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلى الْمَاءِ. وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِى لِيَعْبُدُونِى .فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِى ،هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعلى عَبِيدِكَ وَعَلى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ ، فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمصْرِيِّينَ ذُبَّاناً. وَأَيْضاً الأرض الَّتِى هُمْ عَلَيْهَا وَلكِنْ أُمَيِّزُ فِى ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِى مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِكَىْ تَعْلَمَ أَنِّى أَنَا الرَّبُّ فِى الأَرْضِ وَأَجْعَلُ فَرْقاً بَيْنَ شَعْبِى وَشَعْبِكَ. غَداً تَكُونُ هذِهِ الآيَةُ.فَفَعَلَ الرَّبُّ هكَذَا ،فَدَخَلَتْ ذُبَّانٌ كَثِيرَةٌ إِلى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتِ عَبِيدِهِ. وَفِى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ خَرِبَتِ الأرض مِنَ الذُّبَّانِ.

خرجت أم محب تصيح:

- أنقذونا .. الذبان فى كل البيت

وجدت كل النسوة فى الحى يصحن ..

- وا فرعوناه .. وا إلهنا..

كل نساء مصر تصيح والتجار وكهنة المعابد، وقصور فرعون كلها غرق فى الذبان.. ماذا جرى فى الحارات؟ نسوة تخرج تصرخ وبعضهن خلعن ملابسهن من قرص الذبان .. ترى ماذا تفعل النسوة؟؟.. بعض الرجال جروا خلف النساء العاريات.. ذبان ذبان المهم أن هناك نساء جميلات خلعن ملابسهن.. أما المراهقات ظللن يبكين، أما الرجال فقط اختفت أصواتهن ..

زوجة قارون بكت وطلبت من الخادمات أن يقمن بضرب الذبان المعلق على جسدها.. كل شيء فى قصرها علق عليه الذباب.. الويل للمصريين الفراعنة من رب العالمين، لأن غالبيتهم رفضوا الإيمان برب موسى رب العالمين، وصمموا على الإيمان بفرعون إلها. ولم لا؟.. فرعون بنى معبدا كبيرا فى أبي سمبل، فرعون الذى قاد الجيوش وخلع قلوب الأعداء..

صرخت النساء فى قصر فرعون خاصة زوجاته الجدد بنات ملك الحيثيين ، فرعون صرخ فى هامان:

- إن إله موسى يتحدانى.. أما من ساحر ينقذنا من هذا البعوض؟

أشار هامان برأسه أنه لا يوجد من يستطيع..

حاول محب أن يحمل أمه على فرسه وذهب بها إلى جاسان (فاقوس فى الشرقية الآن) حيث يقيم الإسرائيليون.. دخل بحصانه يحمل أمه وطرق باب بيت نور..فتح الباب الأب كنعان.. قال له محب:

- أمى أمانة لديكم لأنى مشغول فى مهام.

اكتشفت أم محب أن أرض جاسان ليس بها ذبان.. رحب أبو نور.. دخلت الأم إلى دار كنعان ورأت نور التى رحبت بها فشمت الأم عطرها فاحتضنتها برفق واهتز قلب الأم.. دخلت البيت فوجدت النار وحلة الطبيخ، ورائحة طعام شهية، وبينما أم محب جالسة دق الباب بنيامين:

- افتحوا لى الباب..

فتح كنعان الباب ودخل بنيامين يحمل قفصا من الحمام..

- مساء الخير جئت لكم بهدية بسيطة..ههههههههههههه

نظر فوجد أمامه أم محب، فابتسم لها:

- عندكم ضيوف؟
- نعم.
- جهزوا لنا الحمام.. نتعشا سوا. أصل بصراحة كل مصرى فرعونى يريد الآن أن يأتى إلى جاسان. رب موسى غاضب على مصر.. أعتقد أن فرعون بنفسه يريد أن يعيش هنا.. المعابد فتحت كلها، والكهنة أطلقوا كل البخور بلا فائدة ..

لم يعلق أحد.. دخلت نور مع أم محب إلى غرفة أخرى.. قام بنيامين بسؤال كنعان:

- قل لى من هذه المرأة ..
- صديقتنا.
- هل آمنت بموسى؟
- لا.
- أنت جرىء يا رجل.. تستقبل امراة فرعونية لاتؤمن إلا بفرعون؟
- أنا حر فى بيتى.
- المصريون الفراعنة أغلبهم شعب عنيد.. شعب رأى بعينيه معجزات وآيات الله مع موسى ولكن أغلبهم للحق كارهون..

- نحن كلنا مصريون..
- نعم لكننا نحن نؤمن بيعقوب إسرائيل ويهود هم لا يؤمنون إلا بالفرعون وبالخنافس والبقر والقطط والعرس هههههههه
- الله يهدينا جميعًا.

جلست أم محب تتأمل وجه البنت الجميلة نور التى عشقها ابنها محب. الحب دين خفى لا يعرف القوانين والتعاليم.. الله أرسله لنا ليختبر قلوبنا هل نحن بشر أم حيوانات فى شكل بشرى.

مضت ليلة وليلة وليلة.. اقتربت أم محب من نور وأهلها.. شاركتهم فى الطبخ.. الغسل، ولم تسأل نفسها.. من هم؟ هى تدرك أن ابنها الضابط محب يحب هذه البنت الجميلة نور.. لكن لا تعتقد أن ضابطًا من ضباط فرعون يتزوج من امراة إسرائيلية.. الموقف الآن صعب جدًا.. مصر تئن من الذبان، والعناد يزداد لدى أغلبية الشعب وفرعون لم يؤمنوا بالله الواحد القهار..

حاول يحاول محاولة..

ترى ماذا جرى فى القصور؟ فرعون صاحب أكبر المعابد.. اختفت من مصر الأفراح إلا أفراح أهل جاسان تلك الأفراح التى تشبه أفراح الفراعنة فالكل سواء تلك التى تقام لها الولائم وكانت موائد الكبراء والأغنياء عامرة بكل ما تشتهيه الأنفس من بط مشوى ولحم البقر والضأن والخبز والكعك والفواكه من تين ورمان وتمر وعسل أما الأنبذة والبيرة فكانت توزع بغير حساب وكان الضيوف يجلسون على الكراسى العادية ذات الظهر أو بدونه وفوقها الوسائد المريحة أو يجلسون فوق حصر من البوص وذهبت معهن أم محب إلى أحد الأفراح، وكانت السيدات يضعن فوق رءوسهن أقماعا من المراهم والدهون المعطرة التى تذوب عادة فى حر الغرفة وتسيل على شعورهن المستعارة وأرديته ناشرة شذاها فى الغرفة، وكانت الثرثرة وتبادل الحديث تتم وسط أنغام تعزفها جوقة موسيقية أهم آلاتها القيثار والعود والمزمار بمصاحبة الصفاقات (الصاجات) لضبط الإيقاع، وكان يعهد بالصفاقات إلى صغار الفتيات بينما يرقصن بعضهن لإمتاع الضيوف ويقوم مطرب أو مطربة بغناء أنشودة تناسب المقام.. كانت المصريات الفراعنة تهرعن إلى أفراح الإسرائيليين المصريين وكل واحدة تتحلى بأطواق من الزهور وأساور من ذهب فى معصمها وشعور

مستعارة وثياب بيضاء والخدم يوزعون العطور والشراب ....

تعودت أم محب أن تشارك فى الطبخ الخضار والكعك والخبز.. كان المصريون الفراعنة فى حرج وخوف أن يهجروا أماكنهم إلى جاسان، وفرعون فى عناد..

د عَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ:

"اذْهَبُوا اذْبَحُوا لإِلهِكُمْ فِى هذِهِ الأَرْضِ"

فَقَالَ مُوسَى:

"لاَ يَصْلُحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا ، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أمام عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟

نَذْهَبُ سَفَرَ ثَلاَثَةِ أيام فِى الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا كَمَا يَقُولُ لَنَا"

فقال فرعون :

"أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا للرَّبِّ إِلهِكُمْ فِى الْبَرِّيَّةِ ،وَلكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيداً. صَلِّيَا لأَجْلِى"

فقال موسى :

" هَا أَنَا أَخْرُجُ مِنْ لَدُنْكَ وَأُصَلِّى إِلى الرَّبِّ، فَتَرْتَفِعُ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ غَداً وَلكِنْ لاَ يَعُدْ فِرْعَوْنُ يُخَاتِلُ حَتَّى لاَ يُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحَ لِلرَّبِّ"

فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ وَصَلَّى إِلى الرَّبِّ. فَفَعَلَ الرَّبُّ كَقَوْلِ مُوسَى ،فَارْتَفَعَ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ. وَلكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضاً فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ.(١)

ذهب الذبان وعادت أم محب إلى بيتها وظلت صورة البنت الجميلة نور فى ذهنها، لكنها لم تفصح عما يجول فى صدرها.. هى ترغب فى زواج ابنها محب من ابنة أختها ريس، لكن الأمهات يحلمن بشىء والأولاد يحلمون بشىء آخر ..

---

(١) كلمت صديقى الرائع البيلى أحمد حسن المخرج التلفزيونى عبر الشات فى الفيس بوك كلمته انى سأبعث له مبلغ ثلاثة الاف جنيها من الديون قريبا ان شاء الله على.. ديونى تبلغ ٢٢٠ ألف جنيها.. البيلى له ١٥ ألف دفعت ٨ الاف.. ١٥الف جنيها باقى ٧ الاف مجموع ديونى ٢٢٠ ألف جنيها.. ستسدد إن شاء الله قريبا... يفرجها الله..

أنا إمرأة من العامة
تضم إلى صدرها طفلا ولا تعرف الغناء أو الكتابة
لا تعرف كيف تعبر الشارع وحدها
و تخجل أن تسأل أحدا لو ضَلت الطريق
ولا تعرف من الجهات شرقها أو غربها
و تتلعثم إذا ما سُئِلت عن اسمها
لكنها تقشر البطاطا بلمح البرق
وتصنع قهوة رائعة تشربها وحيدة في الصباح
وترمي إلى البحر جسدها ببساطة ودونما خوف
ببساطة كما تضم الطفل إلى صدرها

الشاعرة الروائية فاطمة المزروعى – الإمارات

الفصل (٣٤)
بعنوان
السباحة العارية

صبر نبى الله موسى على فرعون والمصريين وخبث هامان وطاغوت قارون وأعوانهم، وصبر على المصريين وبنى إسرائيل فى عنادهم وجحودهم، وسوء تفسيراتهم تارة، وأخلاقهم وغبائهم وإجرامهم وكفرهم وشركهم تارة أخرى. وهذا هو المثال: قال صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى جلده شئ استحياء منه. فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل المصريين والمصريين الفراعنة فقالوا: "ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، أو إدرة (ورم بالخصية)، وإما آفة"، وذلك لأنهم كانوا يستحمون عرايا أمام بعضهم البعض وهو لا يفعل ذلك مثلهم. بل يختاروقتاً آخر يستتر فيه حتى لا يراه أحد عريانا وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوه لموسى.

فخلا (موسى) يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فى البحر فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها فاذا الحجر جرى بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر أى جرى وراء الحجر الذى كان يجرى بثوبه نحو الناس فجعل يقول:

- ثوبى حجر، ثوبى حجر.

حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل المصريين والمصريين الفراعنة، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق إله وبرأه الله مما يقولون. ووقف الحجر فأخذ موسى ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه. فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أوأربعاً أو خمساً فذلك قوله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً"

(سورة الأحزاب ٦٩) والحديث رواه أحمد ومسلم

ذهب موسى وهارون إلى الفرعون، امتنع أن يقابلهما كعادته ولم يف بوعده أن يؤمن برب موسى أو يفرجِ عن المساجين أو يدعهم أن يرحلوا.. المصريون يضربون وجوه بعضهم بعضًا.

فكر هامان بفكرة إلى فرعون وهى الاستعانة بقارون أكبر تجار البلاد

ووزير الخزانة (المالية)، ويملك مالاً وهو ابن عم موسى، يفوق الحد والحدود.. قال فرعون:

- إن قارون إسرائيلى يهودى. وهو ابن عم موسى ..

رد بمكر هامان:

- المال ليس له دين ولا ملة بل المصلحة يا مولاى.. الأموال ليست لها قريب ولا دين ولا صلة رحم..المال يحب المال..
- نعم المال ليس له عيال.. المال وحش.. غبى أعمى..
- صدقت يا مولاى الإله فرعون. سأحضر قارون.. وأعرض عليه فكرة أن يعرض على موسى أرضًا وضفافًا.. ومدينة تحمل اسمه..

ضحك فرعون:

- فكرة طيبة . آتنى بقارون..

قارون هو أحد رموز الفساد فى عصر فرعون وموسى، حيث كان يمثل رمز السلطة المالية والاقتصادية ورجال الأعمال فى مصر.

رزق الله قاون علماً ومالاً وبارك له فيهما؛ فأصبح ملياردير عصره، رغم أنه من بنى إسرائيلوليس قبطياً مصرياً. وهو أحد أقارب موسى عليه السلام ويقال إنه ابن عمه (قارون بن يصهب بن قاهث وموسى كان أبوه عمران بن قاهث)، وكان لقارون وجهان وجه الكفر مع فرعون ووجه الإيمان مع موسى. وكان إذا لقى موسى ومن معه من المؤمنين سمع لهم وقرأ عليهم شيئاً من التوراة لحسن صوته حتى أسموه المنور. زاد قارون فى طول ثوبه شبراً ترفعاً على قومه، وكانت مفاتيح كنوزه تحمل على ستين بغلاً لكثرتها، وعدد أتباعه (٤٠٠٠) رجلا و(٣٠٠) جارية.. وقد سجل القرآنحواراً هاماً لقارون مع أتقياء قومه حيث قال له بعضهم :

- يا قارون لا تفرح ولا تتكبر بمالك وعلمك على الناس لأن الله لا يحب الفرحين

فضحك قارون وسخر من الحديث وقال لمحدثه:

- وماذا أيضاً؟ فقال له (١)
- ابتغ فيما آتاك الله من مال وعلم الدار الآخرة فالآخرة خير وأبقى، ولا تنس

---

(١) فراعنة مصر للدكتور رمضان حافظ

نصيبك من الدنيا وأحسن إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض ولا تفتن الناس فى إيمانهم إن الله لا يحب المفسدين..

فغضب قارون وقال:

- ويحكم.. أنا لا أحتاج إلى هذه المقولة الفصيحة التى تظنونها النصيحة الصحيحة؛ فأنا على علم بالدنيا والدين، وأنا عند الله من المقربين، وقد أعطانى الله ما أعطانى لأنى أستحقه وأنى أهل له. (١)

فقال أحد المتقين بعد أن نهض قارون من المجلس غاضباً آسفاً:

- أو لم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ومالاً؟ ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون.

وذات يوم سأل قارون موسى عن حق الله فى المال والزكاة فقال له:

- أخرج عن كل ألف دينار، ديناراً، وعن كل ألف درهم درهماً .

فسعد قارون بهذه النسبة أول الأمر، ولكنه عندما حسبها وجد أن مجموع مال الزكاة سيكون كثيراً؛ فرفض إخراج الزكاة رغم صغر نسبتها (واحد فى الألف) إلى الفقراء. وغضب موسى على قارون لعدم دفعه المال حق الله.. وفكر فى أن يفضح موسى واتفق مع هامان وامرأة بغى، وقرر المنافق قارون أن يحرج موسى أمام قومه ويتهمه إفكاً وزوراً بأنه يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول؛ فأعطى قارون مالاً لامرأة بغى عاهرة وطلب منها أن تتهم موسى بفعل الفاحشة معها، أمام الناس. وفى الموعد المحدد الذى كان موسى يجالس فيه بنى إسرائيل، وجاء قارون أمام موسى وسأله قائلاً:

- ما الحكم فى التوراة إذا سرق أحدنا مالاً أو زنا بامرأة؟

فقال موسى:

- من سرق قطعناه، ومن زنا وكان أعزباً جلدناه، ومن كان زانياً محصناً

---

(١) جمع الدكتور أحمد كمال باشا ثلاثة عشر ألف كلمة مصرية قديمة نقولها فى لغتنا الفصحى والعامية كما عرف علماء اللغة، أن هناك خمسة عشر حرفاً عربياً مأخوذة عن الحروف الهيروغليفية، كما أن قواعد اللغة العامية هى تماماً قواعد اللغة المصرية القديمة.. مثل اسم الإشارة بعد الاسم لا قبله: الراجل ده، البنت دى، وغيره كثير، حتى عيد القيامة الحالى.. كان عيد قيامة أوزيريس، حتى كريسماس ٢٥ ديسمبر كان عيد ميلاد أوزيريس، والاحتفالات بشجرة عيد الميلاد، والإوزة، والتى مازالت طقوس الاحتفال حتى الآن فى سويسرا وألمانيا، الإوزة بدلاً من الديك الرومى.

(متزوجاً) رجمناه

فقال له قارون :

- حتى أنت يا موسى؟

فقال موسى:

- حتى أنا .

فدعا قارون المرأة العاهرة وسألها فى ملأ من الناس قائلاً:

- قولى لهم ماذا فعل بك موسى يا امرأة [١]

فقالت المرأة الكاذبة الفاجرة :

- لقد زنا بى موسى وفعل كذا وكذا.

غضب موسى عليه السلام وارتعد وعالج غضبه حيث قام وصلى ركعتين مستنجداً بالله ومهدئاً لأعصابه، ثم التفت للمرأة زاجراً لها وقائلاً :

- يا امرأة أستحلفك بالله الجبار منزل التوراة.. هل فعلت بك شيئاً مما قلت؟

فقالت المرأة وهى ترتعد منه:

- لا.. لم يفعل بى شيئاً ..

فقال موسى :

- ومن حملك على أن تقولى ما قلت للناس؟

فقالت المرأة:

- هذا الرجل. (وأشارت إلى قارون)

فقال موسى :

- انهضى يا امرأة واستغفرى الله وتوبي.

خجل قارون حين فضح أمره أمام الملأ فصمم على الانتقام من موسى

---

(١) هناك كلمات فى القرآن الكريم مثل: الطامة ومعناها المشيئة أو المفاجأة الشاملة، الصاخة = الضربة، الحاقة = الساحقة الكبرى، الحطمة = مكان القصاص، حور عين: الوجوه الجميلة، فردوس = دار الأبدية، وكلها كلمات مصرية قديمة.أما «كهيعص»، فالكاف تعنى كشف النقاب، والهاء تعنى انتبه، والياء تعنى لهذا، والعين تعنى «عبد صالح جميل»، والصاد تعنى يتكلم أو يحكى، فيكون المعنى العام لهذه الجملة: سنكشف لك النقاب عن سر من أسرارنا منزل إليك من السماء، أى من عند الله، فانتبه، إليك القصة الحقيقية «نحن نقص عليك القصص الحق» «المصدر السابق صفحة ٣٧، ٣٨»، فالمعنى المقصود هو القصة الحقيقية لميلاد السيد المسيح.

وأن يتعالى عليه ويستصغر شأنه أمام قومه والمصريين على حد سواء، فخرج على قومه فى زينته ومعه جنوده وأتباعه (٤٠٠٠) رجلا و(٣٠٠) جارية يرتدون أفخم الملابس ويركبون أزهى الركاب والخيل المزينة بالذهب والجواهر والمليئة بالحشم والخدم والمال. زهرة وزهوة الحياة الدنيا موكبه العظيم يتقدمه قارون الجبار ويمر فى شوارع المدينة والناس فى ذهول وحسد له، حتى وصل إلى حيث يجلس موسى مع أتباعه؛ فقال بعض أتباع موسى المحبين للدنيا:

- يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون .
- إنه لذو حظ عظيم.

وقال المحبين للآخرة:

- ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون.

فنادى قارون على موسى قائلاً:

- يا موسى لئن فضلت علىَّ بالنبوة، فقد فضلت عليك بالمال والرجال.. يا موسى لتخرجن فلتدعون علىَّ أولاً أو لأدعون عليك. [1]

فقال موسى:

- بل ادع أنت أولاً .

فرفع قارون قارون يديه ودعا على موسى:

- اللهم أهلك موسى

ولكن الله لم يستجب دعوة الظالم الجبار، ورفع موسى يديه ودعا الله قائلاً :

- اللهم مر الأرض فلتطعنى اليوم .

فأوحى الله إليه قائلاً : إنى قد فعلت .

---

(١) عن د.سعد عبدالمطلب العدل، صاحب كتاب «الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم»، تقديم أ. د. محمد رجب البيومى، عضو مجمع البحوث الإسلامية، فيشهد أن هذا الكتاب القيم قد أعجب به، لإخلاص الباحث وتوفره على دراسة موضوعه، وفرضية الباحث أن شرح ما يسمى بالحروف المقطعة مثل: «كهيعص» أو «الم» أو «آلمر» ليست حروف هجاء أو أنها أسماء للسور، إنما هى كلمات وجمل بلغة مصرية قديمة، بل هناك مدن فى الجزيرة بأسماء مصرية قديمة، مثل تيماء: معناها الأرض الجديدة، الحجاز معناها النور، خيبر معناها كئيبة، جبل حراء معناه أطلال بسبب النجوم، خطمة بمعنى الكنز، عرفات معناها بوابة السماء، أوس معناها الإدارة، ثقيف معناها معسكر، النضير معناها الملك، قينقاع معناها كتيبة من ألف حارس للملك، خزاعة معناها كتيبة من ألف موظف حول الملك.

فقال موسى للأرض:

- يا أرض خذيهم

فأخذتهم الأرض إلى أقدامهم، فصرخ قارون ومن معه:

- النجاة يا موسى النجاة أغثنا يا موسى..

ثم قال موسى للأرض :

- يا أرض خذيهم.

فأخذتهم الأرض إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم.. ثم قال موسى:

- يا كنوز قارون وأمواله أقبلى إليهم..

فدفعت صناديق الأموال والكنوز المحملة بالجواهر إلى رؤوس قارون وحاشيته وأتباعه فحطمتها ودفنتها، ثم قال موسى:

- يا أرض خذيهم هم وأموالهم .[١]

تفتح الأرض باطنها وتنشق كما يحدث مع الزلازل، ولكنه زلزال لعدة ثوان.. ليعلم الظالمون أن الله على كل شئ قدير، وأن الله هو الرافع الخافض، المعزل المذل، المحى المميت

وقال الذين تمنوا مكانة قارون بالأمس:

- لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا.. ويكأنه لا يفلح الكافرون.. ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر.

وقال المؤمنون الواثقون فى الله لهم:

- إن الدار الآخرة يجعلها الله للذين لا يريدون علوًا فى الأرض ولا فسادًا والعقابة للمتقين.

كانت نور هناك وهى تشاهد قارون، وهو يسقط فى باطن الأرض.. ارتجفت نور، مر موسى على رأسها فتوقفت ارتجافة جسدها..

وصل الخبر إلى فرعون جن فرعون وهامان.. صرخ فرعون:

---

(١) قال الدكتور أحمد المهدى استاذ التربية (٩٣ عاما) .. ان مشكلة التعليم فى مصر لن تحل بسبب السياسة التعلمية متخلفة وانه كتب تقاريرًا وخططًا طوال أربعين عاما ولا أحد يسمع ولايرى ..لامسئول ولا وزير ولا احد ...

- موسى ساحر.. علموه السحر [1] موسى قتل قارون بسحره وحصل على أموال قارون..

المصريون فى ربكة شديدة.. مع من يقفون؟.. فرعون.. أم موسى؟؟.. كثير منهم عندما يرى موسى يقول له:

- أنا معك وأؤمن بربك

وعندما يرى فرعون يقول له:

- أنا معك أنت إلهنا..

قلوبهم شتى..

(١) يقول د. نديم عبدالشافى السيار فى كتابه «المصريون القدماء أول الحنفاء» إن كلمة دين كلمة مصرية قديمة، وهى من «دى» أى خمسة + النون: أى شعيرة دينية قديمة، إذن كلمة دين معناها شعيرة دينية خماسية، أركانها ١ ــ التوحيد ٢ ــ الصلاة بالوضوء ٣ ـ الصوم، وهى كلمة مصرية من «صاو» أى يمتنع + م أى «عن»، ٤ ـ الماعون أى الزكاة، وهى من ماعو = بالمصرية قديمة أى الزكاة، النون شعيرة دينية أو ماعون، وأخيراً حج بمعنى الضياء، آز أى المتجه إلى، فتكون حجاز أى المتجه إلى النور، وهى كلمات مصرية قديمة، كما يذكر لنا أن كلمات حساب، آخرة، ملة، حنيف، ختان، كلها كلمات مصرية قديمة، وغيرها كثير.

أخرج من البرواز
أحشر نفسي في تابوت الاموات
أستغيث وأهرب من ذاتي
أصاحب أعدائي لأسلم من نفسي
ولكن
تغلبني نفسي وأرحل في سبات عميق
بين ألواح خشبية
أحلم بسرير ذي ماركه مسجلة عالمية
بمرتبه طبية
وعندما أستيقظ أرى وسادة خالية
أدون أحلامي أرى منمنمات لا أفهمها

الشاعر الروائى محسن سليمان - الشارقة

***

الضربة الخامسة للمصريين (القوم الفاسقون عبدة فرعون)

خرجت نور إلى الساحة شاهدت من بعيد موت المواشى للمصريين ورائحة لا تطاق فى البلاد.. إن فرعون يصر على عدم سماع دعوات الرب..

قالت إحدى الفتيات إلى نور:

- لا تنسين نفسك أنت إسرائيلية يعقوبية لك إله فى السماء وهو ضابط فرعون مصرى يعبد فرعون..

صاحت نور غاضبة:

- أنا من الإخناتونيين واحنا مصريين.. جدى وجد جدى مولودين هنا.. جدى اتجوز يعقوبية تؤمن بالله..
- المصريون العالم لديهم يا أبيض يا أسود.. يا إسرائيلية يا فرعونية.. أما مع موسى أو مع فرعون.. يؤمنون بإله موسى أو فرعون إلها..
- أبى لا يعرف كيف بعد يوسف ويعقوب يعود المصريون إلى عبادة إنسان وحيوانات وينسون الله.. كيف بعد إخناتون ينسى المصريون ذلك..

وبينما هما تتكلمان، سمعت نور صهلتين.. إنه برق الحصان الذى كلما رأها صهل صهلتين، إنه يحبها وهى تعلم ذلك ربما يحبها أكثر من محب الإنسان.. فى تلك اللحظة مر التاجر بنيامين من جوار نور قائلا:

- مساء الخير يا نور.. الوالد موجود؟
- نعم داخل البيت.
- شكرًا.

همس فى أذنها:

- هو الولد الضابط الفرعونى بيعاكسك.
- مين دا؟
- اهو واقف هناك اهه مش حاشاور عليه.. وماتبصيش عليه..
- أبويا بالداخل.. لا تخف على..

بنيامين تاجر ثرى كان المنافس الوحيد لقارون وهو رجل سمين، لديه القدرة على جمع المال من وفى كل شئ حتى الهواء، ويسمع كلام موسى منذ اختفى قارون بالمال فى باطن الأرض.

دخل بنيامين إلى داخل بيت كنعان..

قالت نور وهى تقترب من برق حصان محب..

- اذهب يا محب الآن لدينا ضيوف.
- ماذا يريد بنيامين؟
- لا أعرف في ماذا يريد أبى.
- أنا لا أطيقه.. هو رجل يعبد المال ويدعى أنه يعبد إله موسى.. هو خائف أن يلقى مصير قارون .
- أعرف والجميع يعرف.. هذا..

مشى محب وبرق حزينين..

قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : "ادْخُلْ إلى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ : هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الإسرائيليين : أَطْلِقْ شَعْبِى لِيَعْبُدُونِى. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأبى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ ، فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِى فِى الْحَقْلِ ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَبَاءً ثَقِيلاً جِدّاً.

قَائِلاً: "غَداً يَفْعَلُ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِى الأَرْضِ؟؟

ذهب موسى إلى فرعون وأخبره، وكان فى مجلس مع تجار مصر الكبار وقادة جيشه، وبينهم مينا قائد جيشه بعد موسى.. نظر له فرعون:

- متى يكف ربك أن يلعب معى؟؟
- إنى أبلغك رسالته..
- أنا لن أدعكم تخرجون من مصر.. فهمت؟

كانت ليلة عصيبة لا يعرف أحد كيف سيكون الصباح.. نام موسى مرتاحًا، ونام فرعون قلقًا.. أما المصريون كعادتهم الذين يؤمنون بفرعون لم يهتموا بشىء.. فرعون هو الدولة والقوة والإله وسيرتب كل شىء.. هرج ومرج وزواج وخطوبات وفرح، بينما راح مينا قائد الجيش ينظر ويراقب المراعى الخاصة بالجيش بتربية المواشى..

"الله لايعرف الهذر".. كلمة قالها كنعان إلى ابنته نور.. عرف المصريون المؤمنون أن الله سينزل غضبه على فرعون والمصريين الكافرين غدًا.. فى الصباح.. فعل الرب..

صاحت أم محب:

- يا محب أنقذنا
- ماذا يا أمى

- ماتت الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم.

صاحت الجيران والبيوت..

- جاءنا وباء ثقيل جداً.

كان المصريون الفراعنة الذين يؤمنون يصرخون ولكن الذين يجاورون الإسرائيليين شاهدوا عجبًا.. "إن الرب يميز بين مواشي إسرائيل ومواشي المصريين. فلا يموت من كل ما لبني إسرائيل شئ"

وعين الرب وقتاً فماتت جميع مواشي المصريين . وأما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد.

كان المصريون المؤمنون بفرعون يجرون إلى اليهود لشراء اللحم ولا يعرفون سببا لموت أبقارهم.. إنها لعنة من السماء ولكن أى سماء فهم لا يفقهون.. ارتفع سعر اللحم، ومشى المصريون بلا حمير.

اجتمع فرعون مع السحرة والأطباء.. القرار صعب؛ كيف يتنازل وينحنى .. النهر لا يغسل الذنوب، فكيف نتوب.. تدحرجت حجرة من سور البئر المقابل لبيت نور.. قام كنعان الأب وفتح الباب وجد أمامه محب وهو يمسك بالحصان برق. كان محب قد ترك الحصان عند نور وركب حصان آخر.. الآن مات الحصان الجديد.. عاد إلى برق الذى أنقذه الحب من غضب السماء، لو كان هناك لكان من الأموات.. اشترى محب لحمًا وبعض الأغراض من أرض جاسان..

جلس محب بجوار نور عند البئر.. اللحظات الجميلة فى الحياة قد تكون جلسة دون زهور.. قطع حبال الصمت ونظر لها:

- إن مصر تمر بأيام عصيبة..
- أنت مع من فرعون أم موسى؟
- فرعون طبعًا.
- أعرف.
- لنكف مناقشة هذا الأمر ..

جاء بنيامين فجأة فوجدهما جالسين، ابتسم بخبث ودهاء ونظر إليهما:

- كيف حالك أيها القائد محب.. أين أبوك يا نور.. نائم؟

نظرت له بغيظ:

- لا مستيقظ.. يا عمى بنيامين.

دخل بنيامين إلى الدار، وقام محب مودعا إياها..

- هل ستأخذ برق معك؟

- سيموت هناك.

قالت فرحة:

- إذاً أنت آمنت برب موسى ربنا؟

- سلام

- أجبنى..

تركها ومشى..صاحت:

- إلى متى تعاند أيها القائد؟ ..

مصر بلا مواشى.. بلا إبل، ولكن البعض فكر فى الرحيل إلى جاسان ليأكل دون تعب، ولكن المصريين أغلبهم عبيد الخوف.

عرف فرعون أن مواشي إسرائيل لم يمت منها ولا واحد. ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب.[1] استدعى موسى، وقال له:

- لا تنس أنك مصرى
- لم أنس..
- والمصريون الآن فى مشكلة.. لا مواشى لهم.. هل تقبل أن شعبك يموت جوعا؟
- لا ..
- إذاً سل ربك أن يعيد لهم المواشى
- الرب سألك أن تسمح لنا بالخروج.
- إذاً سأسمح.. سله أن يعيد لهم الأبقار والماعز والحمير والخيل.
- حاضر

خرج موسى من القصر..

أعلن فرعون للناس أن الوباء قد زال، وأنه غير الأمور، ولم يذكر رب موسى ولا موسى.. غنت الناس لفرعون.. وهللوا وكتبوا الأشعار..

---

(١) فاتورة الهاتف.. سأحاول غدا تدبير المبلغ.. الأمور ليست على ما يرام.. الله بيفرجها.. اتصلت بأخى عادل كى يدفعها، فقام بتسديدها.. اتصلت بى تهانى تلميذتى وبمثابة ابنتى الحقنى يا أستاذ.. زوجى محمود فى خطر ،أزمة قلبية فى العناية المركزة.. قلت لها: صل من أجله.. واقرأى القرأن فيه شفاء للناس.. كانت تنهار وصوتها دامى..

لا تقرب البحر مرة ثانية
ليس مقبولاً فى الأسطورةِ
أن تنجو مرتين
الشاعر سامح محجوب

***

بنيامين أحس بأنه الرجل الأول بعد موت قارون، وأنه يستطيع أن يكون وزيرًا أو أنه أهم رجال العصر..

قال بنيامين لكنعان أبي نور وهو داخل الدار، وهو يشرب العصير:

- اسمع يا كنعان.. آن الآوان لزواج نور..
- كل شئ فى وقته.. هى لسه صغيرة..
- لا صغيرة كيف؟ بنت ١٧ سنة وردة واتفتحت إنى أطلب يدها
- يد من؟
- نور.
- كم عمرك يا بنيامين؟
- ٥٧عاما.. الرجال لا يقاسون بالأعمار، وسأدفع لها ما تريد.. سأشترى لها بيتا.. قصرا من قصور رجال الفرعون[١]
- يا بنيامين.. خمسون عاما بينك وبينها.
- أربعون فقط.. لا تكبرنى يا رجل..
- دعنى أتشاور معها مع أمها.. مع الأهل.
- مذ ماتت زوجتى من عدة شهور وأنا وحيد فى البيت يا أبا نور.. الوحدة صعبة وأحتاج امرأة شابة تهبنى ولدا وترث كنوزى..
- دعنى أفكر..
- لا تفكر.[٢]

ألقى عليه مجموعة صرر من المال وأخرج عقدًا من الذهب وبه جوهرة..

- المال لك والعقد لنور.. قل لها إنه غالي جدا جدا..

خرج بنيامين.. لم يرفض كنعان ولم يقبل.. هل تورط؟

دخلت أم نور ونور الحجرة بعد خروج بنيامين، وجدوا المال والعقد وهو جالسا مشدوهاً صامتًا كأنه أصابه صمم..

- ما هذا ياكنعان.. هذا المال وهذا العقد؟

لم يرد.. قالت نور:

---

(١) قابلت فى الشارع اليوم جارى وصديقى المحاسب حاتم أكيد ويقف معه من الجيران المهندس محمد حمزة ورجل الاعمال أشرف حبل، لمناقشة تدهور الصيانة فى العمارة.. وقفت وشاركت قليلا وإعتذرت لعدم تكملة الحوار لظروفى الصحية..

(٢) نزلت إلى المقهى قابلت الناقد المذيع معتز العجمى والكاتب محمد عبد الهادى والشاعر محمد تعلب كاتب الخيال العلمى ورامى البكرى الكاتب حوار حول هم الوطن والإبداع ..

- ما هذا يا أبى.. .أجب على أمى.
- بنيامين يطلبك للزواج يا ابنتى..
- ماذا؟

دارت الأرض دورة ثم دورة وأغمى على نور.. صرخت أم نور:

- ابنتى..
- ....
- أعلم يا نور أنك تعشقين محب الضابط الفرعونى، بل وتهيمين به وجداً.. إنه كافر هذا المصرى الفرعونى، ونحن الإسرائيليون الإخناتونيون اليعاقبة المصريون الموحدون بالله لايجوز لنا الزواج من كافر..

واجتمع الجيران.. لا يعرفون حلًا وتفسيرًا لحالة نور.. هى فى غيبوبة.. لا ترد.. لا تتكلم.. لا تحس بأحد.. احمرت عينا أمها عليها من البكاء وانكسر قلب أبيها من الحزن.. قالت النسوة:

- أصاب نور الحسد.. (١)

وقال الرجال العجائز:

- عين شريرة

وقالت الفتيات:

- سحر وعمل.

علم بنيامين بمرض نور فهلع وذهب وجاء بالطبيب الفرعونى المرتفع الأجر والثمن؛ ليكشف عليها.. هذه فرصة حقيقية؛ كى يظهر فى الصورة أمام الناس ويزور البيت عدة مرات وينتشر الخبر أن بنيامين قد خطب نور بنت كنعان؛ فيبتعد الشباب عنها خوفًا منه خاصة الضابط الفرعونى الكافر محب..
قال الطبيب بعد الكشف:

- إن روحها متعبة..

قال بنيامين:

- لم أفهم..

---

(١) كتبت فى صفحة الفيس بوك..تفتكرى إنى من غيرك عايش؟.. الحياة بدون الحب غربة وتغريبة.. تبقى مراكب من غير بحر موضوعة فى الفاتارين.. تفتكرى وأنا الصياد الماهر من غير بحرك يا عروسة البحر.. ماذا أكون..؟ تعرفى إنى أشتاق للسباحة فى بحرك أغرق أهرب أطفو أسبح.. ماذا أطلب أكثر بك أكون أو لا أكون..

قال الطبيب:

- هو الحب.

فهم بنيامين اللئيم؛ فقال ضاحكًا بمكر:

- إنها لم تصدق نفسها أنى سأتزوجها المفاجأة كانت شديدة عليها.. ستكون زوجة أغنى رجل فيٍ اليعاقبة وبنى إسرائيل وقوم موسى.. أغنى رجل فى مصر.. ستسكن قصرًا.

مر يوم يومان ثلاث... لم تظهر نور من أربعة ، خمسة ، ستة أيام.. لم تظهر نور.. فى اليوم السابع دفع الشوق بمحب فذهب إلى دارهم بعد الغروب.. أيتها النجوم في السماء أليس لك قلب مثلنا احملى لها كل لحظة نبضة قلبى التى تقول أحبها.. أحبها.

دق محب الباب، ودقات قلبه تقفز خلف وبجانب الباب.. فتح الأب فوجده، فصاح مفزوعاً :

- الضابط محب.. خير.. ماذا جرى؟

- لا شئ يا عم..

لأول مرة لم يقل له محب يا أيها الاسرائيلى لأول مرة لم يقل له أيها اليعقوبى..

- خير أيها الضابط؟

- لا شئ فقط.. وقع شال ابنتك نور منذ أسبوعين، ووجدته وأريد أن أقدمه لها بنفسى فقد وجدته على الجسر..

مد يده بالشال إلى الأب..[(١)]

- هل من الممكن أن أقدمه لنور بنفسى

صمت الأب وأخذ محب يحدث نفسه.. هل من الممكن أن ألمس يدها أن أكحل عينى برؤياها.. هل من الممكن أن أجثو على ركبتى أمامها وأقول لها أحبك يا نور.. قال الأب:

- نور مريضة للأسف لا تستطيع أن تستلمه بنفسها.

- مريضة.. كيف؟؟

---

(١) هل تحبنى؟.. سؤال يواجهنى كلما غبت عنها ساعات أو يوم أو يومين.. اقول شاهدى حروفى وهى تخرج من فمى هل تحمل لك شوقا؟

- أمر الله.
- هل؟

صمت محب لم يكمل الكلام..

- ماذا أيها الضابط؟؟
- هل يمكن؟.. (صمت محب..)
- ماذا أيها الضابط؟

لمح الأب فى عينيه دمعتين واحتقان فى وجهه يكاد الدم ينفجر من وجه محب. قال الأب مشيرًا له بالدخول، لقد فهم ولكن لم يشأ أن يحرجه وأن يحرج نفسه. دخل محب الدار وأغلق الأب الباب، وسار أمامه ودخل غرفة نور، كانت ممددة فى الفراش والقمر ينام..

عند قدميها فى آخر السرير.. جثا وركع محب وأخذ يبكى عند قدميها، دموعا تنهار على قدميها..

- نور.. نور.. نور ما بك.. نور لقد أحضرت لك الشال.. نور..

وقف الأب فى ذهول.. هذا الفرعونى يبكى عند قدمى ابنته.. ارتبك الأب.. جذبه من ذراعيه لينهض..

قام الضابط محب وخرج فى الحال وعيناه تنفجران بشلال من الدموع، وخرج من الدار.. جلس على النيل يبكى..

الحب يدمرنا ويقهرنا ويسحقنا ويرفعنا ونموت ونحيا فيه ولا نحيا.. ونحيا بلا عظام بلا دم ولحم بلا أرجل وتصبح لنا أجنحة من نور وكائنات من نور.. بقلب محطم أهفو إليكِ بقلب مشتاق أشعر بالاحتراق لبعدى عنكِ بقلب يحمل كبرياء النبلاء والفرسان قمت بالانحناء إليكِ وأحاول أن أخترق قلبك أى اختراق بقلب لا يحمل الكراهية أغفو على صورتك وخيالك مع أنى فقدت ظلى أثناء البحث عنك بقلب المدن والفصول والماء والجذور، أحن إليك بقلب عصفور يطير فوق الحقول أبحث عن وردة لأهديها إليكِ...

راح محب يمدد ساقيه على النيل(١)

---

(١) كلما زاد الفساد شعرت بالرعب الشديد على الوطن.. مصر تضيع تحت أقدام المفسدين محاكمة مبارك مسخرة ..كأن كان هناك ثورة .. ماذا يجرى ؟ مصر تتفتت.. ١٨٠ حزب جديد ظهرت وأختفت .. ماذا يجرى فى البلاد.والعباد؟ هل من مجيب .

متى؟
أتنفس شفتيك
ورحيق صدرك
وأغيب فى غابات شعرك
وأفترش ذراعيك بستان غرام
متى ألمسك فتتحولين من أنثى إلى حروف أو من حروف إلى نور
متى أعربد مع جنونك تحت رذاذ المطر أو الدش أو العطر
متى كلما اشتهيتك رغبة وجدتك وجودا فى حياتى.. أنا رجل مهزوم بكل لغات العالم ومعك أيتها الأنثى أقاوم الهزيمة بقوة الله.. بسحر الحب.. من شفتيك، وأرضع من نهديك شراب مقاومة الغباء والحقد والخيانة
قامت شهرزاد وأطفأت ركوة النار.. وقالت لسهر وإلى هنا نتوقف اليوم من الحكايات..
بكت سهر، وهى تقوم دون كلام..

ياا بختهم كل اللي حواليك كلهم
واللي بتشوفهم عينيك الحلوة دي وتضمهم
واللي بتنادي عليهم ويسمعوا منك أساميهم
واللي جنبك يشتكولك همهم
ياريتني كنت ساعة إيديك
اللي فيها نبض قلبك واللي بتشوفها عينيك
وتمللي حاسس نبضها.. يااااابختها
ياريتني كنت مخدتك
اللي عليها تنام عينيك
وتحلم الحلم اللذيذ ويا الي انت تحبها ...يااابختها
ياريتني كنت مرايتك انت
اللي فيها صورتك انت
وتناديلك ياقمر لما تسأل رأيها
ياااااابختها

الشاعرة وفاء أمين

***

النساء الخليجيات
فى لوحات الفنان التشكيلى القطرى سلمان المالك

سلمان المالك فنان نشأ فى قطر وشرب الفن من النيل من عاصمة المعز لدين الله الفاطمى؛ لذلك حمل أصالة النيل والصحراء العربية ثم قفز قفزة أخرى إلى الأقطار العربية والدول العالمية بحثاً عن لغته وعن نفسه وعن هويه.. وهوية الفنان ليست بالضرورة هوية الوطن وهذه إشكالية أخرى فالفنان قد يصبح وطناً .. وعندما كتبت منذ خمس سنوات عن سلمان المالك وبحثه عن الدور الفنى من خلال الكاريكاتير والرسم بالزيت ومشوار البحث عن الذات كنت أحاول أن أشير إلى أهمية السؤال الذى يسكن سلمان المالك وهو من أنا؟ ولمن أرسم؟ ولماذا؟

سلمان من مواليد ١٩٥٨ الدوحة وعاش شبابه فى مصر الوطن الناهض المشروع والقومية العربية.. إن سلمان لديه لوحتان عن النساء:
الأولى بعنوان ثلاث نساء .. وهى على قماش.. والثانية بعنوان نساء، وفضاء اللوحتين بأسلوب تأثيرى ولكنه يضع اللون الأسود والأحمر والأصفر لكل النساء ولكل لون مكانه..

إن رؤيته ذات حزن خاص وفرح خاص وغضب خاص خليط من الفرح والغضب والحزن كأن الأنثى فى حياته تلك التوليفة السحرية لهذا المبدع.. إن الموقف الفكرى والثقافى والفنى لهذا الفنان يدفعه إلى اختلاق مساحات فى فضاءات اللوحة: إن الأسود إجلال للأنثى.. لم يترك اللون الأسود للمتشحات به من النساء أن يطغى تعبيرا عن الموقف الاجتماعى من المرأة المحاصرة، بل حاول أن يدخل البنفسجي وهو يحمل أيضا دلالة الحزن وأدخل الرمادى وأدخل الأصفر كلها تشير إلى الحالة للمرأة المحاصرة بالشك والحزن والقيد واللا موقف اجتماعى غير المحدد إن رؤى فنان فى عالم غريب خاصة فى لوحات سلمان المالك تتجسد.

إن رأس المرأة فى لوحاته قد اختفت ملامحها وصار الجسد أقوى تأثيرا وتواجدا، كأن الرجل العربى لا يهتم بها عقلا وهو تعبير عن الحالة

الذكورية التى تتعامل مع المرأة العربية الخليجية [1]

إن فنان فى حجم هذه الموهبة يعانى فى اللاوعى والوعى من أمور كثيرة أهمها مكانة المرأة التى تمثل لكل فنان عالماً إبداعياً غير منته.

(١) اتصلت بالدكتور الصديق جمال التلاوى تحدثنا فى هم مصر .. متى تفيق؟؟ متى سننهض.. اتفقنا فى نهاية الحوار أن مصر مشت فى نفق مظلم .. اتصلت بالدكتور الناقد مصطفى الضبع والدكتور الشاعر أسامة أبو طالب.. كنت أريد مع مثقفين مثلى ربما يقولون لى شيئًا من أمل..

من أوصلك
إلى هذا الحد
من الموت
حتى أنك
لا تصرخ
أو تغضب أو
تشكو
أو تهتم؟

شعر بهيج اسماعيل

***

ويسحرنى كحل عينيك.. فأكتشف أنك كحل النساء يا صغيرتى..

فتحى رضوان خليل، أخذ أجازة ثلاثة أيام عارضة، سيمضيهم فى البيت، بعد زيارته إلى أمن الدولة..

"تحتاج إلى الراحة.. رأيت الوطن يلبس جلباباً، ويجلس على المقهى يشرب شيشة ولا يسمع ولا يرى ولا يتكلم.. الوطن جائع يبحث عن أنبوبة الغاز ورغيف الخبز والفول.. وطنى لا يعرف الشعر إلا فى الغناء لا يعرف قراءة الكتاب إلا بمحض الصدفة، ويشعر بأن من يحمل كتابًا هو قمة الغباء.. وطن يحب الحياة ويتنازل عن كل شئ مقابل البقاء.. وطن يعيش على حافة الكرامة والإنسانية والكبرياء..

فى اليوم الأول من الأجازة.. قرأ فى كتاب أن المصريين فى الأصل هم غجر كما قال الغرب.. إنهم قبائل غجر أتت من آسيا ومن بلاد الفرس وغجر هنود من الهند، وأن أصل العرب غجر من جزيرة كريت.. جاءوا إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر.. غجر غجر.. أصل المصريين والعرب غجر.. بشر بشر بشر أصلنا كنا بشرًا وصرنا قرودًا الآن عندما آمنا بموسى وخالفنا حكم الله (كونوا قردة خاسئين)..[١] ومن لم يتحولوا إلى قردة شكلا وهيئة تحولوا إلى قردة سلوكًا إلا ثلة من المؤمنين من ذوى الحظ العظيم.. تزوج موسى من مصريتين الأولى ابنة فرعون، والثانية عندما عاد من الأردن (مديان).. تزوج سيدنا إبراهيم من مصرية السيدة هاجر، وتزوج سيدنا سليمان من مصرية، وتزوج سيدنا محمد من السيدة ماريا.. لماذا يحب الله المصريات وجعل ماريا والسيدة مريم والسيدة آسيا زوجة فرعون من أفضل نساء الأرض..

قال الخال على أبو زيد وهو يزوررنى وأنا ممدد على الكنبة [٢]:

- أنا شايف السادات أحسن ألف مرة من جمال عبد الناصر..

---

(١) عبد الناصر الجميل عميد المعهد العالى للفنون المسرحية.. كى يشترى خمس نسخ من رواية نسكافيه أساعد الناشر إسلام فى دار روافد كى يبيع ٣٠٠ نسخة كى يصل إلى بر الامان، قلت لم يخذلنى مع عبد الناصر، لكنه فعل هو الآخر خذلنى وهرب، وطلع مش جدع ..عادى خيانة المثقفين أمر عادى..

(٢) قرأت ان سيد قطب كان يحب التمثيل ومثل فعلا فى مسرحية، ولكن الغريب، الإخوان كرهوا التمثيل وأعلنوا على التمثيل الحرب..

قلت وأنا أجلس فى السرير:

- جايز يا خال..

قال:

- نفسى تكبر وتبقى رئيس جمهورية..
- ربما يا خال..

ضحك وقال :

- خليها رئيس وزارة.. أو وزير..

فى اليوم الثانى من الأجازة، قرأت كتاًبا وعرفت أن الملك الصالح أيوب، زاره ملك ألمانيا ضيفاً ومعه امرأتان جميلتان من الغوانى وأهداهما إياه، وبكى له وطلب مقابل هذا أن يحكم القدس ويدفع جزية للملك الصالح فوافق له الملك الصالح وأعطاه القدس. نفس الملك الصالح هو السادات ومبارك.(١)، وأثناء الضيافة كان المؤذنون يؤذنون الفجر حول القلعة فأمر الملك الصالح أيوب أن لا يؤذن الفجر لأن الضيف ملك ألمانيا ينام متأخراً وهو سكران فلا داعي لإقلاقه بالأذان.. وسأل الملك الألمانى لماذا اختفى الأذان؟.. قالوا أمر الملك الصالح أيوب حتى لا نزعج سموكم؛ فقال: أحب الأذان؛ فأمر الملك الصالح بإعادته مرة اخرى..

ألم يقم حكام العرب بالتوقيع على استغلال النفط العربى عن طريق مندوب أمريكى أو فرنسى أو أوربى يأتى ومعه العقود وفى الطائرة عشرة نساء من ملكات الجمال فى عالم البغاء، وعن طريق النساء توقع العقود بالمليارات.. العربى عامة والمصرى خاصة والإفريقى خاصة.. خاصة.. يبيع نفسه من أجل اللحم الأبيض المتوسط القوام..

قالت أمى:

- يا فتحى أنت مش رايح الشغل.. دا تانى يوم يا بنى؟
- الأيام صعبة يا أمى أنا اخدت أجازة عارضة ثلاثة أيام..
- طيب..

اليوم الثالث.. أمسك كتاباً وأخذ يقرأ، القراءة عذاب والمعرفة جحيم لأن من عرف اكتشف الظلام.. عرف فتحى رضوان أن الشافعية والحنابلة كانوا فى شجار أثناء

---

(١) على حسن ,, منذ سنوات لم اتحدث معه ..حوارات ..حول الشباب والذكريات ..قلت له مازلت شاباًا..

قدوم هولاكو إلى مصر وبغداد فتشاجروا على قضية الزواج وفى النهاية وافق الحنابلة على زواج الحنبلى المسلم من المرأة الحنفية المسلمة أو المرأة من أهل الذمة يهودية أو مسيحية، ولكن الشجار اشتعل بين القوتين.. ذهب الحنابلة واتفقوا مع هولاكو على أنهم سيفتحون له أبواب بغداد ليحتلها ويقتل الحنفيين، وذهب الحنفيون إلى هولاكو سراً واتفقوا معه على أن يفتحوا له أحد أبواب بغداد ليدخل سراً ليقتل الحنابلة.. وفتح الاثنان البابين وخانوا الأمة، ودخل هولاكو وقتل التتار أربعين مليون فى عشرين يوماً (وهل هذا الرقم مبالغ فيه)، وسقطت الخلافة، وقتل الحنابلة والحنفيون وغيرهم وغيرهم وغيرهم..(١)

جاء طفل من الشارع يدق الباب فتحت أمى:

- فيه واحدة اسمها ناهد عايزة الأستاذ فتحى واقفة تحت البيت.
- يا فتحى فيه واحدة اسمها ناهد واقفة تحت فى الشارع عوزاك.

قفزت بسرعة وارتديت ملابسى فى دقيقتين كما تعودت وكنت فى الشارع أمامها.

- انتى جيتى هنا إزاى وعرفتى العنوان منين؟
- إنت نسيت كنت ببعت لك وأنت فى الاتحاد كل مناسبة كارت معايدة وعنوانك كان معلق على لوحة الاتحاد.

ضحكت ومشينا..

- ايه اللى فكرك بيا؟؟
- لا أعرف.. ربما لأنى غدًا مسافرة للسعودية..
- للحج أم العمرة؟
- للزواج
- سعودى..
- لا.. مصرى.. انت حتستهبل.. ما انت عارف وقايلة لك.
- آه يا ناهد ما أعذبك حين ألقاك، ما أعذبك حين أسمعك، ما أعذبك حين

---

(١) لى اليوم الفنان غنام غنام (نجم من نجوم مسرح الأردن تأليفا وتمثيلا وإخراجا).. لو مصر نجحت فى الخروج من مأزق اختيار رئيس جمهورية ونظام سياسى مستنير غير متعصب دينيا مثل تركيا وإلا سترجع الأمة العربية خلفها إلى عصور الجاهلية. الدولة العثمانية والدولة العباسية الثانية ويبقى عليه العوض.. سألنى الحل إيه؟ قلت له الزم بيتك.. بيتك هو وطنك الآن.. الجهالة تسيطر على الشعب الآن ٩٩٪ نسبة الجهل..

أحاورك، ما أعذبك حين أنسى عمرى وحزنى معك، ما أعذبك حين تغسلين قلبى بعطر يدك، ما أعذبك حين أتنهد فأجدنى أتنهدك، ما أعذبك حين أبكى تنزل دموعى على صدرك رغم المسافات، ما أعذبك حين ألمس الماء ألمس شعرك الحريرى وأعشقك.. ما أعذبك.

- ولد بطل كلامك دا أنت عاوزنى أتطلق.. عاوزنى أتجوز وأرجع لك تانى بسرعة..
- اذا سمح لى أن اقبلك فى الشارع فى المقهى فى الحديقة فى ندوة سأفعل إذا سمح لى أن أضع رأسى على كتفك ركبتك صدرك وأحلم.. سأفعل.. إذا سمح لى أن أتوسد جسدك قلبك عقلك سأفخر إذا سمح لى أن أصير طفلاً أمسك كفك أرافقك فى كل الاتجاهات إذا سمح لى أن أصبح منديلك دفترك شجرتك عصفوراً وأحشاء شهوتك وشوارع نزوتك إذا سمح لى أن أتزوجك سأفعل الآن سأفعل الآن..

سرنا على الكورنيش.. حاولت أن أمسك يدها رفضت.. قالت:

- أنا عاوزه اتكلم معاك.. بس..
- بس..
- خير؟
- ليه عاوز تسافر زى.. انت بتحب مصر قوى ومصر محتاجه حد يحبها زيك.. طيب أنا حسافر مع جوزى وأنت ليه عاوز تهرب منها؟
- أين حضارة ٧ آلاف سنة التى يقولون عليها هذه كذبة.. كذبة ٧ آلاف سنة حضارة أين هى.. الحضارة ليست تماثيل.. الحضارة الناس والسلوك..
- ازاى تقول الكلام دا؟
- عارفة متى نقول احنا متحضرين وأصدق إن مصر أم الدنيا؟
- متى يا فيلسوف عصرك وأوانك؟
- أولا عندما أسير فى أى شارع أو زقاق ولا أجد زبالة على الأرض.. منذ أن فتح المعز لدين الله الفاطمى العاصمة الجديدة القاهرة وهى فى كل ركن زبالة وكل شارع، والإسكندرية والقرى والعزب والكفور والنجوع، وحتى الآن كلها زبالة والناس تعيش وسطها.. ٧ آلاف سنة لا نعرف كيف نحل مشكلة الزبالة؟.. أين الحضارة؟

- بس كده.. مشكلة الزبالة؟
- لم أكمل كلامى.. ثانيا عندما تجدين الناس تقف صفوفاً فى طابور الباص، ويركبون حسب الترتيب، ولا تجدى فى أى باص أو قطار شخص يقف دون مقعد..
- بس[1]
- لا لسه.. وعندما لا يقدم كل عامل أو فنى يده يطلب بقشيشا. وعندما تنتهى الدروس الخصوصية للتلاميذ التى بدأت من عهد الفراعنة، وعندما يختفى التسول، وعندما نعمل دون ثرثرة وإهدار الوقت فى شرب الشاى والغداء والصلاة.
- بس
- لا عندما يذهب الأولاد للمدرسة بالباص، عندما لا يتبولون فى الطريق وهى عادة منذ ألف وخمسين عاما.. عندما لا يلقون بالخبز على الرصيف وتجدين الخبز ملفوفاً فى ورق سلوفان عن طريق المكن وليس الأيادى القذرة.. عندما لا يلقون باللحم على الأرض المتسخة فى المذابح.. عندما لا يتبولون فى النيل ولا يغسلون ملابسهم فيه ولا يلقون مخلفات المصانع.. عندما يغسلون أياديهم قبل الأكل وبعده.. عندما يستحمون بانتظام.. عندما يتوقفون عن مدح أنفسهم بأنهم أحسن شعوب الأرض.. عندما يكرمون مبدعيهم ومفكريهم ويعطونهم أرقى المرتبات.. نحن متخلفون يا ناهد بل نحن مزبلة التاريخ الآن ولا نريد أن نرى ونواجه حقيقتنا.. لابد من الهروب من مصر.. سأسافر إلى الكويت عروس الديمقراطية العربية أو إلى دبى عروس المدن العربية المتحضرة..

مدت يدها أمسكت يدى ونزلت من عينيها دمعتان..

انعطف قلبى على روحك فزال همى قليلاً فوجدتنى فوق جبال النور أنعطف وحروفى تحولت إلى اللون الأحمر وتاريخ العبيد والعبادة والقهوة

---

(١) عندما تكلمت مع موسى زينل فى قطر عن صداقتى وحبى لمحمد الجاسم مدير قناة الجزيرة السابق قال لى موسى ماخدمكش ليه وشغلك فى قناة الجزيرة؟ دا مارضى يشغل بنتى فى قناة الجزيرة والجزيرة كانت لديها ٤ قنوات وكان بجانب هذا مديرا لتلفزيون قطر؟؟ لم أعرف كيف أرد.

السادة..[١] ما أوحشك يا مصر.. أيها العالم الآن أنا أنعطف مع وهج الإيمان غريباً .. آه يا بلادى تحول الصدق سجنا ومنفى والكذب طليقاً وحراً، صار الكذب هو الحضارة انعطف التاريخ والوعى بى فأخجل أن أقول أنا عربى أو مصرى ، أنعطف على العطف الإلهى لأسجد لله، أنعطف انعطافاً إلى المجهول السكون والاعتكاف والعشق حتى الانتهاء ..[٢]

ركبت ترام الرمل لتذهب ناهد إلى محطة سيدى جابر، ودعتها ملوحاً..

ستسافر ناهد إلى السعودية، وتسجن فى الجدران الأربعة.. وأنا أفكر فى الذهاب إلى الإمارات أو الكويت.. المصريون يهربون للخارج.. أفلح السادات فى تهجيرنا بالذوق..

كتبت رسالة إلى صديقى الشاعر المتميز المتفجر محمد آدم فى القاهرة..

صديقى محمد آدم الشاعر والشعر معاً..

وصلتنى رسالتك أنا فى دهشة.. كيف تقول إنك محبط ويائس؟... ألم تعرف حتى الآن أنك حتى ولو صرت ظلاً فأنت الظل العالى، وأنت هدير البحر إذا حبس البحر فى قصائد الشعراء.. يا صديقى الشاعر أنت فى بلد لا يحب العباقرة ولا العلماء ولا الحكماء ولا الشعراء.. ربما كان وجعنا من بلائنا بالجهلاء، وهو السبب أن الله اصطفى الشعراء بالشعر والحكماء بالحكمة والعلماء بالعلم والكتاب بالحرف النور وحرف الماء والهواء.. وأنت أيها الإنسان الراقى البهى الفكرة والتنوير.. لا تحبط.. إن ميلادنا يا صديقى فى بلاد مزدحمة فى طرقاتها الأدعياء والسفهاء والأقزام، فى بلد عذب الأنبياء وطردهم، فلا ضير أن يعذبونا ويعذبوا الشعراء والمبدعين.. إننا نحتاج إلى عصا موسى وهارون لنعاقبهم أو معجزة لنلقى بهم فى النيل ونأتى بشعب جديد.. ولأن الرب غاضب عليهم.. فالزم بيتك[٣]، وخط بقلمك نوراً، وبهاءً،

---

(١) قال لى عزيز خيون المخرج العراقى ونجم العراق: صارت العراق مو العراق كل شيئ ماله معنى وليس له مقام بدءا من عمائم الأئمة حتى شـرطى الشـارع... امام العراق وقت طويل طويل حتى ينهض ربما عام أو عامين أو أربعة أعوام أو أربعمائة عام.. كنت ضد ديكتاتور واحد وجدتنى أمام مئات الآن..

(٢) روايتك نسـكافيه أغرقتني بالحب والألم والحزن، ولكن رغم ذلك لم أرد الخروج منها... صباحك فرح الشاعرة إيلينا المدنى

(٣) بصراحة نسكافيه سحرتني.. أخذتني مني.. الشاعرة ايلينا المدنى

واطرحه علينا.. نحن أبناء الله واليتامى من المصريين الذين لم يعترف بنا الوطن، لكن بعضنا يكمل بعضا بآيات..

لك يا آدم كل حلمات النساء فاصنع منها ما شئت.. من حب وضياء لك وعليك السلام..

فتحى رضوان خليل
يا واحدتى الثورة
محظية
خانتنا فوق فراش
السلطان
وتعرت عن وطن
قد شاهت كل معالمه.
وتشوه فيه الإنسان

الشاعر أيمن صادق

***

الفصل (٣٥)
بعنوان
خذلتنى الأيام والأحلام

اليوم الرابع.. عدت إلى العمل.. قابلنى عادل شاهين مساعدى فى الإخراج فى قاعة توفيق الحكيم فى قصر الحرية.. [١]

- غبت ليه ياريس عن البروفات؟
- مريض.. البرد.
- سلامتك..

مر اليوم بطيئاً كئيباً.. أنا الكهل والكهنوت والكون والكروان، وأنا من عرى حتشبسوت وفلسفة السكوت، وأعرف سر الملكوت، وأنا من أذنب فى عشق النساء وتبرأت بحكمة الصلاة والسكون.. أنا الذنب والبراءة ولى فى المنفى قصر من الكلمات والتسابيح، وأنا على كتفى أوجاع كل العشق الجارح.. طوبى لنا لأننا نسينا الله وهو الرؤوف بنا والرحيم[٢]

اليوم الخامس.. لا أتذكر ماذا حدث ربما شربت عشرين فنجان قهوة وشاى وأربعة كابتشينو.. يختلط الشاى بالقهوة، ويظل طعم الكابتشينو يطاردنى.. ذهبت إلى مقهى على ترعة المحمودية وصليت فى مسجد الجمعية الشرعية الذى بناه أبى منذ سنوات..

اليوم السادس.. أمى قالت:

- ماذا بك.. شكلك حزين؟

---

(١) اتصل بى وانا فى الشارع بهيج اسماعيل صائحا فى الهاتف ماهذا التدفق الشعرى فى نسكافيه .. هذا شعر الرواية ..وظل يتكلم بحماس .. ملاحظة بهيج لايعجبه الكثير من الكتابات متمردا حتى على نفسه .. شكرته قلت له الفضل لك لولا أنك نصحتنى اكتب يومياتى مع لمى ما كانت هذه الرواية.

(٢) اسمع صوت الحزن فى صوت أمى انحسر..اسمع صوت الحزن فى صوت أبنى محمد فأنكسر...اسمع صوت الحزن فى صوت أبنتى غيداء فارتجف..اسمع صوت الحزن فى صوت أخى الدكتور رمضان المريض بالكبد فأندثر..اسمع صوت الحزن فى صوت صديقى الكاتب ابراهيم عبد المجيد عندما قابلنى على باب الاتيليه مصر رايحة فين قولى ؟ وصديقى الشاعر محمد أدم حين قال وماذا بعد اجبنى ؟ فأتبعثر مع قلبى أربعين جزءا كما اوزوريس ..اسمع صوت الشيخ محمد رفعت فأبكى واسال الله اللهم ارحمنى من هذا الحزن الكثير انى لا أحتمل ..لا أحتمل ..لا أحتمل

- لا شئ .

جلست أقرأ جزءا من الأعمال الكاملة لدستوفسكى ترجمة سامى الدروبى..

- اليوم الخميس..(قالت أمى)

- روح سينما.. غير جو.. [1] مادام مددت الأجازة ٣ أيام..

ذهبت إلى السينما تذكرت ناهد.. لن تنسى يا ناهد بقايا حروفى التى سقطت من ديوان أشعارى على شفتيك.. لن تنسى همسات يدى على شعرك وهى تعربد فى الصباحات والمساءات ورائحة وسادتى المبتلة بنز عشقى لك لحظة مطارحتك الغرام مرة.. لن تنسى رائحة سجائرى ودوائر رسمتها على سرتك ونهدك يحبل من لمساتى وينتصب راقصًا.. لن تنسى ستائر ألوانها بيضاء، زرقاء بلون السماء.. لن تنسى بقايا معادن نقدية سقطت من جيبى وأوراق كلينكس معطرة تركتها تحت وسادتك، وسأتذكر أنى عندما قبلتك فقدت الذاكرة وأنى حين احتضنتك وجدت وطنى، وحين ارتميت على جسدك تلاشيت فى جسدك وصرت نوراً، وسأذكر أنك موطنى وهوائى وخيمتى ومهرتى، وأنك فى الليلة الظلماء قمرى

اليوم السابع.. أمس دخلت سينما أمير وخرجت من منتصف الفيلم.. لم أعد أحتمل أفلام جيمس بوند. اشتريت سندوتشين فول من عند جاد من محطة الرمل .. ومشيت فى كوم الدكة حيث بيت ونشأة سيد درويش.

يا ناهد.. قلبى لايخطئ امرأة من نور مثلك أبدًا.. سأدغدك شظايا كوكب ونجوم أنثرها على العاشقين.. أنا الرائى وأنت المروءة والحنان..

---

(١) الحاسدين والحاقدين أنى كتبت ٧٢ كتابا فى المسرح وأنا اسألهم هل تعلمون كم كتابا ألف ابن حزم الآندلسى الذى اشهر كتبه طوق الحمامة ٤٠٠ مؤلفًا وذكرهم ابنه .. إذا انا قصرت فى التأليف لأن الحياة دار ابتلاء ووجع .. والسعادة نبحث عنها وسط كوم من الحزن.. فلا لوم

كي تتزوجي فنانا
أنت لا تحبين رائحة الطلاء
ولا التربنتين
أنا أعيشهما.
كل مرة تغسلين ملابسي
الملوثة بالطلاء.
رائحتي أيضا طلاء
وتربنتين.
لذلك تستديرين
عندما آتي قربك

الشاعرة لينا الطيبى

نحن الشعب الذى يبيع الهواء فى قزايز

فتحى رضوان خليل.. .

وبعض الهوى عشق، وبعض الهوى جنس، وبعض الهوى طهر، وبعض الهوى نجس.[١] كل شئ مباح فى الوطن باسم الانفتاح.. أشرب فى الصباح كابتشينو فى محطة الرمل بالإسكندرية فى محل البن البرازيلى فى شارع سعد زغلول. أشم البن والقهوة وأرى المحلات تتغير باسم الانفتاح.. الانفتاح جعل المثقف فى زاوية النسيان.. التجارة والشطارة والمهارة والفهلوة.. ولم لا.. نحن الشعب الذى يبيع الهواء فى قزايز.. ولقد أعجب هذا الكلام أولاد العم فى إسرائيل فباعوا للزائرين لبيت المقدس زجاجات بها هواء القدس الزجاجة بعشرة شيكل، والغريب أنها تباع.. ألسنا سذج وعبط ونكذب ونصدق كذبنا؟..

كان المجتمع المصرى ينقسم إلى أسوياء وغير أسوياء أجبر السادات المجتمع كله على أن يكون الجميع غير أسوياء سرقة غش بلطجة رشوة معظم الموظفين، لا نعمل إلا ربع ساعة فى اليوم ونهرب من العمل.. لمن أكتب؟.. أأكتب للملوك المشغولين عنى بلعب الإسكواش؟.. أم للفقراء المشغولين برغيف الخبز؟.. الحياة يانصيب وحظوظ نحن نعيش فى حياة أفضل من القرن الخامس عشر.. كل شئ حولنا تغير حتى الطبيعة.. الطبيعة أصبحت ساذجة بسيطة لا تتدخل فى صنع ثرى أو فقير، لكن الأثرياء دائما يسرقون جيوب وأحلام الفقراء بخدع ذكية. الذكاء والغباء، كلاهما ابتلاء[٢] الذين يملكون طاقات روحية هم ملاك وصناع المستقبل.. اليأس خيانة.. أحبوا هزائمكم وسيروا فى طريق النجاح والمستقبل مرة أخرى

قالت لى تهانى خطيبتى:

---

(١) عدت من صـــلاة الجمعة.. البيت صـــامت، لم أجد زوجتى فتحية تجهز القهوة لى ولا صراخ غيداء الصغيرة يا بابا شوف محمد ابنك عمل ايه؟ وشكواها ودموعها البريئة، ومحمد يصـيح يا بابا انت مدلع بنتك زيادة عن اللزوم.. ماتت فتحية رحمها الله فى ٧ ديســـمبر٢٠٠٦، وكبرت غيداء وتزوجت وأنجبت، وكبر محمد وتزوج وأنجب كادى. كل منهما فى الحياة بعيدا عنى.. البيت والدار خاوية إلا من الذكريات.. ليس معى إلا الله والحروف، والكتابة، وكتب القراءة..

(٢) أنا جرحى غويط ماله دوا، وأنا أدرى بجرحى يا حسرتى على يونس يا حسرتى على تونس .. مسرحية السفيرة عزيزة للكاتب المسرحى عبد الغنى داود..

- تفتكر.. إنك ستسافر إلى الإمارات ومش حتنسانى.
- الإمارات أرض طيبة.. بلد المستقبل.. كنا نكرهها أيام عبد الناصر بسبب الشيخ شخبوط.. وقدموا مسلسل إذاعى فى صوت العرب للهجوم عليه.. نحن الدولة الأولى فى العالم الذى لدينا جهاز إعلامى وأقلام تشوه التاريخ لأى شخص.. إعلام رائع.. هو الأول فى العهر والكذب.. لدينا جيش من القداحين والهجائين.. لدينا قوة ضاربة فى قلة الأدب وفى الوقت نفسه لدينا علماء عظماء مثل محمد عبده والشيخ شلتوت، ولدينا ثلة من الحكماء والعلماء فى الفقه والدين والجغرافيا، ولدينا ثلة من أقوى الراقصات والمطربات نحن أحلى شعوب الأرض فى المتناقضات.. المقدس يسير بجوار المدنس والكل على رصيف الحياة..
- انا خائفة يبهدلونا فى الإمارات..
- الإمارت الآن مع الشيخ زايد، وهو رجل صالح وطيب ويحب مصر والمصريين لا تخافى.. أنا عارف إن حكومة مصر الآن ليس لديها أي ميول اشتراكية ولا عدالة اجتماعية.. الشاطر من المصريين يخطف ويسرق الناس ويعيش.. التجار أعداء الله.. يسرقون أموال الفقراء.. كل التجار فى النار قال رسول الله عليه السلام بما معناه إذا دخلت السوق استعذ بالله من الشيطان لأن الشيطان هناك.. وهو حديث لايذكر كثيراً .
- الإمارات يقولون جميلة..
- نعم دبى أجمل مدن العرب فى الحداثة والشارقة أجمل مدن المعمار الإسلامى.. إن شاء الله خير..

قال لي حسن عقل:

- هل جننت تسافر وتترك مصر؟
- مصر الآن للصوص.. لا مكان للشرفاء هنا .
- ومتى كان هناك مكان للشرفاء فى مصر؟ وأنت تعلم يا فتحى يا خليل وتضع عصبة على عينيك.. حتى لا ترى واقع تاريخ مصر..
- ربما كان هناك حلم لى بأن يصبح للشرفاء مكان يا على.. كل المصريين يضعون على أعينهم عصبة حتى لا يروا كم تاريخهم قبيح، ويتمسكون ببعض المعابد والمساجد والكنائس..

قال صلاح أبو الكل:

- إذا مشيت من مصر وطلعت بره، سيستريح غنيم..
- الوطن ليس جميلا.. إلا للأثرياء..

جلست فى الليل أقرأ فى حجرتى، جاءنى الشيخ ابن حزم الأندلسى قمت وعدلت جلستى [١]

- سيدى زدنى علما..
- ألفت في الأدب كتاب "طوق الحمامة"، وألفت في الفقه وفي أصول، وشرح منطق أرسطو وأعدت صياغة الكثير من المفاهيم الفلسفية، وربما أعتبر أول من قال بالمذهب الاسمى في الفلسفة الذي يلغي مقولة الكليات الأرسطية.. الكليات هي أحد الأسباب الرئيسة للكثير من الجدالات بين المتكلمين والفلاسفة في الحضارة الإسلامية وهي أحد أسباب الشقاق حول طبيعة الخالق وصفاته أنا أول من قدم منهجا نقديا علميا في نقد العهد القديم
- تشرب شاى؟
- نعم..

خرجت من حجرتى وبهدوء عملت كوبين من الشاى..

نظر لى وهو يشرب الشاى:

- لا تتألم أنك تطلب التجديد فى الفكر فهم لا يفقهون..انظر ماذا قال بعد موتى العالم ابن القيم(هو منجنيق العرب أو منجنيق الغرب) وكانت الناس تضرب المثل في لسان ابن حزم، فقيل عنى: «سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان فلقد كان ابن حزم يبسط لسانه في علماء الأمة وخاصة خلال مناظراته مع المالكية في الأندلس، وهذه الحدة أورثت نفوراً في قلوب كثير من العلماء، وكثر أعدائى في الأندلس. تعرضت لفقهاء عصرى الجاحدين المنتفعين من مناصبهم، تمكن هؤلاء أن يؤلبوا علي المعتمد بن عباد أمير أشبيلية، فأصدر قراراً بهدم بيتى ومصادرة أموالى وحرق كتبى،

(١) اتصلت بالكاتبة الكبيرة الرائعة فوزية مهران.. سألتها هل مازالت سيدتى تكتب وتقرأ قالت نعم قلت لها الحمد لله اطمأننت عليك الآن.. فوزية مهران كاتبة تملك حساً إنسانياً رائعا، وهى رائعة المشاعر أرسلت لها الجزء الاول والثانى من روايتى قهوة سادة.. ظلمناها كلنا وكلنا مغشى علينا.. لانرى بعضنا جيداً .

وفرض علّى ألاّ أغادر بلدة أجدادى منت لي، وألا أفتي أحد بمذهب مالك أو غيره، كما توعد من يدخل إليه بالعقوبة..

- ماذا فعلت؟
- حرقوا كتبى.. أربعمائة كتابا..
- يا ويلى يا سيدى.. حرقوا لك أربعمائة كتاب..
- ماذا فعلت؟
- تألمت كثيراً، وهناك توفيت سنة ١٠٦٩م.

اختفى من الحجرة.. فتحت الكتب لأبحث عمن قال عنه فقال جلال الدين السيوطى: كان صاحب فنون وورع وزهد وإليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم.. أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر، وهو من قال ليس خلف كل بحر ظلمات ووادى الشياطين وهرقل وقال إنها خرافات، وتتلمذ على يديه توماس كيد الذى بلغ الغرب برسالة ابن حزم وشجعهم على اكتشاف العالم الجديد، وقامت رحلات الغرب واكتشفوا أمريكا واكتشفوا كل القارات الباقية.. وقال شيوخنا الرجل مجنون ومتهور قتله الجهل.. هل سيقتلنى الجهل والتعصب؟؟ أم أن رحمة ربى ستنقذنى من الجهلاء..

تأثرت كثيرا بما قال.. أردت أن أصيح بصوت عال: يا جهلاء يا أولاد الكلب تقتلون علماءكم وتنفونهم، وهم أحياء وتقولون إنكم عظماء..

اقتحم الخال علّى الحجرة وقال:

- البس هدومك.
- رايحين فين ياخال.[١]
- سيدى بشر . أنا وأنت وخالك محمد وأمك..

إلى سيدى بشر طوال الطريق كنا فى صمت ركبنا قطار سيدى بشر.. إلى أحمد عبد الجواد العفش، هذا الرجل الضخم الجثة الذى يؤجر بيتنا هناك، وأرسل لناإعلاناً شفهياً أنه لن يدفع الإيجار، وأن البيت أصبح بيته بالقوة..

---

(١) قالت لى الكاتبة فوزية مهران إن نجيب محفوظ اغرورقت عيناه عندما قال لها إن بناته لايقرأون مايكتب ..قلت لها أولادنا كلهم لايقرأون لنا ..نحن الكتاب فى غربة بين أولادنا والمجتمع الذى يعانى من امية ٨٠٪ من سكان الامة العربية هم الأميين..

لم يعجب الكلام خالى على وخالى محمد وطبعاً أمى التى كانت لها شخصية مائة رجل فى امرأة وهى صلبة قوية ذكية..

أمي بها ذكاء الأرض وهى أمية وتتابع الأخبار والأحداث وتحب اللغة الفصحى والشعر وتحب شعر زكى عمر والأبنودى وفؤاد نجم.. تجلس مع أى شخص وفى دقيقتين تجعله يحكى لها كل شئ عنه.. هل أمى أسطورة نساها التاريخ؟.. هل هى حكاية من حكايات أمهات عظيمات لا يعرفهن التاريخ الذى سكر ونام تحت فساتين شقراوات السينما وملكات الجمال، ونسى أن يكتب عنهن وأولهن أمى.. أمى صنعت من بساطة أرض البحيرة فى الضهرية وبحر الإسكندرية المتقلب العذب، بين الملح الضرورى للحياة ويود البحر وحنان الأرض.. تلك هى أمى..

سيدى بشر.. قطار أصفر اللون غريب حقير مع أننا ثانى دولة فى العالم أدخل بها الإنجليز، القطار فى عهد الخديوى إسماعيل.. ونحن أول دولة فى العالم فى القطارات الحقيرة الآن إهمالا وصيانة ونظافة وسرعة وخدمة.. كان الخديوى إسماعيل متزوجًا من إحدى عشر امرأة وعين عليهم امرأة وأسماها الشاويش، وكان عندما يسأل الخديوى إسماعيل يقال له أنت متزوج كم أنثى يقول أربع نساء..

يا سر الروح والعشق كلما اختليت بنفسى لحظات أتتنى ذكراك وطفت أبحث عن روحك مع أجنحة العصافير وأتمنى أن ألقاك..

عندما وصلنا إلى سيدى بشر عند البيت قال خالى على:

- ندخل البيت واحد واحد بعد كل شوية واحد عشان مايخدش حذر..

ذهبت أنا وأمى، فدخلنا، وقالت أمى:

- عاوزين الإيجار؟

قال أحمد عبد الجواد العفش:

- أى إيجار يا ست.. البيت بيتى.

دخل الخال محمد فى الشقة المواجهة لها، وقام بحفر حفرة فى الأرض، دون كلمة.. ارتبك أحمد عبد الجواد العفش.. صاح:

- بتعمل إيه يا أخينا؟

لم يرد خالى محمد[1] قالت أمى:

- دا أخويا.

دخل خالى على وأغلق باب البيت الرئيسى الخشبى للبيت بالترباس وصاح:

- اقتله يا واد يا محمد وأدفنه هنا.. لا من شاف ولا من درى.

صاح أحمد عبد الجواد وهو مرتبك:

- فيه ايه؟

قال خالى على:

- أنت عاوز تسرق البيت حندفنك هنا.. وحرامى مات وخلاص ما دام البوليس معاك..

كان أحمد عبد الجواد العفش كل يوم يذهب إلى نقطة شرطة محمد فريد فى سيدى بشر، ويدفع لهم براد شاى وسكر، الشرطة تتعاون مع الشعب ولم لا.. الشعب يخدم الشرطة بصمته على سرقة لص لبيت..

صاح خالى على:

- ادفنه يا ولد يامحمد.. ادبحه العجل دا.. اللى اسمه أحمد عبد الجواد..

صاحت زوجة أحمد عبد الجواد العفش، وهى ترتعد:

- احنا حنعزل ونسيب البيت بكره.

وبالفعل عزل وترك لنا البيت، وقدمت شكوى لوزير الداخلية شعراوى جمعة، وبالفعل تم التحقيق، ونقل ضابط الشرطة المتواطئ مع أحمد عبد الجواد العفش.. سيدى بشر قبلى السكة الحديد كانت صحراء جرداء شارع سيف.. شارع محمد فريد.. هدوء قاتل ناعم.. هجم الأعراب على الأراضى.. أبى اشترى قطعة أرض من الإيطالى دافنشى.. كنت أثناء كتابة العقد أجلس، دافنشى يرى الأرض تباع ويقبض الفلوس أحد رجال الحراسة التى فرضها عبد الناصر على الأجانب والأثرياء، كان دافنشى مشلول الذراع الأيمن وينظر

---

(١) قال لى اليوم فى الانيليه الشاعر سمير عبد الباقى أنا لى ١٧٣ كتاب اكيد فيهم ٧ كتب مهمة ليه النقاد تتجاهلنى؟ كان اســامة امين ريان كاتب القصــة يجلس معنا والفنان التشكيلى محمد الشربينى..قلت عادى فى مصر قتل المواهب أمر عادى.

للجنيهات التى يدفعها أبى.. أشفقت على دافنشى وأنا طفل..[1] الإيطاليون والألمان واليونانيون.. الكل يشعر أن الإسكندرية مدينته.. وأن مصر ملكه..

أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة
سقط الموت وانفرط القلب كالمسبحة
المنازل أضرحة
والزنازين أضرحة
والمدى .. أضرحة
فارفعوا الأسلحة
واتبعونى
أنا ندم الغد والبارحة

الشاعر: أمل دنقل

قصيدة سفر الخروج

***

(١) الشوارع قلقة جدا.. الناس لا تعرف ماذا تفعل.. انا خائف من انفجار حرب العصابات فى مصر بسبب الانتخابات بين شفيق ومرسى ، بسبب غباء الجميع

مصطفى عبد الوهاب

السياسة ١٤ يناير ١٩٨٢

مصطفى عبد الوهاب فنان تشكيلى.. عيناه آلة تصوير خاصة تتعامل مع العالم كشريحة زجاجية بها فجوة صغيرة تحتوى على قطرة من محلول وتحت عدسات ميكروسكوب مزود بآلة تصوير خاصة وعندما يكتشف العالم برؤيته الخاصة تبدأ يده فى التعامل مع الألوان وتتحول يده إلى يد سحرية فى عالم الفن للتعامل مع الكتل والجذور والأزمان والأصل والنسخ وكل الكائنات[(١)]

إن النزعة العقلية تغلب على أعمال مصطفى عبد الوهاب فالإنسان فى نظره حيوان عميق الأحاسيس فى الأداء.. هكذا يرى مصطفى عبد الوهاب هذا الفنان الدؤوب.. إن نتائج الفن والتجربة مضمونة لديه واحتمال الفشل ضئيل.. إن كل فكرة هى مشروع بحث عنده وكل بحث يبدأ صغيراً ومتواضعاً وبعده يصقل ويتطور إلى الأحسن دائماً بفضل الأفكار المتتابعة التى تلحق به والإضافات التى يأتى بها الفنان.

عرفت مصطفى عبد الوهاب منذ فترة التلمذة.. الحياة فى مشوارها الطويل "تضغط" وتغير وتبدل والهدف من ذلك أن الحياة تختار الأصلح وتحافظ عليه، واستمر مصطفى عبد الوهاب وسقط من جيله الكثيرون وسقط من جيله الطالح ليقضى على نفسه بنفسه.. أى أن البقاء دائماً للأصلح.. لم يترك مصطفى عبد الوهاب نفسه للفراغ، بل أخذ يطور نفسه فإنه يدرك أن العباقرة والموهوبين فى هذه الأجيال قلة قليلة.. فلماذا لا يصنع نفسه.. إن الفن موهبة ليست لكل من هب ودب.. سافر مصطفى عبد الوهاب إلى ألمانيا ليدرس ويقدم رؤيته وأعماله ويصبح "التكتيك" أكثر تطوراً فى أعماله وأكثر دقة وحساسية.. إنه فنان والفنان الصادق يكون فى صراع مع الزمن دائماً .

وفى العام الماضى حصل مصطفى عبد الوهاب على ميدالية ذهبية

---

(١) ذهبت إلى مجلة مسرحنا قابلت الشاعر يسرى حسان رئيس التحرير.. تحدثنا عن مشاكل المسرح ومشاكل الكتابة وسألنى أن أحضر له مسرحية لنشرها شكرته وشربت الشاى معه، ونزلت اشتريت كيلو منجة من شارع خاتم المرسلين من بائع متجول، وركبت ميكروباص إلى الطالبية ثم إلى شارع الترسا ثم إلى البيت.. الاطباق فى المطبخ مكدسة أحتاج لى مشاركة أنثى فى البيت، الزواج أمر هام..

من المعرض العام للفنانين التشكيليين فى الكويت، ويستعد حالياً للسفر إلى ألمانيا الغربية لإقامة معرض وإلقاء محاضرة عن "الضمير الألمانى المعاصر فى صيغة التشكيلية"، وذلك فى النصف الثانى من هذا الشهر[١].. إن الزمن كفيل بتقديم رجاله من الفنانين الصادقين....

---

(١) رن جرس الباب بينما أكتب، تركت الكمبيوتر وقمت، كان جارى الأستاذ أشرف حبل يطمئن على.. تصافحنا، حكى لى عن محمد ابنه الصغير وفوزه بميداليات فى السباحة؛ فرحت كثير بهذا.. حاولت أن أجهز وجبة للعشاء جبنة، خبز، زيتون، بيض.الحمد لله.

نزعم أننا بشر
لكننا خراف !
ليس تماماً .. إنما
في ظاهر الأوصاف .
نُقاد مثلها؟ نعم .
نُذعن مثلها؟ نعم .
نُذبح مثلها؟ نعم .
تلك طبيعة الغنم .
لكنْ.. يظل بيننا وبينها اختلاف .
نحن بلا أردِية ..
وهي طوال عمرها ترفل بالأصواف

الشاعر أحمد مطر

***

الفصل (٣٦)
بعنوان
أسرارنا فى شجر الليمون

سهر راحت إلى بيت شهرزاد، التى كانت مهمومة بما جرى فى القرية والجبل وقصة اختفاء زهرة وقاسم.. ياويلنا إذا بعنا أنفسنا للشيطان.. لا الأرض تتحملنا ولا السماء.. قالت سهر:

- ما بك يا خالتى شهرزاد؟
- إن الشر إذا دخل القرى.. انتشر كما تنتشر النار فى الهشيم.
- يا خالتى شهرزاد الشر موجود طوال الوقت وفى كل الأحوال..[١]
- يا حبيبتى.. هذه المرة الشر يأتى من فوق إلى تحت فيكون أقوى وأكثر دماراً..
- قولى لى يا خالتى ماذا فعلت نور ومحب؟.. وماذا فعل موسى وهارون مع فرعون وهامان؟.. هل بعد وباء المواشى؟..
- بلغنى أيتها الأميرة سهر أن الرب غضب على فرعون والمصريين الذين يؤمنون به إلها لهم وكانت..

---

(١) أمى اتصلت بى، وأخبرتنى أن أخى رمضان بدأ يعالج بالكيماوى من السرطان فى الكبد.. بكيت.. صليت. نزلت الى الشارع الى وسط البلد إلى الأتيليه قهوة البستان قابلت يوسف القعيد الروائى خارجا من ريش .. سلام سلام .. هو من الكتاب الجيدين وله رواية رائعة اسمها وجع البعاد.. فى داخل ريش يجلس مجموعة من النشطين السياسيين: عمار على حسن، وممدوح حمزة.. ذهبت إلى مقهى البستان المجاور..

راهبة الغياب
وغدا كما خزامى الليل تنبتين
وتحلقين في سماء الروح
مثل راهبة تغزل في الدير صلاتها
من رداء المساء
مثل فراشات تكتب في ليل النساك دعوة للتائبين
مددت لك حزني مستوحشا من نافذة الغياب
وانتظرت لعل نجمة ترتاح الآن على كفي
وكنت كمن يرسم صبحاً فوق تلال الوقت
وينتظر بزوغ شموس الدفء بعينيك
مضيت أحمل أوزار غيابك وحدي

الشاعر الروائى عدنان فرزات

***

الضربة السادسة أو الآية السادسة..

قال الرب لموسي وهارون :

"خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ ،وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أمام عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ ، لِيَصِيرَ غُبَاراً عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ"

لم يعرف التاريخ ولا العالم شعبًا يعاند الله مثل شعب مصر الفرعونى الذى يؤمن بفرعون، فلا الناس ترى العلامات والآيات فتؤمن بإله واحد هو رب موسى ولا هى تترك المؤمنين من الإخناتونيين والإسرائيليين اليهود يرحلون عن مصر مع موسى..

كانت الأمور ليست على ما يرام .. انطلق جيش فرعون والحرس الخاص فى إهانة المؤمنين بالله وموسى.. خطف وإغتصاب امرأة جميلة وهى تسير فى الشارع مع أهلها.. عدم دفع الأجور للعاملين.. يعذبون الفلاحين منهم ويستولون على المحاصيل..

فأخذ موسى وهارون رماد الأتون ووقفا أمام فرعون، وذاره موسى نحو السماء ، فصار دمامل بثور طالغة فى الناس وفى البهائم.

صرخ فرعون: أين السحرة؟.. أين العارفون؟

ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى من اجل الدمامل، لأن الدمامل كانت فى العرافين وفى كل المصريين. ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما..

نساء كثيرات من المصريات كن يبكين والرجال يخبئون وجوههم.. كل النساء والرجال المؤمنين بالله رب موسى وهارون ورب العالمين لم يصابوا بشىء ومواشيهم كذلك..

مازال فرعون وغالبية الشعب المصرى خلفه يرفضون خروج المؤمنين من مصر..

ذهب محب إلى نور لم يجدها.. دق الباب فتحت له أمها. شاهدت وجهه ملتفا؛ فهمت.. أشارت له بالدخول.. وإلى غرفة نوم وجد نور نائمة فى غيبوبة.. لم تسلم نور من ضغوط أمها فانهارت مرة أخرى

جلس أمام سريرها.. ابن ضال يأتى ليبحث عن يقين..

النهر يأتى إلى مصبه..

لا كلمات.. لا شىء.. شم عطرها ورحل، وللرحيل حزن دفين.. وبكى طفل الحب

فى تلك الليلة كلم الرب موسى :

- بَكِّرْ فى الصَّبَاحِ وَقِفْ أمام فرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إلهُ الإسرائيليين: أَطْلِقْ شَعْبِى لِيَعْبُدُونِى. لأَنِّى هذه الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِى إلى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدكَ وَشَعْبِكَ، لِكَىْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِى فِى كُلِّ الأَرْضِ. فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَاءِ، لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ. وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَىْ أُرِيَكَ قُوَّتِى، وَلِكَىْ يُخْبَرَ بِاسْمِى فِى كُلِّ الأَرْضِ؟

أغلب المصريين خلف فرعون لا يؤمنون بالله بل بفرعون إلها، وقليل منهم يؤمنون بما أتى به موسى من التوراة.. أصاب الله (المصريين والسحرة) بالدمامل والبثور، وعجز السحرة عن علاجها ولم يتعظ فرعون..

الغريب فى الأمر أن نور شمت رائحة أنفاسه فى دارهم فاستيقظت، وفتحت عينيها.. وفرح الأب فرحاً شديداً، ونادى على أمها:

- نور استيقظت فتحت عينيها..

قامت نور وتحركت فى البيت.. لم يحكِ أبوها لها أن محب جاء وزارها..[(١)]، وعندما أفاقت نور وجدت أن البيت به بعض التغيير من الأثاث، وبعد قليل دق باب البيت وجاء بنيامين محملا باللحوم والفاكهة؛ ففوجئ بأن نور قد شفيت.. قال لها وهو فرحًا:

- مبروك.. شكرا للرب على شفائك. أنا أحضرت لك أكبر الأطباء فى أرض مصر لعلاجك.. طبيب الأمراء الفراعنة..
- شكرا. يا عم بنيامين .
- لا داع لكلمة يا عم.. قولى بنيامين فقط.
- كيف أقول هذا وأنت فى مقام الوالد والعم.
- انا سأكون زوجك يا نور.

---

(١) اتصل بى الكاتب الصديق العزيز التونسى عز الدين المدنى بضحكته الطفولية..عز الدين أعرفه من أربعين سنة حدثنى عن نفسه وعن أحلامه ونصحنى بعدم الذهاب الى قطر وقال البلد ضيقة المساحة والبلاد الضيقة الاحتكاك بين البشر كثيرًا والحقد أكثر.. شكرته للنصيحة..

- يا عم بنيامين.. أنت فى سن أبى.
- أنا أصغر من أبيك بخمسة أعوام..

خرج بنيامين غاضبًا وخرج الأب كنعان خلفه ليجبر بخاطره.. قالت الأم هامسة إلى نور:

- الرب غاضب على المصريين الفراعنة وليس غاضبا على المصريين الإسرائيليين.
- ماذا جرى يا أم؟؟
- أصابهم الله بالبثور والدمامل كل وجوهم أصبحت مليئة بالبثور..
- يا ويلى.. محب!!

المصريون شعب الفراعنة يعاندون الإيمان بالله الواحد الأحد ويكفرون برسالة بموسى، وترى أكثرهم للحق كارهون، يعاندون فى كل شئ.. قليل من المصريين فى السر آمنوا بموسى، ومن أعلن إيمانه بالله صلب ثمانية آلاف ساحرا وعلقوا على المشانق وقطعت أيديهم وأرجلهم.. يا ويلنا.. لماذا أراد الله للمصريين الهداية من إخناتون وإدريس ويعقوب ويوسف وغيرهم حتى موسى.. إن الله يحب المصريين، ولكنهم للتوحيد محبون ثم ينقلبون ويكفرون..

ذهب محب إلى بيت الطبيب ليعالجه وهو فى حالة يرثى لها.. وجد الطبيب مصابًا فذهب إلى طبيب يهودى. لقد تحول وجهه الجميل الأسمر إلى شكل غريب، لكن نور تحبه وتعلم أن الدمامل والبثور فى وجه كل المصريين. أكرم الله اليهود المصريين إذ بعث فيهم رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلم أهل مصر الفراعنة الملحدين، وكانت التوراة - كتاب موسى - فيها آيات بينات وأحكام يحكم بها اليهود بما أنزل الله فيها من أحكام العدل والحق والهدى والرحمة وبياناً لكل شئ[1] وكان يسكن فلسطين

(١) حدثنى اليوم الكاتب الصحفى حزين عمر عن انتخابات اتحاد الكتاب فى مصر وتطرق الحديث عن جمال الغيطانى وسألنى ما بينك وبينه قلت لاشىءهو لا يحبنى مجانا وأنا أحب روايتيه حارة الزعفران والزينى بركات، ويكفيه هذان العملان.. قلت له سأنزل الانتخابات مع أنى سأسقط بسبب الشللية وأعتقد أن ثورة ٢٥ يناير لن تغير شيئًا.. إن الدولة العميقة ستستمر.. وسينجح سلماوى الذى كتب قبل تنحية مبارك: "مبارك سلمت يا مبارك" وسينجح المجلس القديم.. المصريون والعبودية المختارة، حتى فى المثقفين..

قوم جبارون عمالقة الأجسام ضعاف القلوب جبناء، يحبون الدنيا ويكرهون الموت إلا أن مظهرهم يخيف الجبناء مثلهم..

توقفت شهرزاد.. قامت سهر ..

***

فى بيت سهر.. مصيبة الأسرة، سوسن أخت سهر زوجها الطبيب قام بإجهاض فتاة خطيئة.. ذهب أبو سهر إلى دار البنت التى قتلها أبوها من العار، ولكن الأب أقسم أن ينتقم من الطبيب..

الأطباء والمهندسون سبب فساد البلاد والعباد وهم لا يشعرون.. الأب حاول أن يقنع والد البنت أن زوج ابنته الطبيب حاول أن يستر على فضيحة البنت ولم يهدف هدفًا شريرًا.. دار الكلام والمتى والقهوة والقيل والقال والأصول والواجب وتحدث الشيوخ والحكماء وقرروا فى تلك الأمسية:

أولاً: عدم قيامه بإجراء أى عملية جراحية أو غير جراحية..

كانت الشروط قاسية وكثيرة ومجحفة لكن أبو سهر حاول أن ينقذ زوج ابنته سوسن ..

كان كاظم يسير فى الشارع حين قابله راغب:

- على وين رايح استاذ.
- ما بعرف.
- تيجى معى نضرب حجرين معسل.
- آجى .

ذهب كاظم معه على المقهى لم يتدخل كاظم فى أى مشكلة تخص المختار أو ابنه.. كل ما يعرفه أنه أسير لدى هذه الأسرة.. مد راغب يده فى جيبه، أخرج مجموعة من الأوراق المالية ودسها فى جيب كاظم.. ارتبك كاظم، ونظر له:

- شو هذا؟
- مصارى وأنت زوج أختى وموظف .. والجيب واحد..

رفض كاظم .. وبإصرار (١)

---

(١) اتصل بى الشاعر ميسرة صلاح الدين .. ونزلت إلى مقهى شكرى قرأ لى مسرحية شعرية بالعامية.. ما أحوج مصر إلى هذا النوع من المسرح.. الشعب المصرى يعانى من الأمية والمسرح الشعرى ضرورة للتعلم ..

آه يا الزمن آمنت دائما بالفأل الحسن فى حياتى ومن المحتمل أن تكون هناك فؤول فى حياة الناس ولا يعرفونها.. نعم سأتحرر يوما من هذه الزيجة، وأطير إلى سهر، قد يكون حلما أو طيفا، ولكنه حلم أرويه لنفسى فى كل ليلة..

راحت فى هذه الظهيرة سهر إلى بيت شهرزاد، حكت لها عن زوج أختها سوسن وإجهاض البنت المخطئة وقتلها.. نظرت شهرزاد لها:

- وبعدين فى حكاية قتل البنات.. مايجوزهن الرجال اللى سوى هيك بالقوة بدل القتل والله حرام.. حرام.
- ما بعرف.. يا خالتى أبويا أنقذه.. ودفع مبلغ ديه كمان..
- يا ويلى يا ويلى.. الموت الموت، زى ما ربنا زعل على المصريين وفرعون
- كيف خالتى

لما رب العالمين غضب على المصريين وفرعون وهى موت الابن البكر فى كل أسرة مصرية حتى قصر فرعون نفسه ويروى أن موسى عليه السلام تعجب من إباء ومعصية وغبار فرعون ومن حوله من الأحرار والعبيد، الأغنياء والفقراء وهم يرون الآيات، فاستأذن موسى ربه فأذن له أن يدعو فرعون للإيمان بالله فإذا آمن أعطاه ملكاً لا ينزع وشباباً لا يهرم.. ويرد عليه لذة المناكح والمشارب والركوب فيفوز بنعيم الدنيا والآخرة، لأن فرعون كبر فى العمر وحكم مصر ٦٦ عاما، وقد هرم ولديه زوجات متعددات منهن بنات ملوك، وأصبح غير قادر على النكاح، وذهب موسى وعرض هذا العرض المغرى لمن كان له عقل وقلب سليم. وكاد فرعون أن يقبل العرض ويؤمن ولكنه أراد أن يستشير نائبه ورئيس وزرائه هامان. وأرسل إليه وقال له:

- يا هامان.. أرأيت ما يقوله موسى ؟

فأدرك هامان الخبيث أن فرعون راض عن موسى لأنه كان إذا رضى قال عنه قال موسى وإن غضب ناداه بالساحر؛ فقال هامان:

- وماذا قال الساحر يا مولاى؟

فقال فرعون:

- يقول إننى إن آمنت به وتبعته فإنه سيسأل ربه أن يعطنى ملكاً ولا ينزع

وشباباً لا يهرم ولذة المناكحة والركوب ويدخلنا الجنة فى الآخرة فما رأيك؟[1]

فقال هامان:

- وهل صدقته يا مولاى؟

فقال فرعون:

- ولم لا؟

فقال هامان:

- قد كان ظنى بك خيرًا من هذا.. تصير عبدًا يعبد الله بعد أن كنت رباً يعبده المصريون؟.. يا مولاى إذا أذنت لى أن نكتب له كتاباً نقول له فيه: "أيها الساحر مهما تأتنا من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين.

فقال فرعون:

- اكتب له يا هامان.. . اكتب وأرسلها له فى الحال.[2]

وجاءت آية جديدة فى كتاب عصيان فرعون وهامان إذ سأل فرعون موسى قائلاً .

- أين ربك يا موسى؟

فقال موسى:

- فى السماء..

فقال فرعون :

- إذاً سأريك ما أنا فاعل معه.

وأمر فرعون هامان أن يشيد قصراً وصرحاً عالياً مثل البرج ويشرف

---

(١) اخى الدكتور عادل حافظ ودعانى للجلوس مع صديقى الشاعر صبرى ابو علم والدكتور احمد الجويلى والشاعر جابر عصفور على مقهى شكرى فى سيدى جابر فى مساء شبه خريفى.. الإسكندرية مدينة شبه الغيم..

(٢) كل شيىء فى حياتى صعب أشعر باحباط شديد ورغبة فى البكاء شغلت الراديو وسمعت الأغانى عبد الحليم حافظ .. أحتاج الى امرأة الآن.. أنا من ذقت وذبت وعشت وتفانيت بعشقهن.. وتركنى الزمن على رصيف الذكريات.. من يسلبنى ذاكرتى غير الفقر والحاجة.. أريد أن أكتب ذكرياتى فى رواية، وهل سأقول ذكرياتى ام سأقول ذكريات إنسان آخر فرض على.. هل سأقول الحقيقة أم سأكذب وأقول ربما هى حلم حتى لا يحسدنى البعض.. ولا أعرف إن كانت تلك الذكريات قد أدعتنى وهى تخصنى؟ وهل شهود صدقها مازالوا أحياء؟ ومن هو حى سيتذكرها مثلى أم يدعى النسيان .. إن الذاكرة الموضوعية شيء غير موجود كما قال فللينى المخرج السينمائى.

عليه قارون وزير المالية؛ ليصعد فرعون من خلاله إلى إله موسىٍ فى السماء.. ثم أمر بإحضار قوس وأسهم. ودعا المصريين ليشاهدوا حرباً بين فرعون مصر وإله موسى. وتجمع كثير من الناس وصعد فرعون إلى أعلى البرج، وأمسك القوس والنبال وأطلق السهام فىٍ السماء فصعدت حتى اختفت بين السحب وعاد سهم منها إلى الأرض ملطخاً بدماء طائر لم يشاهده أحد. وضج هامان والناس فرحين مسرورين. وقال فرعون:

- يا معشر المصريين لقد قتلت إله موسى وهذه دماؤه.. يا معشر المصريين أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى؟

فصاحوا أجمعين: "بلى"..

فقال فرعون:

- أنا ربكم الأعلى ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.

فهتف هامان، والناس من خلفه..

- عاش فرعون ربنا العظيم.

هنا تغيرت لغة الحوار بين الإله المزعوم (فرعون) والإله الحقيقى (الله)....

لم يشفَ الناس من البثور فسأل فرعون، موسى وأخيه، أن يصليا إلى ربهما ليشفى الناس، فشفوا ما بين يوم وليلة رحمة من ربك..

***

قال الأب كنعان:

- يا أم نور لقد فكرت فى أمر بنيامين.. الحقيقة أنه كبير السن ولكن أيضاً كثير المال فهو بعد قارون، وأحياناً يقرض فرعون مالاً.. يا أم نور.. بعد عام أو عامين سأموت.. سترث نور كل هذا المال.. تستطيع أن تشترى ما تشاء من القصور.. كلميها فهميها إن حكاية الضابط الفرعونى محب لا تنفع؛ فهو كافر، والكافر لا يتزوج من مؤمنة .

لم ترد الأم عليه.. تركها وخرج.. خرجت نور من الحمام.. وراحت أمها تدهن جسدها بزيت الزيتون.. وقالت وجسد نور ممددا عاريا أمامها.

- يا حبة القلب..
- نعم يا أمى..
- محب.

التفتت نور وجلست القرفصاء أمام أمها ووضعت الفوطة على جسدها العارى

- ما به محب يا أمى؟
- كافر.
- أعلم.
- والكافر لا يتزوج من مؤمنة.
- أعلم يا أمى.
- وشاهد آيات ربه، الآية تلو الآية، التى أتى بها الله لموسى ولم يتعظ ولم يؤمن ولم يفهم
- سيفهم يا أمى.. أشعر أنه اقترب من باب الإيمان..
- بنيامين.. رجل ثرى جداً جداً.
- انا لا أعرف لماذا لم يرجع أبى له أمواله وعقد المجوهرات؟.. أنا لن أتزوج بنيامين يا أمى.. وإلا سأشكو أبى إلى نبى الله موسى أو نبى الله هارون..
- لا تدخلى الأنبياء فى تفاهاتنا..

لم تنم ليلتها نور، وحاولت أن تقابل محب فى الصباح عند الساقية، اقترب منها كطفل وهو يمسك فى يده لجام برق.

- صباح الخير يا نور
- صباح النور.. إلى متى يا محب فرعون يتودد إلى موسى وهامان ويعده مرة اخرى بالخروج، وأن يسأل الرب أن يشفى شعب مصر فيفعل موسى وهاورن و... ويخون فرعون الوعد[1] إلى متى تراه يكذب ولا تقول الصدق؟. إلى متى ترى آيات الله ولا تقترب من الله؟.. إلى متى؟ مات الابن البكرى لكل أسرة مصرية كافرة برب موسى مؤمنة بفرعون ولم يتعظوا..

ركب حصانه دون كلمه ولكز بقدميه برق، فانطلق الحصان.. صاحت خلفه:

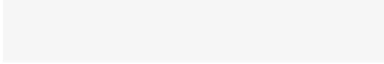
- إلى متى لا تجيب الله.. الله فى السماء، وأنت تراه بقلبك.. إن

---

(١) قال لى الصحفى محمد عبد الجواد أن ما قاله لى السادات وحسنى مبارك أثناء توليتى مسئولية رئاسة وكالة انباء الشرق الأوسط لمدة ٢٥ سنة لو كتبته سيهز الدنيا لكن لا أستطيع أن أقوله.. قال السادات عن مصطفى خليل رئيس وزراء مصر دا حمار سنة تفاوضه مع اسرائيل فى كامب ديفيد حول سعر برميل البترول.. هو عاوز ٢٨ دولار وهم عاوزين ٢٦ ما يحسبها خسرنا كام وحنكسب كام لو سلمنا الآبار لهم ؟؟.. وقال مبارك عن جيهان السادات: المرة دى ما احبش تدخل فى أى حاجة، كانت مرات الرئيس السادات والسادات مات خلاص.. ومبارك هو سبب مقتل على حمدى الجمال.. جعله ينام فى فندق درجة ثالثة فى نيويورك هو ومحسن محمد، وليس فى نفس أوتيل الرئيس فالضغط ارتفع للجمال، فدخل (بار) وطلب مياه فمات.. حسنى قال مش أنا السبب.

حبك يجرى فى دمى.. آه لو تعلم كم أحبك أيها الغبى.. الله يهديك.. الله يهديك لنا..

بكت نور.. وسط غبار الحصان الذى انطلق بجنون..



وليس الأمام أمامي
وليس الوراء ورائي
كأن يديك المكان الوحيد
كأن يديك بلد
آه من وطن فى جسد!!

محمود درويش

***

الفصل (٣٧)
بعنوان
أنا وطن الفقراء.. أنا وطن الحب وأنت وطنى

سكتت شهرزاد . وقالت إلى سهر:

- اذهبى الآن إلى بيتكم أمك ستقلب الدنيا.
- أكملى حكاية روحى الثانية نور مع موسى.
- غداً يا بنت الناس..

حملت سهر حقيبتها وخرجت.. من بعيد لمحها أبو الريش الدرويش.. جرى نحوها..

- عريسك وصل من الإمارات أمس
- بعرف.
- بتتزوجينى بدل الرحيل والسفر ووجع القلب يا بنت الناس..

ضحكت كالأطفال.

- لا.. بعد نتيجة الثانوية العامة..

مشت.. اقترب العريس وموعد الزفاف والسفر إلى بلاد الذهب والنفط.

"أمر على بابك أترك مناديل لبكاء النساء اللائى خدعهن الحب وأشباه الرجال.. أمر وأزرع على بابك زهور حنين وحنان.. أنا رجل لا يخون من يحب.. (كاظم يتلوى فى الفراش).. أنا رجل يمر فى لحظة فيزرع فى قلب ألف أنثى لحظات حنين وحنان.. فى الفراش وحيدا لأن قلبى انكسر..بت أعرف أنك لى من الأحلام فلا أعرف متى أستيقظ ومتى أنام ، وأنام دون قصد من الأحزان.. أنا لا ألوم أحدًا ولا النساء، بل ألوم القمر الذى خطف منى الفرح ذات مساء منذ أعوام..

"أنتظرك على بابى تحملين ياسمينة وكتاب وقطعة شكولاتة وتدخلين فى أضلعى ولا تخرجين.. جهزت حقائبك للرحيل للحب لى؟ هل فردت أشرعة الروح لتحضرى وتنثرى على بيتى الوجود والفرح والجنون؟ هل قررت السفر لى دون استئذان ودون خوف ودون قلق.. قل أعوذ برب الفلق الذى خلقك قلبك ووجهك يشع فى ألق..

أعرف يا سهر أنك بدمى تمشين وتلعبين وتلهو يداك بقلوب الرجال وتتمايل صورتك على رموش الرجال المنكسرين، وتلتف حروف شفتيك على رقاب الرجال البلداء الجهلاء المنشقين عن قاموس العشق، وبجهلهم يتباهون.. أعرف أنكِ فى دمى تسيرين، وحين تتعبين تشربين نسكافيه على شريانى التاجى وتغنَين لفيروز، وفى قلبى تختبئين من مطر الحنين.. أنا بقايا وطن، وهزيمة فرسان فى عصر الخصيان، وأنا لم أنحن يوما لسلطان، وأنا دولة رجال حاصرها المثقفون الخونة وعملاء الأنظمة و ماسحو أحذية السلاطين بقصائدهم وطبولهم الخرساء..

أنا سندباد الذى كسر مراكبه ابتلاءٌ وراء ابتلاء، وأنا أخطأت فى كل يوم بظنى أن البشر التى تسير فى الشوارع برؤوس حيوانات هم بشر.. أنا لا أعترض على القدر ولكن الموهبة جريمة فى بلاد تكره العلماء والنابغين والشرفاء.. كرهت الشعر والثقافة واخترت أن أكون معلمًا أحفظ الدروس وعقول الطلاب فارغة، وحقائبهم فارغة.. قهرنى ميلى السرى للقراءة وعلوم التاريخ والأنثربولوجى.. آه يا شهوة الكتابة التى فقدتها.. قال دانيل بنكاك الكاتب العالمى: أمراض النحو تعالج بالنحو، والأخطاء الإملائية تعالج بالتمرين على الإملاء. الخوف من القراءة بالقراءة.. غياب سهر عن الفصل يجعل الفصل والمدرسة والكون غير مريح..

كاظم اتجه إلى بيت شهرزاد، دق الباب فتحت وجدته أمامها، رحبت به:

- أهلين أستاذ..

انفجر فى بكاء كالأطفال:

- إنى أحبها يا شهرزاد..

دخل من الباب وجدها أمامه..

- سهر إنى أحبك.. ولا أستطيع العيش بدونك..
- سيدى إنى أحبك.. أنت الحب الوحيد الذى أحببت، لكن الله قدر كل شئ.. أنت الوسيم الرقيق الأستاذ الإنسان الشاعر.. أنت تزوجت وردة ، وأنا سأتزوج منقذ... (بكت سهر)
- سأطلقها وأتزوجك وأسافر معك أى مكان.
- يا سيدى.. يستحيل، هى حامل منك، وستصبح أباً.. أنا لن أنساك

أبدًا ولن أنسى أنك أول من قبلتنى، وقبلتك مازال طعمها فى فمى..
ركع على ركبتيه.. أمسك يدها وأخذ يقبلها..

- قم أستاذ.. أرجوك لا توجع قلبى
- قولى كاظم.
- قم كاظم..

ابتسم والدموع على خديه شاعرا بفرح طفولى، وخرج من البيت.. دمعتان سقطتا من عينيها.. أعطتها شهرزاد منديلا..

راح كاظم إلى بيته.. فتح الباب وجد وردة جهزت عشاءً فاخرًا، ووضعت على المائدة شمعتين، وشغلت الريكوردر لأغانى فيروز وكتبت على الحائط بورق الزينة "كل سنة وأنت طيب يا حبيبى.. عيد ميلاد سعيد".. ضمها فى أحضانه بقوة كأنه يريد أن يدخلها قلبه لتخرج منه سهر وتحل محلها.. ليلتها كانت أصابعه تعزف على جسدها برقة مهزومة..

راحت شهرزاد تحكى عن ابن خالتها حامد الصقر الذى أرسل لها خطاباً من فنزويلا وأنه قادم إلى الشام بعد ٢٥ عاما، وكان يحبها وكان وكان..

كاظم.. أصبحت وردة حامل.. أصبح مثل كل الازواج يأكل يشرب ينام يضاجع بحرص لأسباب الحمل.. يذهب إلى العمل.. يعود من العمل.. وينام.. يستيقظ ليصحح الكراسات.. هل الكراسات تحمل أحلام التلاميذ أم قرفهم ومشاكلهم؟.. هى عناوين حالاتهم النفسية والاجتماعية.. إنه يشرب الملل برفق إلا عندما يتذكر أو يرى سهر..

"فى ظنى أن الرجال أصبحوا ندرة فى زحام أشباه الرجال، فى ظنى أن النساء الاستثناء أصبحن قلة وسط زحام أشباه النساء، فى ظنى أنى أبحث عن مدينة فاضلة، أو من رحم ربى من النساء، ومن اصطفى ربى من الرجال.. اللهم أكرمنا وارزقنا ببشر حقيقيين.. كلما التفتُّ فى الطريق أقابل كائنات أشباه بشر.. فى ظنى أنكِ أحلى النساء يا سهر، يا عمرى وفى يقينى أنك نور عيونى التى أرى بها الجَمال فى تلك القرية.."

كاظم سعيد بعدم ذهاب وردة إلى المدرسة والسبب أنها حامل، وسيرى سهر براحته أثناء الامتحانات، وينظر لها نظرة يذوب منها الحجر..

"آه ياسهر.. أعرف أنى أسيطر على روحك، وجسدك يرحل لى كل مساء، ينتفض اشتهاء الملامسة.. آه يا سهر.. أنتِ شهوة تنتشينى كلما نسيت النساء وخطفنى عشق الوطن.."

وردة وضعت عيونا لها فى المدرسة لتحكى لها البنات عن نظرات كاظم إلى سهر وهمساته ولفتاته.. هل الغيرة حرام أم حلال؟.. شقاء أم نعيم؟.. الغيرة ابنة شرعية للحسد..

كاظم يحدث نفسه دومًا.. ليس الأمل إذاً مستحيلا.. لابد أن تستوعبى حبيبتى حركة القلب والحب فى القلب، مثل الشمس والقمر، حرارة وبرودة لا شئ ثابت فى العالم.. صوتى ليس صوتًا واحدًا، ويداى على جسدك لا تعرف إلا الاندفاع بحنان، وتعرف أصابعى مساراتها وأين من جسدك تكون؟.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. أحيانًا أرى عينيك يا سهر خضراء، ومرة زرقاء، ومرة بنية، ومرة نبية، ومرة شقية.. ليس الأمل إذاً مستحيل ستأتين لى إن شاء رب العالمين بخطوات رهيفة لتستمعى قصصى ورواياتى الخيالية والرومانسية والواقعية.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. البعاد والتردد نار وجحيم وعدم التضحية فى العشق فساد المفاهيم، وعتمة النور واليقين.. ليس الأمل إذاً مستحيل.. أتصور أن قدومك بات مسألة وقت لا غير. كأنى أعرفك وحملتك فى يدى لحظة مولدك عارية، وهمست فى أذنك ذات يوم بأني سأعشقك، ورفعتك للسماء، وخطفت لك قمرا؛ فكنت قمرا للكون ولى عشقا خفيا كأنى أعرفك.. رأيتك زهرة ياسمين فنفخت فى روحك باسم الله فكنت أنثى الإناث ما أروعك"

كان كاظم فى شبه جحيم فكلما شرد وهو يتابع التلفزيون صاحت وردة ضاحكة:

- وين راح عقل الأستاذ؟
- ولا شئ.
- وين شردت؟
- ما فى حدا غير الأهل.. فى الظروف فى دمشق الفيحاء..

فى أفكارى حالة بين الحسم والتردد.. أريد أن أحبك يا وردة.. أحبك أكثر وأكثر فأغرق.. لماذا حبك على حذر من فوق حافة العشق يا وردة؟ قلبى مع سهر وقلبك معى يا وردة.. ماذا أفعل بالله عليكِ خبرينى يا بنت الناس..

أحاول أن أحبك.. أحاول جاهدا.. أعطنى فرصة لأتخلص من حب سهر لا تضغطى علّى.. يا بنت الناس ارحمينى.. كلما ضاقت بى اللحظات تذكرتك يا سهر..

وليس من الضرورى أن أشعر بالوقوف والصعود والقعود، وأنتِ يا سهر شموس وليل ونهار ونبرات وطبقات.. سبحان من خلق النساء قرينَة الجمال واندفاع للحياة، وليس من الضرورى أن أقول إنى أتأمل حركة الكون والثابت والمتحول وأعرف أن الحب متعدد النبرات وحبك عواصف ورياح وصواعق، وليس من الضرورى أن أقول أنا بالرومانسية مفتون ومن عينيك أعرف الجنون والعواطف والمبادئ النبيلة.. لك المساء ولى الأغنيات الحزينة"

كانت وردة تختار أحلى الملابس خاصة ملابس قمصان النوم، ولابد أن يظهر الثوبٍ فتنتها الطاغية النادرة، ففى سن ١٧ سنة يكون للنساء سحر ليس سهلاً..

فى كل مرة كاظم يقبل وردة يعيش فى خياله مع جسد سهر؛ ليكمل النكاح.. ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى مجنى عليه منك ومن الناس ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى بالغواية أنفقت العمر بين رفاق السوء من الأصدقاء السياسيين والصحافيين، ولهم فى الجهل علامات، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى فريسة لجمال عينيك وأنك الحضور والأوبرا والمنزلة الأعلى من السطور، وأنكِ التضاد ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أن النساء بلاد بعضها مبان شاهقات عاطِرات، وبعضها شوارِع وأزقة عفنة حقيرات، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أنى بالكتابة أضبط الحياة وأجد هويتى وأجد تفسير اختلاط الأشياء، ولعلى فى حاجة إلى تأكيد أن العشق توتر جميل ومعك توتر لذيذ..

فى الطريق إلى المدرسة ذاك الصباح قابل كاظم سهر والعصافير التى تطير فوقها.. نظر لها.. كانت سهر تسبقه بخطوات.. سار خلفها كأن روحها تشده بحبل من نور.. أنتِ تثيرين فى عقلى براكين تقذف لؤلؤاً من روحك.. آه لو تزوجتك؟.. ماذا سأكون؟.. ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك دوما فى بالى ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك تغارين.. وأنا رجل لا يحب أن يقسم قلبه بين اثنتين الآن.. لأننى رزقت بنور فى نفسى من الرحمن، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك منديل أحزان ومدن التمدن والحرية وأنت سيدة الحرية لا العبودية،

ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك تكرهين جهل وكبرياء الرجال الأجوف ونفاق الرجال المتخلفين، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك المكاشفة والملاطفة والمبادئ وميزان القيم والمبادئ، ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك السلطة العسكرية والروحية وفلسفة الرائى والراوى وعدالة للعصاة فى العشق.. ولا أحسبنى أغالى لو قلت إنك حلمى تجسد فى أنثى حقيقية وليست فى خيالى.. ولا أحسبنى أغالى لو قلت.. وقلت وقلت

التفتت خلفها فجأة وجدت الأستاذ كاظم ابتسمت ومشت:

- صباحو أستاذ كاظم..
- صباحو سهر.. أول يوم امتحانات الثانوية.

ود لو يسير بجانبها.. ود لو يمسك يدها، لكن المجتمع.. الناس، هو معلم المدرسة وهى تلميذته..

"حينما ألقاكِ أعلن أنك دولة مستقلة لا يحكمها ولا يسكنها إلا أنا.. هل عيب أن يحب الأَستاذ تلميذته؟"

يتأرجح قلبه على خصلات شعرها، وهى تتطاير، وهو يكاد يجمع دقات قلبه المتبعثرة هنا وهناك.. ترى كم دقات قلب لأناس آخرين فى طريقنا ملقاة على قارعة الطريق ولم نشعر بها؟.. إن الإنسان أكثر المخلوقات ظلمًا وغشمًا وجهلاً..

آه يا سهر.. أبحث عنى عنك.. الحب حقيقة رائعة.. ودواء الروح المعذبة..

قررت سهر الذهاب إلى الإمارات بعد الامتحانات.. بلاد النفط حلم الشباب العربى.. بالأمس جلس منقذ فى صالون أبي سهر، وسأله أبو سهر:

- وهل يا ترى.. بلاد النفط تحب العرب؟؟

أجاب منقذ:

- والله عمى.. السياسة دائما تحكم الموقف.. إن السياسيين يخرجون على الإعلام بكلمات: "سوريا الشقيقة".. "مصر الشقيقة".. "المغرب الشقيقة".. والحقيقة شئ آخر.. الكل عبيد عند السيد النفطى، والسيد النفطى عامة يشعر أنه القوى العفى يملك المال والعيال إلا من رحم ربى من المثقفين النفطيين فهم معارضة وينحازون للفقراء والعدل، ويعاملون العرب برحابة وحب.. إذا صدمت سيارتك سيارة خليجى فتأكد أنك دوما أيها الغريب

مخطئ.. إذا وقفت فى البنك الخليجى يدخل أولًا دون طابور.. والطريق دوما للخليجى، يعنى تفسح له الطريق ليمر(١).. ترى إلى أين ستأخذنا الأيام فى الخليج وأين سنمر؟..لكنها مريحة، ومرتباتها مجزية جدا.

اتفقا على عمل حفل خطوبة كبير، وبعد ظهور النتيجة تتم الدخلة. وسفرها..

(١) استمعت فى التلفزيون الآن .. فى عهد عمر بن عبد العزيز سمح لعشرة من اليهود الصناع العمل بجانب الصناع العرب فى بناء بيت المقدس، وعندما انتهت خدمتهم حصلوا على مكافاة.. معظم من بنى الكنائس فى مصر فى الفتح الإسلامى عمال ومهندسون مصريون مسيحيون.. وفى عهد هارون الرشيد سمح هارون الرشيد ببناء كنائس للمسيحيين، وأوصى معاملة المسيحيين معاملة حسنة..

وكأس على شفتي
ينوح بعشق
يداك ترتعش على خصره
تغريه الانتحار
ورغبة أقرؤها بعينيك
تسكرني دون خمر
يسافر إليك كلي
بحقائب شعر حروفه من قبل

الشاعرة إيلينا مدن

قراءة في لوحة

للفنان السعودي سعيد العلاوي

كل هذا العشق للمكان

سعيد العلاوي من مواليد جدة – السعودية.. وهو واحد من جيل الوسط، وهو يحمل عبء تغيير وتهيئة الأرض المعرفية بالفنون التشكيلية وهو مغامر وجرئ ولا يدعي في فنه.. إنه صادق جداً ، ويحاول جاهداً من خلال بيت الفن أو بيت التشكيليين في جدة أن يدفع بالحركة التشكيلية إلى الأمام ونحن الآن أمام لوحة له:

"إن الفنان عندما يشرع في رسم اللوحة تكون في مخيلته فكرة عامة عن بناء لوحته بالتكوين الذي يتناسب مع الموضوع، فإذا كان يرسم من الطبيعة مباشرة سواء كان ذلك منظراً طبيعياً (طبيعة صامتة أو حية) فإنه يلتزم بدرجة ما بما يراه أمامه، من حقه في أن يعيد صياغة الطبيعة علي لوحة وفقاً لرؤيته الفنية الخاصة.. والفنان إذا كان يرسم في مرسمه بأسلوبه الخاص غير خاضع لحرفيه الطبيعة فإن عبء بناء اللوحة سيتحمله وحده حتى وإن كان يرسم من عجالة سكتش مأخوذاً من الطبيعة"(١)

سعيد العلاوي عندما يشرع في رسم لوحته فهو خارج كل قوانين الرسم سلفاً فهو لا يخضع لأي قانون محكم حتى تتحقق كل القواعد الفنية التي يجب أن تتوفر لنجاح العمل، إن القواعد غير المدركة إدراكاً واعياً عند سعيد العلاوي ستكون كامنة في مخيلته في اللا شعور وتنطلق من توافق زمني مع إمساكه بفرشاته.. إن سعيد العلاوي شاعر أيضاً فهو يصف اللوحات بشاعرية فيرسم باللون والكلمات، وعند رسمه للبيوت نجده يسعى إلى عمل معين ببناء خطي فيكفي أن نري خطوطا لنرى أنه قد حقق إيقاعا جمالياً.

نحن أمام لوحة ١٠٠ × ١٠٠سم من الجريلك، على قماش إنتاج سنة ١٤٠٠هجرياً .. إن إحساس سعيد العلاوي بالرقعة ١٠٠ × ١٠٠ سم تحت تأثيرها هندسياً كان أو غير هندسي، منتظمة أو غير منتظمة متمكناً ، حيث نرى الشكل في لوحته متناسقاً متوازناً متنوعاً .. الشكل واللون والملمس والتون (الفاتح والداكن)، مما يجعلنا نتذوق الإيقاع الذي يحدثه في التنوع. إن العلاوي يحاول أن يقدم شكلاً يميل إلى المدرسة التكعيبية، "والتكعيبيون

يلجأون إلى إعادة ترجمة الواقع من خلال تفكيكه وإعادة تصنيعه وفقاً لنقاط تركيز محورية وتثبيت الاهتمام وتوزيعه بصورة ديمقراطية على السطح، تمرد على الواقع المنظور واستبداله بقواعد بديلة للتعبير بالظلال والمونوكرومية، الاعتماد على الشبكيات المنتظمة للتكوين كعامل لتوحيد الشظايا المكونة للتكوين، وتطور اتجاه التسطيح اللوني – الملامس.. والسطوح في لوحة العلاوي اختزال للتفاصيل والتعويض بإضافة ملصقات واقعية كأنها رؤية ليلية بين النزوع إلى التجديد التشويه مع ترك قيمة واقعية أو ما شابه [٢]

إن سعيد العلاوي ينتمي إلى المستقبلين، والمستقبلون نوعان:

(١) الطرف الأول عقلي برنامجي .

(٢)الطرف الثاني يتميز بالنظرة التلقائية واتباع الإحساس الداخلي.

وسعيد العلاوي بين الطرفين وإن كان يميل إلى الطرف الثاني الأكثر تلقائية واتباعا للإحساس، والجزء الأول يميل فيه إلى حركات التجريد والبدائية والمستقبلية الهندسية والفن البصري والتركيبي.

سعيد العلاوي يقول إنه ينتمي إلى المدرسة التجريبية، ونحن نرى أنه لا يميل إلى مدرسة بعينها بل يميل إلى المدرسة المستقبلية كما ذكرنا سابقاً، ولننظر إلى رأيه في المدرسة التجريدية:

"إن بعض الفنانين التشكيليين والفنانات التشكيليات في وقتنا الحاضر إلى الأسلوب التجريدي في أعمالهم ويفسرون أعمالهم تفسيرات أبعد مما يتصورون أو يدركون ماهية التجريد؟؟ مواقف صعبة هم في غنى عنها، فالتجريد لا يأتي من فراغ بل هو نتيجة تجارب وخبرات طويلة يمر بها الفنان خلال مسيرته وحياته التشكيلية.. والتجريد في الفن التشكيلي هو: التخلص من آثار الواقع الذي نعيشه ونعبر عنها بشكل رموز ودلالات ذات معاني واضحة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالواقع، وأحياناً يوحي لنا الرمز الواحد إلى معان وأشياء كثيرة ومتعددة مما يتولد لدينا مشاعر وانطباعات متعددة وعديدة وأكثر ثراء.. وحتى يدرك الفنانين ذلك لابد من الوقوف على بعض الأعمال للفنانين الذين سبقونا في هذا المضمار لتكوين صورة واضحة أمام أعيننا، وعلى سبيل المثل تذهب أعمال الفنان "هنري ماتيس" أو الفنان "بول سيزان" أو الفنان "بيكاسو" أو "كاندينسكي" وغيرهم إلى صفة العموم فتشاهد الرموز تشع بالمعاني والأحاسيس؛ فالمرأة يتخذها "هنري ماتيس" مثل أي امرأة في

أي مكان وزمان، والشجرة المجردة ليست كالشجرة في الواقع وكذا الكرسي والمنضدة والمزهرية وغيرها كثير، فالفن لا يقاس بمعيار الواقع وإنما الواقع يقاس بمعيار الفن".

العلاوي أمامنا مشحون بهذه البيوت والأمكنة التي في جدة كأنه جمع هذه البيوت من عدة أماكن من جدة ومن القرى التي حولها ومن ذكرياته وصباه وشبابه عندما كان في صباه.. إنه من جيل حمل الهزائم الوطنية والقومية علي ظهره جيل ثورة يوليو، هذا الجيل الذي تأثر بكل الشر علي المنطقة وكبر في عهد الملك عبد العزيز هذا الرجل الذي لو قرأنا تاريخه قبل قيام ثورة ١٩٥٢ ووقوفه مع الحركة التحررية والثورية والمقاومة الشعبية في مصر لاكتشفنا أن قيمته الوطنية الفطرية كانت عظيمة نابعة من إحساسه العروبي.

إن سعيد العلاوي استخدم الألوان المتعددة، البني بدرجاته، وتون اللون البني في درجات مختلفة وغير مبتذلة ومتزنة، ومعها الأحمر والأزرق الفاتح وكلها تجتمع بقدر يتوازى مع بناء اللوحة، فالأحمر على استحياء ولكنه موجود واللون البني، بتون مختلف.. واستخدم الشعبيات في هذه اللوحة منها:

(١) النوافذ الشعبية القديمة وكل نافذة تمثل اتجاها.
(٢) الأبواب الشعبية القديمة المختلفة .
(٣) قبة المسجد القديمة .

سعيد العلاوي هو أحد فناني المملكة المجتهدين، وبإصرار يعمل فهو ليس أولهم وليس آخرهم إنه في الصف الأول قد يكون في أي رقم منه لكنه واحد من فناني الحركة التشكيلية العربية الجادة.

---

(١) هبة عنايت – الدليل إلي قراءة اللوحة – مجلة المحيط الثقافي – عدد ٣ يناير ٢٠٠٢ .
(٢) د. مصطفي الرزاز – الفنان المعاصر والعلوم الحديثة – صفحة ٦٤ – المحيط الثقافي – يناير ٢٠٠٢ .

نجاةٌ الصغيرة
تحن الفتاةُ إلى نبضةٍ في الوريد
تسيرُ على هواها
لتكتبَ شعراً لا تغنَّيه
نجاةُ الصغيرة
ولا تهتفُ بهِ في خدروهنَّ
الصَبايا
وتفتحُ ليلةً مابعد ليلةٍ
وترسمُ على كلِّ ثغرٍ جميلٍ
كارثةً مدّويةً وآية

قصيد: سهير المصادفة

***

الفصل (٣٨)
بعنوان
الوطن غريزة طبيعية؟ مكتسبة؟ مرض؟ اووهم؟

حفل خطوبة فتحى رضوان خليل وتهانى

تهانى.. لابد أن نتزوج.. إن حاجتى لأنثى طيبة تكون أمى وصديقتى وأختى وحبيبتى وعشيقتى ولبوءتي..

فتحى خليل.. يأسرنى أولئك الذين يحبون بلا خوف من العواقب وينفعلون بلا حيطة ويكرهون ويحبون بلا تعقل، وأنظر بإعجاب إلى المشاعر البسيطة وإلى السلوك الذى لا يأبه بالمضاعفات. لم أتعلم قط أن أكون غير مسئول. ولقد وضعت نفسى دوما على الانحياز للفقراء والثوار.. إن ٩٠٪ من حياته كان فقيراً.. مستوراً.. بالكاد حاول أن يجمع مصاريف حفل الزفاف، وبشكل متواضع.. لماذا حددت موعد حفل زفافك يا فتحى بعد سفر ناهد بأسبوع؟.. انتهت الامتحانات.. تخرجنا من الجامعة.. ناهد إلى السعودية وأنا إلى الإمارات..

فاتن حزنت.. إنى سأتزوج من امرأة أخرى..

فاتن بنت تاجر ثرى..

أنا من أسرة فقيرة..

لابد من الزواج وإعلانه.

موائد.. قاعة بسيطة.. زهور..

تهانى فى شكل رائع..

الجميع سعيد.

نحن نتزوج كى نضاجع النساء شرعياً.. نتزوج كى ننجب أطفالا عندما يكبرون يصبحون غرباء عنا.. نتزوج لنستقر ونبعد عن الشيطان.. نتزوج لنعرف سر الجنس والانجاب.. نتزوج حتى نهرب من بيوت أهالينا.. وبعدها ننجب أطفالًا تكبر وتهرب منا..

عقد القرآن.

المأذون.

الزغاريد

بعد الخطوبة واللف على موائد الضيوف للسلام والتحايا، عادت تهانى إلى بيت أبيها وأمها أصر أبوها على أن نكتب الكتاب عقد القران حتى لا يسأل الناس لماذا يحضر فتحى رضوان لزيارتنا.. أما ليلة الدخلة مؤجلة.. إعلان الخطوبة أمر هام .

العرّافة
خطّ... خطّان ...ثلاث
وربّما ندبة من الصغر
وبقايا حبر قديم
هذا كلّ ما أرى ,
فلم ، لَم بكت تلك العجوز الغجريّة الخرقاء
حين بسطّت في حضرتها كفّي

الشاعر/ كمال العيادي القيروان
***

فرح سهر
الضحكات
الفرح الحقيقى الوهمى..
الزواج هو الاستقرار ضد الفوضى..
لن تتزوج سهر إلا بعد إعلان نتيجة الثانوية العامة وتسافر إلى الإمارات بعد أسبوعين..
فى قاعة فى الجبل.. القسم اليمين من القاعة للرجال والقسم اليسار للنساء كعادة أهل الجبل.. غداً..
بكى كاظم فى حمام قاعة الفرح لسهر.. تمنى أن تكون هذه ليلته على سهر.. جاء منقذ من الإمارات بآماله وأحلامه ليخطف سهر.

راغب حزن وسكر.. سوسن فرحت.. العصفور ظل طول الليل على نافذتها لم تحضر مبكرا بكى .عادت بعد حفل الخطوبة إلى بيتها وعاد كاظم إلى بيت أهله.. إعلان الخطوبة أمر هام..

هكذا ..
دققت في عينه وتداً ..
وفي قلبه وتداً
وحين صاح أنا الماء
نبتت على رأس السكين وردة
وفتح الموتى مظلاتهم
الغابة
رأيتها عارية
معلقة من شعرها في الجحيم
يداها تتأرجحان في كل يدٍ أربعة أحجار
والخامس عصفور ميت
كان خصرها محترقاً لكنه أخضر
ثدياها متفحمان لكنهما أخضران

سمر دياب- لبنان

***

فتحى رضوان.. يركب الطائرة لأول مرة..

كان علّي الذهاب إلى الإمارات بحثا عن شقة، عن ثمن سيارة، عن القدرة على مساعدة إخوتى على التعلم للبحث عن وطن أكثر أمنا، لأن مصر انقسمت إلى دولتين: دولة فقراء، ودولة أغنياء، والطبقة الوسطى قد محيت بسبب الانفتاح.. لقد ألقى السادات المال على الشعب فسبحوا باسم سموه المؤمن والفاهم والحدق والسياسى، ومن شتمه أو خالف رأيه فهو قليل الأدب أو كافر، ويسجن، كما ألقى جوهر الصقلى أربعة مليون دينار ذهب على المصريين فى الشوارع فتحولوا إلى المذهب الفاطمى الشيعى فى الحال.. الإمارات هى بلد أمن وأمان، الشيخ زايد رجل طيب ويحكم شعبه بالود والتفاهم.. قالوا له إن الإمارات أطيب شعب فى الخليج، لكن الحصول على فيزا أصعب من الدخول إلى الجنة.. لكن الله رد كيد العوازل وحصل على فيزا ووصل إلى الإمارات.(١).

قبل أن أحضر إلى الإمارات بشهر عقدت قرانى على تهانى.. تهانى جميلة بسيطة كموج بحر الإسكندرية.. المطار كله هنود فى دبى كأننى فى نيودلهى.. لا يهم.. لماذا اخترت تهانى، وهى ليست أجمل البنات التى أعرفها؟؟ ولا شئ بها سوى بحر الطيبة فى عينيها الجميلة ورقتها الرائعة وعذوبة كلمة حاضر يا أستاذ.. إنني اخترتها لأنها اختارت أن تبيع حريتها لعبودية الرجل الشرقى التى تسكن أعماقى.. نزلت للسكن إلى حوش عربى.. كتبت رسالة إلى تهانى، قبل وصولها إلى الإمارات..

تهانى.. زوجتى..

لا تلومينى، تعودت القعود فى بيت الحكمة.. الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى وأرى العالم فى غير ثبات، وأشعر أني قد استغنيت عن جميع الموجودات وأحياناً أدعي أنني نسيت عطر النساء، وأفسر وجوب الخالق لكل الأشياء وأستوعب قوانين التغير والتطور والأحياء وكل الكائنات.. أنا من الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض وفوائد العشق لحواء أنا

---

(١) جاء صبى وليد المكوجى يحمل ٦ قمصان قلت له أعطيتكم ٧ قمصان اتصلت بالمعلم قال لى لا ٦ .. دققت فى الأمر كانوا ٧ سنبحث يمكن راح لزبون خطأ.. اختفى القميص لم يعد.. آسفين يا بيه.. سامحته.. الشجار من أجل قميص غير مجد ونوع من العبث ..

مدن ليس لها ميناء ولا أشغل نفسى بالدنيا دينا أو مدنية، فالله فى كل الأشياء دنيوية ودينية، وأنا الشيخ المستنير وأعرف طعم الكلام والاصطدام والانتقال والاتصال ودهشة الطفل فى داخلى حين أرى مطر الشتاء.. اكتشفت أني أحبك كثيرا يا تهانى فى هذا المساء..

زوجك فتحى رضوان خليل.

انتظرتكَ
ولم أسمع لخُطاكَ نُواحاً بين حجارة قلبي،
ولم أسمع قلبي البلا خُبز يستغيث
انتظرتكَ من أجلِ الانتظار فقط،
من أجل فحمِ الأَرض وجُوع السماء ،
من أجل تزيين قلوب الموتى
على العتبات،
ومن أجلِ سرقة الورد من ذاكرةِ الأيدي

شعر: أمل نوّار - لبنان

***

هربت من ناهد حجازى، وتزوجتُ من تهانى؛ ربما لأنها ثريةٌ وأنا فقير هربت من ناهد، بل حاولت أن أهرب من حبها، واتهمت الحب أحيانًا بالباطل وقسوت عليه ولكنى عندما أقع فى فخ الحب أصير كالمجنون وأقعد وأقوم وفى بالى المحبوب وأهمس وأصيح وأسعد وأحزن وأشعر بالخيبة وبالنشوة، ويصير عشقى وطنى أي الحبيبة تصير وطن الحب وأذوب ولا أخون وأسترضى المحبوب، ولكن تفترسنى الغيرة والظنون والشكوك ويصير خيالى مريضا وساذجا أتابع حتى أنفاس الحبيبة، وبالحب أحيانًا أشعر بالنور وأستنير، وأنا العليم بالتاريخ والرواية والدراية لا أملك سلاحا أمام ضحكة رمش المحبوب، وأصبح بين قصري الوجد والتفانى فى روح المحبوب.. لكى أستوعب ما بداخلى من مشاعر أنظر إلى السماء فأتوق إلى الآفاق الجديدة والفن الصادق والحرف المضئ، لكى أستوعب غيابك وتدهور حياتى عليك بالحضور بتلقائية شديدة وجرأة متناهية لكى أستوعب أني إنسان أذوب فى الألوان والساحة والميدان وأجيد العشق والكتابة وشرب القهوة السادة والكابتشينو.

فرحت كثيرا تهانى بكلماتى، ومالت على كتف أختها الصغيرة، وبكت كثيرا عندما كتبت وقلت لها بمجرد حصولى على عمل فى الإمارات سأدبر لك تذكرة ومنزل..

الإمارات بلد مليئة بالشجر فى كل مكان هكذا يحبها ان تكون الشيخ زايد لا شك أن الاشجار كانت بشرا ومن قسوة قلوبها تحولت.. لا شك أن الشعراء

مشروع أنبياء لكن غواية الإثم أرجعتهم للوراء.. لا شك أن الغائب إذا حضر وانتقل من الخيال إلى الواقع وظهر فإنك فى خطر.. لا شك أن الفلسفة بقايا أفكار الأنبياء، وأن الحرية التى نادى بها القرامطة هى أسر لنا ووقوع فى سهم العناء، لا شك أن النشأة الأولى لى حلم بالهوى لولى من أولياء الله وشجرة حياة خرافية، لا شك أن طفولتى وشبابى وعشرين عاما قضيتها كنت أجرب فى المتلقى والتلقى والإبداع بحثا عن الخلاص الذى أجده أحيانًا فى أحضان الصوفية والطريقة القادرية البودشيشية والرفاعية والأحمدية وفى عين حبيبتى النبية..

كانت تهانى تعرف أنني أحب النساء منذ الجامعة وقالوا لها كثيرا عنى وعن نزواتى. كانت تسألنى دائما:

- ماذا فى قلبك؟[١]

- لا تسألينى ماذا فى قلبى؟؟ فى قلبى فراشات وعطر لهن نسينه فى ذات مساءات ونهارات وأمسيات..

- ماذا فى روحك؟

- تمرد سيدنا إبراهيم على أصنام الأدب والفكر والدين والتعصب.

- هل تحبنى يا فتحى؟

قالت تهانى هذا ببساطة سؤال من الأطفال..

أجبتها:

- النور أنتِ وأنتِ نورى.. فيا نورى كونى كما أنتِ للناس ضياء ولى سماء[٢] وسماؤكِ تطير فيها أحرفي وكلماتى وشمس قلبى تشع حين تسقط دموع العاشقين لك مطراً... ألون بها أرض عشقى لك أنت يا مسك النساء.. جميلة أنت سيدتى مثل الكتابة والربابة مثل سحابة تمطر على قلبى مطرا لا يراه غيرى وغيرك..

ذهب فتحى إلى جريدة الخليج فى الشارقة للبحث عن عمل أفضل حتى

---

(١) الزهور الثلاثة التى اشتريتها ووضعتها فى البالكون أكلت أوراقها الطيور الجائعة.. حزنت عليها، وصارت بالكونتى بلا زهور..

(٢) اتصلت بالأستاذ صبحى موسى مدير إدارة النشر لنشر أعمالى الكاملة فى هيئة قصور الثقافة قلت له فى أخر الحديث لا تكونوا مثلنا نحن جيل السبعينات جيل الخيانات العظمى.. أتمنى من جيلكم من المثقفين أن يكون أقل خيانة وأكثر نظافة من جيلنا.. قال الفيروس أصابنا ورثناه منكم.. قدم الطلب، فقدمته.. اللهم أسألك ان تحمى مصر من خيانة المثقفين والصحافيين والإعلاميين.. آمين..

يهرب من مجلة الحرية التعبانة.. كل من قابله فلسطينيون سألوه:

- كيف مصر؟

- كيف السادات الخائن معاكم؟

كنت أجيب:

- مصر بخير... أما السادات لا أعرف.

- مصر ما جابت غير عبد الناصر..

تذكرت إذاعة فلسطين فى يوم وفاة عبد الناصر تقول: عبد الناصر الخائن الذى قبل مبادرة روجرز، وتذكرت أن الفلسطينيين الذين كانوا فى غزة فقراء مساكين كما رأيتهم وأني أحبهم.. كتبت إلى تهانى رسالة..

"ما علينا.. الحب ليس بأيدينا.. ما علينا.. كيف لى أعرف ذاتى وأنت بعيدة عنى يا فؤادى.. ما علينا أحس بصهد الشتاء وأتابع زبد الأدعياء كل ليلة فى التلفزيون حاملى قشور الأشياء.. ما علينا.. حملت لك قائمة دوائى وأعبائي وما حدث لى منذ يوم موتى وميلادى.. ما علينا.. لفظتنى مواكب الجهل فى الصحافة والتلفزيون.. ما علينا.. أتابع كل ليلة مقالات الأدعياء وحاملى قشور المعرفة.. أنصت[١] ولا أنصت وأتعذب بالمعرفة.. ما علينا.. أعاني وأموت كل ساعة مائة مرة من تخلف الناس وأحوال العباد كيف كان قدرى أن أولد وسط هذا الكم من الغباء.. ماعلينا.. ليس عندى لك إلا كلمات لا تحسبى أني مازلت من الأغنياء ، إني قد ابتليت ببعض الأشياء والله يبتلى من يحبه من العباد.. ما علينا.

حبيبك وزوجك

فتحى رضوان خليل

---

(١) اتصلت بأشرف عامر الشاعر الجميل مشغول هو بورشة الزتون للنقد لم ينشر عن ديوانه خبرًا واحدًا مع أنه فى كل ليلة يسهر مع المثقفين الأشرار فى جريون ولم يكتبوا عنه مع أنه يملك روح شاعر كبير عالمى، أشفق عليه ينتظر من اليسار أن يمنحه صكًا نقديًا واليسار المصرى له جذور خيانات كبرى بدءا من نجيب سرور ومحمود دياب وغيرهما، ومعى.. أشرف كأنه يعيش مثل عنوان ديوانه "كأنه يعيش".

الفصل (٣٩)
بعنوان
كم مشينا وحكينا

فتحى رضوان خليل

تذكرت وأنا أسير على الخليج، قبل زواجى من تهانى بأسبوع دخلت أنا وهى مسرحية مأساة الحلاج فى قصر ثقافة الحرية على مسرح بيرم التونسى كانت للشاعر صلاح عبد الصبور.. إخراج حسن عبد السلام.. خرجت من المسرحية لم أتكلم أدهشنى هذا الصوفى الذى تحت جلد صلاح عبد الصبور كأنه يسكنه.. أى صوفى يسكنك ياعم صلاح عبد الصبور؟..

الأيام حبلى بالدهشة والدهشة حبلى بالإبداع، وأنا واع بأن الله يملك أزلية الإبداع فهو المبدع الأول والأخير.. "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت.." إنهم عمى صم بكم.. بشر.. الإنسان ظلوم جهول..

سألتنى تهانى:

- ما الأخبار؟

قلت لها يقول صديقى الشاعر أشرف عامر فى قصيدة له:

قلبى المجهد

لايحتمل الجرى وراء الأخبار..

قبَّلت تهانى.. سرنا على الكورنيش.. كم مشينا فى طريق كورنيش الإسكندرية العجوز الطويل[١] قابلت يومها صبرى الجمل وكيلى فى اتحاد الطلبة دعانا أنا وتهانى فى تريانون:

- فتحى يا رضوان أنا لن أغادر مصر مرة أخرى، جاءنى عقد جديد عمل بالسعودية، ولن أذهب.

- ماذا تملك فى مصر يا صبرى؟.. تخرجت من كلية العلوم ولم تجد عملا بعد..

---

(١) جاءنى الملحن طه راشد والشاعر عادل الخطيب والموزع أحمد رمضان والممثل محمد شلش .. تحدثنا فى أمور شتى وقدمت لهم مشروب الجنزبيل بالقرفة.. حدثتهم عن رغبتى فى الزواج لأن الكتابة والمرأة وجهان لعملة واحدة اسمها الحياة..

- ماذا أملك..؟ ماذا أملك؟.. تسألنى ماذا أملك؟.. سرير بوايز فى حجرتى لأبى الذى مات من سنين طوال، وغطاء وثير من الكشمير ورثته عن جدتى، وقنينة عطر رخيصة، وماكينة حلاقة رديئة، وكرسى خشبى رخيص، ومكتب خشبى متهالك، ولمبة كهرباء ٢٥ وات..

ضحكت

- هل لديك شيئا ستخسره هنا؟
- لا أحجار كريمة لا ذهب.. لا شئ سأخسره هنا سوى قلب أمى العجوز الحانى. سأفتقد حنانها.. (اغرورقت عيناه..)
- سافر يا فتحى يا رضوان واجمع فلوس واتهان من أجل شوية حجر لشراء شقة وأربع عجلات لسيارة، وأنا سوف أسافر مثلك من أجل أن أفعل مثلك.. نسافر من أجل شوية طوب..

صبرى أبوه تزوج أكثر من مرة.. لا يعرف عدد زيجاته.. لكن يعرف أن له حوالى خمسة عشر أخاً، وليس له أخوات بنات. كانت المفاجأة أن صبرى وجد الشرطى ينادى عليه فى مطار الرياض:

- إنت يا المصرى.. إنت يا.. المصرى

شعر بأن كلمة مصرى إهانة أو سبة أو عيباً.. كتب لى رسالة فى الإمارات:

"قل لى يا فتحى يا خطيب القومية العربية والناصرية ومصر العروبة والقومية العربية.. أين العروبة.. فين عروبة.. أى عروبة تنادى بها أنت وعبد الناصر بتاعك.. يا عم فتحى، المصرى بينضرب بالجزمة فى السعودية.. أنا لا أعرف كيف أحتج.. كل ما أريده أن أعمل ومع كرامتى.. يقول المصريون اترك كرامتك فى المطار وأنت راجع مصر خذها من الأمانات.. السعوديون فى الشارع ينادون المصرى يا فوال.. قال لى تصرفت برومانسية ذهبت إلى القنصل العام فى جده وكلمته.. وشكوت له عن معاملة المصريين فى السعودية.. ضحك القنصل وقال كل الدول العربية الخليجية كده إن لم يعجبك ارجع إلى مصر.."

صبرى الجمل رسالته تنزف مرارة فى الكلمات ويرسلها لى فى الرسائل لا يسمعها إلا الله فى السماء.. وأنا فى الأرض..

هل مات عبد الناصر فماتت كرامة المصرى فى الخليج؟

هل ينتقم الخليجيون من المصريين بسبب تاريخ طويل من السلوك الخاطئ من الجيش المصرى أيام الوالى محمد على وغزواته إلى شبه الجزيرة العربية للقضاء على الدعوة الوهابية.. أليست الدعوة الوهابية تحولت من دعوة دينية إلى سياسية.. ولماذا ظهرت كدعوة دينية، حيث شاهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه.. ذات يوم أن أهل قبيلة فى مكة جاءوا بتمثال لشيخ القبيلة ووضوعها فى الحرم تقديرا لذكرى وفاته.. وبعد قليل جاءت قبيلة أخرى ووضعت تمثالا أكبر لشيخ قبيلتها الذى مات، وبدأ المسلمون البسطاء يطوفون فى الكعبة ثم يطوفون حول التمثالين؛ فخاف الرجل الطيب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من عودة التماثيل، حيث أن الحج قبل الإسلام كان موجوداً والطواف وكانت هناك تماثيل لهبل وغيرهم وكسرها رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبعد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب حماية للإسلام من التخلف العقلى بهدم التماثيل وأفتى بعدم نحت التماثيل ووضعها فى الكعبة أو خارج الكعبة خوفا من الشرك والردة ، وإلى هنا كانت الأمور رائعة إلا أن الشيخ تعاون مع آل سعود لنشر الوحدة وتحولت من دعوة دينية إلى سياسية، مما أخاف الدولة العثمانية فأمرت محمد على بأن يقود جيشا لضرب الدعوة السياسية وعدم استقلال أراضى الحجاز عن الخليفة العثماني، فأشار الوهابيون إلى أن جيش محمد على جيش كافر من المصريين..

مع أن الجيش لم يكن مصريا بل كان من المماليك، ويقال إنه كان مصريا مائة فى المائة.. صبرى الجمل عمل فى مدرسة.. صبرى قد تعود أن يطارد النساء ذوات الثدى الكبير، مفتونا دوما بالحلمات وأنواعها.. كان لا يحبه الكثيرون لأنه يعتد بنفسه كثيرا.. يسير كالطاووس.. يرفض أن يقتحمه الأغراب، أو أى شخص.. هو يحب أن يختار أنثاه ولا تختاره أنثاه..

الصبر الجميل أروع ما فى العالم ولكن على ماذا يصبر صبرى الجمل؟.. منذ عرفته يزهق بسرعة من التفاهة.. يشترى أى كتاب إذا لم تعجبه العشر صفحات الأولى ألقى به على قارعة الطريق أو وسط الطريق.. عمل صبرى مدرسا، وفى المدرسة قابل زملاء له من الجامعة حاصلين على ماجستير ودكتوراه فى مصر يعملون مدرسين إعدادى، ومعه فى المدرسة.. شعر بخيبة الأمل فى مستقبل مصر..

ماذا فعل بنا أنور السادات؟.. ألقى بالمثقفين والمتعلمين فى جحيم الهجرة، واحتضن السادات الحثالة والغوغاء واللصوص لسرقة مصر، والدليل فيلم "انتبهوا أيها السادة"، شاهده صبرى الجمل عدة مرات، ولكن لم يصدق إلا عندما شاهد رجلا يحمل دكتوراه علوم يعمل مدرس إعدادى فى السعودية.. صبرى الجمل شاعر كبير الموهبة أحد إخوته شاعر وهو يهوى التمثيل ولكن أحد إخوته ممثل ولكنه عشق الحروف اختار السيناريو ليكون كاتب سيناريو لكن المسرح شده لكن النوافذ ضيقة، فسافر للسعودية كى يحصل على حقائب المال، لكنه فوجئ بشهادات عليا دكتوراه وماجستير يعملون مدرسين عاديين..

واحسرتاه يا مصر العبيطة تفرطين فى النوابغ.. المجد للبلاهة وللسخفاء وسياسات البلهاء طاردى المبدعين والعلماء.. المجد لمن أخرجونى أنا صبرى الجمل من أحضان النيل بالذل للحصول على جنيهات قليلة.. إلى بلاد الحجاز.. شعر صبرى الجمل بالمدرسين المصريين وهم يرتجفون أمام مدير المدرسة، تذكر أنه يحصل على الريالات مقابل إهانات.. كم أحبك يا وطنى

كتبت رسالة إلى تهانى..

تهانى.. حبيبتى.. انسحبى من ضلوع جنونى إن لم تتحملى احتياجى واجتياحى، فأنا الصوفى الناسك والمتقشف والانعزالى، وأنا الأشطح والأخرق والدنيوى والدونى، وأنا العرضى فى الحياة، وأنا الرسوخ الدينى وأحمر الشفاه اللامرئى فى شفاه النساء، وأنا الموت فى الحياة والحياة فى الموت، وأنت الأفضل والأجمل والأخرق والطول والعرض فى قلوب كل النساء؛ فإن لم تتحملى إيحاءاتى الدانية والراقية والصاعدة والهابطة وتقديسى للحب ورسوخ جنونى ستكونى أكذوبة لى.

هنا فى بلاد المسيحى والسلفى وأهل الكتاب
ضحايا المجاعة والفيضان بقايا مسوخ المعابد
نسل المرابين والفقهاء وأسرى الحروب
سنترك فوق منابرها مترفيها وحراسهم فوق مئذنة البرلمان
يردون عنا سكارى الجياع

الشاعر محمود نسيم

***

صورة وفنان
د. سليمان الشطى
السياسة ٢٨ يناير ١٩٨٢

هناك فن كرة القدم، وفن لعب الشطرنج، وفن المصارعة، وفن الكتابة بأنواعها، وفن كتابة القصة القصيرة. سليمان الشطى.. فنان القصة القصيرة فى الكويت. اكتشف إمكانية الفن واكتشفه الفن فى قصة "رجل من الرف العالى".. اقتحم درب القصة القصيرة فى عام ١٩٦٢ "الدفة" وجاءت مجموعته "الصوت الخافت" على استحياء، وتأتى قصة "رجل من الرف العالى" فى درب القصة القصيرة على استعلاء..

روحه شفوفة عطشى للبحث عن خفايا النفس البشرية.. مكث سنوات طويلة روحه ثائرة قلقة.. تتوحشه الكلمة، الإبداع ،الفن، القصة.. فتح نافذة على الإبداع القصصى.. للكاتب قصة "رجل من الرف العالى" لا تقف عند باب الجودة.. بل تتجاوزها لتكون القصة العلامة فى تاريخ الرجل.. يثبت أنه موهوب وأنه فنان والكلمة عنده بحث مضن.. لقد ظن الكثيرون أن سليمان الشطى قد انزوى فى ركن مجهول عن الإبداع واكتفى بكونه محاضراً وأستاذاً فى جامعة الكويت، لكن الرجل كان فى جوف بركان صعب حين امتطى صهوة قلق الكتابة والإبداع فى صمت بينما كثير من الذين ظنوا أن الأمر سهل.. كانوا يمارسون الكتابة هنا وهناك..

كان من الممكن أن يكتب ولا يعطي أى جديد ولا يضيف إلا أن الأرض كانت قلقة تثور فى الأعماق ويتفجر البركان.

لقد بعث سليمان الشطى فى جسد القصة الكويتية القصيرة أنفاساً جديدة وروحاً مبتكراً وخاصية الفن الذى لا يملك زمامه إلا المبدعون..

سليمان الشطى، صاحب الصوت الخافت، عاد بصوته القوى المميز فى قصة قصيرة من أفضل ما كتب فى القصرة القصيرة الكويتية.

وهل تأكل الوظيفة والاستهلاك اليومى مثل هذه الموهبة؟

سليمان الشطى يرد على الجميع ويتألق وينفرد ويتميز وينحاز ويسجل موقفاً اجتماعياً وفكرياً فى قصته المذكورة لقد كسبت القصة القصيرة العربية "فارسا" ينضم إلى مائدة فرسان القصة القصيرة وإلى فنانى القصة القصيرة فى الوطن العربى..

الفصل (٤٠)

بعنوان

وغرقت فى الهوى

كاظم..

الصباح بدونك غريب يا سهر والعصافير فى صمت رهيب.. تعالي ليفرح الصباح ويغنى وتزقزق وتشقشق العصافير..

راحت سهر إلى المدرسة، وأدت امتحان اليوم الأول، وخرجت من المدرسة مبكرًا ومعها العصفور، واتجهت إلى بيت شهرزاد..

جلست أمام الركوة والنار قالت شهرزاد:

- تشغلك نور بجنون يا صغيرتى.
- يا خالتى.. الإيمان والحب قوتان.. ماذا فعلت نور؟.. خبرينى..
- اليوم جئت بكير.. شو صار؟
- المدرسة امتحان نصف يوم .
- مع إن الامتحان مفروض يتأجل
- ذكرى انفصال الوحدة مع مصر.. فيه ناس ما بتحب هالسيرة
- ما تفكرينى بالوحدة وعبد الناصر الله يرحمه.. كان رجال.. ومصر ما بتتنسى
- انا بحب مصر ما بعرف ليش.. عشان عبد الحليم وأم كلثوم.. وإلا من شان الأفلام.. وإلا من شان شو؟
- إحنا كلنا جينا من مصر.. ويقولون الشيوخ اللى ما إجى من مصر مالو أصل..
- والله.. احكى لى عن موسى ونور ومحب
- شو قلنا بلغنى يا ست البنات وأميرة الأميرات أن نبى الله موسى.. شعر بالحزن والأسى.. فرعون يعانده والمصريون قليل جدا من آمن، والباقى كان من الظالمين مع فرعون ضد موسى ورسالته..

البرد:

قال الرب لموسى :

" مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ بَرَدٌ فِى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ، عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ عُشْبِ الْحَقْلِ فِى أَرْضِ مِصْرَ."

فمد موسى عصاه نحو السماء ، فأعطى الرب رعوداً وبرداً ، وجرت نار على الأرض ، وأمطر الرب برداً على أرض مصر. فكان برد، ونار متواصلة فى وسط البرد. شئ عظيم جداً لم يكن مثله فى كل أرض مصر منذ صارت أمة. فضرب البرد فى كل أرض مصر جميع ما فى الحقل من الناس والبهائم وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل. إلا أرض جاسان حيث كان بنوا إسرائيل ، فلم يثكن فيها برد . فأرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما :

"أَخْطَأْتُ هذه الْمَرَّةَ. الرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِى الأَشْرَارُ. صَلِّيَا إلى الرَّبِّ ،وَكَفَى حُدُوثُ رُعُودِ اللّهِ وَالْبَرَدُ ، فَأُطْلِقَكُمْ وَلاَ تَعُودُوا تَلْبَثُونَ."

فقال له موسى :

"عِنْدَ خُرُوجِى مِنَ الْمَدِينَةِ أَبْسطُ يَدَيَّ إلى الرَّبِّ ، فَتَنْقَطِعُ الرُّعُودُ وَلاَ يَكُونُ الْبَرَدُ أَيْضاً ، لِكَىْ تَعْرِفَ أَنَّ للرَّبِّ الأَرْضَ. وَأَمَّا أَنْتَ وَعَبِيدُكَ فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَمْ تَخْشَوْا بَعْدُ مِنَ الرَّبِّ الإله.

فَالْكَتَّانُ وَالشَّعِيرُ ضُرِبَا. لأَنَّ الشَّعِيرَ كَانَ مُسْبِلاً وَالْكَتَّانُ مُبْزِراً. وَأَمَّا الْحِنْطَةُ وَالْقَطَانِىُّ فَلَمْ تُضْرَبْ لأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً."

فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب، فانقطعت الرعود والبرد ولم ينضب المطر على الأرض. ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود انقطعت، عاد يخطئ وأغلظ قلبه هو وعبيده . فاشتد قلب فرعون فلم يطلق بنى اسرائيل، كما تكلم الرب عن يد موسى.

برد برد برد.. مصر كلها برد.. تغير الطقس إلى برد عظيم أهلك الناس والبهائم والعشب والشجر فى الحقول التى فيها مصريون.. البرد فى كل مدن مصر.. لا أحد يتحمل البرد، ونجا الله بنى إسرائيل من ذلك البرد.. جاسان ليس بها برد.. بعض الخبثاء من الأثرياء اشتروا بيوتا فى جاسان، وبعضهم أجر بيوتًا هناك.

بعض المصريين الفراعنة مات من البرد.. لا شئ يدفئهم إلا الله.. وهجم

المصريون إلى حى جاسان، واستدعى فرعون مرة أخرى هامان وفرعون ووعدهما أنه سينفذ حلمهما بالخروج أو الإيمان بدينهم.. ولقد شفى الله المصريين وفرعون من البرد ولكنه نكث بوعده كعادته (١)

حاول محب أن لا يرى نور وأن لا يلتقى بها، ووجهه كالثلج، وحاول أن لا يقابلها.. حاول أن يختفى وقلبه يكتوى.. كان المطر والبرد يغطى مصر وصقيع ليس له مثيل.. وهذه فرصة، وكانت بيوت الإسرائيليين وقوم موسى فى دفء، وكأن الله يقدم آياته للمصريين وفرعون لعلهم يعقلون.. ألم يعلموا أن الله أهلك من قبل أقواما غيرهم.. وذات نهار ووسط انهمار المطر الغزير والصقيع وهو يرتجف، ذهب إلى بيت نور، والمطر يتساقط على رأسه، وبرق يصهل بصوت ضعيف وهو يرتجف.. ما هذا الذى يتساقط على رأسى هل هو مطر شوق أم عقاب أم مطر حنين.. ما هذا الذى أسير تحته؟.

دق الباب على بيت نور.. لم يرد أحد.. دق دقة ثانية.. لم يرد أحد.. دق دقة ثالثة؛ فتح الباب كنعان قائلا:

- نعم .
- أريد شراباً ساخناً.. كنت قريًبا من هنا فى مهمة، والبرد شديد..
- آسف.. ليس لدينا حطب.. ولا شرابا ساخنا..

أغلق كنعان الباب..

" لا تغلقوا الأبواب أمام قلوب العشاق.. يا أيها القادرون على منحنا لحظات عشق وحنين.. لا تسجنوا قلوبنا فى الشوق.."

مشى محب ثلاث خطوات ثم عاد، ودق دقتين متتاليتين؛ فتح كنعان الباب :

- نعم.. (وقدم له قربة ماء).. خذ اشرب.. ليس لدينا إلا الماء..

أمسك محب القربة وارتشف رشفة ماء، وأعطاها لكنعان وعيناه تتلصصان إلى الداخل..

"يا فاتنة نثرتك فوق أوراقى حروفا ساكنة ورسمتك فى نجومى الحالمة

---

(١) وإن أدرى أنى بغربة لا مثيل لها رؤس الحيوانات أصبحت على رؤس البشر فلتتحسس رأسك كما قال صلاح عبد الصبور وإن أدرى أن حمير مصر أفضل حالاً وحظاً من البشر وإن أدرى أنى أحيانًا يخوننى الحرف وتهجرنى المشاعر وقلبى يسافر إلى المحيط ويترك النيل العبيط الذى رأيت الناس تتبول وتلقى مخلفات مصانعها به ولم يحتج مرة فهل هو يدرى أم لا يدرى؟؟

يا فاتنة إلى متى تظلين عنى بعيدة وقريبة وغائبة"[١] كيف تسافر أشواقنا إلى من نحب ونهوى دون المرور بسفن تحمل حقائب أوجاعنا من البعد والغياب؟.. كيف تسافر أشواقنا بلا قيود وتخترق الحدود وتدخل القلوب دون استئذان؟؟.. كيف تسافر أشواقنا بلا خطوات أو أجنحة، دون أن تكشفنا وتلدغنا الألسنة الجارحة؟ ألم يخبرك البحارة وعابرى السبيل والسحرة والحكماء.. أنت قمرى وقدرى"

ركب محب الحصان وسار حزينا.. الاثنان لم يريا نور.. الاثنان فى حزن مكتوم.. المطر ينهمر عليهما: "على مهل سر بنا يا برق.. على مهل نمشى بعيدا عن بيتها عن عيون الناس.. يا قلب لا ترتجف.."

صهل برق صهلتين كأنهما صرخة وعتاب..

عاد محب إلى بيته مبللا والدموع تنسال على خديه.. قالت أمه:

- **ما بك.. لماذا تبكى؟**
- **لا أبكى إنه المطر..**
- **إن عينيك تبكيان يا بنى أيضاً..**
- **يخيل إليك..**
- **أريد أن أنام..**

جاء فى الليل بنيامين التاجر اللئيم، زائرا إلى بيت نور يحمل كل أنواع الطعام الفاخر والهدايا.. بدأت الأم تحب حضور بنيامين فالحضور يعنى الكثير من الهدايا والخيرات الكثير، وأحيانا نبيع فرح وأحلام البنات وقلوبهن من أجل الطعام والهدايا والذهب والفضة.. الحب لا يعرف إلا طعم القبلات والفرح الخفى وإطلالة الحبيب البهى.. الحب نبى لا يباع ولا يشترى ولا يعرف المساومة..

---

(١) الحوض بتاع المطبخ سد فلابد من وجود سباك اتصلت بحارس العمارة تامر قلت له هات سباك.. جاب حامد السباك شاب ١٨ سنه أحضر السلك وسلك ، وطلب ١٢٠ جنيها.. مائة وعشرون جنيها أجرة عمل لمدة عشر دقائق.. نفس المبلغ مائة وعشرين جنيها اجر نشر مسرحية لى فى مجلة مسرحنا.. التى يرأس تحريرها يسرى حسان الشاعر.. الكتابة مهنة حقيرة.. أجر مسرحية تكتبها فى شهرين نفس أجر سباك فى عشر دقائق لتسليك الحوض.. تذكرت ابنتى غيداء عندما اكتشفت موهبة الكتابة لديها قلت لها استمرى قالت لا انا شفتك بتتعذب مش حتعذب أنا كمان وأزيد عدد المعذبين فى الأرض

الحب مغامرة ومقامرة.[(١)]

نور ترفض الجلوس للترحيب بالضيف الثقيل بنيامين.. بنيامين يحفظ الحكايات المرحة بل ويشتريها من الظرفاء كى يبدو شخصا لطيفاً.. أم نور تضغط عليها للحضور للترحيب بالضيف لقد أتى لها اليوم بهدايا من المجوهرات الغالية التى لا يوجد مثلها إلا فى قصر فرعون..

اقتربت إحدى بنات الحى التى أشفقت على محب وهمست له:

- أيها القائد محب.. سيتزوجها بنيامين
- من التى يتزوجها بنيامين؟
- نور
- لم أفهم.
- نور تقدم لخطبتها التاجر بنيامين الثرى العجوز[(٢)]

ارتبك.. لم يعرف بماذا يجيب.. أكملت كلامها:

- أراك تأتى إلى الحى كل مساء تبحث عنها.

يأتى محب إلى الحى كل مساء ليشم رائحة عطرها وهى نائمة أو ربما قائمة.. يأتى إلى الحى بحثا عن الدفء والهروب من برد الطبيعة والقلب.. والحب كائن حى، والعمر الذى نحياه يظل ميتا إلى أن نحب.. هل نقيس أعمارنا بسنوات الحب.. أشهر الحب.. أو أيام الحب.. أم لحظات الحب.. وباقى أعمارنا هى موت.. يقولون ثلث أعمارنا فقط نحياه، والباقى نوم وطبخ وغسل وكنس.. الحقيقة أقل من هذا بكثير.

- بنيامين؟؟

"عندما يقل الحب فى العالم تظهر الحرب والدم والقتال.."

---

(١) اتصلت بى السيدة عزيزة البلولى ودعتنى للالتحاق بحزب الدستور مع الدكتور البرادعى اعتذرت قلت لها أنا ناصرى ولم أدخل الحزب الناصرى ..فأنا لا اصدق بوجود أى حزب حقيقى فى مصر غير الاخوان وأنا ادافع عنهم ولا انتمى لهم وأراهم فاشلين سياسيًا.

(٢) أرسلت ماسيج من الهاتف للكاتب المسرحى عبد العزيز السريع أبو منقذ أسأله هل وصلته روايتى قهوة سادة التى أرسلت نسخة له مع الدكتور سلمان الشطى؟؟ عبد العزيز السريع أول من جعل للنص المسرحى قيمة أدبية فى الكويت، حيث عمل ورشة مع مخرج عبقرى هو صقر الرشود فكانا ثنائيا رائعا لا يتكرر فى الخليج إلا كل مائة عام.. رد علىّ وقال أنا خارج الكويت يا صديقى..

فكر محب أن يتخلص من بنيامين، ولكن كيف؟

***

راح هامان هذه المرة إلى موسى وهارون، وتلاعب بالألفاظ والحكايات والتبريرات، ثم قال :

- أسألك أنت وهارون أن تسألا ربكما أن يوقف البرد والمطر والصقيع..
- إن الله يسألكما أن تتركونا نرحل، أن يعبر شعب الله
- هذه مسألة وقت..
- هل تريدان أن الله يغضب عليكم..

ضحك هامان وهو يرتجف

- لا.. نريده أن يرفع غضب، وسوف يوفي إلهنا ومولانا فرعون بالوعد ويتركم ترحلون.

صلى موسى وهارون.. ورفع الرب غضبه عن بنى المصريين الفراعنة وعن فرعون وعاد الجو لطيفًا وعاديًا.. وللأسف لم يف فرعون بوعده..(١)

مالت شهرزاد ونظرت فى عين سهر:

- والآن ياست البنات، آن الآوان للذهاب إلى البيت..

"صدقينى حين أقول لك إننى نسيت عطر النساء لأنى أثق أن عطرك سيعطر أيامى وفراشى وأوراقى والكلمات"

الضربة الثامنة، وهى الجراد الذى سلطه الله على أراضى المصريين.. ثم قال الرب لموسى :

- " ادْخُلْ إِلى فِرْعَوْنَ ، فَإِنِّى أَغْلَظْتُ قَلْبَهُ وَقُلُوبَ عَبِيده لكَىْ أَصْنَعَ آيَاتى هذه بَيْنَهُمْ. وَلِكَىْ تُخْبِرَ فى مَسَامِعِ ابْنِكَ وَابْنِ ابْنِكَ بِمَا فَعَلْتُهُ فى مِصْرَ ، وَبِآيَاتى الَّتى صَنَعْتُهَا بَيْنَهُمْ ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّى أَنَا الرَّبُّ."(٢)

فدخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا له:

---

(١) عن الدكتور مدحت الجيار أن اليهود فى مصر فى الستينات كانوا مواطنين مصريين عاديين مثل إبراهيم شالوم البقال وعم شماس الذى يصلح الساعات وعم يورى ليشع أشهر طبيب عيون وكانوا فى منطقة الجمالية والعباسية.. إلى أن خرجوا بعد أن أمر عبد الناصر بطردهم؛ فسافروا إلى إسرائيل..

(٢) الفيس بوك فى الحائط (لاحظت أنى فى هواك أغرق والحقيقة أنى بالهوى أســـير فى ضوء ولا أعرف وأنا عاشق الفرق بين الصيف والشتاء)

"هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إلهُ الإسرائيليين: إلى مَتَى تَأبى أنْ تَخْضَعَ لى؟ أطْلقْ شَعْبى ليَعْبُدُونى. فَإنَّهُ إنْ كُنْتَ تَأبى أنْ تُطْلقَ شَعْبى هَا أنَا أجئ غَداً بجرَاد عَلَى تُخُومك، فَيُغَطِّى وَجْهَ الأرض حَتَّى لاَ يُسْتَطَاعَ نَظَرُ الأَرْض. وَيَأْكُلُ الْفَضْلَةَ السَّالمَةَ الْبَاقيَةَ لَكُمْ منَ الْبَرَد. وَيَأْكُلُ جَميعَ الشَّجَر النَّابت لَكُمْ منَ الْحَقْل. وَيَملأُ بُيُوتَكَ وَبُيُوتَ جَميع عَبيدكَ وَبُيُوتَ جَميع الْمصْريِّينَ، الأَمْرُ الَّذي لَمْ يَرَهُ آبَاؤُكَ وَلاَ آبَاءُ آبَائكَ مُنْذُ يَومَ وُجدُوا عَلَى الأرض إلى هذَا الْيَوْم".

ثم تول وخرج من لدنم فرعون . فقال عبيد فرعون له :

" إلَى مَتَى يَكُونُ هذَا لَنَا فَخًّا؟ أطْلقِ الرِّجَالَ ليَعْبُدُوا الرَّبَّ إلهَهُمْ. أَلَمْ تَعْلَمْ بَعْدُ أَنَّ مصْرَ قَدْ خَربَتْ؟"

فرد موسى وهارون إلى فرعون ، فقال لهما :

"اذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ إلهَكُمْ. وَلكنْ مَنْ وَمَنْ هُمُ الَّذينَ يَذْهَبُونَ؟"

فقال موسى(١):

"نَذْهَبُ بفتْيَاننَا وَشُيُوخنَا. نَذْهَبُ ببَنينَا وَبَنَاتنَا، بغَنَمنَا وَبَقَرنَا، لأَنَّ لَنَا عيداً للرَّبِّ"

فقال لهما:

«يَكُونُ الرَّبُّ مَعَكُمْ هكَذَا كَمَا أُطْلقُكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ. انْظُرُوا، إنَّ قُدَّامَ وُجُوهكُمْ شَرّاً . لَيْسَ هكَذَا. اذْهَبُوا أَنْتُمُ الرِّجَالَ وَاعْبُدُوا الرَّبَّ. لأَنَّكُمْ لهذَا طَالبُونَ».

فطرد من لدن فرعون. ثم قال الرب لموسى :

" مُدَّ يَدَكَ عَلَى أَرْض مصْرَ لأَجْل الْجَرَاد، ليَصْعَدَ عَلَى أَرْض مصْرَ وَيَأْكُلَ كُلَّ عُشْب الأَرْض، كُلَّ مَا تَرَكَهُ الْبَرَدُ."

فمد موسى عصاه على أرض مصر، فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل. ولما كان الصباح ، حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل أرض مصر، وحل فى جميع تخوم مصر. شئ ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ، ولا يكون بعده كذلك، وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض. وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذى تركه البرد، حتى لم يبق شئ أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر.

نور تصرخ:

- الجراد يا أبى حجب الشمس
- غضب الرب على مصر والفرعون.

---

(١) صديقى الشاعر فهمى إبراهيم وقال إن دراسة دكتور كمال عيد أعجبته عن نسكافيه وإنه سيقوم بعمل دراسة ـ سعدت بالخبر لأن فهمى من القلائل الشرفاء

ظهر محب أمامها فى الساحة.. نظر لها وهى فى نافذة البيت، وعيناه شاردة..

"أريد أن أقبل نهديك بنعومة ماجنة يا فاتنة.. كل أيامى بدونك بائسة.. أليس العشق مجون.. وجنون وفنون.. وأيام تمضى بنا فانية.. كلما حاولت أن أكتبك حبيبتى أكتب حبك شوقاً وحنينا إليك فى القلب فتتلاشى الحروف هل شاهدت كل صفحات أوراقى التى أمامى بيضاء وفى القلب لك بحور من الكلمات والسطور. ماذا أفعل يا نور؟. سوف أذيب قلبك فى كأس ثم أشربك عشقاً وأصير من السكارى وما أنا من السكارى، أصير سيد العاشقين..[١]

وقف محب أمام بيت نور..

"يشعر قلبي بالتجاهل من قبل إمرأة يهواها، فهى ليست صريحة وليست لها كلمات مريحة، والحب لها أعرف أن الحب فضيحة.. ولكنى لا أعرف متى سأعلن اسمها وأقول لفرعون.. نعم.. إننى أهواها.. وأريد الزواج منها.."

وقفت نور تطل من النافذة على الساحة التى أمام بيتها... تراقب من بعيد (محب) الشامخ على حصانه

"أيتها الأنثى التى فى نافذة السماء.. قلبى عطش للحياة دون زاد حنان أو ماء الحياة.. كفى عن خجلك والحياء وتعالي.. تعالى لى.. إن فى الروح والجسد لك اشتهاء.."

لم تنزل نور من نافذتها.. ومنعه الكبرياء أن يشير إليها بالنزول.. إلى الساحة ووقف برق بينهما لا يريد أن يصهل كعادته كلما رآها ولا يريد أن يسير؛ فهو يعلم بأن قلب سيده مشحون بالجوى..

جاء الأب كنعان من خلف نور وأغلق النافذة، واحتضن ابنته التى راحت تبكى على صدر أبيها، وقال:

- إنه كافر يا صغيرتى؟
- أعلم يا أبى.
- ونحن لا يحق لنا إلا الزواج من مؤمن.

---

(١) الشباب يهتف فى الميادين اليوم ١٢ يونيو ٢٠١٢ يسقط يسقط حكم العسكر ايوه بنهتف ضد العسكر.. احنا الشعب الخط الأحمر.. ورئيس المحكمة الدستورية يقول لن يهزنا هتاف الشباب.. الموقف مضحك ومسخرة.. مصر منقسمة ..

- نعم. نعم.
- الله سيعطيك أفضل منه.
- أو يهديه يا أبى..
- إن النبى موسى يحبه، ويحاول بروحه أن يهديه إلى طريق الله..

تضايق محب بشدة من تلك الحركة التى قام بها كنعان وهى إغلاق النافذة.. صرخ فى الساحة غاضبا:

- أيها اليعاقبة والإسرائيليون.. إن سحركم سيفشل.. إن إلهنا ومولانا فرعون العظيم سينتصر.. نعم سينتصر..وستظلون خدماً وعبيداً لنا نحن المصريون...تعقلوا إن موسى ساحر وهارون أيضاً..

أطلت الوجوه بالمشاعل من النوافذ التى تطل على الساحة من النوافذ وجرى الاطفال من صوته القوى، ووقف الناس فى الساحة ينظرون له بتعجب، وكان صهيل الحصان برق الذى يؤيد صاحبه..كان بنيامين قادماً مع خدمه من بعيد وشاهد ما يفعله محب أمام بيت نور.. مشهد غريب..

بكت نور وهى تسمع صوته كأنه عاصفة تعصف بقلبها.. تنظر إلى حجر البيت الذى يبكى معها.[1] .. وآه يا حبيبى.. كل شئ فى هذا العالم ضدنا فرعون وموسى وأبى والناس..

وصل بنيامين إلى بيت نور.. وأراد أن يضع حداً لهذا الموقف الذى لا يعرف كيف يحصل عليه.. جلس كنعان أمام بنيامين.. قال بنيامين:

- شاهدت وسمعت هذا الصراخ الذى يفعله القائد الفرعونى فى الساحة أمام بيتكم.

لم يرد كنعان، هو سمع وعرف أنها رسالة له..

---

(١) ذهبت إلى الأتيليه وتركت كتابى إلى الناقد شريف الجيار.. هو الدكتور النابهه الأخ الأصغر للدكتور مدحت الجيار.. وذهبت إلى زيارة الفنانة فتحية طاهر فى العجوزة.. أجرت عملية فى عينيها اعترفت لى أنها تكبرنى بعشر سنوات، وإنها تشكر الله وحكت لى عن طفولتها فى حى الضاهر.. قالت إنها ربيت فى حى راق، وكان من صديقاتها اليهوديات كثيرات ..ايتى وكيتى وسارينا وتورينا وارليت واستيلا وجان.. وكانت تحبهن كثيرا، وتركن الضاهر فى عام ١٩٥٦ واحنا تركنا الضاهر ايضا وتركنا الشقق للمصريين الغلابة.. ومربيتى يهودية اسمها لولا وزوجها جاك يبيع شوريك.. نوع من الخبز فى حارة اليهود فى الموسكى .. كانت لولا أجرها جنيها فى الشهر ..

- أظن أنه يصيح هنا من أجل شئ ما.. يبعث رسالة إلى شخص ما..
- نعم
- ما هو؟
- اسأله..

صمت بنيامين.. ولعب بيديه فى شاربه..

- شوف أبو نور احنا مصريين زى بعض.. صح
- نعم..
- وكمان يهود زى بعض..
- نعم..
- كل مصر عارفه إن نور بيحبها قائد فرعونى كافر اسمه محب. والمصريون أهل القيل والقال..
- هه..
- آه أنا عارف كل حاجة.. لازم نسكت الناس.. لأن القائد الفرعونى بيؤمن بفرعون إله وإحنا لا.. عشان كده لازم أتجوز نور الآن..
- البنت.. قالت إنها ستتزوجك بعد الخروج من مصر..

هب بنيامين واقفاً..

- انا لن أخرج من مصر، ولن تخرج نور، وأنت لن تخرج، ولن يخرج إلا الفقراء والعبيد مع موسى..
- ماذا؟ أتعصى نبى الله موسى.
- مصر بلدى جدى الأكبر جاء مع يعقوب منذ أربعمائة سنة.. ولن يمسنى فرعون بسوء لأن مالى يحمينى، وأنا وزير المال والخزانة بعد قارون، ومنذ أيام يوسف كل وزراء الخزانة إسرائيليون، وأنا وزير بعد قارون.. الفرعون يحترم المال والأغنياء يا كنعان.. وأظن أن الأثرياء من الإسرائيليين لن يخرجوا من مصر.. ولدوا هنا أجيال وراء أجيال، وإن خرجوا سيجنون ويموتون شوقا لها.. الأوطان يا عزيزى هى الذكريات والألفة والمصالح، وأنا أملكها فى مصر ذكريات ٤٠٠ سنة والألفة مع النيل والطبيعة، ومصالحنا التجارية..
- وبعد.

- أنا لى رأى يا عزيزى كنعان.. تزوجنى ابنتك نور وأعطيك مالا وتجارة، ولا تغادر مصر..
- هل تكفر وتعصى الله؟؟
- الله.. يشفق على الفقراء وأنا لست فقيراً، والله بالطبع يحب الأغنياء ويعطيهم مالاً.. لو أن الله يحب الفقراء كان سيعطيهم مالًا.. لكن خلقهم لخدمتنا نحن الأغنياء..

ابتسم كنعان وقال:

- أستغفر الله.. أنا لا أسمح لنفسى أن أترك النبى موسى وهارون.. سأذهب أنا وأسرتى مع موسى وهارون..

خرج بنيامين من الدار غاضباً.. خرجت نور من حجرتها فرحة لهذا الحوار.. قبلت يد أبيها.

- سنسافر يا أبى مع نبى الله موسى وهارون....

***

فى الصباح مر قائد الجيش مينا على موسى، وجلس معه..

- القائد موسى.. أنت من علمنى فنون الحرب وقربنى منه.. واخترتنى كى أدرب الجنود الجدد من السودانيين والليبيين والنوبيين، لنكون جيشًا عظيمًا يليق بمصر.. لماذا تتمسك بهذه اللوحات والله الذى فى السماء ولا نراه؟ ..
- أنت الذى تقول هذا الكلام يا مينا
- نعم
- ماذا قلت فى أذن خيول فرعون فى حربك الأخيرة مع فرعون؟

دهش مينا ونظر له، فهو لم يكن موجودًا فى تلك الحرب..

نظر له موسى:

- قلت حين تراجعت الخيول أمام الحيثيين يا قوة مصر العظمى فى يوم الحرب.. أنقذنا فقال فرعون للجنود الثبات الثبات سأفترس جموعهم كالباز..

قام مينا فى ذهول، وهو ينفض الأتربة عن ثيابه..

ابتسم موسى وقال له:

- لا تتأخر أنتظرك تأتى معنا..

خرجت نور مع البنات إلى نهر النيل تحمل جرة الماء (البلاص).. وجدته يقف مع حصانه هناك.. هو محب يحمل باقة ورد فى جراب الحصان.. سيدتى أعلنت الحب عليك فلا مفر منى ومنك..

راحت تملأ جرة الماء وأظهرت أنها لم تره.. كانت البنات الخبيثات يضحكن فى الخفاء..

مشى أمامها بالحصان.. وحمل الزهور فى يده

- خذى هذا الورد لك..
- شكرا.. ليست يدى فارغة وأحمل جرة الماء..

ضرب بالسوط جرة الماء من فوق رأسها فسقطت الجرة على الأرض فضحك وصاح:

- الآن يدك فارغة.. خذى الورد..

بكت.. وجرت لم تأخذ الورد منه.. راحت إلى بيتها.. فتحت أمها الدار دخلت وارتمت فى أحضانها تبكى..

لا يعرف العسكر الحب الرومانسى..

- ماذا جرى أين جرة الماء..(١)

لم ترد نور، وبكت..

- ماذا بك يا بنت؟

لم تجب والأم فى ذهول.. بعد قليل دق الباب فتحت الأم وجدت على

---

(١) حدثنى صديقى الكاتب فؤاد نصر الدين قال: روايتك نسكافيه تستحق جائزة البوكر.. قلت البوكر محجوز للمصالح والسياسة أما جائزة ساويرس فقد قدمت جائزة مرة للكاتب ا.ع على رواية لم تنته ولم تنشر.. ومرة إلى ي .ق لرواية لم تنشر ولم تنته.. إذاً الجوائز العربية ليست شريفة ولا نظيفة والسبب لجان التحكيم لا ضمير ولا أخلاق.. قال والله تستحق جائزة.. قلت من الممكن أن يرسل لى الله ملكا من السماء ويقدمها فيعميهم عن سمى فهم مغشى عليهم ولايبصرون فأحصل على الجائزة.. وإن لم أحصل فبعد عام سأخذ نسخة وأضعها على باب جامعة الدول العربية وأتبول عليها ونسخة اخرى أمام الجامعة الامريكية فى القاهرة وأتبول مرة اخرى، فالعرب وأمريكا أم الدنيا تمنح الجوائز لنا بحسابات أنت مع أو ضد إسرائيل.. العالم عبيط وأبله .. والأدب ابتلاء.. أو سأفكر أن أحرق روايتى فى ميدان التحرير تحت أقدام وأعين الجهلاء. سأفعل كما فعل ابن رشد وابن حزم... ضحك فؤاد نصر الدين..
أنا هزيمة فكر وطن انتصر عليه التخلف وصار قائدًا وبطلًا ومحررًا وحاكمًا.. ويحك شعب.. خيبك الله.. لاتعرف الفرق بين الضلال والهدى بين النور والظلام؟؟.. ربما ينصلح الحال وأحصل على جائزة من لجنة محترمة..

الباب جرتين ماء وباقة ورد..نظرت يميناً ويساراً.. لم تجد أحداً.. لقد أحس محب بالذنب، فاشترى جرتين ماء من البنات اليعقوبيات الإخناتونيات الإسرائيليات، وجعلهن يحملنهما ممتلئتين بالماء ويضعن باقة الورد بجوارهما أمام بيت نور، ودقت إحداهن الباب وجرت.. صاحت الأم:

- نور تعالي شوفى ما هذا؟؟

نظرت نور وابتسمت.. ثم نظرت إلى بعيد فوجدته فى أطراف الساحة من بعيد على حصانه يلوح لها مبتسمًا ويصهل برق صهلتين..

دخلت وأغلقت الباب.. وهى تحمل جرة وأمها جرة.. وفى يدها الأخرى باقة الورد..

مصر تشكو من الجراد أكل كل الخضار والزروع.. ماعدا الورد..

مصيبة وحلت على مصر..

دعا فرعون موسى وهارون مسرعاً وقال لهما :

" أَخْطَأْتُ إلى الرَّبِّ إلهكُمَا وَإِلَيْكُمَا. وَالآن اصْفَحَا عَنْ خَطِيَّتِى هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ ، وَصَلِّيَا إلى الرَّبِّ إلهكُمَا لِيَرْفَعَ عَنِّى هذَا الْمَوْتَ فَقَطْ"

فخرج موسى من لدن فرعون وصلى إلى الرب. فرد الرب.. ورحم شعب مصر وفرعون فأمر ريحاً غربية شديدة جداً ، فحملت الجراد وطرحته إلى بحر صوف. لم تبق جرادة واحدة فى كل تخوم مصر. ولكن شدد الرب قلب فرعون، فلم يطلق بنى إسرائيل.

ارتاح المصريون من الجراد.. الموت يحاصرهم ويعاندون بالإيمان بموسى وهارون وأن الله واحد.. يؤمنون بفرعون.. وصبر الله تعالى عليهم كثيراً، على فرعون والمصريين، وظلت أحوال الطوائف الثلاثة كما هى طائفة عاصية كافرة (تؤمن ببعض الكتاب وتكفر بأكثره) وطائفة إيجابية (آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر) وطائفة طائعة وسلبية. ثم جاء حكم الله والحساب والعقاب فى الدنيا..

***

قالت شهرزاد:

- قومى الآن يا صغيرتى سهر إلى البيت.. عندك امتحان الثانوية.. لقد حان الأوان للعودة إلى داركم والمذاكرة..

- حاضر يا خالتى..

قامت واتجهت إلى النزول من فوق التل..

"الإنسان الذى يشبع من الحب هو إنسان ميت حى"

سر الروح

كاظم.. الحب.. سر الكون سر الله فينا.. سر الروح، ومن شعر بأن الحب فات ومات وذبل هو لم يذق الحب الحقيقى، وإن ادعى. وما بنى على باطل فهو باطل، والحب الحقيقى كالماس يغلى ثمنه ويلمع ويزداد كل يوم..

دخلت عليه وردة فى حجرته تحمل كأس المتى جلست بجواره، سألته:

- وين حنروح بعد الامتحانات ما تخلص..
- ما بعرف..
- نروح الزبدانى بيقولو شو بيجنن..؟

عيناه تائهتان.. فى الخفاء ود لو يسافر إلى الإمارات مع سهر.. أليس الحب ابتلاء..

"فى الصباح لك همزة الوصل فأوصلى يا همسة لروحى وتلاقى مع الحرف الخائف فى قلمى لك يكتب من كثرة التردد"..

- شو قلت بنروح الزبدانى فى هالصيف..؟؟
- إن شاء الله.
- شكرا حبيبى..

قامت وقبلته من خده..

***

سهر.. جاءت إليها شهر زاد تحمل لها هدية ثمينة، مجموعة قمصان نوم للزفاف.. فتحت العلبة الراقية الفاخرة أخرجت طقم قمصان نوم لمدة أسبوع.. كل يوم شكل: أحمر، أخضر، أبيض، أصفر، كل قميص قطعتان.. قطعة عليا وقطعة سفلى.. كانت شهرزاد وسهر..

راحت سهر إلى بيت شهرزاد.. كانت شهرزاد قد فتحت الباب وراحت تضع بخوراً.. وجهزت شراب المتى.. وجلست أمامها سهر، فى ذهول:

- شكرا لك.
- اخلعى ملابسك.. جربى واحد.. بنشوفه.

ضحكت سهر ببراءة، ونسيت ما قالته شهرزاد عن سلوك ليلى.. بما القمصان الفاخرة.. خلعت ملابسها سهر بسرعة.. فاحت رائحة عطر جسدها

وصدرها النافر بالحلمتين.. قامت ليلى مسرعة، وراحت تحمل قميص النوم الأحمر، وراحت تلبس سهر بيديها..

- لازم ألبس بإيدى..
- لا

راحت يدا ليلى بسرعة فائقة تلبسها، واحتضنتها من ظهرها..

- الله هياخد منك حته هيك النسوان والا فلا.. بدى الآن اوريك كيف تعملى فى ليلة الدخلة.

خجلت سهر. يا ويلى..

- ما تخجلى.. هو حيجيك يحضنك هيك.. وإيديه وشفايفه هيك

راحت تضمها فى أحضانها وتقبلها من شفتيها العليا والسفلى، ويداها تدعك فى ثدييها.. فزعت سهر وجرت إلى السرير.. جرت خلفها ليلى.

- صح انتى حتعملى هيك وهو حيجرى وراك.. هيك

وراحت تحاول اغتصابها، ويداها المدربتان تتدعك جسد سهر.. صرخت سهر:

- يمى.. يمى..

دخلت الأم مسرعة شاهدت ليلى وهى تركب فوق سهر.. ضربت يدها بصدرها.

- شو بتعملى شو صاير.

صدمت ليلى، بينما اختبأت سهر خلف أمها خائفة مرتعدة.. صاحت الأم:

- شو بتعملى؟
- كنا بنمزح عروسة وعريس يا خالتى..
- لا مابدى يمه خليها تخرج من الدار..
- اخرجى من دارنا وهدى هديتك معك..

جمعت الأم ملابس النوم، وخلعت سهر قميص النوم من عليها، خرجت ليلى مفزوعة مهرولة تحمل علبة قمصان النوم، ونسيت حقيبة يدها.. ارتمت سهر عارية فى أحضان أمها.

- البنت دى شاذة يا أمى..

قامت الأم بمساعدة سهر على ارتداء ملابسها، فاكتشفت حقيبة ليلى..

فتحتها الأم، وجدت بها رسالة إلى سهر.. لقد عرفت الآن سهر أن هذه الرسائل التى كانت تأتيها من ليلى نفس الخط.. يا ويلى..

قالت لشهرزاد وهى تجلس أمامها:

- هذا ماحدث يا خالتى.

- الحمد لله هى ما تروح المدرسة وماحتقعد هون الله يستر على أبيها.. وأمها..

- فاضل أسبوع وأسافر للإمارات بدى تخلصى حكاية نور[1]

- الحكاية طويلة يا حبة القلب.

- وقد تنتهى قبل عرسك بيوم..

- يا خالتى.

- يا روح خالتك.. ذاكرى وامتحنى وسأحكى لك قبل سفرك بيوم باقى الحكاية.

- واليوم

- واليوم يا سيدتى..

كان يا مكان.. عاند الفرعون رب العرش العظيم بعد أن زال الجراد بعاصفة هوجاء.. حاول موسى أن يخرج بقومه من مصر، لم يرد عليه هامان ولم يرد أحد من القصر أو الفرعون.. حاول بنيامين أن يحصل على نور بأى ثمن.. أليس عطر جسدها لم يحدث فى تاريخ اليهوديات..

جاء بنيامين ذات صباح ودق الباب على كنعان.. فتح كنعان الباب:

- بنيامين.. تفضل.

- البس ملابس الخروج وتعال معى الآن..

ارتدى ملابسه بسرعة.. خرج كنعان مع بنيامين.. وفى السوق وقف بنيامين بجواره أمام دكان كبير لبيع السيوف والسلاح..

---

(1) كتبت رسائل إلى الأصدقاء رؤساء تحرير الصحف والمجلات للكتابة فى الصحف لديهم فى قطر كتبت إلى سنان المسلمانى وكتبت فى الإمارات إلى سيف المرى وفى الكويت إلى أحمد الجار الله، وفى مصر إلى مصطفى بكرى ومجدى الجلاد وإبراهيم عيسى وعادل حموده.. الوحيد الذى رد على رسالتى هو الشاعر سيف المرى وقال آسف ليس لدينا وظائف أما الباقى صم بكم عمى.. فهم لمثلى كارهون أو ناكرون ..أو أنا فى وادى غير ذى زرع وبشر أو إننى فى عالم سراب.. أو إننى أفنيت العمر أظن أن لى أصدقاء وأن لى تاريخ.. وأن حضن الوطن المصرى حين يضيق أجد حضن الوطن العربى لى رفيق..؟؟ كنت غبياً.. اعتراف رسمى للتاريخ..

- ما رأيك يا كنعان..
- ما هذا؟
- ما رأيك؟
- محل جميل؟؟
- هو لك.. ملكك..
- ملكى أنا.
- نعم.. (ارتبك كنعان..) .. ما بك يا رجل؟
- اسمع يا بنيامين.. أنا سأذهب مع نبى الله موسى وهارون.
- افهم يا رجل
- افهم أنت.
- أنت تريد الجنة فى السماء؟
- نعم.
- أنا أعطيك الجنة على الأرض.. قصر ومال وعمل وبستان.
- أعتذ ر لك..

تركه كنعان ومشى وفى الطريق قابله محب.. نزل محب من فوق الحصان، واتجه نحوه..

- صباح الخير
- صباح النور..
- يا أبا نور..
- اسمى كنعان.
- اسمع يا كنعان.. أستطيع أن آخذ تصريحا من فرعون، وأتزوج من ابنتك ، وتعيش فى بيت من بيوت المصريين الفراعنة مبنى من حجر..
- خذ إذن من الله؟.
- سآخذ إذناً من فرعون.
- أقول الله .
- تقصد رب موسى وهارون.
- رب السماء والأرض..

ركب محب حصانه ومشى..

....

الظلام الذى سلطه الله على المصريين

قال الرب لموسى :

"مُدَّ يَدَكَ نَحْوَ السَّمَاءِ لِيَكُونَ ظَلاَمٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يُلْمَسُ الظَّلاَمُ"

فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام. لم يبصر أحد أخاه، ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام. ولكن جميع بنى إسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم. فدعا فرعون موسى وقال :

"اذْهَبُوا اعْبُدُوا الرَّبَّ. غَيْرَ أَنَّ غَنَمَكُمْ وَبَقَرَكُمْ تَبْقَى. أَوْلاَدُكُمْ أَيْضاً تَذْهَبُ مَعَكُمْ"

فقال موسى :

- **أَنْتَ تُعْطى أَيْضاً فى أَيْدِينَا ذَبَائِحَ وَمُحْرَقَات لنَصْنَعَهَا للرَّبِّ إِلهنَا ، فَتَذْهَبُ مَوَاشِينَا أَيْضاً مَعَنَا. لاَ يَبْقَى ظِلْفٌ. لأَنَّنَا مِنْهَا نَأْخُذُ لِعِبَادَةِ الرَّبِّ إِلهِنَا. وَنَحْنُ لاَ نَعْرِفُ بِمَاذَا نَعْبُدُ الرَّبَّ حَتَّى نَأْتِيَ إِلى هُنَاكَ.**

ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ أن يطلقهم . وقال له فرعون :

- **اذْهَبْ عَنِّى. اِحْتَرِزْ. لاَ تَرَ وَجْهِى أَيْضاً. إِنَّكَ يَوْمَ تَرَى وَجْهِى تَمُوتُ.**

فقال موسى :

- **نعِمَّا قُلْتَ. أَنَا لاَ أَعُودُ أَرَى وَجْهَكَ أَيْضاً.**

ثلاثةَ أيام كل بيوت مصر مظلمة ماعدا بيوت الإسرائيليين مضيئة بأمر الله من السماء.. ثلاثة أيام، لم يتحرك فرعون ولا جنوده..

محب.. لم ير نور.. "الليل لا يرحل عن مصر وأنا أطوى مع هذا الذى لا يرحل أيها الراحل دوماً ارحل بجراحى لأرى طيور أحزانى فى المساءات تغادر ميناء الذكريات.. مهلا يا ليل فصوتها ينبض فى القلب حكايات"..

كانت الآيات تنزل الواحدة تلو الأخرى للمصريين واليهود حتى يعرفوا قدر الله ومعجزاته فى السماء..

فى ثلاثة أيام بدأ يدرك عقل محب أن إله موسى قوى جبار وهو لا يراه ولكنه يرى فرعون أمامه..

حاول بنيامين مع أم نور، قدم لها هدايا ثمينة، بدأ يلعب برأسها..

مصر ليل لا ينتهى.. شعب لا يرى الصبح أبداً.. إن الله يحب المصريين حباً خاصاً أرسل لهم من الأنبياء كثر.. أكثر شعوب العالم جاءهم

أنبياء.. إن الله ينظر إلى المصريين برحمة تفوق الخيال..
قالت أم نور لابنتها:

- أنا أعلم يا صغيرتى أن الحب زلزال، وأنا لم أكن أحب أباك، وكنت أحب شابا فرعونيا.. ربما لا تعرفين هذه القصة، ولا تعرفين كم بنتا من اليهود هربت مع فرعونى، وكم فرعونيا آمن برسالة موسى ويوسف ويعقوب، من أجل الزواج بأنثى يهودية إسرائيلية.. يا حبة القلب.. أعرف أن القلب وما يهوى ولكن العقل وما يهوى وإيمان القلب بالله أقوى..
- يا أمى، استريحى لن أتزوج بمحب، ولن أتزوج من بنيامين.. سأظل هكذا بدون زواج.. أنا لن أفرط فى أبى وفيك..

احتضنتها الأم وبكت..

دق الباب.. قامت الأم.. فتحت الباب، وجدت بنيامين وخلفه الخدم يحملون الهدايا..

- أهلا يا أم نور [(١)]
- أهلا بك
- هذه بعض الهدايا البسيطة لك وللأميرة نور. الكفار المصريون عبدة فرعون والأصنام فى ظلام ههههههههههههههههههههه

قامت الأم دون كلام.. دخلت إلى الحجرة وخرجت تحمل كل الهدايا السابقة التى آتى بها بنيامين ووضعتها أمامه..

صمت بنيامين.. ثم قال:

- خير ماذا جرى؟
- ابنتى نور لن تتزوجك، ولن تتزوج الفرعونى الكافر محب..
- أنت تهيننى يا أم نور.

كان يجلس فى الصالة وهو يشم عطر نور الذى انتشر فى كافة أرجاء البيت، وكأنه يغسل رئتيه بهذا العطر.. أليست العطور رسائل غير مرئية للأرواح.. قام بنيامين وترك كل الهدايا، والغضب يجرى حمى فى الدم.. فتح

---

(١) قابلت الليلة الدكتور الشاعر الناقد المسرحى محمود نسيم والناقد المسرحى رفيع المستوى عصام أبو العلا.. قالوا غدا تظهر نتيجة الانتخابات.. مرسى أم شفيق.. الشارع المصرى قلق جدا..

الباب وخرج.. خرج الأب من حجرته.. ونظر للهدايا الملقاة على الأرض..

خرج بنيامين من الدار إلى النار.. نار الشوارع التى لا يراها ولا يحس بها إلا هو.. نجح بنيامين فى شراء وبيع كل شئ حتى البشر العبيد لكنه لم يفلح فى شراء قلب نور..

اللقاء قبل الأخير.. (١)

راح محب يحمله حصانه برق فى هذا الليل إلى نور.. الحصان لا يرى.. ولكن يشم عطر نور.. راح الحصان يمشى يشم روائح البخور والخبز والبقول وروائح النساء والرجال والزهور لكنه يمشى حسب حاسة الشم لعطر جسد نور.. إلى جاسان حيث الإسرائيليين.. حيث وقف عند باب نور.. دق الباب، لم يفتحوا.. صاح:

- افتحى يا نور أنا محب أريد أن أتزوجك.. أنا أحبك.

كان كنعان ونور فى الداخل وأمها لا يعرفون ماذا يفعلون.. كانت نور وأمها ترتجفان.. والأب أخذ يصلى.. صاح:

- قولى لرب موسى وربك إنى أحبك.. سلى موسى أن يسأله.. أنا مصرى أؤمن بفرعون مصر إلها ولا إله غيره.. استطيع الآن أن أحرق كل بيوت الإسرائيليين فى جاسان من أجلك حتى بيت موسى وهارون.. أنا أستطيع أحرق كل الإسرائيليين واليعاقبة والإخناتونيين.

الكل يرتعد من خلف النوافذ والأبواب. ظهر موسى وهارون.. صمت الشاب محب فجأة ثم أخذ حصانه برق وانطلق.. خرجت نور تجرى إلى موسى تقبل يده، ربت على شعرها ومشى، غضب الرب على المصريين والفرعون..

الضربة العاشرة

وهى موت الابن البكرى المصرى فى كل الأسر المصرية، فانطلقت صرخات البكاء فى كل بيت مصرى حتى فى بيت فرعون نفسه، وبيت محب حيث مات

(١) الصديق الشاعر الموسيقى محمود رمضان القادم من أمريكا بعد ٢٢ عاما ذهبنا إلى المسرح العائم وإلى الاتيليه وقهوة البستان.. مظاهرات فى ميدان طلعت حرب .. غازات وإطلاق نار من الشرطة على المتظاهرين ..

أخوه الكبير..

وسلم الله أبكار بنى إسرائيل من الموت على يد الفراعنة الذين..لهم قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم ..... الغافلون..

ثم قال الرب لموسى :

- ضَرْبَةً وَاحِدَةً أَيْضاً أَجْلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مِصْرَ. بَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ مِنْ هُنَا. وَعِنْدَمَا يُطْلِقُكُمْ يَطْرُدُكُمْ طَرْداً مِنْ هُنَا بِالتَّمَامِ. كَلِّمْ فِى مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ ،وَكُلُّ إمرأة مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ.(١)

وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين. وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً فى أرض مصر فى عيون عبيد فرعون وعيون الشعب.(٢)

وقال موسى :

هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّى نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِى وَسَطِ مِصْرَ ، فَيَمُوتُ كُلُّ بِكْرٍ فِى أَرْضِ مِصْرَ ، مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إلى بِكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِى خَلْفَ الرَّحَى ، وَكُلُّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ ، وَيَكُونُ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ.. يَكُنْ مِثْلُهُ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُ أَيْضاً وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِى إسرائيل لاَ يُسَنِّنُ كَلْبٌ لِسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، لاَ إِلى النَّاسِ وَلاَ إِلى الْبَهَائِمِ. لِكَىْ تَعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَإِسْرَائِيلَ .فَيَنْزِلُ إِلَىَّ جَمِيعُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ، وَيَسْجُدُونَ لِى قَائِلِينَ : اخْرُجْ أَنْتَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِى أَثَرِكَ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَخْرُجُ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ فِى حُمُوِّ الْغَضَبِ.

وقال الرب لموسى :

"لاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ لِكَىْ تَكْثُرَ عَجَائِبِى فِى أَرْضِ مِصْرَ"

وكان موسى وهارون يفعلان كل هذه العجائب أمام فرعون، ولكن شدد الرب قلب فرعون ، فلم يُطلق بنى إسرائيل من أرضه.

---

(١) فاز الدكتور محمد مرسى برئاسة جمهورية مصر خفت أن تزور الانتخابات لصالح الفريق أحمد شفيق لم أرشح واحدًا منهما لكنى فرحت بمرسى لأنه ثورى وشارك فى الثورة.

(٢) ظهرت جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية.. لم أحصل على جائزة .. زعلت خمس دقائق لأنى أعرف مصر العبيطة لن تكرمنى وأنا حى ولم تكرم بيرم التونسى ولا حافظ إبراهيم ولا نجيب سرور ولا محمد حافظ رجب، ولا محمد آدم ولا مدحت الجيار .. مصر عبيطة قوى..

طول عمرنا كدة خيرنا لغيرنا
نبني لناس تحصدنا وتجني
ناس ظلمة تكسر مناخيرنا
ونعيش عمرنا ضهرنا محني

سيد حجاب شاعر رائع

***

الفصل (٤١)

بعنوان الهروب من مصر مثل موسى عليه السلام

فتحى رضوان خليل

كان الخروج من مصر أشبه بالهروب الكبير[١].. كل أحلامنا فى مصر ضاعت وأحلامى.. العسكر يحكمون البلاد منذ عهد الفراعنة.. ورقة صفراء وأجازة بدون مرتب لمدة عام.. التأشيرة كانت ولابد وأن تأتى من الإمارات من سيد شحم [٢].. لابد للسفر إلى الإمارات حيث الديمقراطية هناك.. أول مرة سأركب طائرة ..

الإسكندرية تفتح أذرعتها الكسيحة لى.. السادات يخدعنا بالديمقراطية والعدالة الجتماعية.. كل ما نراه أمامنا سرقة ولصوص، وتجارة حرة، والموانئ مفتوحة كغانية.. سأنسى مصر الوجع.. "إذا مر طيفك ببالى سأشترى وردة وأشم عطرها فى الحال.. فأنت ذكرى للقلب ووردة المستحيل".. الإسكندرية تموت كل يوم مرتين صباحا فى زحام المدارس والعمال ومساء فى الغروب.. آه لو سافرت إلى الكويت..

الكويت بلاد المستحيل أقوى بلد فى الخليج فكرا وثقافة، ومن أكثرها قسوة على الغرباء هى والسعودية، وكذلك ليبيا فى الغرب فى معاملة المصريين.. حملت ملابسى فى شنطة وأوراقى فى شنطة إلى الطائرة، لكنى اتجهت إلى الإمارات.. عند وصول الحقيبة إلى المطار وجدت حقيبة الأوراق سليمة وحقيبة الملابس تمزقت.. الإمارات حلم كل الفقراء فى بلادى مصر.. تعنى أنك ستشترى مسجل ومروحة وبطانية وفستان لحبيبتك وحصيرة بلاستيك والشراكة فى جاموسة

---

(١) فاز محمد مرسى رئيسا لجمهورية مصر، أول رئيس ينتخب من ٧ آلاف عامًا.. أول رئيس غير عسكرى..الجمهورية الثانية.. معقول يحدث تغيير فى خارطة مصر

(٢) سيد شحم صحفى مرموق فى جريدة الجمهورية عيبه أنه رجل شريف فى مجتمع يكره الشرفاء .. وفتح لى نافذة للكتابة فى أبي ظبى .. وكانت معه زوجته الصحفية الرائعة نجوى فؤاد.. ما أروعهما وأجملهما.. فتحى رضوان خليل..

وشراء شقة وسيارة ..[١]

ليلة ليلاء ..الله لا يحب الكبر عليه والظلم والكبرياء ..

كان فرعون وهامان يخططان لقتل موسى وقومه، وكان موسى وقومه يخططون للهرب بأمر الله من فرعون وجنوده، كانت ليلة السفر والهجرة

---

(١) قرات اليوم مقالا مدهشا كتب حازم عبد العظيم (جريدة المصرى اليوم) عام ونصف العام منذ بداية ٢٥ يناير! «اضربنا» جميعاً فى خلاط المرحلة الانتقالية! أحداث سريعة ومتلاحقة! تنحّي مخلوع وجيش وشعب إيد واحدة، وتعديلات دستورية واستفتاء سياسي شرعى، ومظاهرات واعتصامات ومجازر دموية واعتقالات وسحل نساء وقمع متظاهرين، ثم ثلاث حكومات متعاقبة ويسقط حكم العسكر بعد أن كان «الجيش والشعب إيد واحدة»، انتخابات شعب وشورى، لجنة انتخابات رئاسية بوجهين وجه قضائى ووجه إدارى! وشوف إنت؟ تجيلى كده تاخد قضائى - تجيلى هناك تاخد إدارى! «شفيق» يصعد للإعادة مع «مرسى»! تحت شعار »عفا الله عما سلف»، و«مرسى» يرد بشعار وحدة الدولة الإخوانية مع الدولة المصرية «قوتنا فى وحدتنا . «دستور قبل الرئاسة؟ ولا رئاسة قبل الدستور؟! إعلان دستورى واضح أن الرئاسة قبل الدستور، ثم توقيع جميع القوى السياسية على بيان مخالف للإعلان الدستورى فى أكتوبر ٢٠١١ مع سامى عنان! ثم التراجع عن ذلك لاحقاً.. مش مهم ماحدش واخد باله! العسكرى يحذر من حريق مصر فى ٢٥ يناير.. المخابرات: مش إحنا! جبتوا منين الكلام ده؟! الإخوان يتراجعون عن وعدهم السابق بعدم المنافسة على الرئاسة - مش مهم ماحدش فاكر! وقالوا الظروف اتغيرت.. ترشيح »الشاطر» حازم أبوإسماعيل، وتراجيديا أمريكية مخابراتية مصرية» !أبوإسماعيل» منافس خطر.. يهاجم العسكر بوضوح شديد.. «حازم» لازم يخرج من اللعبة.. «حازم» طلعت والدته أمريكية.. و«بجاتو» على الفضائيات فى عرض خاص.. و«خيرت» لازم يخرج من اللعبة!
خيرت مؤسسة اقتصادية.. ومؤسستين اقتصاديتين فى السلطة واحدة عسكرية وواحدة إخوانية ما ينفعش.. يعملوا قفلة.. نزل عمر سليمان.. إوعى وشك.. خش يا باشا وهات الاتنين وانت طالع.. وبعدين تتزنق فى كام توكيل فى الآخر ما يكمِّلش.. رئيس المخابرات العامة السابق اتلخبط فى العد.. عديها بقي ما تدقش.. اللي بعده.. الإخوان ينزِّلوا الاحتياطى «مرسى»، الإخوان عايزة تسحب الثقة من الحكومة.. الحكومة: «ما تقدرش».. صلاحياتك وصلاحياتى واتفرقوا الصلاحيات.. فايزة أبوالنجا تتصدر التصريحات العسكرية فى حكومة »الجنزورى».. تتحدث فى كل شئ وأى شئ.. ثم فيلم كرتونى ترفيهى عن لعبة التمويل الأجنبى علشان الجمهور يهيّص.. «الجنزورى»: لن نركع.. الأمريكان طاروا.. «عبدالمعز» عملها وطار أيضاً.. «الكتاتنى» يشكر القوات المسلحة فى أول جلسة بعد دماء محمد محمود ومجلس الوزراء.. الثوار بياخدوا ترامادول ..تصفيق حاد.. إيه اللى وداها هناك بما لا يخالف شرع الله!
إعلان دستورى مكمل قبل الجولة الأولى! لا بلاش دلوقتى.. تأسيسيتين فى الرأس توجع.. وآه يا دستورى يانى! قانون عزل وحل مجلس الشعب فى يوم واحد قبل الانتخابات بيومين! هو فيه إيه؟ قرأت عن الحرب النفسية فى الحروب ما يلى: عملية منظمة شاملة يستخدم فيها من الأدوات والوسائل ما يؤثر على عقول ونفوس واتجاهات الخصم بهدف تحطيم الإرادة والإخضاع.. شل عقل الخصم وتفكيره ونفسيته وتحطيم معنوياته وبث اليأس، والتشجيع على الاستسلام والقضاء على كل أشكال المقاومة عنده.. تحطيم الوحدة المجتمعية والنفسية للخصم، ببعثرة الجهود وبلبلة القوى السياسية والسعى لتناحرها.. تفتيت حلفاء الخصم وكسب المحايدين.. إرهاق الخصم بتدفق هائل من الأحداث المركبة ومعلومات مشوّشة لإفقاده التوازن النفسى والانفعالى.. فهمنا دلوقتى خلاط المرحلة الانتقالية؟ «ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ".

لموسى وهارون وقومهما ليلة ليلاء حيث طلب موسى من أهله أن يخرجوا فى المساء، ويحملوا أشياء بسيطة لا تعوقهم فى السفر، فإذا خرجوا من بيوتهم هم وأهلوهم وضعوا علامة من دم الشاة على أبواب البيوت من الخارج. وقد أمر كل أسرة إسرائيلية أن تحضر شاة وتذبح فى كل بيت ويشوى لحمها ثم يؤكل لتكون سنداً لهم فى رحلة السفر الشاق إلى سيناء.

أخبر كنعان ابنته نور أن ميعاد الرحيل من مصر جاء، ورأت أباها يذبح شاة ويضع علامة على الباب.. وبينما هم يأكلون.. لم تأكل نور.. طلبت منها أمها بإلحاح لأن المشوار شاق، لكن نور رفضت الأكل والشراب.. وكانت النساء الإسرائيليات قد طلبن من كل جيرانهم الذهب سلف.. بحجة حضور فرح كبير يجب أن يتزينوا به.. وسوف يعيدونه.. إلا أم نور رفضت فلديها ذهب كثير هدايا من بنيامين..

وبينما هم يأكلون اقتحم عليهم الدار بنيامين صارخاً:

- كنعان، نور أم نور لا تذهبوا مع موسى وهارون.. الرحلة إلى سيناء ثم إلى اورشليم (القدس) تحتاج إلى خيول وجهد جهيد.. الطريق بها وحوش.. سيموت نصف الرجال والنساء .

قال أبو نور:

- تعال كل يا كنعان أنا أعلم أن الأغنياء لن يسافروا ولن يرحلوا.. ولكن إرادة الله فوق إرادتنا.. أنا لو معى مال مثلك كنت سأرحل.. لأنى أؤمن بما جاء به موسى وهارون.

نظر بنيامين إلى نور:

- نور.. أتتركين مصر والنيل.. أنا لن أمنعك من الإيمان بما جاء به موسى. وسأكتب لك كل أموالى إنى أحلم بأنك ستكونين زوجتى وأم ابنى، وإذا مت ستحصلين على كل أموالى ومجوهراتى، وأراض وقصور.. سأحضر إليك ٢٠٠ جارية تخدمك وأربعين عبدا من الأقوياء لحملك و٢٠٠ لحمايتك.. إن الله لن يمنح فى الجنة مثل هذا العدد من الخدم. ماذا قلت يا بنت الناس؟

- سأرحل مع أبى وموسى..

- أغبياء سترحلون فى الليل بينما المصريون مشغولون بدفن موتاهم من

أولادهم البكارى، وفى الصباح سيكتشف فرعون سيجهز جيشه ويلحقكم. سيبيدكم جميعا.. ستموتون.

- الموت حق وحقيقة.

خرج بنيامين حزينا يكاد الدمع والدم ينفجر من عينيه.

وكانت هذه العلامة التى توضع على الأبواب ليعرف منها موسى ومن معه (فريق تأمين السفر) أى بيت قد خرج أهله، وأى أهل بيت قد تأخر. وقد يكون التأخير فى الخروج بسبب ضعف أو عجز أو سهو أو نوم. فكان على فريق العمل أن يؤمن خروج الجميع سالمين، فى الموعد المحدد، ويعاون من يحتاج إلى العون. وسار موسى فى مؤخرة القافلة وهارون فى مقدمتها.

جمع كنعان أغراضهم وزوجته ونور وهموا بالخروج من الدار.. ادعت نور أنها نسيت شيئا فى حجرتها عادت إلى حجرتها مدت يدها على الفراش تتحسسه.. هنا كنت أنام أحلم بمحب وحصانه برق.. هنا عند الشباك كنت أقف أنتظره وهو واقف بعيدا فى الساحة على حصانه يلوح لى بباقة ورد.. آه يا مصر يا بلادى.. كم تمنيت أن تؤمنى بموسى وكتاب الله ونعيش كلنا فى سعادة.. لماذا نرحل ويرحل الأنبياء بنا نحن المؤمنين..

نادى عليها أبوها:

- هيا يا نور.. حتى لا نتأخر..

- حاضر يا أبى.

سقطت دمعات على الأرض. أرض الوطن الظالم أهله ويحكمه طاغية.. خرجت.

شاءت حكمة الله أن تكون آيته الأخيرة لفرعون وجنوده أن يموت الابن البكر من البشر فى كل عائلة مصرية ويتعالى النواح والصياح وينشغل أهل مصر عن اليهود بدفن موتاهم فى القبور، حتى يخرج بنو إسرائيل من مصر سالمين.

قام محب فى الصباح متجها إلى بيت نور فى جاسان.. ركب حصانه برق.. وصل إلى الساحة لا يوجد أطفال تلعب.. لا مارة لا باعة جائلين لا نساء لا أطفال لا رجال.. اقترب بحصانه خطوات تجاه بيت نور.. هل ماتوا جميعا وقتلهم فرعون؟.. دق الباب على بيت نور وجد الباب مفتوحا فدخل

صائحا:

- نور يا نور يا نور

دخل كل الغرف.. البيت خاو لا توجد قطعة ملابس حتى.. ولا أثر للحياة اندفع خارجا من باب الدار صارخا فى الفراغ:

- نور نور أين أنت يانور؟

صهل برق صهلتين.. راح محب يفتش بعض البيوت وجدها خاوية ووجد علامة على كل الأبواب، ثم وجد عجوزين فى التسعين عند إحدى الدور صاح فيهما:

- أين الناس أين نور؟

- رحلوا مع موسى..

صرخ محب:

- آه فعلها موسى..

ركب حصانه

- نور يا نور .

ذهب إلى قصر فرعون الذى جن عندما علم بالهروب..

أصدر فرعون أوامره باللحاق بهم أينما ذهبوا أو رحلوا وتجهيز جيش بقيادته ومعه قادة جيشه وبينهم محب، وأمر بذبحهم وإعادتهم إلى مصر..

عند خليج السويس وصلت قوافل بنى إسرائيل، وأمام البحر وقفوا ينتظرون ما هم فاعلون، وندم بعضهم على طاعته لموسى وفكرة الخروج أو الهروب وقالوا لموسى :

- لقد أخطأنا حين خرجنا معك لنموت فى البحر أو الصحراء

وقال آخرون لموسى(١) :

- إنا لمدركون من فرعون والمصريين

فقال موسى مهدئاً ومشجعاً لهم:

- كلا، إن معى ربى سيهدين.

---

(١) منذ عشرين يوما لم يتصل بى ابنى ولا ابنتى للسؤال لا برسالة موبايل، ولا فيس بوك ولا إيميل..... ما اجمل الأبناء.. وعندما كانوا فى مصر أو أنا فى الامارات كنت أتصل بهم كل يوم .. دى مش شـــكوى ولا عتاب.. هم مثل الملايين من الأبنـاء.. أبنـاء هذا الزمان..

وسجد موسى شاكياً وراجياً مستغيثاً وقائلاً[1]

- اللهم عونك.. اللهم نصرك..

فأوحى الله إليه قائلاً:

- يا موسى اضرب بعصاك البحر ينشق لك فى البحر طريقاً يبساً تمر عليه أنت وقومك

فنفذ موسى أمر الله وضرب البحر فوجد عجباً، طريقاً وجسراً من أرض صلبة وسط المياة طوله لا يقل عن ١٥كم يصل البر بالبر والشرق بالغرب وسط الماء وعرضه لا يقل عن ٥٠٠ متر.

تدافع القوم للعبور وتزاحموا بطريقة عشوائية، فخاف موسى عليهم الهلاك فسأل ربه الإنقاذ فأوحى الله إليه قائلاً :

- اضرب البحر بعصاك فى مناطق متفرقة أحد عشرة مرة ليكون هناك اثنى عشر جسراً، على كل جسر يعبر (٥٠.٠٠٠) فرد دون زحام أو تدافع.

ونفذ موسى أمر الله وعبر بنو إسرائيل البحر ونجوا أجمعين وفجأة نظر بعض بنى إسرائيل خلفهم فرأوا إطلالة من جيش فرعون الجبار قد ظهرت على الجانب الغربى للبحر الأحمر، فصرخوا قائلين:

- يا موسى.. فرعون وجنوده سيلحقون بنا، ليهلكونا.

نظرت نور وجدت محب فى الطلائع مع فرعون وهامان.. نظر محب وجد نور فى الطلائع مع موسى وهارون..

أراد موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر ليعود ماء كما كان قبل أن يقتحم فرعون وجنوده - كتائب الإعدام - الجسور الاثنى عشر فقال الله لموسى موحياً إليه:

- يا موسى اترك البحر رهوا كما هو لأنهم جند مغرقون.

وأرسل الله جبريل على رأس جيش من الملائكة ليعبر الجسور أمام جيش فرعون دون أن يروه. وكانت الخيل من الإناث لتجذب الخيل من الذكور خلفها من جيش فرعون ليندفع الجميع إلى هلاكه ومصيره المحتوم.

وقبل أن يصل فرعون وهامان ومن معهما إلى شاطئ البحر خلف

---

(1) معظم المعلومات الخاصة برحلة موسى اقتبست من كتاب أخى العلامة المجدد فى الفكر الإسلامى د/ رمضان حافظ، كتاب "أنبياء الله".

موسى ومن معه أمر الله البحر ليعود بحراً كما كان، وأغرق الله فرعون وجنوده وهامان، وهنا أدرك فرعون أنه لا نجاة من الغرق إلا لمن آمن بالله وصدق، فقال لموسى:

- يا موسى.. يا موسى أغثنى.. إنى آمنت بأنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين..

فقال موسى له موبخاً إياه ومعلناً له كذبه:

- الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

صاح محب:

- نور أنقذينى إنى آمنت برب موسى وهارون

انفرطت الدموع من عينيها وهو يغرق.. غرق القلب والروح فى البحر وأنت المعاند المكابر يا محب.. آه لو جئت معى.. آه لو تعرف كم توسلت إليك وناقشك أبى.. آه وآه.

صاحت نور:

- يا حبيبى.. ضاعت كل الفرص.. (أدارت ظهرها وصاحت): آه يا مصر يا بلادى يا طاردة.. يا قاتلة.. فلاش باك

الفصل الأخير
ليلة اختفاء فرعون موسى

الزمان : عصر يوم الرحيل والعبور.

المكان : قصر فرعون.

: (تجلس ملكة مصر على مقعد .. وتقف أمامها يوكابد أم موسى (امرأة عجوز – والملكة عجوز)

يوكابد : طلبتنى جلالة الملكة إلى أمر هام.. ما هو.

الملكة : موسى.

يوكابد : نبى الله.

الملكة : موسى.. ابنك الأصغر .. وابنى الذى ربيته وعلمته واتهمته وكنت أراه يكبر أمامى يوماً بعد يوم.. يتفتح قلبه وعقله كل لحظة ويصير عملاقاً.

يوكابد : وقد صار أمره قادة جيوش مصر .. وحقق الانتصارات في كل مرة قاد جيش مصر وصارت مصر سيدة الأمم.

الملكة : يا قرة عينى.. هو ابنى .. هو من ربيته وأعطيته وقتى.. ولاعبته وناديته يا صغيرى.. وحملته على كتفى وسقيته من كفى.. ولعبنا سوياً وهو من قال لى يا أمى.

يوكابد : هو ابنى وابنك.. هو ابننا.. أنا من ولدته وأنت من ربيته.. في أي شيء طلبتنى الملكة العزيزة زوجة فرعون.

الملكة : إن فرعون في حالة غضب شديدة لا يصدق نفسه أن موسى ابنه وقائد جيشه والذى سيرث العرش وما عليه يقوم بفعلته الشنعاء.

يوكابد : أي فعلة فعلها موسى.. أن قال إنى نبى الله وأحمل الألواح لكم من الله.. هل تكذبين موسى يا سيدتى.

الملكة : **أنا أصدق الفرعون وأصدق موسى وبين الرجلين أشعر بأنى ضائعة.. فهذا زوجى وهذا ابنى ولكن قلبى يميل إلى ما جيئ به الابن.**

يوكابد : **إذاً أخبرى الملك.. دعيه يؤمن بالله.. إله موسى.**

الملكة : **أنت لا تعرفين كيف يفكر الملوك والفراعنة.. إنهم آله وأنهم فوق كل البشر.. وأنهم خالدون وأنهم قادرون وأنهم البداية والنهاية والوجود والكون ولا يموتون.. ولذلك عرش الفرعون في خطر.. أنتم اليعاقبة تفكرون صنعوا الفرعون.**

يوكابد : **نحن له هو.. نحن نعمل عبيداً عند المصريين .. نحن الجزارون.. نحن البناؤون .. نحن النجارون.. نحن الزارعون.. نحن الفلاحون .. نحن عمال الاسطبل وعمال السقاية والزبالون نحن حقراء هذه الأرض.**

الملكة : **وأنتم أيضاً الأثرياء .. أنظرى إلى قارون .. قارون يملك أموالاً تفوق الخيال.. إن قارون ابن عم موسى وهو أغنى رجل في مصر ووزير مالية الفرعون.. لماذا لا تنظرين إلى الأثرياء من اليعاقبة.**

يوكابد : **في أي شيء طلبتنى الملكة المعظمة.**

الملكة : **ساعدينى عليه.**

يوكابد : **على ماذا ؟**

الملكة : **على موسى وهارون.. ولديك.**

يوكابد : **أأقول لهما تخليا عن ما كلفكما به الله ؟**

الملكة : **نعم.. قولى لهما إن المصريين تعودوا على رمسيس أن يكون إلهاً وأن يكون سيداً ويقود مصر إلى عهدها.. ماذا يقول موسى.**

: **(تدخل مريم الأخت الكبرى لموسى)**

مريم : **يا أماه... أين أنت لقد تأخرت ؟**

يوكابد : **مريم يا ابنتى أنا بخير.**

الملكة : اذهبى يوكابد ودعى مريم معى.

يوكابد : أستئذنك مولاتى.

: (تخرج يوكابد.. يظل على المسرح الملكة ومريم)

الملكة : مريم.. خبرينى بربك.. رب موسى.. ما الذى غير موسى تجاه فرعون العظيم.

مريم : إن موسى يوم توقيع معاهدة الصلح الكبرى مع ملك الحيثيين سأل نفسه سؤالاً .. من هؤلاء الآلهة العظام الذين كان فرعون والمصريين يلتمسون بركاتهم إلى ألف إله.. ألف إله نعبدها في مصر.. حتى أننا نعبد البصل.. الناس في قرية الرحمانية يعبدون البصل ويقيمون احتفالاً بعيده لمدة خمسة أيام.. قال موسى.. هذا الحكم من الآلهة والعادية والصغرى وأنصاف الآلهة والأرواح وحتى البصل.

الملكة : لكن الفرعون رمسيس جعل قلة من الآلهة الكبرى معه. وسماهم مجمع الآلهة وهو رئيس الآلهة.. هو أنت من أحضرتى يوكابد أمك لترضعه لنا.. أنت من سمحت لك أن تحضرى له كل يوم لتلاعبيه عندما طلبت أمك ذلك.

مريم : إنه نبى الله..

الملكة : اسمعى يا مريم سألحقك بخدمة المعابد على زوجات الموظفين الكبار.. وستحصلين على طعام ممتاز وملابس جميلة وستحفظين الأناشيد وتعدين باقات الزهور للمعابد ولو أقنعتى موسى بعدم الرحيل الليلة سأعينك كبيرة المنشدات بدلاً من زوجة كبير الكهنة ستكونين رئيس على ١٠٠ امرأة وخادمة وستحصلين على أسماك ومحاصيل زراعية وطيور من أوقاف المعابد.

مريم : يا سيدتى أنا امرأة بسيطة لا أحلم بالكثير.

الملكة : يا غبية.. أنت قادرة على الحصول على منصب كبير.

مريم : انا كل ما أرغبه إرضاء الرب.

الملكة : إن موسى سيأخذكم إلى صحراء سيناء.. إلى أين تخرجون.. وتتركون مصر.. تتركون النيل والماء والطعام الجميل والجو الرائع.

مريم : إن الخروج أمر من الله.. أن نخرج من أرض مصر.

الملكة : إن صحراء سيناء مملوءة بالبدو .. البدو المختفين في ثنايا الجبال.. متوحشون في مظهرهم ليسوا مهذبين ولا متحضرين.. لا تؤثر فيهم التوسلات وستقعون في كمين.. ها أنا أراك أمامى الآن ترتجفين .

مريم : سأرحل.. وأخرج مع موسى.

الملكة : أنظرى إلى شعر رأسك يقف .. كيف ستحملين حياتك فوق كفك.. إن طريق سيناء تملؤه الحجارة والحصى ليس فيه ممر سالك.. بل تغطيه الحشائش والعليق ونباتات شائكة.. وتسمعين صوت الذئاب على شمالك الهاوية وعلى يمينك شوامخ الجبال.. ستتعثر العربات التي تحمل النساء والأطفال وتميل على الأرض وسيعرف البدو من الأثر خطواتكم فيخطفون النساء والأطفال وتصيرون عبيداً .

مريم : نحن هنا عبيد أيضاً يا سيدتى.. لا تنسي نحن هنا عبيد منا السقاء والزراع والحمال و...

الملكة : (مقاطعة) انتبهى لكلامك.. فهذه المهن مهمة.. فالغسال يمضى وقته رائعاً غادياً وتتعب أطرافه وتكل يداه وقدماه في تبييض ثياب جيرانه.. كل يوم.. والخزاف يعفره التراب فيبدو كمن مات لديه عزيز.. ويداه وقدماه مغمورتان في الوحل.. والإسكافى يخلط المحاليل على الجلد فتفوح رائحته..

مريم : أنت تجملين الواقع يا ملكتى.. الواقع الذى نحياه تعيس ومقرف وذل..

الملكة : موسى.. كان يتبوء أكبر المناصب.. الابن الأكبر لفرعون قائد جيوشه.

مريم : وانتصر بهذا الجيش.

الملكة : وكان من الممكن أن يصبح فرعون مصر القادم.

مريم : إن موسى جاءته الرسالة.

الملكة : إنها ليست رسالة إنها وهم.. إنها حمى.. كذبه.

مريم : أنت تقولين كلام الفرعون.. قلبك نقى.. ويقول لك غير ما ينطق به لسانك العفيف.

الملكة : إنى أرى دمار مصر لو خرج موسى واليعاقبة واليهود من مصر.

مريم : ستخرج .. هي أوامر الله.. هي أرض الذل.

الملكة : مصر.

مريم : أرض الكراهية لنا ونحن صرنا منها قد جاء يوسف عليه السلام ونحن نعيش مئات مئات السنين.

المملكة : منكم أغنى الناس.

مريم : والغالبية العظمى لا تجد قوت يومها إلا بالكاد.

الملكة : يا صغيرتى.

مريم : يا ملكتى.. أنت تحملت الفرعون.. وتزوج عليك مرات ومرات كى ينجب طفلاً أو طفلة ولم ينجب.. إنها إرادة السماء.

الملكة : تزوج عشر مرات أو أكثر.

مريم : حتى ابنة ملك الحيثيين.. مولاتى.. إنى أستئذنك .

الملكة : أمازلت أنت مصممة على رأيك؟

مريم : سأخبر أخى موسى وهارون بما دار بيننا ونصيحتك الغالية.

الملكة : شكراً لك.. (تخرج مريم من فوق المسرح)
(الملكة بمفردها)

الملكة : إلى أين تذهبين يا مصر؟ والى أين نمضى؟ ماذا يخبئ لنا المستقبل؟ ما هذا المجهول دائماً الذى يسمى المستقبل يحاصرنا في اليقظة والنوم؟ إنى أؤمن بما يقوله موسى ورأيت بعينى كيف أن الله غضب علينا مرات .. جعل نهر النيل دماً .. وأرسل علينا النمل والظلام.. ولم يؤمن فرعون.. إلى أين تمضى يا أيامنا الحبلى بالأخبار والأسرار

(إظلام على المسرح)

الراوية : (تظهر على المسرح) في تلك الليلة جاءت الملكة أيضاً بزوجة موسى صفورة وقد دخلت ومعها طفلة في العاشرة ابنة موسى جرشوم هذه آخر أوراق الملكة كى تحاول الضغط على موسى عليه السلام.

(ضوء على الملكة تقف وزوجة موسى صفورة والطفلة جرشوم)

الملكة : ها أنت قد جئت أيتها الأميرة صفورة إلى مصر.

صفورة : أنا لست أميرة يا ملكة مصر.

الملكة : أنت أميرة لقد تزوجت من ابننا موسى وليس ابن عمران نحن الذين ربيناه .. فرعون الذى رباه.. فرعون الذى لا يقهر.. حكم مصر ٦٧ عاماً وهو الآن في التاسعة والتسعين من العمر .. حقق الانتصارات الكبرى وبنى المعابد الكبرى وأسس مصر القوية وصورة على كل المعابد وهو الذى ربى موسى وعلمه اللغات وعلمه فنون الحرب والكر والفر والأدب هذا فرعون.

صفورة : كلنا يعرف من هو فرعون.

الملكة : صفورة ساعدينى من أجله مصر من أجل ملكنا.

صفورة : في أي شيء أساعدك.

الملكة : أعيدى موسى إلى صوابه كى يفهم ويقتنع أن فرعون هو الإله.. وأن ما قام به من رمى لعصى والتي تحولت إلى ثعبان وما فعله بيده التي أصبحت بيضاء هي سحر.

صفورة : أشعر يا ملكة البلاد أنك تتحدثين مع الإنسان الخطأ.. إنى مجرد زوجة امرأة بسيطة.. أرعى الأغنام .

الملكة : سأجعلك تعيشين معنا.. ها هنا.. بيننا تعيشين في قصر من قصور الفرعون على نهر النيل.. هو قصر بناة لموسى وأهداه له.. وليكون لك الخدم والوصيفات والمنشدات أقنعيه أن لا يخرج بالناس ويسافر إلى سيناء .

صفورة : إنه أمر الله للخروج من مصر.. إن شعب الله يهان ها هنا؟

الملكة : (لجرشوم)
أأنت ابنة موسى الكبرى؟

جرشوم : نعم.

الملكة : أنا في مقام جدتك فأنا أم موسى والتى ربته.

جرشوم : أبى يقول إنك امرأة صالحة وطيبة القلب .

الملكة : هو ابنى ويعرفنى أكثر من أي شخص في بر مصر.

صفورة : إن ابنك صار نبياً صار يحمل أواحاً وأيات من الله.. كونى من أتباعه.. وقفى إلى جواره ودعميه.. إن قلبك أنقى من الثلج هكذا قال موسى.

الملكة : وماذا قال عنى أيضاً .

جرشوم : قال إنك أطيب من قلب النيل.. وأحن من عزف الناى.

الملكة : آه يا ولدى.. ما أحن قلبك على.. ما أروع النبوة البارة إنى أخاف عليه.

جرشوم : تعال معنا.

الملكة : ماذا ؟

جرشوم : تعال معنا.

الملكة : ماذا تقولين يا صغيرتى؟

جرشوم : أقول ما سمعت.

صفورة : نعم تعال معنا أيتها الملكة الأم.

جرشوم : وكيف يتم ذلك من يجلس بدلاً عنى في القصر.. فرعون عجوز لئيم سيبحث عنى.

صفورة : دعى أم قارون تنام في الفراش.

الملكة : وبعد.

صفورة : قولى لها إنك ستذهبين إلى موسى لإقناعه بعدم الرحيل حتى لا تقع الفتنة اللعينة فتقسم البلاد .

جرشوم : انقسمت البلاد يا مولاتى .. لا مفر.

الملكة : كبرت أكبر من سنك يا جرشوم.

صفورة : ما رأى الملكة.

الملكة : دعينى أفكر.

صفورة : لا وقت للتفكير.. الليلة سنرحل .. الليلة يوم الخروج إن الملك كبر في السن وأصبح أكثر عناداً .

جرشوم : تعال معنا سيدتى ودع القصر.

الوصيفة : (تدخل) السيدة بوتى زوجة السيد قارون.

بوتى : (تدخل بوتى.. سعيدة جميلة ممتلئة الجسد.. ترتدى ذهباً وحلى تثير الانتباه) الملكة.. العزيزة.. الجميلة.

الملكة : أهلاً السيدة بوتى.

بوتى : إننى بعد اختفاء قارون أشعر بالقلق مما يجرى من موسى (تنظر إلى صفورة وجرشوم)

بوتى : أهذه أنت يا صفورة أنت وجرشوم؟.. إن زوجك هو السبب في تقسيم مصر إلى جزئين إلى شعبين يهدم ما بناه الفرعون العظيم من مجد لمصر.. إن مصر هي جوهرة العالم.. إن موسى يدعى أن هناك إلهاً غير الفرعون... (لا ترد صفورة أو جرشوم)

الملكة : اسمعى يا بوتى.

بوتى : نعم يا مولاتى.

الملكة : **تأخذها بعيداً عن جرشوم وصفورة) سأتركك هنا بدلاً عنى.. ارتدى ملابسى ونامى في فراشى.. وأنا سأذهب سراً مع صفورة لمقابلة موسى حتى أقنعه أن يعدل عما في رأسه.. إنى أمه وأنت تعلمين أن فرعون لا يرغب في المحاورة معه وأننى أحاول أن أنقذ مصر من الانقسام والحرب .. أنت يا بوتى .. نامى هنا.**

بوتى : **أفديك بروحى.. سيدتى.. سأجلس هنا.. وأنام في فراشك حتى لا يشك أحداً في خروجك.**

(تخرج الملكة مع صفورة وجرشوم.. وبوتى تنام في لسرير بدلاً من الملكة)

: **(إظلام على المسرح)**

(دقات طبول خافتة)

(يدخل الفرعون)

الفرعون : **قومى من النوم.. أسمعت الأخبار.. خرج موسى وقومه وجمعوا ذهب المصريين ورحلوا إلى سيناء.. قومى كلمينى .. هذا ابنك موسى الذى تدافعين عنه.. إنى سأتجه بكل الجيش خلفه سأمزقه هو واليعاقبة اليهود.. سأحطمهم.. سأجعل جثثهم في كل شبر من أرض مصر.. حتى يعرفون من هو الفرعون.**

(يخرج من الغرفة)

بوتى : **(تقوم من على الفراش) يا ويلى .. إلى أين ذهبت الملكة.. سيراها الملك هناك.. يا ويلى .. يا ويلى (تخرج بوتى مهرولة)**

الراوية : **(تدخل الراوية إلى المسرح)**

خرج الفرعون ومعه اثنا عشر ألف من الجند المجهزين إلى الصحراء وعندما اقترب منه جيش فرعون ألقى موسى العصا في البحر فصنع جسراً مر عليه قوم موسى إلى البر الثانى وعندما مر جيش فرعون أطبق البحر على

فرعون وجنوده.. فغرقوا جميعاً إلا فرعون وجدوا جثمانه ميتاً .. وكان آية للعالمين لكن الأمر الغريب أن لم يتبق في القصر إلا النساء وأصبحت الطبقة العليا في مصر.. كل رجالها في عداد الأموات.. ماذا فعلت نساء مصر ليلتها.

هذا ما سنراه .. عند لقاء زوجة هامان وزير فرعون وزوجة قارون في قصر هامان.

(تختفى الإضاءة من الراوية وتظهر زوجة هامان وزوجة قارون)

زوجة هامان : (شابة تبكى) آه.. آه .. أنا لا أصدق أن كل رجال فرعون غرقوا لا أصدق .

بوتى : لا تبكين .. إن مصر أرض العجائب لقد رأيت ورأت الناس الأرض تنشق وسقط قارون ورجاله وحراسه وأمواله وهو يسير أمام الناس.

زوجة هامان : قالوا انشق البحر وغرق الجميع وفرعون العظيم ونجا موسى وقومه وعبروا البحر.

بوتى : إنه ساحر.. ساحر.

زوجة هامان : وأين الملكة .. اختفت.

بوتى : أظنها هربت مع قوم موسى.

زوجة هامان : معقولة ملكة مصر.. زوجة الفرعون العظيم.. تهرب مع هؤلاء اليعاقبة الإسرائيليين.. تهرب مع موسى الساحر إلى الصحراء.

زوجة قائد الحرس : (تدخل تجرى) آه يا زوجى آه يا قائد حرس الفرعون.. يا سيد الرجال (تلطم خدها) يا ويلى من بعدك يا زين الرجال.. يا قاتل الأسود والنمور.. كان فرعون يقول .. هو سيد الرجال وخيرهم.

(إظلام على النسوة الثلاثة.. إضاءة على الراوية)

الراوية : إن النساء تعيش بلا رجال .. منذ خرج موسى من خليج السويس ومر إلى الأردن وسيناء.. وغرق في البحر الأحمر حوالى اثنى عشر ألف رجلاً من خيرة جنود رمسيس قد جمعهم من كل دول العالم ومنحهم الجنسية المصرية.. ودربهم وعلمهم وتزوجوا وعاشوا على أرض مصر .. نساء مصر بعد ثلاث ساعات ماذا قلن؟ وماذا فعلن؟ انظروا ماذا حدث)
(يسحب الضوء من على الراوية .. وتظل على المسرح الثلاث نساء في الأمام ومجموعة في الخلف .. زوجة قارون وزوجة هامان وزوجة قائد الحرس)

بوتى : (زوجة قارون) آه يا ويلى.. يا ويلى.

النساء : آه.. يا ويلى .. يا ويلى.

بوتى : يا ويلنا.

النساء : يا ويلنا

زوجة قائد الحرس : كفى نواحاً.. كفى نواحاً.. علينا أن نفكر في الحل لا البكاء.. إننا أمام أمر مريع.. مات الرجال.. إننا أجمل نساء مصر مائة وعشرين ألف امرأة صارت أرملة في ليلة واحدة.

زوجة هامان : منحوسات.. محسدوات.. مسكينات.

النساء : منحوسات.. محسدوات.. مسكينات.

زوجة قائد الحرس : علينا أن نفكر.. لقد مات أقوى رجال مصر.. القادة العظام والفرسان.. أقوى الرجال في مصر.

زوجة هامان : مائة وعشرون ألف فرعون معهم ومعهم هامان زوجى وزير فرعون.. مات دون جنازة.. دون مقبرة.. دون عزاء.. كان يتمنى أن يموت قبل فرعون حتى يخرج فرعون في جنازته.. ويقام له في المعبد احتفال جنائزى ويكون له هرم صغير بجوار هرم فرعون.. ها هو يموت في البحر ويأكله السمك..

أنا لا أصدق ما جرى لا أصدق ما حدث.. هامان.. يا هامان أين أنت يا هامان.

النسوة : (يرددون) أين أنت يا هامان.. أين أنت يا هامان؟

زوجة قارون : من سيعطينى المعاش .. كان فرعون يصرف لى كل أول شهر حصة من الطعام والمال.. تعويضاً عن اختفاء قارون.. وأمواله في الأرض.. من سيعطينى الزيت والحبوب والمال.. آه يا قارون .. أين أنت في أي أرض ابتعلت جسدك واختفيت.. ليس لك مقبرة ولا هرم ولا أثر آه يا قارون.. ها هو فرعون يختفى في البحر.. آه يا مسكينة أنا.. ونساء اليهود أخذن الذهب من المصريات يعنى كل النساء الآن فقيرات.. آه يا مسكينة أنا.

النساء : (يرددن) آه يا مسكينة أنا.

زوجة قائد الحرس : زوجى رئيس الحرس والجند كتب لى ذات مرة وهو في سوريا وكتبت له أريد أن أكون معك في الحرب.. قال لى دعينى أخبرك عن حياة الجندى الحافلة بالعذاب.. يؤخذ صبياً فيصبح سجين المعسكر.. ويظل يضرب .. نضربه ضربة موجعه في بطنه وآخرى تدمى حاجبيه وثالثة في رأسه فتشجبها.. وقد يمد على قدميه ويجلد فيصبح كالبرد.. ولأكر لك.. طرفاً من رحلتنا إلى سوريا.. نتسلق الجبال راجلين.. وزاد الجندى ماؤه فوق كتفه مثل الحمار يحمل أسفاراً.. فتظهر آثار الحمل على عنقه مثل الحمار ويشرب الماء كل ثلاث ساعات مرة واحدة.. ماء مالحاً مراً كريهاً فتصيبه بالدوسنتاريا وتؤلم بطنه.. ثم يظهر العدو فيمطره بوابل من سهامه فيصير أمله في النجاة بعيداً.. فإذا أفلح في الإياب بدا نحيفاً كالعصا ومريضاً ومنهكاً محمولاً على ظهر حمار.. وتسرق ثيابه ويأبق تابعه ويضر.. آه يا زوجى تحملت الكثير.

النساء : آه يا زوجى تحملت الكثير.

الراوية : وتظل النساء تنوح طوال الليل.. نساء مصر تريد حلاً.. اختفاء الرجال من القصور والبيوت وحشة للنساء .. الرجال وأصواتهم وصوت وقوع أقدامهم .. أي البلاد تكون بلا رجالها.. أي حياة تكون بلا أنفاسهم أي مصر الجميلة تكونين بلا رجال.

: (بقعة ضوء على المسرح .. حركة تعبيرية عن وحشة النساء في ليلة مقمرة...)

الراوية : من سيحضر للنساء دفء الشتاء.. وهواء الصيف ويضئ قناديل المساء.. من سيحمل لهم البخور والعطور ولمن ستجهز النساء ويضعن المساحيق على وجوهن كيف ستقبل شفاه النساء بالعشق الجميل.. الموقف محير والموقف صعب .. الموقف غريب.

زوجة هامان : لا أستطيع أن أعيش دون رجل في حياتى.. لا أستطيع أن أظل هكذا .. تزوجنى هامان وأنا شابة صغيرة والرجل الذى كنت أحبه في قريتنا ضمه للجيش وأخذه معه في معركته ضد موسى.. آه لم يعد لى أحد أصبحت أرملة وأنا في العشرين.. وكيف لزوجة الوزير أن تكون بلا رجل وكيف سيحضر المساء والليل طويل.. كان يدخل كل ليلة.. أخلع له الحذاء والثوب وأعطر جسده العجوز كى يقوى يمدد جسده على الفراش وهو يتثائب ويقول إن فرعون مجنون.. لا يهدأ ولا ينام ويظل طوال الوقت يعمل دون كلل أو ملل.. وإذا قلت له يا زوجى العزيز دعك من فرعون واترك العمل معه واعتزل.. هب في وجهى وصرح وهاج وماج وقال : هل جننت يا امرأة .. كيف يعيش فرعون دون وزيره هامان وكيف يعيش هامان دون وزيره فرعون.. ها هو قد مات معه.. الإخلاص لملك مجنون هو الجنون.. كيف أعيش أرملة وأنا في العشرين؟ كيف.. كيف.. كيف.

زوجة قارون : لا تنبشوا في الذكريات وما فات مات.. الآن نحن الأحياء نحتاج إلى الحياة والحياة اختارتنا لنكون لها ونكون معها.. إنى أفكر في فكرة.

النساء : (جميعهم) ماذا .. قولى..

زوجة قارون : أن تتزوج كل واحدة من عبدها القوى.. أكيد ضمن العبيد الرجال واحد متميز.. فاهم..

النساء : (يزمجرون) هه.. لا.. عبيد.. نساء مصر الأميرات تتزوجن من عبيد.

زوجة قارون : هذا الواقع الآن.. كل الأمراء والقادة ذهبوا مع فرعون وأطبق عليهم البحر.. نحن أرامل.. وكل واحدة تعلم أن زوجها اشترى عبيداً من أسيا ومن أفريقيا ومن كريت.. نحن نحتاج إلى تفكير.

زوجة رئيس الحرس : هل جننت أتزوج عبداً .. أنا؟ لا يمكن لا يمكن .

زوجة قارون : أنا وأنت ... وهى وهى وهى .. كلنا.. سنتزوج من العبيد.. والعبد الغريب نسميه اسماً فرعونياً ونعلمه الهيروغليفية ونعلمة الديانات الخاصة بنا ويصبح فرعونياً مثلنا.

زوجة هامان : يعنى هذا .. أننا سنتزوجه ونعلمه ونربيه كيف يصبح زوجاً .

زوجة قارون : موافقة أنت .. سيكون زوجاً مثالياً .. يطبخ.. يغسل.. يعمل.. يسمع الكلام.. لا يناقش.. لا يحاور.

زوجة هامان : أنا من جهتى موافقة .. لدينا ثلاثة عبيد جدد ..

زوجة قارون : أجننت يا زوجة هامان .. هل جننت يا امرأة تتزوجين ثلاثة مرة واحدة.

زوجة هامان : أعوض ما فاتنى.. هذا العجوز هامان تزوجنى لأنى جميلة (تضحك النسوة)

زوجة قارون : هل جننت؟

زوجة هامان	:	أنا أمزح يا سيدتى.. أفرح معك سأتزوج من رجل واحد.. عبد يكون قوى البنية وشديد الذكاء يعرف من عينى ماذا أريد ومتى أنام ومتى أقوم ومتى ومتى.. ها ها ها ...
الراوية	:	أنا من أحكى عنكن.. عن نساء مصر..
زوجة هامان	:	وماذا تريدين منا؟
الراوية	:	أحاول مساعدتكن على الخروج من الأزمة.
النساء	:	أي أزمة ؟
الراوية	:	وحشة أميرات مصر حين اختفى الرجال.
الراوية	:	لا والله.. أنا الراوية في تلك المسرحية
زوجة قارون	:	لن أتركك يا بنت اللذين .. سأقتلك.
زوجة هامان	:	تشمتين فينا..

(يجرون خلفها مع ستار)

ويقول جبريل عليه السلام لرسولنا محمد عليه السلام.

- لو رأيتنى يا محمد وأنا أضع الماء والطين فى فم فرعون، وهو يغرق حتى لا يتكلم أو ينطق.

وهنا يسدل الستار على مشهد ينتصر الله وحده، ويهزم جيشاً جباراً ويموت محب مع فرعون وهامان وخيله برق و١٢٠ الف مقاتل فى مياه البحر الأحمر دون الحاجة إلى مقاتلين من البشر أو إلى قنبلة ذرية أو أسلحة بيولوجية أو كيميائية، وكان الموت غرقاً للعصاة والجبابرة الطغاة.

ولأن بنى إسرائيل مثل المصريين لم يصدقوا هلاك الملك المتأله (ابن الإله رع آمون) أنجى الله جسد فرعون (الوليد بن مصعب) بعد الغرق وجعله يسبح على الماء ويأخذه المصريون ويحنطوه ليكون جسده شاهداً إلى يوم القيامة على أعظم درس وموعظة للمؤمنين والكافرين على السواء وأن الله هو الغالب على أمره ولو كره الكافرون.

على الجانب المصرى ذهل المصريون ودهشوا لمقتل الإله فرعون وتيقنوا من هلاكه، ولكنهم لم يؤمنوا بالله مثل السحرة ولم يؤمنوا بالله مثل موسى وهارون. وانتظروا حتى يأتيهم أمر فرعونى ملكى بأن يكفروا بألوهية فرعون ويؤمنوا برب موسى وهارون. ولكن أنى يأتيهم الأمر وقد هلك فرعون!!

على الجانب الآخر اليهود، ذهل أتباع موسى من بنى إسرائيل لمقتل فرعون وهامان و(١٠٢) ألف مقاتل، وقد سمعوا أن الله قد طمس على أموال فرعون الطاغية وجنوده ومسخها وصارت أحجاراً لا تنفع ولا تضر.[١] فهل ازداد إيمانهم بالله. وهل زاد تيقنهم أنهم يجب أن يكونوا نعم المؤمنين الطائعين؟

بكت نور طويلا، ومرضت وشفيت، وبعد سنوات تزوجت من شاب يعمل طبيبا اسمه دانيال تعلم الطب فى مصر وذاع صيته لكن فى القلب قصة حب غرقت مع فرعون.

وهنا أدركت شهرزاد، وقالت: وتوته توته فرغت الحدوتة.

بكت سهر: لماذا لا يتزوج الحبيبان؟..

- قدر الزمان
- ومن هى روحى الثالثة يا خالتى؟
- هى روح شمس وحكايتها مع الحاكم بأمر الله
- متى تحكيها؟... غدا؟
- إن شاء الله...

***

تم الجزء الثانى بحمد الله

إلى اللقاء

فـى الروح الثالثة

"حكاية شمس والحاكم بأمر الله"

الجزء الثالث

---

(١) أرسلت غيداء لى رسالة على الهاتف: إسلام زوجها حصل على وظيفة.. إسلام حصل على وظيفة.. إسلام هدية من السماء لى.. ومازال محمد يبحث عن عمل..

دراسات حول هذه الروايــة

مدخل إلى رواية (كابيتشيو) للسيد حافظ
بقلم كمال العيادى القيروانى
المرجعية وإثبات النسب لهذا العمل الإبداعى

العودة المنابع الأولى للحكاية :

على خلاف بقية الحضارات الشرقية القريبة الحدود والذائقة، لم يهتم العرب بتدوين الحكايات، خارج أطر صناديق الشعر الموقع، وضوابطه، المحفوظ فى الذاكرة أولاً ثم فى الرقع والصحف المرافقة للقوافل التجارية والسائرة للأمصار والبلدان.

وكأنما قسم الأدب، عمداً ، إلى شطرين، شطر يذاع للعامة، وشطر يحفظ فى الصدور، وخلف بوابات وجدران القصور. فكان فضاؤها المجالس والندوات الخاصة ومخادع السلطان والديوان.

ولما كانت أول المقصد بالمنادمة، وغاية الراوى والحكاء، فقد استوجب أن تنحت الحكايات وفق ما ينتظره الملوك، بأخلاقهم وأمزجتهم وذائقتهم وثقافاتهم، فانحصرت أغلب متون الحكايات، تبعاً لذلك فى أخبار السابقين من العظماء، وطرائف الأمراء وأصحاب الصولجان والتيجان، وأخبار الصيد والشرب، والمنادمة، والجوارى والغناء والقدود الممشوقة والقصور والعبر والوصايا وقصصهم ونوادرهم وآدابهم، ومن هنا وصلتنا الحكايات الفارسية والهندية وغيرها.

وفى بداية وأواسط القرن الثانى للهجرة، ومع إزدهار عصر الترجمات وتراكم المؤلفات المترجمة للغة العربية، والتى أعقبها عصر الردود فى القرن الثالث وميلاد أول المؤلفات الفلسفية المدونة، بدأ العرب يشهد ميلاد وتطور شكل جديد من أشكال التعابير الثقافية، وهو السرد أو الرواية المدونة، المستقلة مبنى ومعنى وغاية عن كتب التاريخ والتأريخ والأحاديث الموثقة بالعنعنات المدلة وغيرها.

وكان ميلاد أول رواية فنتازية بكل ما تعنى الكلمة من معنى فى القرن الرابع للهجرة، وأعنى طبعاً ، رواية (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى، الرائد الفذ الذى وصل باللغة إلى حدودها القصوى، بلاغة ، وإبلاغاً .

وفى اعتقادى أن هذه الرواية المذهلة، لم تنل حظها بعد من الدراسة والبحث.

والواقع، أن الأدب العربى كله مدين لهذه الرواية بالذات، وليس فقط، لأنها تاريخياً أول رواية مدونة كتبت فى كل الأزمنة كتبت فى كل الأزمنة البشرية عبر كل العصور ولكن أيضاً ، وأساساً ، لأنها أسست لأدب طازج ومازال بعد كل هذه المئات من السنين والعقود، رائدة فى مجالها، ومؤسسة فى آن . فأبو العلاء المعرى، قدم من خلال روايته هذه نظره فالرواية عنده التى تتشكل بين فضاءين وعالمين وتقابلات وتبادل

وظائف مذهل، بين الواقع والفنتازيا، بين الحاشية والمتن، بين الممكن وغير الممكن ، بين الخير والشر، بين النور والظلام، الخالق والمخلوق، بين الجد والهزل، بين الثابت والحركة ، بين البلاغة والإبلاغ، بين الاسم والرسم... وبين عشرات التقابلات التى وصل بها حداً لا أتصور أنه سبقه إليه كاتب، بل أزعم أنه كل من كتب بعده انتحل من منابعه وسخريته، من دانتى وحتى بولغاكوف وبورخس وغابريال غارسيا ماركيز وكاوباتا وكازانزاكيس وهرمان هسه وإسماعيل كادريه وأورهان باموق.

وفى مدينة ميونخ، حيث عشت، ومازلت أمارس مواطنتى ككاتب عربى مرحب به، درس ودرس فى ميونخ، مملكة الشاب العظيم القلق لودفيك الثانى أو أخناتون الغرب كما يحلو لى أن أسميه، وعاصمة بافاريا ، المعقل الأكثر إغراء للانطلاق والشهرة والمرغوب من الكبار من المشاهير عبر التاريخ، من أدولف هتلر إلى باتريك زيوسكيند. مروراً بهيجل وكانط ونيتشه وباشلار وانجلس وكارل ماركس وبتهوفن وموازارت وانشتاين وفرانسواز كافكا ولودفيك الثانى وغيرهم ممن مروا وتركوا بصماتهم فى هذه المدينة الملاذ. توجد مكتبة بشارع أوديون بلاتس، بمحطة الجامعة (أونيفارسيتيت) حيث أعرق جامعات الفيزياء والفلسفة والعلوم، ثمة مكتبة تحتل مساحة تقل قليلاً عن مدينة صغيرة، فى عدة طوابق، لا تجد بها غير أندر المخطوطات التى أبدعها الكائن البشرى وتركها، وقد جمعها جنود هتلر من مكتبات الإسكندرية ومن تركيا ومن كل مكتبات البلدان التى احتلها أو مر بها مروراً خاطفاً ... فى هذه المكتبة، تقدمت مرة سنة ١٩٩٣ ، من أمين المكتبة العجوز، وكان أحد الذين يتمتعون بأحقية الجلوس إلى مكتب يفصله عازل بلور مصقول، بين مئات الموظفين الذين يسيرون بخطوات سريعة كما النمل دون أن يحدثوا صوتاً .. تقدمت منه وسألته يومها:

- سيدى الفاضل، هل عندكم مخطوط قديم لرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى؟

لن أنسى ذلك اليوم ما حييت... ذلك أنه رفه بعينه الناعسة فى بركة زرقتها، ولمع فى بؤبؤ عينه اليمنى وميض غريب، أربكنى وأجابنى مستغرباً :

- وهل تتصور مثلاً يا بنى، أن مكتبة ميونخ العظيمة، تخلو من أم أمهات الكتب؟؟

ومن يومها ولأكثر من عشرين سنة، كنت أزور هذه المكتبة بما لا يقل عن ثلاث مرات فى الأسبوع ، لساعتين حيناً ، وأحياناً لساعات طويلة.. وكبر من الموظفين الشباب هناك أمام عينى ومات من مات، وتقاعد من تقاعد، وارتقى فى السلم الوظيفى من ارتقى، لكن أغلبهم كان صديقاً ... وكانوا يسموننى كيمو تونيزيا الذى لا يعرف أبا العلاء المعرى .. كما أطلق على ذلك العجوز هانس كروننبارغ.

كان لابد وأن أجد مدخلاً مناسباً، حميمياً لهذه الرواية التى بين يدى الآن.. وأعنى رواية (كابيتشينو) للكاتب المسرحى الإسكندرانى الصديق السيد حافظ.
والصادرة منذ مدة قصيرة.

وهى الرواية الرابعة، من ضمن رباعية بدأها الكاتب، برواية قهوة سادة ثم رواية نسكافيه، ثم هذه الرواية كابتشينو، وهو بصدد إنهاء مخطوط لرواية أخرى بعنوان شاى أخضر.

وكما نلاحظ فالكاتب يتعمد أن تكتمل هذه الحبات فى خيط موحد ومتماسك، من خلال العناوين التي تحيل إلى دلالات ملحة ومعان لا تخفى على الغافل، فما بالك بالقارئ الفطن النافذ لخبايا وبؤر الدلالات فى النصوص.

وأين لك أن تطلب القهوة السادة، أو النسكافيه أو الكابتشينو، أو الشاى بالنعناع، فى غير مملكة البن المحنك وطاولات الحكايا والنميمة و(القفشات) والضحك والسمر والمنادمة واستدراج الحكاية وتوضيب الخبر، يقيناً أو مشكوكاً فيه، أين يمكنك أن تجد كل ذلك فى غير المقاهى.. تلك التى عليك أن تعرفها للغرب على أنها أماكن للحديث والجدال والنقاش الحاد والنميمة الملهمة، وليست محلات للشرب والتأمل ومصاحبة الزوجة لشرب فنجان فى صمت كما يعتقدون وكما تعودوا عليها...

فالمقاهى فى مصر عوالم لا تشبه أى مكان آخر، ففي حين أنها في شمال إفريقيا مكان للعب الورق والشطرنج وترشف المشروبات الغازية الباردة على عجل... فهى في مصر ، عبارة عن مجالس وملاذ الفقراء والموظفين ومن ضاق بهم البيت وحاصرتهم الجدران الأسمنتية والضيق، ضيق النفس أو ذات اليد، فهي ملتقى السمار من الموظفين الصغار والمدرسين والطبقة الوسطى فى رمضان، والأعياد والعطل الأسبوعية، وهي كوة الرحمة للفقراء الذين يكتفون من الدنيا بحكاية وخبر ونكته يترشفون عليها كأس الشاي المسكر أو فنجان البن المحنك المضبوط أو المر أو المحلى بالسكر الزيادة...

من هنا، ومن هذا المدخل الغريب بالذات، يمكن أن نلج عوالم هذه الرواية الطريفة، فهى خليط عجيب غريب من غير مخلص لجنس أدبى بعينه، ومارق عن كل شكيمة أو تصنيف، فلا هى بالرواية، كما نعرف الرواية فى شكلها الحداثى أو الكلاسيكى، بتعدد شخوصها وفضاءاتها الزمانية والمكانية، ولا هى بالقصة الطويلة، ذات الخيط السردى الواحد والفضاء المحاصر، ولا هى كتاب رحلات، ولا هى كتاب نقدى، ولا هى سيرة ذاتية، ولا هى كتاب فى التاريخ، ولا هى تقاطعات جغرافية، ولا هى كتاب أسئلة، ولا هى كتاب يلهث وراء أجوبة ، ولا هى مؤاطرة بزمن الحاضر ولا هى تهوم فى زمن غابر، ولا هى شعر فقط، ولا هى سرد غير متقطع.

بل والله هى كل ذلك معاً ، فهى كتاب يوثق للشعراء القدامى والمعاصرين وشهود ووقائع مؤكدة وهى فنتازيا وهى ضاربة بعروق متينة فى رحم الأرض والواقع.
وهى تلفظ المر، وهى تجليات بطعم السكر ، وهى ضاربة فى الروح الصوفية وهى توثيق ومتابعة دقيقة لا تكاد تترك شاردة ولا واردة.. وهى كل ذلك معاً .
ويكفى أن تعرف أن الكاتب، استشهد خلال أربعمائة صفحة بواحد وستين شاعر مصرى، وعربى من المعاصرين الأحياء، وخمسة شعراء عالميين هم رامبو ولويس آراغون وبول ايلوار والكسندر بوشكين وبودلير... وثلاثة شعراء من كبار الشعراء العرب الأموات فى الحياة والأحياء فى النص.. وهم أبو الطيب المتنبى وأحمد مطر ومحمود درويش.
وحين أذكر أنه استشهد بهم، فلا أعنى كما قد يتبادر للبعض أنه ذكر اسمهم . لا والله، لقد استشهد بمقطع طويل أو قصير أو بقصائد كاملة لكل واحد منهم. وبأمانة حيث لم يذكرهم فقط فى الحاشية، ولكن فى المتن أيضاً .
والكتاب منجم ومقسم إلى قسمين: دائماً وفى كل صفحة المتن والحاشية، وحين تقرأ المتن، لن تجد أية علاقة له بالحاشية، فكأنما هى رواية وكتاب مستقل وقائم بذاته وهذا نادر جداً ، فى السرد العربى وما ألفناه من المؤلفات والكتب الإبداعية العربية.
أعود الآن إلى ما كنت صدرت به هذه الورقة، وإلى الأب الأول والشرعى للرواية العربية، صاحب ثلاثة أرباع إعجازات اللغة العربية فى ضفتى البلاغة والإبلاغ ، فى الشعر والسرد: معلنا الروحى وشيخنا جميعاً ، أبو العلاء المعرى.
ولماذا استنجدت به فى مدخل حديثى وتقديمى الإنطباعى هذا لهذه الرواية الطريفة للصديق المبدع السيد حافظ.
السبب بسيط. ذلك أن مشروعية تصنيف هذا العمل الإبداعى للسيد حافظ كرواية، يبرره ما سبقه به المبدع الفذ والأب الروحى لكل سارد عربى السالف الذكر.
فالمعرى زج بالعشرات من الشعراء فى جنة الغفران ، واستنبط حيلة فذة ، للسخرية من شخصيته الرئيسة (ابن القارح) الذى غفر له الله، فراح يجس أديم الجنة الضارب فى مناخ وأجواء الأرض مع تمطيط كاريكاتورى فتن، وراح يجوبها يميناً وشمالاً ، سائلاً بطبيعة الموسوس الحقود الصغير النفس المتشكك فى كل شئ عن المبرر الذى جعل هذا أو ذاك من أصدقائه يدخل جنة الغفران.
وقد وضعه فى مواضع ومواقف فى منتهى الروعة وتمثل بعض أجمل ما كتب عبر كل العصور بلغة عربية... حتى أنه وصل إلى درجة أنه يلتقى بأحد الشعراء الذين يبغضهم. فيقول له علنا وبكل مرارة وتجهم:

- والله لولا أنه لا يجوز الخطأ برب العزة، لقلت إنه أخطأ بك!!!

فجنة المعرى لم يدخلها غير الشعراء الأخيار منهم والأشرار... الحقيقيين منهم والمغشوشين .

وجنة السيد حافظ أو لنقل مقهاه، لا يدخلها غير من يراهم هو جديرين بجنته ويستحقون أن يكونوا الندماء والأحبة والأصحاب... وما استحضارهم ومناداتهم من دواوينهم التى ترقد فى مكتبته إلى هذه الرحلة السردية بصحبته، إلا دليل على أنه يرتضيهم وأنه اختارهم.

كمال العيادى القيروانى

٢٠١٤/٢/٢٧

قراءة نقدية في بنية النص الروائى
" رواية كابتشينو للسيد حافظ "

د. رشا غانم
الجامعة الأمريكية - مصر

في سرد مزاجي يستهل الكاتب عتبة العُنوان لروايته كابتشينو ،هذا المشروب المزاجي أيضا ، وإذا كان من أهم سمات النص الروائي لا يكتب إلا بعد تأمل عميق فإننا حين نقف عند البنية السردية للرواية نجد المؤلف ممسكًا بخيوط بنائه السردي الدرامي طبقًا لمعرفته الشعورية، والثقافية التي يملكها فنلمح ذاتية في الحكي تتآذر مع ما يخلقه لنفسه من سرد أكثر جرأة ،في أفكاره، وطموحاته، فيعري الواقع بكل تجلياته ،ويصوره تصويرا فنيا صادقا استقصى فيه كل خبراته الحياتية،ليجعله واقعا نابضا بالحياة،مرتكزا على الحبكة الروائية بكل آليتها من الوقائع والأحداث، والمصادفات،حيث يجعلنا في حالة دهشة ،وإثارة مستمرة تبصرنا ببراعة هذا الكاتب اللعوب.

تنهض البنية الروائية في "كابتشينو" على حكاية إطارية هي حكاية الراوي التي تتداخل مع حكايات أخرى نجدها تلتقي بالبنية الحكائية لألف ليلة وليلة بوصفها تتشابك مع غيرها من الحكايات داخل هذا الإطار ،كما أن بها تيمة دلالية منها (سكتت شهرزاد عن الكلام المباح) ولكنها ليست حكايات منفصلة مثلها فمن جهة أخرى تتجاوز هذا الإطار الموروث مندمجة بطريقة حكائية مشدودة كلها إلى الحكاية الرئيسية ،مثلها مثل وحدات الأرابيسك ، لا قيمة لأي واحدة منها بمعزل عن الأخرى.

تعد هذه الرواية بتقنياتها السردية رواية حداثية تستنكه الأبعاد الغائرة للراوي وما يحيط به من شخوص وأماكن وأزمنة ، ،تتلاقى فيها الحكايات والحوارات التي يفيض بها وعي الراوي.

ويأتي البناء السردي لشخصيات الرواية حيث تحتل شخصيات النساء حيزا كبيرا في السرد ،فنجد شخصية "شهرزاد"وتمثل دور راوي رئيس في الرواية نجدها تبرز المرأة بكل أصنافها فهي امرأة محنكة خبيرة بكل أساليب الحياة ، دوما يأتي إليها الناس للتزود بالمعرفة،فالنساء يعرفن منها ، كيف يعاملن

الرجال؟ والرجال يأتون إليها لمثل هذا السبب وأكثر فالأول، حينما أتى إليها مكرم أبو الشوارب يستفسر كيف يقضي ليلة مع زوجته فأعطته الحل في ثلاث خطوات سردها الكاتب بطريقة مشوقة تنبئ عن براعته وتمرسه في الفن الحكائي ،و الثاني قد يتجاوز سبب المجيء إليها،عندما حاول المختار(أبو وردة زوجة كاظم) أن يحظى بوقت جميل مع امرأة يجدها بكل تفاصيلها تختلف عن كل نساء القرية ، ولكنها بخبرتها في معاملة الرجال لمحت شرارة الشهوة في عينه فردَّته خائبا .

وشخصية سهر البنت الحالمة الوادعة في دنيا الحب هذا العالم البرّاق الملىء بقصص الأعاجيب لكل بنت ،وقد أثارت شهيتها للحب قصة نور ومحب التي تحكيها لها خالتها شهرزاد ،ولكنها في نفس الوقت أكثر تمردا لواقعها الذي تعيش فيه هي تريد أن تطير مع عصفورها هي تعرف أن النساء نغمات وليست لحما وعظاما"، فهي ليست كالدجاجة التي تنتظر الديك "كاظم إذا تزوجها ستصبح دجاجة في عشة تنتظر الديك كل مساء" .

أما عالم الشعر الذي زجَّ به الكاتب في الرواية فهو عالم ساحر غامض ملئ بالأحاسيس والمشاعر الفياضة؛ ليستدعي وجداننا الشعر وجمالياته ورؤيته للواقع ،فالشاعر عبد العزيز المقالح يقول:حتى غدونا أمام الناس مهزلة منا الضحايا كما منا المساكينا"

نجد فتحي رضوان خليل وهو راوي رئيس في كابتشينو يقول في نفس الصفحة في معانقة بديعة يتعانق فيها النص الشعري بالنص الروائي "رفضت مع الوطن العربي أمضغ لحم الهزيمة المُرة والانتصار المزيف ،أتشدق بالكلمات بين فخدّي الصحف الخاوية". ،فهنا النص الشعري معنيا بتوظيف النص السردي،حيث تتواتر نصوص لشعراء كثيرين ،قدامى ومعاصرين،سواء من الشعر المكتوب بالفصحى أو المكتوب بالعامية ،فكل هذه النصوص واستدعائها مرهون بوظيفتها السردية.

يقف الكاتب عند الفن التشكيلي يسبر أغواره الدفينة وليس اعتباطيا أن يعرض للوحات تشكيلية كثيرة ، فقد عبَّر عن رؤية فنية ،ورؤية فكرية للعالم والواقع بشكل عام، خلال سنوات من إبداعاته وحصاده الفكري، التي شكّلت له عالما خاصا يختلف عن عوالم الآخرين كما حل لوحات تشكيلية لسلمان

المالك يظهر فيها "أن رأس المرأة في لوحاته قد اختفت ملامحها ،وصار الجسد أقوى تأثيرا وتواجدا كأن الرجل العربي لا يهتم بها عقلا،وهو تعبير عن الحالة الذكورية التي تتعامل مع المرأة العربية".

فكأن تحليل مثل تلك اللوحات يوجهنا إلى سلبيات المجتمع الذي يقمع المرأة ويسيطر عليه الثقافة الذكورية ،فالكاتب يعري المستور ويكشفه مبينا طبيعة بعض المجتمعات العربية في تعاملها مع المرأة ويعرضه بأسلوب شيق جميل .

تمثل رواية كابتشينو محاولة يسرح بها الكاتب في عالمه الخاص؛ ليحل فيه كل المشكلات التي ضاق بها واقعه مرتديا بعض الوقت ثوب الصوفية ليبعد عن هذا العالم المزيف الملئ بالشر والبؤس والشقاء إلى عالم أكثر روحانية وجمال وصفاء ،وكأنه يشحذ طاقاته الإبداعية ليعود بها مرة أخرى يثري النص السردي ببصمته المتفردة في الفن الروائي.

يبحث الكاتب في سرده الروائي عن اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة "في ظني أني أبحث عن مدينة فاضلة " لأنه"المواطن العربي المقهور ،أو السندباد الذي كسر مراكبه ابتلاء وراء ابتلاء ، ليعرض لنا الواقع المصري والعربي بكل تناقضاته واستلابه للحريات وإهداره للمواهب ، فكان الهروب حلا ليبعد عن الواقع ومآسيه. مؤكدا أننا نحتاج إلى ضمير وطني لحماية هجرة المبدعين العرب ويترك لنا الدعوة مفتوحة لعلها قد تتحقق في يوم ما.

ينبئ هامش الرواية عن تمتع الكاتب بثقافة جمة فأحيانا يتعانق الهامش مع النص ويختلط به،أو يعيد في المتن ما قاله في الهامش، أو ليس له أية علاقة به ولكنه عرض لنماذج وأحداث وتجارب حياتية كثيرة، مما زاد النص الروائي ثراء لغويا تتعانق معه أحداث كثيرة تعري الواقع في صورة حية نابضة.

كابتشينو والتمرد على نمطية السرد

د أحمد محمود المصري

(عمَّ أبحث في السيد حافظ وهو الفرد الكثرة والكل في واحد....)

يقول الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة:

البحر موعدنا
وشاطئه العواصف
جازف
لن يرحم الموج الجبان
ولن ينال الأمن خائف
فإن سدت جميع طرائق الدنيا
أمامك
فاقتحمها لا تقف
كى لا تموت وأنت واقف .

والمبدع أولى من غيره بالمجازفة ،إن الخيال طليق ، وإن الإبداع سمته الأولى الحرية ووظيفته الجمال وغايته الابتكار ، فكيف يجوز تقييد حرية يجب أن تظل طليقة ووظيفة يجب أن تظل دون حدود ،وابتكار يجب أن يظل متمتعاً بكل ما له الحق فيه من انكسار القيود وانفتاح الآفاق وانزياح الحواجز إن الشكل الروائي متحول دائماً فكيف نستطيع أن نزعم أننا قادرون على وضع قانون ثابت يقيده تقييداً ويكبله تكبيلا فيغتدى ثابتاً وقد كتب عليه أن يظل متحولاً ؟

إن كل نظرية للنقد توضع انطلاقا من معطيات نصوص يقرؤها المنظر فينظر في الحقيقة لها أصلاً أما ما وراء ذلك ، أو ما بعده فيمكن أن تنطبق نظريته على بعضها دون بعضها الآخر، فإذا انطبقت عليها كل التقنيات فتباً لها من نصوص وسحقاً إذا خضعت للقواعد وأذعنت للقيود.

إن عبثية الإبداع هي قاعدته وإن تمرده على التقنين هو ثورته التي يجب أن تظل معلنة على التقاليد التي تقيد فلا ترسل وتؤذي أكثر مما تجدى .

ويعد السيد حافظ أحد المبدعين المتميزين الذين أثبتوا جدارتهم الفنية بما

وهبه الله من موهبة متميزة بين أقرانه من الكتاب وصل إليها بعد رحلة شاقة من الإبداع كان فيها صاحب تجربة متميزة وهوية فريدة غير مكررة لا تتشابه مع غيرها ، لم يخضع فيها لتشكيل فني واحد ، وإنما كان نموذجاً لكاتب يحترم التجريب ولا يخشى المغامرة فيه خصوصاً على صعيد بناء الرواية ولغتها ، يكتب كما يتنفس والكتابة بالنسبة له واقع فني مجاور لواقع الحياة ، واقع زاه مغامر يستطيع التجاوز والقفز فوق قوانين الحياة القاسية ،وقد كان في كل ما كتب منطلقاً من قناعة واضحة بوظيفة الفن الاجتماعية وصلته بوعى القارئ وقدرته على أن يشكل

ذاكرة أي مجتمع ،سعى إلى محاكاة اللحظة الواقعية الاجتماعية فنياً على أمل تجاوزها إلى حياة فنية متخيلة تكون أكثر حرية وحبا وسلاماً وعدلاً وانفتاحاً على الآخر ، كما كان في كثير من الأحيان صوتاً لمن لا صوت له ، مؤمناً بأن ثمة مشتركاً إنسانياً باقياً بين البشر ، أيا كانت الفروقات المادية والجغرافية والدينية بينهم .

وروايتنا كابتشينو هي إحدى حلقات المنجز الروائي الإبداعي عند السيد حافظ المتمثل في مجموعة من الأعمال الرائعة مثل : نسكافيه ، قهوة سادة ثم كابتشينو –ثم شاي أخضر... وكلها يمثل جنوحاً نحو التجريب والتجديد في الكتابة الروائية ،رواية شديدة الفرار من عبودية التقاليد تقرأ بعين العقل وهي رواية الحب والألم ، الوجود والعدم ، رواية ليست كالرواية محفورة على جدران القلب ، مكتوبة بدمائه ، إنها رواية النزيف والوجع ، تقبض على الجمر مشتعلاً تنكأ الجرح وتغوص فيه حتى العظم وكما قال نيتشة "إنني أستعرض جميع ما كتب فلا تميل نفسي إلا لما كتبه الإنسان بقطرات من دمه "وهذه كتابة مكتوبة بالدم.

عتبة الغلاف :

صارت العتبات الخارجية للنص جزءاً من بنيتة الدالة ولم تعد ترفاً أو شيئاً إضافياً يمكن الاستغناء عنه .

وتعد لوحة الغلاف من أهم هذه العتبات نظراً لكونها دالاً بصرياً موازياً يكتنز بين تضاريسه الإشارية عديداً من الإيحاءات السيمائية والتأويلات المحتملة لقراءات متعددة ومفتوحة فالغلاف يفترض قراءة تستند إلى الحس البصري

الذكى وتفرض على المتلقى إحداث نوع من الارتباط بين ما هو كتابي وما هو تشكيلي .
وغلاف روايتنا الأمامي يسيطر عليه السواد تتصدره صورة كبيرة للمؤلف توحى بأشياء كثيرة ، نظرة تحمل تفكيراً ورؤية وفلسفة كما تحمل الترقب والقلق بها العمق والحزن أعلاها اسم المؤلف كتب باللون الأحمر ، وأسفله اسم الرواية كتب باللون الأبيض وهي نفس ألوان علم مصر تحمل دلالات مختلفة فالأحمر لون الدم والمعاناة والألم ، وهو لون التمرد والثورة ، والقوة وهو لون الحب والعشق ولون القهر والكبت والمنع أما الأبيض فهو لون النقاء والصدق ، لون الأمل لون النور والإشراق الذي يحاول أن يشق طريقه وسط الظلام .
ثم يأتي بعد ذلك التجنيس للعمل الأدبي وهو رواية وكتب بلون أخضر يدل على التجدد الدائم والحياة المستمرة وعدم القولبة والجمود ، الأخضر لون الحياة الدائمة لون التجديد وهذا ما سعى إليه المؤلف .
ثم تأتي دار النشر رؤيا لتكتب بلون الشمس البرتقالي المشرق الذي هو نفسه لون إطار صورة الكاتب ليكون نموذجاً مشرقاً للكتابة وسط ظلام وسواد يحيط به وكأن الصورة تشرق من بين هذا السواد ، في إشارة على تحدى هذا الظلام الفكري والتخلف الثقافي ، والاعتماد على الاجترار ومحاربة الابتكار ، هي صرخة إذن في وجه القبح والتخلف ولعل في تصدر اسم المؤلف ثم صورته للصفحة قبل العنوان والجنس الأدبي دليل واضح وقوي على حضور المؤلف في روايته حضورًا قويًا وواضحًا وملموسًا من صفحة الغلاف وحتى آخر كلمة في الرواية .

دلالة العنوان:

كابتشينو عنوان لافت يتميز بالإيجاز والقدرة على جذب الانتباه وكلاهما من سمات العنوان الجيد ، وإذ كان العنوان يعد عتبة النص ومدخلاً إلى فهمه ، ومفتاح الولوج إلى أغواره العميقة فما دلالة هذا العنوان وما علاقته بالمضمون .
قد تتسرع وتقول لا علاقة بين العنوان والمضمون إلا في تكرار كلمة كابتشينو أكثر من مرة داخل الرواية كمشروب تناوب على شربه عدد من أبطالها ، وإذا لم تتعجل فقد تربط هذا العنوان بعناوين السيد حافظ السابقة واللاحقة لهذا

العنوان مثل نسكافيه ، قهوة سادة ، أو شاي أخضر – فتربط بينها وبين جلسات النميمة أو الود على المقاهي أو في المنازل حيث البوح والمكاشفة والتسلية والنقد والغضب ....، وقد ترى في النسكافية والقهوة والكابتشينو وهي مشروبات من أصل واحد ترابطًا من نوع آخر يتعلق بأنها تشرب من أجل التنبيه وكأن هذه المسميات تأتي لتنبه القارئ وتهيأه للتلقي الواعي ، ولعل في مراجعة مفهوم القهوة عند الصوفيين ودلالته ما يؤكد هذا المعني ويؤيده.

فهم يرون أن مكتشفها الشيخ العيدروسي في القرن العاشر ، وقد حرمها بعض المعارضين للصوفية وتصدى الشعراني للدفاع عن شرب القهوة ، التي صارت من طقوس الصوفية التي تساعد على الذكر ثم تم الترويج لها بعد ذلك بأنها تساعد في علم الغيب وقراءة المستقبل ، وادعوا أن سمة صلة بين شرب القهوة والعلم اللدنى من هنا وفي ضوء هذا الفهم يفسر عنوان كابتشينو ومن قبله نسكافية وقهوة سادة على أنه تهيئة لتلق واع يكون القارئ فيه منتبهًا لما يواجهه ويقرأه .

ومن هنا تأتي صلة القهوة والنسكافية والكابتشينو بالروح لذا أطلق عليها المؤلف اسم كابتشينو حكاية الروح ، وهي الفكرة التي تجمع بين عدة روايات للمؤلف تركز على فكرة الحلول وتناسخ الأرواح عبر ارتحالها في أزمنة عدة وتصويرها عوالم متابينة بالموازاة مع أمكنة كثيرة تشهد تحرك شخصياتها وشبكة العلاقات التي تنسجها وانتقال الروح من جسد إنسان إلى جسد آخر ، والتناسخ نظرية دينية قديمة تقوم على عودة الروح بعد الموت إلى الحياة في جسد جديد ويرى القائلون بها أن الروح جوهر أزلي خالد وخلودها يستمر في حيوات شتى تكون في امتدادها حياة واحدة أبدية مستمرة وهذا ما حدث مع سهر في هذه الرواية حيث حلت فيها روح نور الفرعونية ثم غابت نور لتشْرق روح شمس في جسد نور وربما ستغرب شمس ليسطع قمر في روح سهر بعد ذلك .

دلالة الإهداء:

إهداء ثوري للشيخ عماد عفت وصلاح جيكا ومينا دانيال شهداء ثورة ٢٥ يناير وهو إهداء له دلالته لمن قدموا أرواحهم فداء لهذا الوطن .
ثم إهداء للأحفاد رمز الأمل في الغد المأمول .

ثم تصدير مهم من القرآن عن الروح ، ثم عبارة لفرويد تؤكد على نفس الفكرة فكرة تعدد الأرواح للشخص الواحد يقول فيها:

"كل فرد ينتمى إلى عدة أرواح جماعية روح عرقه ..روح طبقته.. وروح طائفته."

ثم تصدير مهم يوحي بالهم الذي يحمله فوق عاتقه ويفسر توجه كتابته.

ثم مقولة موحية لحكيم فرعوني ، وأخيرًا مقولة لفتحي رضوان .

من العتبات إلى النص

هذه الرواية كما قلنا حلقة من سلسلة حلقات روائية تعنى بفكرة حلول الروح وانتقالها من جسد إلى جسد آخر فإذا كانت رواية قهوة سادة قد تكلمت عن عصر إخناتون والتوحيد فإن هذه الرواية تتحدث عن عصر فرعون وموسى.

والرواية تسير في ثلاثة خطوط متوازية .

الأول يحكى عن نور الفتاة العبرانية وقصة حبها لمحب القائد الفرعونى المؤمن بفرعون والصراع الدينى بين الإيمان والكفر من جانب والحب المستحيل من جانب آخر ، وانهزام دين الحب أمام دين السماء .

بينما الخط الثاني في الرواية يتحدث عن قصة حب مستحيلة أخرى بين سهر وأستاذها كاظم تنتهى بالفشل ورحيل سهر إلى الإمارات للزواج هناك .

والخط الثالث يحكى عن فتحي رضوان وحياته في الإسكندرية ومعاناته من الوسط الثقافي وفشله في الزواج ممن يحب مما يؤدى إلى رحيله هو الآخر إلى الخليج للعمل هناك بعد أن يتزوج من امرأة أخرى .

وأول ما يلاحظ على هذه القصص الثلاثة أن الخروج من الأرض والرحيل صار حلاً أو خلاصًا أو مصيرًا حتمًيا مفروضًا على أبطالها.

أخرجٍ من مدينتى من موطنى القديم
مطرحا أثقال عيشى الأليم
فيها ، وتحت الثوب قد حملت سري
دفته ببابها ، ثم اشتملت بالسماء والنجوم
أنسل تحت بابها بليل
لا آمن الدليل ، حتى لو تشابهت على طلعة الصحراء
وظهر الكتوم .

صلاح عبد الصبور
سأترك الإسكندرية المدينة البليدة الخاملة التي لا يتخطى أحلام مبدعيها
محطة قطار سيدى جابر ....فتحي رضوان

إذن كل شئ ينتهي بالرحيل الذي يعد خلاصًا ونجاة ، وإذا كان سفر العبرانيين كان خلاصًا جماعيا فإن خروج سهر ، وفتحي رضوان من بعدها كان خلاصًا فرديًا وخاصة بالنسبة لفتحي الذي لم يتمكن من التعايش مع مجتمع يقتل المبدعين ويحارب المثقفين ويكره المفكرين فكيف يحلق المبدع بأجنحة متكسرة في مدينة مهجورة مهجرة .

الطيور مشردة في السموات
ليس لها أن تحط على الأرض
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوات الرياح...... أمل دنقل

والسيد حافظ هو أحد هذه الطيور التي لم تقعدها مخالطة الناس ولكنه من الطيور المعلقة في السموات وليس بوسعه إلا أن يلبي نداء الشاعر :

رفرف
فليس أمامك
والبشر المستبيحون والمستباحون صاحون
ليس أمامك غير الفرار
الفرار الذي يتجدد كل صباح

لكن السيد حافظ بعد خروجه وفراره قرر العودة قرر المواجهة قرر أن يعيد كتابة التاريخ أن يناقش قضية الهوية أن يفضح الأدعياء أدعياء الفكر أدعياء الحضارة أدعياء الثقافة لذا دفع الثمن غاليا ومازال يدفعه ومازال يواجه .

حضور ذات المؤلف في الرواية

إذا كان أرسطو يقول اعرف نفسك فإن السيد حافظ قد عرف نفسه وقرر ألا يكون إلا نفسه وألا يكتب إلا نفسه لذا يقول في تصدير روايته "لست مؤهلا إلا لكتابة شيء عن نفسي"

وهذا مناط تميزه وتفرده عن غيره من الكتاب ، السيد حافظ هنا في هذا العمل حاضر وبقوة لا يختفي خلف شخصياته بل يطل بوجهه لا في صفحة

الغلاف فحسب ولكن في كل قطرة حبر سالت على أوراق روايته .
السيد حافظ يكتب ذاته لكنه لا يكتب سيرة لها ، هذه ليست رواية سيرة ذاتية تستوجب حالة تطابق بين الكاتب والسارد والشخصية لكنها أقرب لرواية التخييل الذاتي يقف فيها وجها لوجه أمام ذاته في محاولةٍ منه لخلق مسافة مع هذه الذات عبر عنصر التخيل ليخلق منها موضوعًا للتأمل وإعادة الاكتشاف .
الكاتب حاضر بفكره بثقافته باختياراته بتعليقاته حاضر بروحه في كل كلمة في الرواية .

مذهب الكاتب

إنني شاعر خارج التصنيف وخارج الوصف والمواصفات فلا أنا تقليدى ولا أنا حداثوى ولا أنا كلاسيكي ولا أنا رومانسي ولا أنا رمزى ولا أنا ماضوى ولا أنا مستقبلي ولا أنا انطباعي أو تكعيبي أو سريالي إنني خلطة لا يستطيع أي مختبر أن يحللها إنني خلطة حرية.   نزار قباني

أنا كاتب فوق الأحزاب أنا حزب لوحدى........   السيد حافظ

كيف نصنف السيد حافظ من خلال هذه الرواية هل هو كاتب رومانسي يهيم شوقًا ويذوب عشقًا ؟ هل هو كاتب واقعي ؟ هل هو كاتب رمزي ؟ هل يوظف القناع ؟ هل يستخدم الإسقاط الرمزي ؟ هل .....هل.........
نعم هو خليط من كل هذا هو نسيج متفرد بذاته لا يشبه إلا نفسه.

استلهام التاريخ

فشر الناس قوم ذو خمولٍ   إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
معروف الرصافى

ثمة ارتباط بين التاريخ والفن الروائي إذ أن كليهما يتضمن سرد الأحداث بشكل قصصي و لوجود هذه العلاقة بين الفن والتاريخ اتجه الكتاب إلى قراءة هذا المصدر الثري وهضم صوره وصياغة موضوعاته صياغة حية نابضة لتنفذ وسيلة للتعبير من خلالها عن ذواتهم، وإذا كانت الرواية بشكل عام هي تاريخ متخيل داخل التاريخ الموضوعي فإن لنا أن نلتمس الخيط الذي يشد الرواية إلى التاريخ عبر اشتراكهما في عناصر رئيسة هي الإنسان والزمان والمكان وأكثر من ذلك اشتراكهما في الطابع القصصي .

وإن كان اعتماد الرواية على الحدث التاريخي لا يعني إعادة كتابة التاريخ بطريقة روائية فحسب ،بل قد ترتبط الرواية بالتاريخ للتعبير عما لا يقوله التاريخ في بعض الأحيان.

وهذا ما فعله السيد حافظ حيث أعاد تقديم التاريخ من وجهة نظره موضحًا كثيرًا من أخطائه وذاكرًا لكثير من الأخبار المسكوت عنها ، دون الوقوع في فخ الانبهار بالماضي أو الفناء فيه وإنما كانت قراءته للتاريخ قراءة ناقدة مصححة قاسية لكنها عاشقة إنها قسوة الحب التي كثيرًا ما يستخدمها السيد حافظ في نقد أحوال المجتمع المصري وكشف عوراته قديمًا وحديثًا سعيًا لإصلاحه وإبرازا لملامح الهوية المفقودة.

الروح الصوفية

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحن روحـان حللنا بدنا
نحن مذكنا على عهد الهوى	تضرب الأمثال للنـاس بنا
فإذا أبصرتنى أبصـرته	وإذا أبصرته أبصـرتنا
أيها السائل عن قصـتنا	لـو ترانا لم تفرق بيننا
روحه روحى وروحي روحه	من رأى روحين حلت بدنا

الحـلاج

ثمة علاقة وثيقة بين التجربتين الصوفية والأدبية تكمن في سعي كل منهما نحو الأسمى والأفضل وتقديم صورة للعالم البديل الذي يرتقي الصوفي من أجله معراج الروح ويبغيه الأديب مرتكزًا على الثنائيات الضدية إظهارًا لعوار المجتمعه وفساده أو محلقًا في عوالم خياليه مثالية يقدم من خلالها صورة ضمنية تجسد حلمه الأسمى بالمجتمع المثالي الذي يصبو للعيش فيه ، والروح الصوفية واضحة الملامح في هذه الرواية نراها في فكرة تناسخ الأرواح وانتقالها من جسد لآخر ، ونراها في حالة الوجد والعشق والتماهي بين الأحبة وفناء العاشق في المعشوق، رحلة مغامرة عشقية يسير فيها العاشق وحيدًا أعزل إلا من حبه وشوقه ولا يقين لديه إلا إدراك غايته لأن الحاجة إلى المحبوب نداء باطني يأتي من المجهول لا تحدده مواقع سطحية قريبة ولا يقبل المحبوب إلا بالنفوس القوية الصامدة إنها رحلة صعود صوفية يتألف سلمها من درجات متناهية في الدقة والخطورة تبدأ بسيطة وتنتهي صعبة يفن فيها المحبوب في حبيبه وقد كتب السيد حافظ عبارة غاية في الرقة

الشاعرية تعبر عن هذه الحالة منها علي سبيل المثال وصف فتحي لحبيبته ناهد وعشقه لها:

"سأتذكر أني عندما قبلتك فقدت الذاكرة وأني حين احتضنتك وجدت وطني، وحين ارتميت على جسدك تلاشيت في جسدك وصرت نورًا وسأذكر أنك موطنى وهوائي وخيمتي ومهرتي وأنك في الليلة الظلماء قمري ."

وهذه القطعة العذبة من محب عن نور :

من أنت يا نور؟ هل أنت لي قدر مكتوب؟ هل أنت جنوني المسافر و عاد ؟ هل أنت أوراقي وزهرة خبأتها من السنين في حنايا القلب؟ هل أنت لحظة مضيئة تعد بألف سنة مما يعدون؟ هل أنت شجرة ميلاد لا تنبت أوراقها ولا تفوح إلا لحظة وجودى والحضور ؟ أعرف الآن أنك تهيمين في قلبي دون آلاف النساء إني أجمع صفاتك من كل النساء ليستريح قلبي حين تغيبين.

وهذه الرسالة التي يبدو فيها العشق الصوفي بوضوح من فتحي لزوجته تهاني :-

أنا من الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض وفوائد العشق لحواء أنا مدن ليس لها ميناء ولا أشغل نفسي بالدنيا دينا أو مدنية فالله في كل الأشياء دنيوية ودينية وأنا الشيخ المستنير وأعرف طعم الكلام والاصطدام والانتقال والاتصال ودهشة الطفل في داخلي حين أرى مطر الشتاء اكتشفت أني أحبك كثيرًا ياتهاني في هذا المساء.

نقد الواقع الاجتماعي

تحمل الرواية نقدًا شديدًا للمجتمع المصري قديمًا وحديثًا مركزة على كثير من سلبياته مثل تبعيتهم لفرعون رغم توالي الآيات والابتلاءات ، ومن ثم صارت التبعية للفراعنة وراثة وهذا سر احتفائه بـ٢٥ يناير التي تمردت على فرعون.

كما تلقي الضوء على سوء فهم الحضارة فالحضارة ليست تماثيل ولكنها سلوكيات للناس .

وتبرز فساد الحياة الثقافية وسيطرة العلاقات الشخصية والشللية في النشر والجوائز وفتح أبواب الإعلام والصحف ...

وتنتقد المناخ الطارد في مصر لأهلها واضطرارهم للسفر إلى الخليج الذي يستنزف طاقاتهم.

سُلطة الهامش

هدف الحاشية في معظم الأحيان هداية المتلقي إلى مغاليق العالم الروائي عن طريق دورها في توثيق النص وتثبيت الإحالات ومصادر الكاتب ومراجعه أو توضيح ما ورد غامضًا في المتن وإن كانت الحواشي تتذيل النص وتقع في هامشه فإنها تؤدى دوراً وظيفيًا يؤازر المتن الحكائي .

وقد استخدم السيد حافظ حواشيه بشكل توثيقي في كثير من المواضع مثل إشارته لمرجعه التاريخي عن أخبار موسى ، وأحيانًا يستخدمها استخداماً توضيحيًا تفسيريًا عند إشارته لأصل تسمية أبي حنيفة وللغة التي كلم الله بها موسي .

وأحيانًا كان يستخدمها للتعقيب والتعليق مثل تعليقه بأن أول من كشف زيف اليهود شامبليون....

ولكن الحاشية تتسع في كثير من صفحات الرواية حتى تبدو في كثير من الأحيان كتابًا مستقلاً عن المتن ، يتحدث فيها المؤلف عن مواقف حياتيه وأشخاص قابلهم أو يعرفهم يشكو ينقد يتألم يحب يفرح يحزن ، يذكر أسماء بعينها من الشعراء والكتاب ، يشكو ديونه أحيانًا....

ولكن هل فعلاً الحاشية لا علاقة لها بالمتن ؟في كثير من الأحيان تكون الإجابة بـ لا هناك مواضع كثيرة تربط بينها ،منها علي سبيل المثال في صـ٤١ هناك عبارة أرسل مع العصافير دقات قلبك لمن تحب إن العصافير والحمام رسل قلوبنا

وفي الهامش

بيان انقسام المصريين في كل العصور منذ عهد إخناتون ومرورًا بموسى وفرعون ، وفي عهد المسيحية من آمن بعيسى بشرًا ومن آمن به إلهًا ، وفي عهد الفاطميين شيعة وسنة وحاليًا إلى إخوان وعلمانين وفي كل عصر يسقط الضحايا لغياب القدرة على التعايش لغياب الحب .

في نفس الصفحة الحديث في المتن عن جحود الأبناء رغم ما قدمه لهم الأباء وفي الهامش جحود المثقفين والإعلاميين وحصار الكاتب بالتفاهة في بلاد اللا معنى .

في صـ٣٤ ربط بين المتن والهامش حديث عن الشر وقول سهر يا خالتي شهرزاد الشر موجود طوال الوقت وفي كل الأحوال في الهامش مرض أخيه رمضان بالسرطان في الكبد وبداية علاجه الكيماوي .

في صـ٣٤٣ إشارة إلى الحكم بالعدل كما جاء في التوراة وفي الهامش إشارة إلى دخوله الإنتخابات باتحاد الكتاب وعلمه المسبق برسوبه لأنه لا شلة له فالثورة لم تغير فينا شيئًا حتى الآن .

صـ٣٥٤ إشارة إلى سوء معاملة العرب الخليجيين للوافدين وفي الهامش إشارة إلى تسامح عمر بن عبد العزيز مع اليهود وتسامح هارون الرشيد مع المسيحيين ثم تحذير من الفتنة........... وهكذا يأتي الهامش متممًا للمتن وموضحًا له أو معلقًا عليه ، في ربط بين الهامش والمتن والقديم والحديث والتاريخ والواقع.

كابتشينو صرخة لتنبيه مجتمع غافل ليعيد اكتشاف نفسه وتشكيل وعيه ، تطرح أسئلة تعمق جرحًا لتصل إلى التطهر ، لاتقدم حلولاً لكنها تضع أيدينا على المشكلة علنا نجد حلولاً لها.

تحمل الغرابة والتشويق ،نحن أمام رواية اختراق واحتراق تربط بين الما قبل بـ الما بعد في الحكى ترجع إلى التاريخ وتسقطه على الواقع وتقدم لنا شكلاً جديدًا للسرد يعلو فوق التصنيف ويتمرد على النمطية .

دكتور احمد المصرى

جامعة الاسكندرية

تحويجة رواية " كابتشينو "
للمبدع السيد حافظ
رؤية فهمى إبراهيم

كما عودنا دائما كاتبنا " ملك التحويجات الصوفية الرائعة " السيد حافظ أن يصب جام إبداعاته تحويجاتٍ صوفيةً رائعة ، تنبه العقل والإحساس ، وتخلق لدي القارئ عالما شديد الحساسية ، يستولي عليك ويكشف لك غطاءً ؛ سميك التحجر عن تاريخ هذا البلد العظيم ؛ فيظهر لنا ما كان ينخر في عظامه من ألم ، وما كان يحيط به من مكائد ، وما ألمَّ بأهله من موبقاتٍ .. تسبب فيها من كانوا يحكمونه ، أو ممن أرادوا أن يعيثوا في أرضه فسادا ، أو يمزقوه؛ حتى يسهل التهامه وهو علي الظلم محتمل وصبور .

في هذه الرواية يعتلي الكاتب عرش إبداعه ، ويأمر جان أفكاره ، ويدعونا بطقوس رواياته إلي فنجان سحر ، من تحويجاته الصوفيةِ ، معبأٍ بكل توابل الإبداع ، وفنون الكتابة ، ضاربا عُوض الحائط ، بكل طرز البناء الروتيني ، مبتكرا بناء روايته الجديدة " كابتشينو" مصبوغا برؤيته الخاصة التي تميز كتاباته هو فقط .

الرواية :

تحتضن حوالي أربعمائة صفحة لم يحددها الكاتب في فصول[١] ، وإنما أراد أن ينقل إلينا تمرده علي تقسيمها ، فترك لنا فضاء ها الزماني والمكاني مفتوحا ، ففتح لنا كوة زمنية في حائط بناء الرواية ، لدخول ما يعتريه لحظة الكتابة ، وما يعانيه ، وما يختلج به شعوره ، ليعكس لنا حالته الوجدانية ، وهو يبدع هذه الرواية ، في تضفيرة مجدولة بشرائط العذابات النفسية ، التي تعكس لنا شعاعات معاناة الكاتب وهو في أوج لحظات إبداعه ، وتصنع لنا فضاءا موازيا يفرض خطوط مجاله علي نفسية الكاتب ، وما يعتريه حبا ، وكرها ، وقبولا ، ورفضا ، لواقع قد لا يرضي عنه ,أو يتمناه ، فيلقي إلينا برؤيته فيه ، متنقلا بآلة تصوير أفكاره وإحساسه ، التي توقف سيل تدفق الرواية ,ليخبرك بنبأ عن شخصية تهمه ، أو تذكره بموقف معين ، أو يلقي إلينا بخبر ، أو ينقل إلينا في أنه ، ما تعانيه بلادنا في هذه الفترة الزمنية ،

---
(١) كانت هذه الدراسة عن الطبعة الأولى.

لنستشف أنه كبقية البشر ، يعاني و يتألم ويتكلم ، ويفرح ، وإن كانت لحظات الفرح قليلة لديه ، ويتصل وينفعل وهو يعيش لحظة الإبداع ، وقد يعتبره البعض تشتيتا للرواية ، ولكنني أراه بعدا جديدا ، يضاف لمدي انغماس الكاتب في حبه لوطنه ، وفي أحداثه المؤثرة ، فهو ليس بمعزل عن الواقع ، أو يغلق باب برجه العاجي ، لينعزل عن معايشته الحياتيه اليومية ، فهو وإن كان يموت عشقا لهذا الوطن ، فهو يصرخ في وجهه كيما يفيق ، أو لعل الوطن يشعر به عما قريب .

لقد تحدث الكاتب عن مائة وخمسين شخصية وضمت خمسين شاعرا وحوالي خمسة عشر روائيا ، تحدث عنهم الكاتب ، أو أتي بمقاطع من أشعارهم ، أو ومضات من رواياتهم ,إن هذا الكم من الشعراء والأدباء ، يثبت أن هذا الكاتب واع ومثقف وقارئ جيد للشعر والأدب ، قبل أن يكون قارئا ومفسرا لأحداث ما نمر بها وما نعيشه بلادنا في هذه الفترة.

هذه التحويجة الجديدة "كابتشينو " تبدأ بنكهة الجبل وأسرار شهر زاد ، العرَّافة التي أحبت " سَهَرْ" ، عرافة الجن التي يمدها عشيقها الجني بالسر وبأسرار كل البشر .. شخصية مميزة بخصوصيتها .. وظفها الكاتب لخدمة شخصيات الرواية دراميا فهي اسم علي مسمي ، يحمل معه الأساطير والحكايات الممتعة المسلية ، وهي بأوصافها التي تنم عن جمال متوحش ، تعانق عيناها سماء بلاد اللوز والتفاح والياسمين ، وهي تجلس ، تعد مشروب المتى ، يهابُها الرجال ، ويشتهيها بعضهم ، هي سيده الوجع.. خبيرة بوجع ومتعة النساء والرجال ، وتحب الجميع .. وتحب من يحب "سهر " ، ابنة العشق والجمال والجبل ، و عشيقة القمر ، التي تحلم بالذهاب إلي الإمارات ؛ وتغيير الزمان والمكان ,فيشدنا الكاتب بأسلوبه المتميز ,ليخترق بوابات هذا البناء الضخم ، الذي ما إن تدخله حتى تتحول إلي كائن مسحور ، بكل تحويجاته الرائعة ، من حوار ثري يكشف روح الكاتب ، وبلاغته المتفردة التي تميزه ، وكأنها تطرق أسماعنا أول مرة ، بلغة شعرية مرصعة بكل مقومات الشعر ، فيزداد إعجابك ، وتستهويك انسيابية العبارة ، فتلهث وراءها اعجابا واستمتاعا

شخصية "سهر" : هذه الشخصية الرائعة التي تهيم عشقا وبراءة ، تُسلمك

مفتاح أبواب السحر ، التي ما إن تدير بها صفحات الرواية حتى تفتح لك أبوابها ، لتدلف داخلها ، متحولا إلي روح هائمة ، تترقب كل همسات أبطالها ، وتغرق منتشيا ، بعشق " سهر " ، الذي يحتويك بعبقه السحري ، و يبعث فيك رعشة المتعة الصوفية ، إن "سهر" هي الروح السابعة بنت القمر ، الروح الممتدة الوارفة التي تمد غطاء سحرها علي كل ما ، ومن حولها ، إنها لا تضع عطرا .. بل هي رائحة من السماء في جسدها .. هي شخصية تسحب غطاء سحرها على بقية الشخصيات التي تدور في فلكها ، وينتقل سحرها ليؤثر في الأحداث والأشخاص ، إنها السحر الخفى .

لها عصفور ملازم لها يطير فوقها كأنه حارسها التي تتمثله في "هيئة شاب وسيم يمد يده نحوها يراقصها كما في الأفلام ، تتمايل على كتفه في حنان .. يدور بها ويدور على صوت فيروز .. أليس الحب نور وخيال ؟.. أليس الله محبة ، ونحن نحب الله بقوة خيالنا اللامتناهية ، وإيمان في القلب والروح؟.." (١)

وقد أنبأتنا شهر زاد ، عرافة الجن التي يمدها عشيقها الجني بالسر ، وبأسرار كل البشر .. "هذه الشخصية المميزة بخصوصيتها .. والتي وظفها الكاتب لخدمة شخصيات الرواية دراميا فهي اسم علي مسمي ، يحمل معه الأساطير والحكايات الممتعة المسلية ، التي تعرف مدينة العلو والإيضاح في أسرار الليل وتحكي لك بلسان امرأة جامعها ألف رجل فحكت عن كل رجل منهم"(٢)، لتقول لنا شهر زاد : إن " سَهَرْ" قد تقمصتها روح فتاة اسمها "نفر" التي أحبت معلّمها الكاهن "باكا" (٣)،كما في الجزء الثاني من رواية " قهوة سادة " للسيد حافظ ، ولكن في هذه التحويجة الجديدة " كابتشينو " ، تحولت إلي روح ثانية تمثلت في شخصية نور .

<u>شخصية نور:</u>

المصرية العبرانية الجميلة التي كانت تخرج في الصباح ، إلى النيل وتحمل الجرة ، وكانت كل مساء تسير على النيل .. لكن أباها منعها من الخروج

---

(١) رواية "كابتشينو" - السيد حافظ , رؤيا للنشر والتوزيع صـ ٨٤
(٢) من قراءة فهمي إبراهيم لرواية " قهوة سادة " للمبدع السيد حافظ
(٣) الجزء الثاني من رواية " قهوة سادة " السيد حافظ –الهيئة العامة للكتاب

عندما أحبت الضابط الفرعوني الكبير الذي يتسم بالشباب والأناقة

المقارنة بين شخصيتي سهر ونور

سأقارن بين شخصيتي سهر ونور في هذه التحويجة الجديدة ، لنري ما جري لسهر وكاظم الذي أحبها بجنون في أرض الشام ، و ما جري لنور ومحب في أرض مصر ؛ أم العجائب والغرائب ، فسهر أغلقت ملف حبها وسافرت هربا إلي الإمارات ، و نور الفتاة الجميلة العبرانية ، أغلقت أيضا ملف حبها ، وهربت مع العبرانيين المغادرين لأرض مصر ، سهر أحبها أستاذها كاظم ونور أحبها محب الضابط الفرعوني الكبير ..

سهر رغم حب كاظم لها ، إلا أنه تزوج من بنت المختار رغما عنه.. ونور رغم حب محب لها إلا أنه عسكري ، لا يأتمر إلا بأوامر فرعون وهامان ..

وإذا كان الشاعر أبو فراس الحمداني حين عذبته لوعة الهوى قال :

" أراك عصى الدمع شيمتك الصبرُ
أما للهوي نهى عليك ولا أمرُ

وَلَكِن إِذا حُمَّ القَضاءُ عَلى اِمرِئٍ
فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ وَلا بَحرُ

وَقالَ أُصَيحابى الفِرارُ أَوِ الرَدى
فَقُلتُ هُما أَمرانِ أَحلاهُما مُرُّ

سَيَذكُرُنى قَومى إِذا جَدَّ جِدُّهُمْ
وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ "

فإن السيد حافظ قال علي لسان كاظم:

" وسأتذكر أنى عندما قبلتك فقدت الذاكرة ، وأني حين احتضنتك وجدت وطني، وحين ارتميت على جسدك ؛ تلاشيت في جسدك وصرت نورا ، وسأذكر أنك موطني وهوائي وخيمتي ومهرتي ، وأنتِ في الليلةِ الظلماءِ قمري..)(١)

وقال علي لسان محب : إذا مررتم على باب نور .. ضعوا على بابها باقة زهور .. أيها العابرون المؤمنون بموسى أو الكافرون بفرعون .. أعلِموا نورَ أن حبي لها فاق الحدود ..(٢)

(١) رواية "كابتشينو" - السيد حافظ , رؤيا للنشر والتوزيع صـ ١٢٣
(٢) رواية "كابتشينو" - السيد حافظ , رؤيا للنشر والتوزيع صـ ١٣٦

سهر لا يشغلها إلا عصفورها وحكاية روحها ، ونور لا يشغلها إلا برق حصان حبيبها محب الضابط الذي يعمل مع فرعون ، واكتشفت أنه عدو أهلها ، وقد عشقته ؛ وعندما مُنعت نور من الخروج والسير علي النهر ، حين أتي "برق" دون صاحبه ، و"برق" هو اسم حصان الضابط الفرعوني الكبير محب ، الذي حين نادته نور ،أتي إليها علي استحياء ، فطالبتها الفتيات اللائي كن معها أن تمتطيه ، وعندما امتطته ، إنطلق بها حتى اختفي عن أنظار البنات ، ووقف علي قمة الجبل ، بعد أن كاد قلبها أن يتوقف من الخوف والفزع ، ولكنها حينما نظرت من أعلي الجبل علي مصر شعرت بالأمان ، وروعة المكان ، ليأتي صوت محب فينخ الحصان ، لتترجل من فوقه ، ومحب يمسكها من يدها وبعد مواقف الغرام ، يطلبها للزواج .

إن محب اسم علي مسمي ، رمز الحب والنقاء ، هو من قوم موسي وهارون ، وجده الأكبر من الإخناتونيين ، تزوج من إسرائيلية ، وآمن بيوسف ويعقوب ، وأبوه يؤمن بموسي ,ولكن محب جندي لفرعون وهامان ، إننا في هذه الرواية نلمح بوضوح ، المعادل الموضوعي ، لتجلي الحب بين نور ومحب ، وبين الله وموسي ، كلاهما تجلي لهما الحب علي جبالك المقدسة يا مصرنا الحبيبة . ونلمح أيضا التوازي ، فيما حدث لسهر ، حين حاول راغب ابن المختار أن يستولي علي جسدها بالقوة ، ففكر في خطفها ، لكنه تراجع عن فكرة الخطف لأنها فكرة فاشلة ، ستسبب لأبيه مشاكل ولأسرته ؛ ففكر واتفق مع مجموعة من (البلاطجة) مقنعين ، على أن يمثلوا أنهم يريدون خطفها ؛ فيقوم هو بضربهم وإطلاق رصاصا في الهواء ، لقد شاهد هذا في فيلم عربي ، حتى يكسب البطل قلب البطلة وترى شجاعته ..وفعل هذا هؤلاء البلاطجة ، الذين أحضرهم له أبو الريش ..التفوا حول سهر فضربهم ، وكل واحد حصل على ألفي ليرة أجرة المشهد .

وما حدث لخطف نور ؛ حبيبة محب ، حين لعبت الأفكار الشيطانية برأس تيتي ، صديقة نور ، لغوايتها ، حتى تعمل معها عند "نانا" ؛ في الترفيه عن الرجال الأثرياء ، مقابل الهدايا والعطايا ، ولما رفضت نور ، كادت لها نانا ، وخطفتها بخطتها الماكرة ، بأن جعلت بعض الأطفال ، يخطفون منها سلة الخضار ، وهي عائدة من السوق ، وحين جرت خلفهم ، دخلوا بيت نانا وهنا

كان الكمين ، لتجد نفسها فجأة ؛ في بيت نانا المشبوه وسط بنات ، وضحكات ، ورجال وغناء ، ولكن محب الأنيق ، والضابط الفرعوني الكبير ، لمح نور ، فأنقذها ، وأركبها حصانه البرق ، ومشي وهو ممسك بلجام " البرق " مما أثار حفيظة أثرياء الإسرائيليين المصريين من هذا المشهد ، ووصل ما حدث لأذن هامان ، فعنف محب تعنيفا شديدا ، وبعد ثلاثة أيام ، لم يكلم فيها محب أحدا ، جمع محب بعض العسكر ، وهجم علي بيت نانا ، وطردها والنساء اللاتي معها ، وهدم البيت ، مما أثار حفيظة هامان عليه ، مرة أخري وعندما سأله هامان لماذا فعلت هذا؟ قال محب له:

- لأن مصر لا تتحمل غضب الرب أكثر من هذا ..!

وقد ردت نور له هذا الموقف حين تحول نهر النيل إلي دماء ، فسقته من ماء الزير في بيتها رغم أنه كان قد ضرب أباها بالكرباج .. ورغم ذلك ، جعلت أباها يذهب إلي موسي ليدعو ربه أن يتحول النهر إلي طبيعته ، بعد أن صارت مياه النهر دما ؛ كان يتقيأه المصريون ، ومثلما تعذبت نور ، وحرمت من حبها لضابط الفرعون ، تعذبت سهر حين غاب عصفورها فتركت له شبَّاكها مفتوحا فأصابها هواء الليل البارد الذي غار من عشق سهر للعصفور فمرضت ، وغابت عن المدرسة مما أدخل كاظم في حزن مجهول العنوان ، سهر تركت كاظم لأنه متزوج من وردة ، ونور تركت محب لأنه جندي عند فرعون

أما شخصية " كاظم ": معلم اللغة العربية في مدرسه " سهر " صاحب العشق الخفي أو العاشق الهارب ، الأشقر وسيم ذو ثلاثين عاما ، دائما ما يحاول الهروب لكنه متردد ، والذي كان يحلم بأن يكون سياسيا فصار معلما ، هذه الشخصية تمتعنا بالمفارقة الرائعة في ازدواجية هذه الشخصية بين المعلم والسياسي ، والذي حلم أن يعيش في مصر وتكون سهر معه ، يدور في فلك عشقه الخاص متضادا مع فلك شخصية الجبل وسلوكيات أهله ، شخصية يتجلى صراعها الداخلي لشخصيته المذعورة بهواجسها ، وتردده في مواقفه المتخاذلة التي تخلق مفارقات رائعة تثير الضحك أكثر مما تثير الشفقة. فبدلا من أن يصبح صحفيا ينشر في الصحف يشعر أحيانا أن خبر قتله هو الذي سينشر في الصحف.

وتتجلى المفارقة بين شخصيته المترددة ، في أنه لم يلمس امرأة في حياته من قبل ، وبين شخصية "وردة " المقتحمة الواثقة التي تفعل ما تريد وتقتحم الرجل وتستخدم أسلحة الأنثى الجبارة ، لتفترس حصاره وتوقعه في براثن أنوثتها المستأسدة.

إن التطور الدرامي لشخصيته " كاظم "

يتناسب مع سلوكها في المواقف المتعددة بكل أبعادها المترددة ، في حين أن شخصية "وردة " بكل أسلحتها التي تجندل الرجال تقلب له حياته المقلوبة أصلا ، إن ارتباك شخصيته المترددة ، يجعله يحاول الهروب دائما ؛ عندما يواجه واقعه ، و ينعكس ذلك علي سلوكياته التي تتميز بهروبه ، من المواقف الصعبة الخارجية ، واختلاقه المبررات.

شخصية كاظم أجاد الكاتب تصويرها بكل أبعادها ببراعة ودقة خدمت أحداث الرواية ، وحققت واقعية الشخصية في كل مراحل تطورها فجعلتها متعة حقيقية ، يتعلم منها الشباب صور ومراحل العشق ، ولكن ليس بمثل شخصية كاظم.

بينما شخصية محب أحد جنود فرعون هي شخصية عسكرية قوية منضبطة واثقة تتميز بالثقة في الذات وبالولاء لقائدها الأعلي هامان الذي يدين بالثقة لفرعون ، حتي عندما يضعه القدر بين حبيبته وقائده ، فإنه يضحي بكل شيء إلا الولاء لقادته.

عتبة الفخامة في الرواية :

فتحي رضوان الشخصية المحورية الأولى,..

يقدم لنا الكاتب شخصية ثرية عاشقة متعددة الأبعاد والأعماق ممتعة بحضورها ، وقوة تأثيرها علي بقية شخصيات الرواية ، إنها شخصية فتحي رضوان الإنسان .. حلم تحرير الأمة من التخلف ، وثورة المطر.

بدوائر شخصيته المتميزة الخارجية والداخلية والنفسية ، (مصري الملامح.. عربي التفكير.. عالمي الإحساس بالجمال) ، إن دائرة هذه الشخصية أكبر دوائر الرواية إذ تضم معها العديد من الدوائر لتكون مجرة قائمة بذاتها ، وهنا يأخذك الكاتب إلي مسرحه ، ويقوم بدور المخرج المسرحي ، حيث يثّبِتْ دائرة الضوء علي البطل فتحي رضوان ، وبعدسة الزوم المكبرة ، يقرب لك مراحل

نمو الشخصية دائرة فدائرة ، وكلما اقْتَرَبْتْ منه دائرة ، زاد حجم شخصية فتحي رضوان ، وزاد بريقها وسطوعها ، ويزداد انبهارك بها .. وإعجابك بها ، رغم ما بها من تناقض يبرز المفارقة ، ويوضحها بإبداع سردي ، يحمل لك قطوفا من معلومات عامة ، جاءت في سياق الأحداث في أماكنها وتواريخها بأرقامها وتفاصيلها ، ويصعد بك دراميا في أحداثه المتلاحقة ، ليسلط علي هذه الشخصية بقعة الضوء الكبيرة الكاشفة لتجد شخصية " فتحي رضوان " الملحمية ، بطل الفتوحات والأساطير ، فتحي رضوان نموذج لملايين الشباب العربي ، والمصري ، الضائع ,الذي تطير أحلامهم في السماء كل صباح ، وترحل في المساء مع السفن المهاجرة إلي أمريكا ، والغرب ، ضحية الزمان والمكان .

إن أسلوب الرواية الذي أبدع فيه الكاتب كلماته وصاغ بها جمله ونقل وعبَّر عما يعتمل في نفسه ، وظفه باحتراف وسلاسة ومهد لنا طريق وصول كلماته لتتسلل داخل نفس القارئ ,فتحتل مساحات شعوره وتهيمن علي مناطق استمتاعه ، كانت تبدو كمتتالية تشايكوفسكي "شهر زاد " التي تلتزم مقاما واحد ولكنها تتنوع في الإيقاعات المختلفة لهذا المقام لتُشكـّ لَ بكل تيماتها السردية والفنية جداريةً ، تضرب جذورها في واقع يعيشه الكاتب ، وتنطلق تطلعاتها لهذا الواقع ، في فضاء يخترق حدود الزمان والمكان ، ويربط الحاضر بالماضي ، كما تُضَمُّ قطعُ الزجاج المتناثرة والمختلفة الألوان والشكل والحجم لتصنع لنا هذه الجدارية الشامخة ، لتبهر الروح فتسمو ، ويستسيغها العقلُ فيرقى .

إن هذه الرواية سلة فاكهة ، تحمل تفاح الشام ، وفواكهه المتنوعة ، وتحمل روعة روح جبل الشام ، كما تحمل كل أنواع الفواكه ؛ التي ارتوت بماء النيل المقدس ، رواية تتميز بأسلوبها الشعري المنساب؛ كمياة النيل وبردي ؛ وتحفل بالمعلومات المتنوعة ، تتنوع تضاريسها الزمانية والمكانية ، بين شام ومصر ، وبين نيل وبردى ، وبين تاريخ قديم وحديث ، تجمع بين الحب وعذاباته ولحظاته الصوفية التي تطهر النفس وتسمو بها من خلال صورها الفنية التي تتمتع بتلاحق يتميز بالسلاسة والنعومة ، في تفرد ودون زحام ، وتستعرض لنا تلك البني الدرامية للسرد بتصاعد ناعم ، يصعد بنا جبال الشام وينزل بنا

الهضاب ووديان مصرنا الرائعة ، في بلاغة تنضح بزيت البلاغة والأسلوب الراقي الذي لا يلوي أعناق الجمل والعبارات لتصل إلينا مباشرة ، فيلمس الأعماق بما يحمله من دفقات شعورية بليغة ، تعبر عن لحظات الضعف الإنساني ، وتخترق سدود التحجر ؛ المقامة في بعض العقول ، التي لا تميز بين صدق المشاعر الراقية ، التي تفيض بالمعاناة والرغبة في أن تصل الي حياة أفضل.

إن هذه التحويجة الجديدة للسيد حافظ ، هي ضمن مشروع متكامل ، وأصحاب المشاريع الأدبية هم قليلون ، ولكن هذا يثبت أننا في مصر نملك كل طاقات الإبداع بكل معانيه .

إن "كابتشينو " رواية ثلاثية المستويات والأبعاد ، رواية حب ساحرة برؤية مستقبلية نادرة ، تمزج التاريخ القديم بالحديث . وتشع بحب نور لضابط فرعون ، وتتأجج بحب كاظم لسهر ، وصرخة هادرة لحلم قديم نتمنى تحقيقه ، ونظرة مبصرة لواقع أليم نتمنى تطويره ، إنها رؤية عقل واع ، يريدنا أن نلمس بؤرة الحقيقة ، بكل زواياها ، ربما تضيُء لنا الأيام.

تحية للمبدع السيد حافظ الذي أعجبت شخصيا بروايته الرائعة كابتشينو ، ليعتدل بها المزاج ، وتفرح بها الروح ، في هذا الوقت الذي غطت عليه علامات الترقب وغشيته سحابات القلق ، ليثبت أن هناك من يستطيع أن يبدع رغم كل هذا ، تحية التقدير للمبدع السيد حافظ ، والمتعة الثقافية لكل من يقرأها بوعي ومزيد من الإبداع وفي انتظار القادم.

" كابتشينو " .. والهروب بين صهلتين
بقلم
دينا نبيل عبد الرحمن

" توت " .. أنت ساحر وشاعر وأنا لست من السحرة .. أرانى أحتاجك ..

- أنت تقع بين الإيمان والعشق !

صهل " برق " صهلتين .."

بين سحر الحب الإلهي وسحر الحب الإنساني، بين الإيمان والعشق تأخذنا رواية " كابتشينو " في رحلة إلى خفايا الذات الإنسانية عندما تترنح فوق جبال الكبرياء وعند ضفاف التنازل، عندها تكون المقامرة بالحق تمجيداً لأصنام فارغة. إنه خطاب سردي واقعي ذو لمسات رومانسية صوفية رقراقة تتسم بها رواية " كابتشينو"، لتحكي معاناة إنسانية تتكرر عبر العصور ، تتمثل في وقوف الإنسان أمام قوى فساد تفوق احتماله ، فلا تكون وسيلة للنجاة سوى الهروب والتخلي عن الأماني بغية التخلص من حياة منسية في وطن مهزوم، لتبدأ بعدها رحلة الصراع مع مستقبل مجهول في الغربة. فيقع الإنسان في صراع نفسي كبير بين " صهلتين " تتكرران كـ " لازمة " دلالية عبر الرواية : الصهلة الأولى – عشق الإنسان وحبه للمكان بما فيه من ذكريات محفورة وأحلام مستقبلية ، وبين الصهلة الثانية – إيمانه بحقه في الحياة الكريمة دون التخلي عن مبادئه وعقائده ، إلا أن واقع الوطن الأليم يفرض على الإنسان الاختيار؛ فيكون مخيراً بين التنازل أو الهروب ؛ فيفر موسى عليه السلام ببني إسرائيل من بطش فرعون وظلمه مفارقاً مصر التي تربّى فيها وحارب مع جيشها ، ويفر فتحي رضوان خليل من فرعون معاصر تاركاً وراءه مصر الأم والحبيبة بحثاً عن حرية وكرامة هلامية في الخليج. إن سمة " الهروب الجماعي " التي تسيطر على أغلب شخصيات الرواية ليست إلا محاولة للبحث عن الذات في ظل اغتراب وجودي يفقد الإنسان فيه الانتماء والسكينة الروحية، فتسافر " سهر " إلى الإمارات لا من أجل الزواج فحسب ، ولكن فراراً من أُطر وحدود تحجم روحها الطليقة الصافية ، والتي لم يستطع الزمن الوقوف أمامها ،

فكانت تتناســـخ عبر عصـــور ســبعة من خلال أجســـاد فانية - بين زمن الفرســان وزمن الهزيمة المعاصــرة في طرح ملحمي شــديد الاتســاع زمنياً ومكانياً .

تأتي رواية " كابتشينو " بنسيج حداثي تتعاشق فيه لوحات سردية وشـــعرية وتشـــكيلية في إيقاع متلاحق ، تذوب فيه الفوارق بين الزمان والمكان مما أكســب العمل عمقاً وأبعاداً جديدة ، فيتنقّل الكاتب برشــاقة بين مصر والشام ، وبين العصر الفرعوني والعصر الحديث ، ومن ثّم تتموضع ثيمة مجابهة الإنســان لعوامل الفســاد وثورته عليها عبر الأزمان والأماكن المختلفة من أجل وطن أفضـل ، ثم الهروب من واقع الاسـتبداد المرير طلباً لحيـاة حقيقيـة بعيـداً عن براثن القهر في وطن يكره التغيير. إن الطرح الجرئ لمشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والأخلاقية ، يمكّن القارئ من القول بأنّ رواية " كابتشينو" إفراز حقيقي لأجواء ثورات الربيع العربي ، فلقد ســبق إصــدار هذه الرواية روايتان بعنوان " نســكافيه " و" قهوة ســادة " ، وبالرغم من اتفاقهما في أكثر من ملمح مع رواية " كابتشــينو " - لاســيما في المسحة الشعرية والصوفية وتقطيع مشاهد الرواية على نحو المشاهد المسرحية - إلا أنّ رواية " كابتشـينو " تتمظهر فيها ملامح " الأدب الثوري " الذي يتســم بالعقلانية والعمق في الطرح ، فهي لا تتعرض لإثارة انفعالات المتلقي من خلال دغدغة مشـــاعره عبر عبارات ثورية أو محض انقلابات تقوم بها الشــخصــيات الرئيســة لتغير مســار الحدث ، وإنما تتناول بهدوء ونضــج مشـاكل المجتمع العربي عامة والمصري خاصــة ومواجهته بحقيقته بعيداً عن المحاباة بغية تغيير الواقع المهزوم ؛ فتتناول المشـاكل السـياسـية التي حولت المنطقة إلى أرض نزال وصراع بين القوى السياسية والرأسمالية مما أنبت الوساطة والفهلوة والسرقة التي أسقطت الإنسان البسيط ، وجعلته فريســة للفاقة والجري وراء الرزق في زمن تبدلت فيه القيم. إن ما قام به الكاتب الكبير السيد حافظ - ذو الباع الطويل في الأدب والصحافة - أشبه بمواجهة الذات ووضع القارئ أمام نفسه في المرآة ومحاولة الإمساك بالزمن عن الجريان والتوقف للتثبت من موضع الأقدام وموقع الإنسان المصري من ماضيه وحاضره وسط الأمم ، لذا يمكن عدّ الرواية تمثيلاً لما يعرف بـــــ "

أدب الثورة ". ونتيجة لذلك ، تثير الرواية " رغاوي الكابتشـــينو" الخاوية وفقاعاته الخادعة حول شـعارات مزوقة وأفكار بالية تدفع بأبنائه إلى البحث عن حقيقة وجودهم في وسط زخم من أحلام زئبقية يرسـمها فراعين نصبوا أنفســـهم زعماء ، فيكشـــف الكاتب برؤية واعية عبر تأملاته في الكتب المقدسة والتاريخ والتوثيق الصحفي ، داء الواقع وينفذ إلى جذور المشكلة ويطرح طرق علاجها بعيداً عن أوهام سطحية طافية في فنجان كابتشينو.

وقد اسـتعان الكاتب في النص بالهامش المذيل لصـفحات الرواية ، مما أكسب النص حميمية تخفف من وطأة الشحن النفسـي الحاصل للقارئ نتيجة تلاحق الإيقاع وتأزم الأحداث ، كما يســـهم الهامش أيضـــاً في تقديم أنموذج حي وصادق لمعاناة الإنسان - لاسيما المبدع في الوطن العربي - عبر الخواطر التي يمررها الكـاتـب للقـارئ ، ممـا يـدعم ثيمـة النص. كمـا تتعرض الرواية لكثير من المشاهد الشاعرية التي تأتي لتكملة الجزء السابق - رواية " قهوة سادة " - ،إلا أن رواية " كابتشينو " يشتد فيها التلاحم بين المشاهد كما تزداد رقتها وحميميتها كمشاهد رقص " كاظم " و" سهر " فوق الجبل ، وإعلانه حبه أمامها ، كما تتكرر تلك المشاهد بين " نور " و" محب " في صـــراع أشـــد قوة بين الإيمان والكفر ، مما يمكّن الكاتب من امتلاك عنصر التشويق وانفعالات المتلقي كي يستطيع تمرير رسالته بصورة خفية.
وأخيراً ، إن رواية " كابتشـينو " عمل أدبي يسـعى نحو الكمال في الشـكل والمضـــمون ، فلا يكتفي الكاتب بتضـــفير أكثر من جنس أدبي وفني داخل الرواية - إذ لم يضــــعها اعتباطياً - وإنما لخلق طريقة جديدة في قراءة نصـوص مشـابهة ، فيجمع القارئ الخيوط ، ويقرأ السـرد إلى جانب الشـعر واللوحات التشـــكيلية ، ليس بهدف الإمتاع الذوقي فحســـب وإنما لتقريب الثيمة أكثر ما يكون ، إذ أن الكاتب تناولها بطرح جديد يعمد إلى الجدية في المعالجة ، وتلمس خفايا كثيراً ما تم التعتيم عليها حتى بلغت شـــأن التابو.
لقد كان طرح الكاتب لثيمة " الهروب " من الواقع عند الوقوع في الصـــراع بين " الصـهلتين " - العشـق والإيمان - إظهاراً لحقيقة الأوضـاع التي تزج بالإنسان إلى ترك الوطن إثر عدم التمكن من الجمع بين الاثنين .

إيقاعات متفردة على هامش روايات للأديب/ السيد حافظ "كابتشينو"

... منى عارف...

أبدأ معكم نصى هذا فى غفلة من الشوق عندما يشتاق الثرى لذكرى المطر .. وأفتح صفحات كتاب فى محراب العشق .. مشرقة أيضاً بالفرح مثله رامبو:" مفتتح القصص " ومنذ ذلك الحين وأنا أستحم فى قصيدة البحر ... منقوعاً بالنجوم مشرقاً بالفرح ..
غريقاً متأملاً متخفياً أحياناً (الشاعر الفرنسى رامبو)..
"سيدتى لكِ الغرور ... ولى الحروف والنور..." (كاظم أحد أبطال الرواية)
مع شهرزاد الحكاية وسيدة الوجع الخبيرة بقلوب النساء والرجال على السواء .. برواية حروفها من نور وأبطالها يعبرون الروح على عجل ، لتظل كلماتهم الأثيرة فى القلوب ، وسهر ابنة العشق والجمال عشيقة القمر .. يسكنها هاجس حكاية نور ومحب وسيدنا موسى .. وفرعون مصر : إنه عشق سرمدى من نوع آخر .

سهر تحلم بالذهاب إلى الامارات وتغيير الزمان والمكان وكاظم المعلم والأستاذ العاشق الولهان الذى يكتب لسان حاله فى قصيدة يخفيها فى عيون القمر .. يكتم حبه لسهر ولكن تفضحه عيناه كلما مر طيفها .. تفطن إليه زوجته وردة وكل المحيطين به ..

وتتصاعد أحداث الرواية كل فى حالة بحث عن عشق ما .. عن دفء ما .. عن قلب يتخذونه وطناً .. بعدما بدأ هذا الأخير أرضاً مسلوبة وضائعة فى كتاب تاريخ الإنسانية الكبير منذ القدم .. أمامنا عالم تسكنه الخديعة وهوس السيطرة وكراسى الحكم .. عالم يشبه عالمنا .

إنه الرحيل فى حكاية الروح ومتعة الإبحار كانت فى الصفحات مع نساء يشبهن النغمات فى معزوفة من معزوفات العشق ومع رجال غيروا مجرى التاريخ إلى الأبد ومع حلم بطل الرواية الذى يظهر لنا قاطعاً الشك باليقين

بلحمه وشحمه وليس حبراً على ورق: " فتحى رضوان خليل " الذى يعشق الوطن ومفتون به.. هو المسحور والساحر والسحر ، هو العاشق والمعشوق ، البسيط المستجير السائل للمعرفة والتفسير.. يحمل فى قاموسه" نصوص لابوسيه" وكتابه العبودية" المختارة الذى ينسب إليه فكرة تمهيد الثورات فى كل أوربا ، بل يعتبر ميثاق عمل المجاهد السياسى...

هو الإنسان البسيط الذى له فى التوحيد عقيدة معجون بآهات ابن خلدون ، ولويس أراجون ، وابن حزم ، وذا النون المصرى ، و ابن الفارض ، سلطان العاشقين .. مسكون بالظنون ، محاصر بالواقع وحزن يشبه اليأس ، يحمل ملايين الأحلام للفقراء ويعشق تلاوة الروح ،

وتلاوة سر الأسرار :"فالحب ينصر ولا ينتصر والعاشق ينصر وينتصر .. " هو أبو حنيفة أو خليفه الروحى .. مشغول بالنور والتنوير والحرية المضرجة بالدماء وبلمس الحب وبروح أخناتون فى تل العمارنة يكره التعصب والطغيان والظلم ..

هى رواية كثيفة فروعها .. تحكى عن مصر الشعب .. الأرض .. الزمان والمكان تحكى عنا .. أن يوماً أختفينا ، نحتفى بعبارات سطرت بمنمنمات البهجة ونفحة أنفاس ، وصور سعيدة ، وإشارة ضوء للروح مع فتى مسافر فى الحروف لا ولن يدركه الموت ،سوف تنقذه دائماً السماء لأنه توحد مع الماء والهواء .. فى ترنيمة رومانسية مع الكلام والحروف

جاءنا هذا النص .. " كابتشينو " " **Cappuccino** " حكاية روح ويقرأ الكتاب من عنوانه ، يشعرك الغلاف أنك تحمل بين يديك شئ أثير.. نتزين ، ونتحمم بالعطر.. حين تلج صفحاته ونظل تشغلنا الحكاية لأنها أصبحت تعيش فينا " أو هكذا أن أنك لذاتك قررت "

يفصح الأديب أنه فى الكتاب رسالة ، وأن فى فعل الكتابة رسالة يشعر بها صاحبها فى البلاد التى شاءت أقدارنا أن نموت ونحيا بعشقها إنها درة القلب مصر منذ أول الدهر .. منذ إيزيس وأزوريس ، مراكب ترحل صوب الشمس... مصر فى عهد محمد على باشا ، مصر فى عهد الأخشيد ، والمعز.. مصر صلاح الدين والستر .. مصر البركة والعدل.. مصر الحق يحمل الفعل الماضي : نقوش الأرابيسك ويكتب الفعل المضارع : بيد القدر

حركة خوف استبداد .. عبودية .. وعودة إلى القهر .. الثورة كانت فيه محض شرارة ضوء .. لم يعد هناك حناجر رجال تعلو لسعد ..تتمنى لهذه الأمة أن تفيق من الغمة والتأخر والجهل .. بعدنا قروناً عن المقريزى والسهروردى وابن الياس والجبرتى ، لسنا بعد بعيداً عن محنة الإمام مالك والطبرى .. إنها محنة المستنيرين فى كل عصر ...

لعل ما يستوقف القارئ فى هذه الرواية هو بناؤها الفنى والسردى المركب...

أولاً : لا توجد شخصية محورية تدور حولها الأحداث هناك بطولة جماعية.

ثانياً : الأفكار المطروحة استلزمت من الكاتب والمفكر " السيد حافظ " دراية كافية ومخزوناً معرفياً جعله يطرح هذا العمل الملحمى على أجزاء ، ثم يولى كل عمل يكتبه هذا الكم من الدلالات الفنية العميقة من مفتتحات النصوص لعتبات شعرية لكبار كتاب الوطن العربى والأدب العالمى أيضاً .. " محمود درويش ، بول أيلوار ، أمل نوار ، بوشكين ، ناجى شعيب ، أمل دنقل ، سيف المرى ، سيد حجاب ، بدر شاكر السياب .. وغيرهم وغيرهم "

يلون صفحاته بتجارب كبار الفنانين التشكيلين ..وها نحن نقف ذاهلين أمام كم الإشارات الموحية ، كيف ينير بمصباحه ظلام أمة بأكملها فى خلال منظومة فنية تنأى عن التناص والمحاكاة .. لحماية أفكار المستنيرين فى كافة بقاع الأمة العربية وأتاحة فرصة ذهبية لتفسير كثير من اللوحات التجريبية والرمزية معلناً أنه جاء الطرح العام لكثير من الأصوات لنتلمس نحن القراء المحظوظين جوهر هذه الجوانب الفكرية والروحية ، إنها حكاية أمة بدأت ترتعش انتفاضاتها تحت دكتاتورية حكامها ، نتحسس على استحياء وقع خطى الحرية والخلاص .. وكيف أن للفن مقدرة بكافة أنواعه وطوائفه على مواجهة التسلط والقمع والتعصب الدينى .. وشرح كتب ونظريات بعينها مثل كتاب لوستيان لوبون " الاحتشاد" وكتاب "الاستبداد للافغانى للكواكبى "

ثالثاً : رواية كابتشينو جامعة ، إنها ليست رواية بالشكل التقليدى إنها نص شامل يجمع ما بين الأسطورة والقصة والمشهد المسرحى

الدرامى .. واللوحات الفنية لمختلف المدارس التشـــكيلية واللوحات الشعرية ، والحدث السياسى الآنى .. والمشهد التاريخى الدينى .. هذه الرواية كتبت لتقفز بنا إلى عتبات المستقبل مرة أخرى .. متخذاً المبدع من اللوحة التشكيلية واللقطة السينمائية نوافذ لتجسيد معان فلســـفية عميقة الأثر .. من خلال ذلك النص الموازى: قراءة فى لوحة .. صورة وفنان التى شملت جميع الفنون عن مسرح وسينما وإذاعة وأجمل الكتاب التشـــكليين فى مصـــر والعالم العربى وفنانيه مثل : "حليم حبشى ، شذى سالم ، سعاد حسنى ، محمد الشربينى ، شادى عبد السلام ، د/ إسماعيل موافى ، عيسى صقر ، ميسون الصادق ، وليد إخلاصى ، فاروق حسنى ، ريم إسكندرانى ، مشاعل العسافة ، عبد العزيز آرتى ، نجمة إدريس ، ظبية خميس ، إبراهيم بوقيس ، سليمان الفهد ، مصطفى عبد الوهاب ، سليمان المالك ، إدوار الخراط ، سيد بحرواى ، وغيرهم وغيرهم ...

رابعاً : جاءت اللغة متدفقة ذات ســـمات شـــعرية وموزعة مابين الســـرد المباشـــر ، وهذا التدفق الغير محدود للآراء مع تلك الإضـــافة التى أعطت للنص حيويتـه الفائقة ، الهوامش التى من الممكن أن تقرأ أيضــاً كعمل روائى منفصـل ومتصـل فى آن واحد ســاحباً القراء إلى منطقة طرح الأسـئلة والأجوبة .. كأن القارئ هو أيضــاً أصــبح بطلاً فى الحكاية وليس متفرجاً .. جاء النص تحريضــياً يعمل على إنماء الفكر والوجدان ..

خامساً : تكون سياق السرد كما سبق أن أشرنا على محاور ارتكاز ، تماما مثل الأعمدة التى نراها فى معابد فيلة وأبو ســـمبل .. مر البناء الســـردى المركب بعدة مراحل فهو : تارة يتداخل فيه الماضـــى مع الحاضر عندما يتحدث البطل " فتحى رضوان " عن حياته .. والخيال مع الواقع فى قصص شهرزاد وسهر .. ويتفتت الفصل إلى لقطات أخرى وقصـــص جانبية مثل حكايات "محب ونور" جعل أحداث الشـــخوص فى الرواية ككل فى حالة تدفق إلى الأمام بانســـيابية وتلقائية موحية .. حكاية فرعون مصر .. مع سيدنا موسى .. وتلك اللقطات الحوارية التى تشبه البناء السينمائى الحديث .. معبراً عن ذاته أمام ما تواجه النفس الإنســـانية من محنة والبحث عن مخرج

ومواجهة مجتمع مثقل بأعباء اقتصـادية قضـت إلى حد كبير على انسانية وتفرد ثقافته منذ الأزل ومخاطبة ربما قارئ غير مؤهل لمثل هذه التجربة...

جاءت العبارات الذهبية التى شـكل بها هذا النص الروائى المخلص دلالات فتح من نوع آخر .. تسرى فى وجدان القارئ البسيط فيكون لها وقع السحر تلين الأقفال .. وتهب من يقرأها صفحة من تأويل الكشف :

- أنها مطالع لأنوار القلوب والأسـرار ، جاء الحب فيها بصـيرة للقلب من إله مقتدر ..الله نور ..و علم ..و رحمة دون حدود ...

من يحبك يرعاك ..

مبيناً أن من يحبون الناس من أعماق قلوبهم لا يتقدم العمر بهم أبداً .. قد يموتون بسبب الشيخوخة ولكنهم يحيون شباباً .

الحب فيها قصر نسكنه ولا نراه ...

وإن أجمل اللحظات أن ترقص مع من تحب .. الرقص هو روح الحياة .. الرقص كان صلاة الفرض قبل ظهور الأنبياء بداية من قصة الخلق ...

- "إنه النور المسـتودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب.. عندما أراك .. أرى النور فى وجهك وأحس بالنور يجرى .. النور فى دمى يسير ..."

كل ما اكتسبته من السعادة سرقه الإبتلاء منى .. كل ما اكتسبته من الحياة عرفت أن الله هو الأول والآخر والبداية والنهاية ، وأن الخلود وهم نبحث عنه .. وأن البقاء هو غذاء الجسد ورحلة الروح ..

<u>رحلة هدفها الحب فى المقام الأول</u> :

ذلك الحب الذى لا يعثر عليه إلا القليلون فى هذه الدنيا .. الحب غالباً يعشق الصمت .. وأحياناً يحب الكلام وربما الغناء .. الحب حيرة وبحيرة فرح وأحزان .. الحب وطن .. وقالوا أريحوا النفوس بالحب فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد ..

ألسـنا كلنا كذلك ننتظر رسـالة من الله فهو الأول .. والآخر والقريب والعالم والخالق وهو على كل شئ قدير ..

منى عارف

بنية الزمان والمكان في رواية "كابتشينو" للكاتب السيد حافظ

فاطمة الزهراء بن الصادق
وأسماء بوفاديس – تيبازة – الجزائر

١ - بنية الزمان في رواية "كابتشينو" :

يشكل النص الروائي في جوهره بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات وفي محاولتنا هذه لدراسة بنية الزمن في رواية "كابتشينو"، سنعمل على رصد مختلف التمظهرات والاتجاهات التي ينحوها الزمن، وبما أن هناك فرق بين الحدث كما جرى في الواقع، والحدث في القصة، والمقصود من هذا الفرق هو تلك المفارقات الزمنية التي تظهر من خلال عدة تقنيات: كالاسترجاعات والاستباقات والإيجاز...

١ - ١ المفارقات الزمنية (نظام الزمن) في رواية "كابتشينو":

إن طبيعة النص الروائي، لا تسمح بالظهور المتزامن للشخصيات أو للأحداث كما جرت في الواقع، مما يخلق مفارقات زمنية بين زمن السرد وزمن الرواية، وإذا ما تتبع الكاتب في سرده للأحداث تسلسلاً خطياً ، فإنه لن يضيف جديدا لأفق المتلقي، وبهذا يختفي عنصر التشويق.

وتفاديا لهذا الأمر يلجأ الروائي إلى التلاعب بالمواضع الزمنية للأحداث، وذلك وفق أدوات وتقنيات تعرف بمنطق السرد«وهي مجرد وسائل يرجع إليها المبدع لخلق الشكل الفني الذي يريد، أي أنه بذاتها حيادية لا قيما سياسية لها، وإنما تجيء قيمتها في كيفية توظيفها وإتقان التعامل معها هو الذي يجعل من المبدع فنا».(١)

تتمثل تقنيات الزمن الروائي في الاسترجاعات والاستباقات، فإذا افترضنا أن النص الروائي يتكون من ثلاثة أحداث مثلا، فان ترتيبها يبدو سهلا، لكن مهمة الروائي صعبة ومعقدة، والتعقيد هو الذي يجعل العمل الفني يتميز عن غيره من الأعمال، فالروائي يعيد ترتيب الأحداث من أجل شد انتباه القارئ

---

(١) عبد الله رضوان، البنى السردية (دراسة تطبيقية في القصة الأردنية)، منشورك عبد المجيد شومان، عمان، ١٩٩٠، ط١، ص٩.

وتشويقه، فالتسلسل الأتي للأحداث (١ ٢ ٣) يمكن أن يحوله الكاتب إلى التسلسلات النصية التالية:

أ)- ١ - ٢ - ٣ ج)٣ - ٢ - ١

ب)- ٢ - ١ - ٣ د)- ٢ - ١ - ٣ - ٢ - ١ ...الخ [١]

١ - ١ - ١ الاسترجاعات:

إن رواية "كابتشينو"، حافلة بالاسترجاعات، لكن الشيء المميز الذي أضافه السيد حافظ رجب، يتمثل في استخدامه لتقنية "فلاش باك" فالقارئ لهذه الرواية يشعر وكأنه يحضر فيلما سينمائيا، وقد استعمل هذا المصطلح عند أبرز شخصية "فتحي رضوان خليل"، وكأنه عمد لذلك لكي يساعد القارئ على استيعاب هذه الشخصية، ولكي يتعرف عليها جيدا، كما ضاعف درجة التشويق وزاد التساؤلات. ومثال ذلك: « فلاش باك "عملت بالتدريس في مدرسة بنات، صديقي محمد السيد مرسي، أحضر لي الوظيفة أنا وعادل الحوفي زميلي في المسرح والكلية... أحببت فتاة تلميذتي "سميرة" كانت شقية أوقعتني في حبها... بيني وبينها خمس سنوات ...».[٢]

أما في مثال آخر فيرجع الكاتب إلى طفولة "فتحي" وهذا المثال سابق للمثال المذكور أولا، لكن لأهمية المثال الأول عمدنا إلى ذكره في البداية.

المثال ٢:« تذكرت فتحي وهو طفل صغير في سن الثانية عشر حيث ذهب مع جده هناك واكتشف أن كل الأطفال حفاة والرجال والنساء وقلة فقط هي التي تنتعل الحذاء وعرف فتحي حين كبر ما كتبه الشيخ الشريني في كتابه هز القحوف...».[٣]

تعد الاسترجاعات المذكورة سلفا في الكتابين هي استرجاعات داخلية، تناولت خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى، والكاتب عمد إلى استعمال مثل هذه الاسترجاعات بنائيا، وذلك من أجل سد الثغرات بين الأحداث، إضافة إلى معالجة التزامن سواء على مستوى الأحداث أو

---

(١) ينظر: حميد الحميداني، أسلوب الرواية (مدخل نظري)، منشورات دراسات سال،ط ١، الدار البيضاء،١٩١٩، ص١١.

(٢) السيد حافظ رجب: رواية كابتشينو، مركز الوطن العربي"رؤيا"، ط١، القاهرة،٢٠١٣ ص ٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٧.

الشخصيات.

إضافة إلى عرض الاسترجاعات عن طريق الذاكرة(تذكرت) التي تنفتح على كل الماضي إطلالات حميمية سريعة، مما لا يترك مسافة بين زمن السرد وزمن الرواية، إذن هذه المسافة تذوب في منظور الشخصية ومعها يذوب الزمنان في بعضهما ويلتحمان إلى درجة التماثل، فيمتد الماضي بعد في الحاضر.

١ - ١ - ٢ الاستباقات:

يستعمل مفهوم الاستباق للدلالة على مقاطع روائية تروي أو تشير لأحداث مسبقة عن أوانها، يمكن توقع حدوثها، وهذه التقنية تقضي بقلب نظام الأحداث في الرواية، وذلك بالقفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب، من أجل استشراف المستقبل.

يتجلى الاستباق في رواية "كابتشينو"، بخاصة وأن السارد يستعمل ضمير المتكلم، و«أحسن ملائمة للاستشراف من أي حكاية أخرى، وذلك بسبب طابعها الاستحادي المصرح به بالذات، والذي يرخص للسارد في تلميحات إلى المستقبل ».[(١)]

نجد في الرواية، بعض الشخصيات الروائية تنجز هذه التطلعات المستقبلية عن طريق التمني والتأمل، والمثال الآتي يبرز شخصية (سهر) وهي تتمنى أن تسافر في المستقبل «...هي تريد أن تطير مع عصفورها، وتسمع غناء الكائنات... ودت لو تعيش في ألمانيا لأنها تظن أن ألمانيا مركز الفلسفة والثقافة في أوروبا والعالم...».[(٢)]

وإما أن يأخذ الاستباق طابع الرمزية من خلال هذا المثال:«لا شيء يمنع سهر من السفر... لا العشق ولا الرجال، هي أنثى ترغب في أن تمسك بالقمر وقمة الجبل، وأن تعشقها كل الكائنات الأرضية والسماوية...». [(٣)]

إن شخصية "سهر" في هذا المثال تحاول كسر كل حدود الزمان والمكان

---

(١) جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم- عبد الجليل الأزدي-عمر الحالي، منشورات الاختلاف، ط١، المملكة المغربية،١٩٩٦، ص٧٦.

(٢) رواية كابتشينو، ص١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣.

وأن تكون كالطائر حرة، ومن الملاحظ أن الاستباق كل ما كان متجسدا في التمني يكون من الصعب، حتى من بعد إتمام قراءة الرواية الحكم على مدى تحققه.

إضافة إلى الاستباق الذي يأخذ طابع التمني والتأمل، فإن هناك الاستباق الصريح أو كما يسميه "حسن بحراوي"، الاستشراف كإعلان(١)، ويظهر من خلال هذا المثال:« فتحي رضوان خليل (حبيب سهر بعد قليل)»(٢) ، فهذه الإشارة تجعل القارئ يتنبأ بمسار الأحداث اللاحقة في الرواية، وهذا على عكس الاستباق الذي يكون كتمهيد، والذي تكون نسبة حدوثه قليلة جدا، فيعد خيالاً. مثال: « مكتوب: سأمر على بابك ذات يوم.... وأترك زهور أحلامي على عتبات باب قلبك... و إن لم أمر سأرسل دقات قلبي عبر نجوم السماء، الحب عناء وغناء وشقاء ونعيم وجحيم...سأمر على بابك ذات يوم، ذات عام، ذات لحظة، فالمرور جنون وسرور...»(٣)

إن هذا النوع من الاستباق يعد مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، فشخصية "كاظم" في هذا المثال أطلقت العنان للخيال فعانق المجهول واستشرفت أفاقه.

وما يمكن استنتاجه في هذا المقام هو أن "السيد حافظ" باستعماله لتقنية الاستباق حاول أن يِحمله عدَّة مدلولات من تمني وتأمل و كذا أعطاه بعداً رمزياً، هذا ما أضرم أفق الانتظار لدى القارئ.

إذا ما حاولنا المقارنة بين نسبة الاسترجاعات ونسبة الاستباقات في رواية "كابيتشينو"، فإن استرجاع الأحداث كان الأكثر استعمالا من الكاتب له من إعماله للاستباقات.

<u>١ - ٢ الإيقاع الزمني(نظام السرد) في رواية "كابتشينو":</u>

إن أهم ما سنعمل عليه في دراستنا للإيقاع الزمني في رواية "كابيتشينو"، هو رصد علاقة التناسب والتلاؤم بين المسافة الزمنية التي يستغرقها الحدث المقاس بالثواني والسنوات، والمسافة الكتابية أي المساحة النصية التي تغطيها المقاسة بالأسطر والصفحات، فقد نجد الراوي يسرد لنا أحداثا جرت

---

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،مرجع سابق، ص ١١٢.
(٢) كابتشينو، ص ٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩.

في سنوات عدة، فيقوم باختصارها لنا في بضعة أسطر. لكن مسألة ضبط تلك العلاقة صعب إن لم يكن ضربا من المستحيل؛ ذلك أنه إذا ما استغرق المشهد مدة معينة، ليس من الضروري أن يستغرق المدة نفسها، فما يكتبه الروائي في سنة يكون قد عاشه في عدة سنوات، لكن القارئ قد يقرؤه في دقائق أو ساعات قليلات، وهذا يدخل من جهة في طبيعة النص ومن جهة أخرى في طريقة معالجة الزمن الروائي وتجسيده، لكن يبقى تحديد بعض النسب التقديرية ذات قيمة مهمة في كشف بعض الدقائق التي تسلط الضوء على البنية الزمنية في النص، ذلك أن الإيقاع الذي يولده ضغط مسافة زمنية طويلة داخل مساحة نصية قصيرة، يختلف عن الإيقاع الذي تولده مساحة نصية أطول من المسافة الزمنية، ويتجسد هذا الإيقاع الزمني في الرواية في أربع حالات تتمثل في : المشهد، الإيجاز، القطع، والتوقف.

١ - ٢ - ١ المشهد:

يعبر المشهد عن حالة التوافق التام بين زمن الحكي والمساحة الكتابية، وهو يحتل موقفا متميزا في الرواية، وذلك بفضل وظيفته الدرامية[١] في السرد، فبعد أن كان السرد بضمير الغائب يأتي المشهد ليكسر تلك الرتابة فيصبح الحكي بضمير المخاطب، أي أنه يغيب الراوي، ويترك المجال للحوار بين الشخصيات.

وإذا ما حاولنا دراسة المشهد في رواية "كابيتشينو"، فسنجد الحوار يجسده وكمثال على ذلك الحوار الذي دار بين شخصية "كاظم" وزوجته(وردة): قالت وردة لكاظم، وهي تقدم له فنجان القهوة سادة:

- «اللي واخذ عقلك هنيا له (هنيئا له)

- الشغب والمدرسة.

- بعرف حبيبي بعرف، والله وحشتني الدراسة والرفاق، صحباتي زهرة ومنى وياسمين وسهر ... إلا ايش أخبار سهر؟

- نظر لها بشدة قائلا:

- روحي زوريها واسأليها ... ليش عم تسألني أنا؟

- والله فكرة ... بنروح نزورها.

---

(١) وهذه لا غرو من تأثير الكتابة المسرحية في سردية الكاتب، وما نستطيع أن نلمسه بالمسرواية، نحت لفنين مسرح ورواية.

-بتروحي أنت ... كيف أنا أروح معك؟

-لما يجي عريسها... نزورها سوا... بدي تغور من هون ... والله لما تمشي حنفقدها... بتوحشنا... موهيك يا زوجي يا حبيبي».[1]

إذا تمعننا في هذا الحوار يجعلنا نكتشف بعض الملامح النفسية لشخصية "وردة"، فهي تدرك جيدا أن زوجها لا يحبها بل يحب "سهر"، ذلك أنها ظلت تلمح" لكاظم" وتتحدث معه عن "سهر" لترى ردة فعله، كما أن "وردة " تكن مشاعر الكره "لسهر" وما يبرز ذلك قولها (بدي تغور من هون). فالمشهد إذن يكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات، فشخصية "وردة " تستشعر خيانة زوجها لها إلا أن كرامتها لا تسمح لها بالتصريح بذلك.

قد يكون للمشهد قيمة افتتاحية وذلك عندما يشير إلى دخول الشخصية إلى الوسط أو إلى مكان جديد والمثال الذي يوضح ذلك، صعود(كاظم) إلى الجبل، والحديث الذي جرى بينه وبين (راغب) أخ زوجته.

«- مرحبا زوج أختي الأستاذ كاظم...

- هلا راغب اخو مرتي...

فضحك راغب ضحكة صفراء في هذيان محموم.

-شوبك ...تحب الجبل؟

-ليش ها السؤال؟... كلنا نحب الجبل.

أجاب كاظم بوجه صارم، وأكمل حديثه:

-كل واحد منا له سبب لحب الجبل... هو يحمل الذنوب من البشر والخير من السماء .

- اسمع أخي كاظم أنت بتعبد الشمس صح ما بتعبد عقيدتنا. الناس قالت لي زوج أختك يطلع على الجبل كتير.....»[2]

إذن هذا المشهد يبرز لنا علاقة الزمان بالمكان، فهو عبارة عن حوار، لكن يحتوي داخله المكان وهو الجبل، والروائي يبرز لنا نظرة الناس التي تحكم على الشخص الذي ينعزل لوحده على أنه يمارس ديانة غير ديانتنا، مما يخلق الفتن والصراعات بين الناس، فذهاب (كاظم) للجبل، جعلت الناس

---

(١) رواية كابتشينو ص١٣-١٤.

(٢) رواية كابوتشينو ص ١٤-١٥.

تظنه يعبد الشمس، والروائي هنا يطرح مشكلة مهمة تتمثل في تعدد الديانات، وما تتسبب فيه من فتن وفكر طائفي.

أما إذا انتقلنا إلى آخر مشهد في الرواية، والذي يمثل مشهدا ختاميا، كان هذا الحوار يجري بين "شهرزاد" و"سهر":

«وهنا أدركت شهرزاد، وقالت وتوتة توتة فرغت الحدوتة، بكت سهر:

- لماذا لا يتزوج الحبيبان؟
- قدر الزمن.
- ومن هي روحي الثالثة يا *خالتي*...؟
- هي روح الشمس وحكايتها مع الحاكم بأمر الله غدا؟
- إن شاء الله».[1]

إن المشهد الختامي، يسرد لنا آخر أحداث قصة (نور ومحب) كيف أنهما لم يتزوجا، "السيد حافظ"، ختم روايته بمزيد من التشويق حينما أحالنا إلى جزء آخر للرواية بعنوان" حكاية شمس والحاكم بأمر الله".

وفي الجملة، سواء كان للمشهد وظيفة اختتامية أو افتتاحية، أو الكشف عن الملامح النفسية والاجتماعية للشخصيات، فإنه يخلص دائما إلى الإعلان عن نفسه كتقنية زمنية الهدف منها إحداث توافق وتلاؤم تام بين زمن القصة وزمن الخطاب، وذلك باستعمال الأسلوب المباشر وإدماج الواقع التخيلي في الخطاب. [2]

<u>١ - ٢ - ٢ الإيجاز:</u>

إن تقنية الإيجاز أو التلخيص تبرز عدم التوافق بين زمن القصة وزمن الخطاب، فالروائي يقوم بتلخيص عدة سنوات من حياة الشخصية في بضعة أسطر أو صفحات، إذ أنه يقوم بمسح سريع على الأحداث فيعرضها لنا مركزة ومكثفة وموجزة.

إن "السيد حافظ" قد استعمل الإيجاز، بخاصة عندما قدم الشخصيات، وهذا ما يظهر جليا في تقديم لشخصية (نور)

« كان يا مكان روحك الجميلة جسد بنت اسمها نور... نور بنت ١٧ عام

---

(١) رواية كابتشينو،ص ٣٩٩.
(٢) ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص ٣٩٩ .

طولها ١٦٥... وحيدة كان أخواها الشابان في حرب مصر مع إثيوبيا... صارت روح أمها وأبيها... تعلمت اللغة الهيروغليفية، وتعلمت لهجة الإسرائيليين... نور ليست أنثى بل غصن من ياسمين تفوح عطرا في سيرها...، أبوها اسمه كنعان... قال لها جد جده مصريا يتبع اخناتون، وقد فر أجداده من بطش جنود وكهنة توت عنخ آمون، مع الأهالي الذين يؤمنون باخناتون إلى تل بسطا وهان الحجر (الشرقية)، وهناك وجدوا بقايا الهكسوس والإسرائيليين، فتزوج من عبرانية، فأصبحوا أتباع يعقوب، وأحب موسى واعتنق مذهبه وأصبحوا من بني إسرائيل(عبرانيين)...»(١)

لقد قدم لنا الروائي في فقرة قصيرة حياة "نور" وعائلتها، كما لخص لنا كذلك حياة جدها فتحدث عن ديانته وعن زواجه من عبرانية وكيف أصبح هو كذلك من العبرانيين.

كثيرا ما يرتبط الإيجاز بالأحداث الماضية، وهذا ما يجعل هناك علاقة وطيدة بين الاسترجاع والإيجاز، والروائي يقوم بهذه المزاوجة بين التقنيتين قصد سد الثغرات الحكائية، فيقوم بتقديم معلومات عن ماضي الشخصيات والأحداث التي شاركت فيها.

ولتجسيد هذه الصلة القائمة بين الاسترجاع والإيجاز، يمكن استجلاء ذلك من الرواية، حيث حدَّث "الأب كنعان" ابنته "نور" عن "موسى" فقال:«إن موسى أمضي ثلاثين عاما في قصر فرعون، تعلم اللغات والعلوم وفن العسكر، وفي معبد هليوبوليس حين أرقى العلوم والفنون واللغات، وعاش عشر سنوات في مدين في الأردن بعد خروجه من مصر»(٢)

إن الكاتب يختصر لنا في الأسطر السابقة، فترة طويلة من حياة "موسى" ومن الملاحظ في هذا الشاهد امتزاج الاسترجاع بالإيجاز حتى لا تظهر الفروق بين التقنيتين.

ومن الملاحظ أيضا على المثال السابق ذكره، إن الكاتب استعمل عنصراً مساعداً في الإيجاز ليسهل على القارئ تقدير المدة، وذلك عن طريق إيراد عبارة زمنية والتي تمثلت في " ثلاثين عاما " وكذلك عبارة " عاش عشر

---

(١) كابتشينو،ص١٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

سنوات".

<u>١-٢-٣ القطع (الحذف):</u>

يلعب القطع أو الحذف دورا حاسما في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، وهو يعبر عن دلالات عدم التوافق ذلك لأن المسافة الزمنية تكون أكبر من المساحة الكتابية، لأن الراوي يقوم بحذف بعض الأحداث، ويكون هذا الحذف على نوعين إما معنويا أو صريحا أو ضمنيا.

إذا توقفنا قليلا عند النوع الأول وهو الحذف المعلن والذي يعبر عن الإشارة للمدة المحذوفة مثل «مضت بضع سنين».[(١)]

ومعنى هذا أن الروائي يذكر المدة المحذوفة من زمن القصة، ويكون ذلك استدراكاً للدلالة الزمنية التي حذفت آنفاً، ومثال ذلك من رواية "كابتشينو":

« وبعد عام من النفي اختلف رفاق الثورة في المنفى ...»

إن هذا النوع من الحذف (المعلن)، والموضح في هذا المثال، ينحو نحواً بارزاً، فالقارئ لا يجد معه أدنى صعوبة في متابعة السرد، فما عليه سوى طرح هذه الفترة من حساب القصة، والاستمرار في القراءة كأنه لم يحدث شيئا.

أما النوع الثاني من الحذف وهو الحذف الضمني غير المحدد، فتكون الفترة المسكوت عنها غامضة وغير مضبوطة بدقة، ومثال هذا من الرواية، ما جاء في نهاية الرواية:

« بكت نور طويلا، ومرضت وشفيت، وبعد سنوات تزوجت من شاب يعمل طبيبا اسمه دانيال..»[(٢)]

إن عبارة "بعد سنوات" في هذا المثال تجعل القارئ لا يقدر المدة بدقة، وهذا ما يجعله يتكهن بحجم الثغرة الحاصلة في زمن القصة.

بعد عرضنا للنوعين الأساسيين للحذف (المعلن والضمني)، يمكن أن نستنتج أن رواية "كابتشينو" تدخل في النوع الأول، وذلك لأن الحذف فيها غالبا ما يأتي مصحوبا بإشارة إلى المدة المحذوفة، إذن السمة المميزة للمشاهد المدروسة من الرواية، هو أن إسقاطها للزمن كان مكشوفا فالمدة

---

(١) ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص ١١٨.
(٢) كابتشينو، ص ٣٩٩.

معلومة لدى القارئ.

وفي الأخير يبقى الحذف بمختلف أنواعه، من أحد أبرز التقنيات المستعملة في الرواية، فهو عنصر بنائي لا غنى عنه في كل عمل روائي.

١ - ٢ - ٤ التوقف:

إن التوقف يشبه المشهد في كونه يعبر عن حالة التوافق والتلاؤم بين زمن القصة والخطاب، «ففيه تتوقف وتيرة السرد وسرعته، ليبدأ الوصف».[١]

إن الوصف في رواية "كابتشينو" كان دقيقا، يجعل القارئ يتخيل الصورة، ويشعر وكأنه عنصر مشارك في الرواية، فالروائي يهتم بأدق التفاصيل، وقد اختار تقنية التوقف ليفتتح بها الرواية. فقال:« شهرزاد تجلس أمام الدار... الدار بني على التل... التل يطل على القرية... قرية سهر وشهرزاد... شهرزاد تجلس وعينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان تظهران عند الابتسام...»[٢].

إن "السيد حافظ"هنا، ينقلنا من وصف شامل إلى الوصف الجزئي الدقيق، إذ في البداية تحدث عن "دار شهرزاد" ثم راح يصف مكانها، فهي على التل، وهذا الأخير في القرية. ثم بعد ذلك عاد ليصف لنا الملامح الخلقية "لشهرزاد"«عينها الزرقاء وشعرها الأصفر وسنتان ذهبيتان...»، وبالطريقة نفسها وصف شخصية (نور) فقال: «نور بنت ١٧ عاما طولها ١٦٥ سم... نهداها ناهضان في شموخ وكبرياء...»[٣]

أما إذا انتقلنا إلى نوع آخر من الوصف، وهو الوصف الانتقالي أي الانتقال من حالة إلى أخرى، فمثلا:« نور شمعة في حياة أبيها المظلمة..كل فتيان الحي وكبار السن من الرجال يعشقون رائحتها وهي تمر من جوارهم كأنها باقة ورد تمشي على الأرض... السماء أعطتها بعضا من نورها وألقها حتى تبهر بعض البشر...»[٤]

والانتقال من حالة لأخرى تتضح في هذا المثال، فنور هي التي جعلت

---

(١) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط ٢، الدار البيضاء،١٩٩٣، ص ١٢٣.
(٢) كابتشينو، ص ١٠.
(٣) مصدر نفسه، ص ١٧.
(٤) مصدر نفسه، ص ٢١.

تعاسة أبيها تنتهي فهي شمعة أنارت حياته.

إضافة إلى هذا نجد الروائي يقف كثيرا عند "الجبل" ويحمله عدة مدلولات يقول: «كاظم يحب الجبل... الجبل مجنون، وأحيانا مفتون، وأحيانا بلا أخلاق... وأحيانا يكن ويسكت ويتأمل، وتشعر أنه كائن هادئ، ساكن، ولكنه يراقب كل شيء ويسكت، ويظل يراقب ما يفعل الإنسان فهو ظلوم جهول... الجبل لئيم وحكيم...»[(١)]

كما ذكرنا سلفاً إن المكان والزمان، يتصلان لدرجة كبيرة لا يمكن معها الفصل بينهما، وهذا المثال يوضح ذلك؛ فالجبل مكان، والروائي في هذا المقام وقف عنده وقفة وصفية، وحمله بعدة مدلولات متضادة، فأحيانا يجعل منه مجنونا، وأحيانا أخرى ساكنا ثم مفتونا، فالروائي بوصفه لهذا للمكان جعل منه كائنا يحس مثل الإنسان أي أنه "أنسن المكان".

وفي الأخير لقد اتضح بأن التوقف وكذا المشهد كلاهما، يبطئان ويعطلان زمن القصة على الاستمرار، وكذا يمددان في الأحداث من حيث وتيرتها.

٢ - بنية المكان في رواية" كابتشينو":

الرواية في الغالب تنسب إلى الزمان والمكان، ولا يتصور أن تكون بدونهما. وقد شهد المكان تطورًا كبيرًا؛ و أخذ عدة تعريفات من بينها الحيز أو الفضاء؛ وهو مصطلح أشمل من المكان الذي يتحدد بالموقع الجغرافي سواء كان حقيقيًا أم خياليًا. إذ يرى بعض النقاد أن تسمية المكان تعد قاصرة أمام إطلاقات أخراة أشمل وأوسع... لأن المكان لدينا ما عني حيزًا جغرافيًا حقيقيًا، حيث نطلق كلمة الحيز في حد ذاتها على كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد والأشياء المجسمة.[(٢)] فالفضاء الروائي يخلقه الخيال وتبدعه اللغة. إذ يقال إن «الفضاء الروائي هو فضاء لفظي بامتياز»[(٣)]

---

(١) كابتشينو، ص ١٣.

(٢) ينظر: منصور بوراس، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية: الطموح – البحث عن الوجه الآخر – زمن القلب – مقاربة بنيوية – رسالة ماجستير، تحت إشراف د.محمد العيد تاورته، سطيف، ٢٠٠٩/٢٠١٠، ص ١٣٠.

(٣) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع السابق، ص٢٧.

وهناك من يجعل الفضاء معادلاً للمكان وهو الذي تصوره الرواية.[١] وهنا المكان هو كمقابل للزمان ويعد المكان عنصرا مركزيًا في تشكيل العمل الروائي، وأن العمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد الخصوصية. وبالتالي هناك من الروائيين من يجعل ارتباطا وثيقا بينهم ألا وهي المكان والزمان والشخصيات والحدث الذي يتحدد في زمان معين، إذ أن العلاقة بينهم تجعل الباحث يفهم تصرفات وحركات الشخصيات، وهذا ليس دليلا على كون المكان هو الذي يصوغ الشخصيات؛ لكن حتى الشخصيات والأحداث تحدد المكان وهنا فإن العلاقة بينهم علاقة تأثير وتأثر.[٢] يأتي المكان في هذه الرواية غامضا في تحليله وكما أن الروائي عبر أحيانا عن المكان وأشار إليها مجرد إشارات عابرة.

٢ - ١ المكان الأليف:

٢ - ١ - ١ الدار:

إن الروائي أضفى على هذا المكان " الدار" جماليات عدة منها حسن الهيئة وقوة البناء، وسعتها ورحابتها وارتفاعها. ولارتفاع الدار تبعث وتجلب الأنس والرضى، وهو المكان الذي استهل به "السيد حافظ رجب" وكأنه وهب لهذا الفضاء الواقعي الموضوعي الريادة في السيرورة السردية لأحداثه الروائية على غرار ما ورد في قوله :«شهرزاد تجلس أمام الدار »[٣] حيث يمثل هذا الفضاء الأساسي للحكي كما سترد عبارة "الدار"بشكل تكراري، ويعتبر هذا المكان بالنسبة لشهرزاد والشخصيات الأخرى المكان الذي يلتجئون إليه.

وعبارة "الدار" ستبعث سريعاً إحساسًا بهدوء وراحة الجسد والنفس، أننا نعيش في قلب البيت الذي في التل الذي في القرية، كما أنه يدل على الوجود الحقيقي للإنسانيَّة ويدل أيضا على البساطة والتواضع وهو محل التقاء سكان "القرية" لطلب النصيحة من "السيدة شهرزاد" .

ونلاحظ توافقًا وانسجاماً تاما بين المكان والحدث الواقع فيها، وهناك العديد من المواطن التي اقترنت فيها بذكر الأمكنة وهذا وفقا لنمو الحدث وتحول

---

(١) ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، المرجع السابق، ص ٠٦.
(٢) ينظر: منصور بوراس، مرجع سابق ،ص ١٣١.
(٣) كابوتشينو، ص١٠.

الشخصية وحركتها؛ حيث أن هناك علاقة وطيدة بين المكان والشخصيات، ولا يمكن تصور انفصالهما وكل له دوره تجاه الآخر، فالمكان يكشف عن الشخصيات وأيضا الشخصيات تعطي للمكان قيمته من خلال تجربتها فيه.[١]

ومكان " الدار" هو مكان خاص وهو أحد الأماكن الأساسية التي ارتكزت عليها الرواية. إذ تتجلى علاقة الشخصية بالمكان في رواية "كابتشينو" حين راح السيد حافظ يصف لنا شهرزاد في دارها، وإحساسها بالدفء، ف "الدار" هنا تبرز قيمة "شهرزاد" ومثال ذلك «...اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة ...»[٢] ، ومن خلال هذا يقول "حسن بحراوي" :«وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له »[٣]؛ أي أن "الدار" تعبر عن صاحبها.

إن للمكان سلطة على الفرد ويتكيف هذا الأخير معه، وهذا ما فعله فضاء "الدار" بشهرزاد وسكان القرية حيث أن هذه الدار تطل على التل، والتل يطل على القرية. و" الدار" هنا تكون منطلقا للعديد من الأحداث وسرد لكثير من الحكايات التي ترويها شهرزاد لسهر.

كما أن هناك دلالة رمزية ونفسية لهذا الفضاء؛ إذ يعبر عن الاستقرار والسكون و يعبر عن اللحمة والدفء العائلي وهو يفرض نمطا من العلاقات الاجتماعية مع الجيران ويبين ارتباط الشخصية بواقعها وبأصحاب القرية ونجد ذلك في قوله:« تمر النساء والرجال على شهرزاد وهي جالسة أمام الدار لإلقاء السلام...وكل النساء تحبها لأنها تنصحهن بكيفية كسب الرجال... وكل النساء تبث لها الأخبار... ».[٤] وعلى هذا فإن هذا المكان للاستقبالات، وتحدث فيه السهرات ويغدو مكانًا لتبادل وتجاذب أطراف الحديث، كما يعبر عن المكان الذي مارسوا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالهم.

وإن "موقد النار" يضفي على الدار طابعًا بهيًا ويزيد من دفئها رغم البرودة الشديدة في الشتاء ويشعرها بالأمان وهو يعد موضع تجمع "شهرزاد" بزائريها كما تصور لنا حياة اجتماعية خاصة لأنها رمز السعادة. و"شهرزاد" في هذا

---

(١) ينظر: سليم بتقة ،تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي ، مجلة المخبر ، محمد خيضر بسكرة ، العدد السادس ،٢٠١٠ ، ص ٢.
(٢) كابتشينو، ص١١ .
(٣) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، مرجع السابق، ص ٤٣.
(٤) كابتشينو، ص ١٠.

المكان كأنها لا تريد التغيير وتريد البقاء في بيتها العائلي الذي تشعر فيه بالدفء وكأنها تحن للأيام الماضية، وهذا المكان "شهرزاد" عايشته بكل سلبياته وإيجابياته. وهنا الروائي وصفه وصفا نفسيا لا وصفا موضوعيا «وأن الفضاء الروائي يمكنه أن يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية»[١]. وذكر الروائي لغرفة النوم التي اختبات فيها "سهر" فهذا دلالة على كون دار شهرزاد آمنة ويتضح ذلك من خلال قول السيد حافظ «خافت سهر واختبأت في حجرة نوم شهرزاد»[٢]. و إن هذا المكان مرتبط بالشخصية «إننا ننسى غالبا أن هناك تأثيرا متبادلا بين الشخصية والمكان الذي نقيم فيه...»[٣].

إن "الدار" شكلت مصدراً للذكريات إذ أن شهرزاد عند سردها للأحداث كانت بصورة استرجاعية متمثلة في حكاياتها لسهر عن " موسى ونور ومحب"، وهذا ظاهر من خلال قول الروائي:«سهر يسكنها هاجس حكاية نور وموسى...»[٤].إذ أن الروائي استطاع أن يصور لنا الأحداث التي ربطت بين "محب ونور" وصورها بطريقة حميمية واستطاع أن يجسد لنا حياة سيدنا موسى بكل تفاصيلها الجزئية وجعلنا نتصور الأحداث والحياة التي عايشوها في أذهاننا ويتجلى ذلك في:«إن موسى أمضى ثلاثين عاما في قصر فرعون... وعاش عشر سنوات في مدين في الأردن...».[٥]

إن اهتمام "السيد حافظ" بهذا المكان زاد من ثراء الرواية، فضلا عن ذلك يعد مكانا رئيسيا في الرواية، كما أنه أبدع في وصف هذا المكان«البيت جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول»[٦]، وهو الذي ساعده على خلق مكونات أخرى قد تكون أبلغ وصفًا من سابقتها، و إن المناظر التي كانت حول هذا المكان جعلت القارئ يتشوق لما هو آت في الرواية، ومتشوق للتأمل والتمعن في مضامينها والجمال المبثوث فيها. وعلى ما احتوته من سير للأحداث

---

(١) حسن بحراوي ،بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص ٤٤.
(٢) كابتشينو، ص ١٦.
(٣) حسن بحاوي، بنية الشكل الروائي،المرجع نفسه، ص٤٤.
(٤) كابتشينو، ص ١٠.
(٥) مصدر نفسه، ص ١٧.
(٦) غاستون باشلار، جماليات المكان، مرجع سابق، ص ٣٨.

المتتالية والترقب لمصير هذه الشخصيات.

٢-١-٢ موقد النار:

إن "موقد النار" هو من الأماكن التي تغنى بها مسكن أو دار "شهرزاد" لأنه كان مصدر الدفء في الشتاء البارد ويعبر عن الشعور بالأمن، كما أنه يمثل مكان تبادل الأحاديث والحكايات وتجاذبها بين الناس التي تلتف حوله، وهو مكان صنع القهوة السادة كما يوضحه المثال في رواية السيد حافظ من خلال قوله :«اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد تصنع القهوة السادة...»[(١)]، وإن الروائي وصف لنا "الموقد" والأحداث التي تدور حوله، و"موقد النار" هو الوحيد القادر على كسر برودة الشتاء وقسوته، وإن للموقد أهمية كبيرة عند المجتمعات سواء القديمة منها أم المعاصرة، الفقيرة أم الغنية، وهو من العناصر التي لا يمكن التخلي عنها في أي عصر من العصور. وتظهر حاجتنا له من خلال هذا القول:«تظهر أهمية "الموقد" من الحاجة إليه، لأنه يبعث الدفء والإحساس بالأمن... والراحة، فقوة الجدران، البرد.»[(٢)]

٢-١-٣ غرفة البيت:

ثم إن الروائي انتقل من الفضاء المغلق إلى المكان الأكثر انغلاقا وهو غرفة البيت التي تعد مكاناً خاصاً، وهو من الأمكنة التي امتازت بها رواية "كابتشينو" حيث كان وصف هذا المكان وصفاً واقعياً دقيقاً، وحتى من حيث سرد الأحداث فهي الأخيرة كانت واقعية.

وعلاوة على ذلك فالسيد حافظ رجب يركز على بنية الأجزاء ليتمم لنا الصورة وتصبح واضحة وشاملة للأحداث حيث بدأ يصف لنا الأحداث من خلال علاقة "كاظم بوردة"«كاظم شارد طوال الوقت و في قلبه تسكن سهر، ظن ذات يوم أنه سوف ينساها أو نسيها خاصة حين يحاول دخول غرفة النوم...».[(٣)] الأحداث المتعلقة بوردة تسير ببطء شديد وكأن "السيد حافظ" أرادها أن لا تبرح مكانها«وذلك سعيا وراء تعميق حياتها الداخلية، وعدم الدفع

---

(١) كابتشينو، ص١١.

(٢) ينظر:حمادة تركي زعيترة، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص٨٩.

(٣) الرواية ،ص ١٣.

بها إلى المغامرة في الخارج.»[١] ثم انتقل بنا إلى غرفة شهرزاد تتوضح من خلال المشهد الآتي «خافت شهرزاد و اختبأت في حجرة نوم شهرزاد بعد ارتباكهما..»[٢] فغرفة "شهرزاد" هنا تدل على المكان الآمن من كل خطب. كما أن غرفة النوم لها دلالة عن الحنو إلى الماضي السعيد، وكما تدل على ممارسة الأحلام وبخاصة أحلام اليقظة التي تدل على غربة الحبيب والابتعاد وتدل من ناحية أخرى على تجرع الأحزان والهموم لأن "شهرزاد" كانت تأمل عودة زوجها إلى الحياة، وهذا ظاهر في هذا القول:«ترى ماذا تقول الوردة في المساء في غرفة النوم لشهرزاد حين تضعها على الوسادة التي تجاورها؟..»[٣].

٢ - ١ - ٤ قصر فرعون :

أشار "السيد حافظ" إلى هذا المكان في روايته أنّى ترعرع سيدنا موسى عليه السلام، و في هذا المكان تتوالى الأحداث. كما يرتبط بالزمان، ويعد مركز العلم والمعرفة ومركز تعلم فنون القتال والعسكر إذ أن الروائي هنا أبدى أهمية هذا المكان، وهذا ظاهر جليا في قوله: :« كنعان أبو نور يقول لابنته نور : إن موسى أمضى ثلاثين عامًا في قصر فرعون ، تعلم اللغات و العلوم و فن العسكر...»[٤] ؛ وهنا الروائي يسرد الأحداث التاريخية بطريقة مشوقة ويبين لنا مدى أهمية هذا المكان.

هذا المكان يتجلى ضمن المكان الموضوعي " وتعني موضوعية الوصف إيراد الكاتب جميع عناصر الشيء و هيآته و أحواله "[٥] إذ جاء هذا المكان بصورة استرجاعية ذهنية ، حيث قام الروائي باسترجاع الأحداث التاريخية و صورها لنا بحذافيرها و بكل تفاصيلها .

و ذكره للقصر إشارة إلى النعيم و المكانة السامية و تبيان محاسن هذا "القصر" و فخامته كما بين لنا الترف والبذخ الذي أحيط بهذا "القصر"، ويمثل أيضا مكان المخاطر و التهلكة من خلال قول "السيد حافظ": «...موسى الذي

---

(١) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي،مرجع سابق، ص ٣٦.
(٢) كابتشينو، ص ١٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٦.
(٤) الرواية ،ص ١٧.
(٥) عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح ،مرجع السابق ،ص ٢٧.

تربى في البلاط الفرعوني...و أصبح قائدا مهابا ، ولكن واجهته ثورة فلم يكن موسى مصريًا خالصًا ، ورغم أنه تعلم في هيلبوليس مع أكبر الكهنة فلم يهتم بتأدية الشعائر المصرية ، واضطر موسى للهرب إلى مدين...»(١)، كما يعتبر قصر فرعون مكانا بدلالة سلبية إذ به قتل الأولاد ووأدهم وهو هنا مكان الظلم و الاستبداد و القهر.

إن الروائي بعدها انتقل من مكان مغلق إلى مكان مفتوح و هو"التل".

٢-٢ المكان المتناهى في الكبر:

٢-٢-١ التل:

مكان وجود "دار شهرزاد " وهو يدل على العلو حيث وردت عبارة "تل " في قوله: «الدار بنيت على التل...التل يطل على القرية»(٢)، والمكان المرتفع غالبا ما يدلّ على السمو والرفعة.

وهو يوحي إلى أن الإنسان فيه يتيه ويفقد نفسه. ولهذا جسده الروائي في روايته "كابتشينو" ليدل على عمق المدلول وأصالته، علاوة على ذلك ذكر هذا الفضاء مرة أخرى وكان ذلك في قوله:«صعد كاظم إلى التل»(٣)، وهذا دليل على كون "التل "كان المتنفس الوحيد "لكاظم" إذ كان من خلاله يخرج ما بداخله من مشاعر ومكبوتات، وتكرار هذا الفضاء كان للدلالة على أهميته في هذه الرواية.

٢-٢-٢ القرية:

يعمد الروائي إلى تكرار كلمة "قرية" ويظهر ذلك جليا في قول "السيد حافظ" من خلال روايته "كابتشينو" «التل يطل على القرية... قرية سهر وشهرزاد...» (٤)، وهنا للدلالة على الانتماء الاجتماعي والنفسي، وكأن "القرية "هنا هي خاصة "بسهر" و"شهرزاد"، بينما يرتبط المكان أشد الارتباط بالشخصيات إذ أن وجود هذه الشخصيات دليل على وجود "القرية "والعكس. ومرد ذلك إلى كون صورة "القرية" تضغط على تفكيره وخياله، وكل هذا من اجل أن يشد القارئ لجمالية هذا المكان. كما أن الروائي في هذا المقام يبين

---

(١) كابتشينو، ص ٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤.
(٤) المصدر نفسه،ص ١٠.

لنا ويدقق في هذا المكان ويشد انتباهنا إلى جمال وبساطة "القرية "ومنظرها الخلاب الذي يسحر النفوس. كما يبين لنا وظيفة هذا المكان ويعرض لنا جمالياته على سبيل التدرجِ. و"للقرية" تعابير شتى من أخوة ومساعدة بين سكان "القرية " لبعضهم بعضًا، كما" تمتاز بكونها تخلو من مظاهر الفوضى التي تعيشها المدينة، وسكان"القرية" ليسوا شعبا كئيبا، هم في الغالب سعداء مطمئنون، لأنهم... يجهلون ما تسميه الحضارة الغربية «اللارضى» لا يعانون، بعيدين عن التوترات والمنغصات النفسية الناتجة عن الاحتكاك بالآخرين، وهم شعب متسامح بطبعه تسوده العلاقات المنبثقة عن حياة الريف، إذ أن المجتمع القروي تقوم علاقاته أيضا على التواصل والتفاعل فيما بينهم، ولهم خصائص تميزهم عن غيرهم من المدنيين كالتمسك بالعادات والتقاليد والقواعد والسلوك الجمعي والعرف وهم أكثر الناس تمسكا بالدين [١].

<u>٢ - ٢ - ٣ الجبل :</u>

ارتبط هذا المكان واقترن بالبحث عن الراحة النفسية والاطمئنان كما ارتبط بلحظة زمنية واحدة تمثلت في الحاضر، لكنه ذكر بصفتين مختلفتين الأولى كونه مكانا يبرز من خلال اتصافه بالبرودة، أما في الثانية فذكر بطريقة صريحة عابرة، والعبارة الأولى التي ورد بها في قوله:« جاءت سهر إلى شهرزاد ...اقتربت منها وهي جالسة أمام الموقد ...فمازال البرد في الجبل.».[٢] يرتبط "الجبل" هنا بشخصيتين وهما "شهرزاد" و"سهر"؛ إذ تربطهما بالجبل علاقة مباشرة البرد الذي في "الجبل" هو الذي جعلهم يقتربون من الموقد ويصنعون القهوة السادة، وقد ظهرت هذه العلاقة من خلال أن قرية "شهرزاد" و"سهر" محاذية للجبل ظاهر جليا من خلال قوله :«الثلج يغطي الجبل المطل على قريتنا في الشتاء»[٣]، ويوحي الجبل بالعلو والصلابة والشدة والقوة والرسوخ والفخامة، ويدل أيضا على الهيبة وعلى الجلد والصبر عند الرجال العظام ،و«ما دام هو عاليا فهو عظيم، إن علو موقعه برهان

---

(١) ينظر: مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ،١٩٩٥ ص ٢٥ .

(٢) كابتشينو، ص١١.

(٣) مصدر نفسه، ص ٤٨.

على عظمته» [١]،كما أن للجبل قيمة عاطفية أكثر من قيمته المادية ذلك أن الوصف الذي تأتى عليه كان ملتحما بالسرد لأنه يهدف إلى إظهار العلاقة بين الجبل والشخصيات والدور الذي تلعبه برودة الجبل في إضفاء اللحمة بين الشخصيات.

أما العبارة الصريحة الثانية فتأتت على الشكل التالي: «المكان/ الجبل»[٢] ، إن السيد حافظ هنا أشار إلى هذا المكان مجرد إشارة وفي هذه الرواية يعتبر الجبل فضاء رئيس، وفيه تتوالى الأحداث .

الجبل بالنسبة لسهر هو نوع من إحساس الاطمئنان المتصل اتصالا مباشرا بروحها أولا وبجسدها ثانيا من خلال قوله : «سهر على الجبل...الذي خلق السهل والجبل ... صعدت سهر على الجبل كي ترى الخالة شهرزاد...»[٣] ، وهذا الاتصال إنما هو اختياري. وعلاوة على ذلك فالروائي دائما يربط المكان بالشخصيات في قوله أيضا:« صعدت الجبل، والعصفور يطير فوقها كأنه حارس كأنه طفل شقي يراوغ صديقته أو حبيبته...لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر...»[٤]. وهناك مثال آخر يدل على البحث عن الاستقرار والأمان.

٢ - ٢ - ٤ سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام:

وظف "السيد حافظ" الرموز المكانية إذ تدل على المكان العتيق عموما، وهذا المكان له وجود تاريخي عريق عند العرب، وهنا للدلالة على القومية. ولهذا المكان إيحاءات متعددة أخرى؛ حيث أنه مكان مجازي، وجاء هذا الوصف من خلال العبارة «... تعانق عيناها الأفق الأزرق البعيد عن السماء ... سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام...»[٥]، وهذه الرؤية التي صورها لنا "السيد حافظ" هي خيالية ويهدف من خلالها إلى إشعارنا بمكانة هذا المكان وعلو منزلته، ويحسسنا من خلال تكرار استعماله بصلة القومية التي بيننا والإحساس بقوة هذه الصورة التي جسدها في روايته "كابتشينو" وهي صورة تدل على الأمل بعد المعاناة المريرة؛ وهي معاناة جرّاء الغربة التي تعيشها

---

(١) غاستون باشلار، جماليات المكان ،المرجع السابق ،ص١٦٣.
(٢) كابتشينو،ص ٨٠.
(٣) مصدر نفسه، ص ٨٤.
(٤) مصدر نفسه، ص ٨٤.
(٥) كابتشينو، ص ١٠.

الشخصية، لذلك قال إنها تعانق عيناها الأفق الأزرق السماء ... سماء سوريا ولبنان وبلاد الشام أي أنها تناشد الوطن وتحن إليه، وهي هنا للدلالة على الاحتماء والحنو إلى الوطن كما ذكرها الراوي الارتباط مع مختلف البلدان العربية .

٢ - ٢ - ٥ الصحراء:

من الأماكن المفتوحة التي وظفها الروائي"الصحراء" ولها دلالات الاتساع والفخامة واللانهائية... وامتداد يحمل حركة... فسعة الصحراء تمنحها الرحابة... وشساعتها تغري البصر ليكتشف ما فيها، وهي تدعو للتأمل المقترن بالبهجة. [١] والصحراء تضفي على الحياة المتعة وتشعل الشوق بوجدان مشاهدها؛ حيث أنها تؤثر فيه بجمالها من كثبانها المترامية هنا وهناك، وتزيد من انفعالات الناس، كما تؤثر في أفكارهم وعواطفهم لأن جمال هذا المكان ومساحته الواسعة أثرت وتركت صورة راسخة وعميقة في نفسية متأملها.

والصحراء في رواية كابتشينو ذكرها الروائي لأنها أثارت اهتمامه، ومشاهدة هذا المكان من خلال التأمل يبعث في النفس هدوءً وأمنًا، وللصحراء دلالة أخرى ألا وهي الخوف والرهبة لأن الصحراء الواسعة يتيه فيها الفرد إذا لم تكن له خبرة الغوص في أرجائها، فالصحراء هاهنا تعبر عن الموت المحتم والفناء، وهي أيضا حاملة لهموم كثيرة ويتجلى هذا الكلام من خلال قول "السيد حافظ" :« بي وهج حزين... الحزن في أوردتي هوية تسير ربما جاء الحزن... من العشق والصحراء... ربما...»[٢].

وإن ذكر الروائي لمكان الصحراء كان وكأنه يهيئ القارئ أو المتلقي ليسافر به في شساعة الصحراء «...وكأني أرى...قد هيأ ذهن المتلقي ليضعه أمام شساعة المكان وامتداده، أمام الإيهام والمخادعة وموت الزمان...»[٣].أي أنه هنا كأنه يبهر القارئ بهول وروعة جمال هذا المكان، وكيف بإمكانه أن يوقف الزمان بك من أجل أن تتأمل في هذا المنظر الخلاب.

---

(١) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص٧٧.
(٢) كابتشينو، ص٧٢.
(٣) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق ص٨١.

إن هذا المكان متصل بشخصيتين وهما "محب ونور" كونهما عاشقين ويبين لنا العلاقة بين الشخصيات وبين هذا المكان وكيف تأثروا به من خلال سحر هذا المنظر، ويتضح تأثير الصحراء في الشخصيات من خلال القول الآتي :«الصحراء تربي نفوس أبنائها، صفات الشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة، كبرياء الرجال العظام »[١]، وفي هذه الصحراء يكمل الروائي ويفصل لنا الأحداث بكل حذافيرها من خلال ما جرى بين "محب ونور".

٢-٢-٦ مصر:

تتوضح دلالة "مصر" من خلال قداستها و عراقتها، ولما لها من خصوصية إذ تتميز بآثارها القديمة وبشساعة النيل الأزرق وتمتاز بالعلم الغزير والوفير. كما لم يفت الروائي أن يبين لنا الحكام والملوك الذين تداولوا عليها إلى جانب ما تتميز به من صفة خاصة ألا وهي تعاقب الأنبياء والرسل عليها، من خلال قوله: «حكى كنعان إلى ابنته نور عن طرد أحمس فرعون مصر الملوك الهكسوس، الذين كانوا يحكمون مصر، وحكى لها عن النبي يوسف ابن النبي يعقوب الذي تولى وزارة الاقتصاد والمال في مصر».[٢] وهنا دلالة على الشموخ والعزة والمكانة المرموقة، مصر مكان المعابد والأهرامات العجيبة لذلك صنفت كونها ضمن عجائب الدنيا السبع، وهذا ما دل عليه قول "السيد حافظ" :«كان يا مكان في بلاد مصر أم العجائب والغرائب...». [٣]

٢-٢-٧ نهر النيل:

يمثل النيل الشساعة والامتداد والجمال الطبيعي الذي يزيد المشاهد الروائية رونقاً وتضميناً، وانفتاحه على الدار من خلال هذا المشهد: «...فلما وضعت ألهمت أن تتخذ له تابوتاً ربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل..»[٤]. وإن ضفاف النيل يجعل المنظر في قمة الروعة والجمال والنيل كان وما زال مصدر رزق لكثير من المصريين ونهر النيل مصب للعديد من المزارع وحتى الأماكن المحيطة به فيجعلها أكثر خصوبة و نماء وأيضا يدل على الحركة والتغيير والتجديد من خلال:«...وقيل إن بنت فرعون التي ذهبت

---

(١) مرجع نفسه ص ٨٢.
(٢) كابتشينو، ص ١٨.
(٣) مصدر نفسه، ص ٨٦.
(٤) مصدر نفسه، ص ٢٠.

لتغتسل في النهر فعثرت على تابوت موسى وتبنته...»[١]، وإن شاطئ النيل هو مكان استحمام النسوة ومكان تدريب شباب الجيش على السلاح في الساحة المقابلة له، وقد شهد على الكثير من الأحداث بين (نور ومحب) حيث أنه يعتبر مكانا عاطفيا بامتياز وهذا يتأتى من خلال المشهد التالي: « تخرج البنات على شاطئ النيل أمام الجزيرة، ويقوم شباب العسكر والجيش في الساحة المقابلة للسباق على الخيول والتدريب على السلاح.. ونور تقف لترى محب...، عندما ترك محب حصانه ونزل إلى النيل ليحضر بعض الماء للحصان، اتجهت نور مسرعة نحوه وتقدمت وهي تحمل قدر الماء ووقفت أمام الحصان الذي أخذ يشرب من قدرها...».

ونهر النيل عند التأمل فيه يذهب الحزن والضجر الذي غص في النفس، ويتضح في النص اتساع المكان وعاطفيته من خلال هذا الحوار:«حين نمنح شيئا ما مكاناً شعرياً فذلك يعني أن نعطيه مساحة أكثر مما نعطيه موضوعية. أو بشكل أدق أن الشيء يتبع تمدد مكانه الحميم».[٢] ومياه النيل الجارية تبعث في النفس الراحة والاسترخاء والراحة وعلى انعكاس ضوء القمر والشمس التيتضيف له بريقاً ولمعاناً وسعة النهر وجريانه على قدر سعة خيال الروائي.[٣] وهذا ما جعل "السيد حافظ" يحيط بجماليات هذا المكان ويجعلنا نتوقف ونتأمله بكل روية ونستمتع بهذه الصورة كأننا أمامها نستمتع بالنسيم الذي يهب منه، وكذلك يجعل القارئ يطلق العنان لخياله .

إن الروائي صور لنا مظهر الخيل المسرعة المتحركة على ضفاف النيل من خلال قول "السيد حافظ رجب":«سحب الحصان من اللجام وسار على النيل »[٤] وعلى هذا فإن لنهر النيل دلالة أخرى وهي كونه يدل على الهلاك والموت والاضطهاد من خلال هذا المشهد:«...وأمرهم أن يلقوا بالمولود الجديد الذكر في النيل ليموت غرقاً ..نهر النيل ليس كمثله نهر..هو صبى ذكى غبي

---

(١) مصدر نفسه، ص ١٩.
(٢) غاستون باشلار، جماليات المكان، مرجع سابق، ص ١٨٤.
(٣) ينظر: حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، مرجع سابق، ص ١٣٩.
(٤) كابتشينو، ص٦٨.

مرح طيب، خبيث، خامل، هادئ معظم الوقت.»[١]

٢ - ٢ - ٨ الإسكندرية:

هي مدينة مصرية لها تاريخ حافل بالذكريات المفرحة السعيدة والمحزنة الأليمة معاً . وهي تدل على السكون وتفشي الفسق وشيوع المحرمات والعصيان بسبب السياحة وهذا موضح في المشهد الروائي لرواية "كابتشينو في قوله":«السكون في الإسكندرية مثل الملح ضرورة..الإسكندرية مدينة مستباحة صيفا باسم السياحة فتنتشر الإباحية، وهي حالة احتجاج على شكل استسلام، أو عصيان على الحياة...»[٢].

وتعد من المدن الخاملة التي ليست فيها حيوية ولا تجديد حتى الأحلام فيها مستحيلة؛ وهذا ظاهر من خلال قوله:«... سأترك الإسكندرية المدينة البليدة الخاملة التي لا يتخطى أحلام مبدعيها محطة قطار سيدي جابر...».[٣]

٢ - ٢ - ٩ الشارع :

ذكر الروائي الشارع عدة مرات إذ أنه يعد مكانا فسيحا باختلاف أزقة المدينة؛ حيث يجتمع الناس ويمشون في أزقتها، ويلجأ إليها الفرد من أجل التخلص من الهموم والسائر في أزقتها لا تسعه شساعتها ولهذا يقول "السيد حافظ" :«أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء». [٤] ويقصد الروائي هنا بشارع الحنين أنه يحن إلى الأيام الخوالي لما كان يمشي فيها خاليا من الهموم والمشاكل، ويقصد بشارع العطاء ألا وهو شارع الرحمة والإحسان بين الناس، والشارع يكون أحيانا الملجأ الوحيد للناس الفاقدين لمساكنهم وهذا ظاهر جليا في قول "السيد حافظ ":«...وخرج صبري الجمل بواسطة رجل داعية إسلامي شهير هناك هو الشيخ محمد متولي الشعراوي أحضر له الجواز والتذكرة بعد أن تم طرده من الفيلا إلى الشارع ...».[٥] والشارع يبوح لنا بالأحداث الأليمة والمفرحة ويذكرنا بالأحداث التي مرت به ونستشهد بقول السيد حافظ لندل على هذا الكلام:«على ضوء المصابيح في شوارع مدينتنا

---

(١) مصدر نفسه، ص ١٨.
(٢) مصدر نفسه، ص ٣٤.
(٣) مصدر نفسه، ص ٣٣.
(٤) مصدر نفسه، ص ٣٨.
(٥) كابتشينو، ص ١٦٢.

الساحلية كنا نستذكر الدروس تاريخ حافل صلاح الدين الأيوبي-عمر المختار-محمد الخامس...».[١]

٢-٢-١٠ الحمام:

إن ورود "الحمام" في رواية "السيد حافظ" لدليل على الإحساس بالراحة وطهارة الروح والجسد من كل ما يبعث على الاشمئزاز وهو ينشط الإنسان، وإن جو الحمام خلال الاستحمام فيه حرارة ودفء يبعث على الاسترخاء. وهذا موضح في«...حرارة المكان، والخلوة، تهيئ للمستحم جوا مريحا، يبعث الراحة والنشاط والاسترخاء»[٢]وهذا مجسد من خلال المشهد الآتي:«...قالت إنه سيحمي زوجها حتى لا يفكر وهو في الحمام بأي أنثى غيرها...»[٣].

والحمام كذلك يدل على مكان التقاء النسوة بعضهن بعضا لكي يتجاذبن أطراف الحديث وخاصة في الاحتفالات وهذا ظاهر جليا من خلال قول "السيد حافظ":«ربما في الأربعين من مولدك ذهبت بك إلى حمام النساء كما قالت لي النسوة وأخذنا البخور والمغات والمشروبات... والغريب أن كل النسوة كنَّ عرايا في الحمام وحملنك من يد إلى يد احتفاءً بك...»[٤].

وإن الحمام من العناصر المهمة في حياة الإنسان لأنها مصدر راحته ونعيمه، ومظهر الإنسان يزيده هيبة بين الناس ويقويه على العطاء في هذه الحياة .

هناك أماكن يستدل بها من خلال حروف المكان وهو ما يسمى الكلم والحرف حتى وإن لم يعرف بأنه: «الكلمة التي تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها من عناصر الجملة، دلالة خيالية أم حقيقية ».[٥] وهو«طرف الشيء كحرف الجبل، وفي الاصطلاح ما دلَّ على معنى في غيره.»[٦]

---

(١) مصدر نفسه ، ص ٢٧.
(٢) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص ٩٦.
(٣) كابتشينو ، ص ١٢٦.
(٤) مصدر نفسه، ص ٢٩.
(٥) حبيبة العلوي، الفضاء الروائي، دراسة بنيوية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، مرجع سابق، ص ٥٤.
(٦) نادين زكريا، الميسر في الصرف والنحو، دار الكتب الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ط-١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦١.

٣-الحروف المكانية:

على هذا نكون قد اخترنا قائمة عن نماذج من الحروف المكانية حيث أن:

٣-١ ظرف المكان: يحمل اسم منصوب يدل على مكان، ويتضمن معنى "في" وهي تدل على الظرفية والسببية.[١]

في:	تنصحهن بكسب الرجال في البيت عامة وفي الفراش خاصة وفي القرب وفي البعاد وفي كل الأحوال، البرد في الجبل، أعيش...في ضجر، ماذا وجدت في القصيدة، شككت في القصيدة، ترغب في أن تمسك، في ألمانيا، في أوروبا، في كل يوم، في الغروب، في النهار، في المساء، في قلبه تسكن نظرات سهر، في كل حصة يرتبك، فذهب في الحال، في الشارع، في حجرة النوم، في الداخل، في قصر فرعون(٢)،في معبد هيليوبوليس(٢)، في مدين، في الأردن، في مصر، في النيل، في نهر النيل(٢)، في النهر، في الساحة، في الشوارع، في اليوم الأربعين، في الحمام، في الإسكندرية، في حالة احتجاج، في القصر، في الشتاء، خلق الجمال في كل النساء، في بلاد مصر، يعيش في الإسكندرية، تربى في البلاط الفرعوني، الحزن في أوردتي.

٣-٢ حروف الابتداء: وهي التي سبقت ب"من" وقد تأتي للتبعيض.[٢]

من:	أما من يستحقها من الرجال لم يظهر بعد، وضع في نهر النيل من بعيد، أخذ يشرب من قدرها، أتأكد من المطر لم يمح رسالتي، من يدٍ إلى يدٍ، أرحل من شارع الحنين، من فوق التل، من المحيط، من البحر، من اليابس، من التل، من اللجام، من فوق الجبل، لأول مرة ترى الجبل من فوق الشجر،هرب من الإسكندرية.

٣-٤ حروف الانتهاء: وهي الحروف التي تدل على انتهاء الغاية والمجاوزة وتدل أحيانا على الاستعلاء والتمكن: منها"إلى"و"ل".[٣]

---

(١) محمد بكر إسماعيل، قواعد النَّحو والصَّرف بأسلوب العصر، دار المنار، ط١، الجزائر، ٢٠١٠، ص ١١٣.

(٢) محمد بكر إسماعيل، قواعد النَّحو والصَّرف بأسلوب العصر، مرجع سابق، ص١١٢.

(٣) نفس المرجع، ص ١١٣،١١٢.

إلى:	جاءت سهر إلى بيت شهرزاد، أحلم بالذهاب إلى الإمارات، حكى كنعان إلى ابنته نور، جريت إلى الجدار، ربما ذهبت بك إلى حمام النساء، وحملنك من يد إلى يد، أرحل من شارع الحنين إلى شارع العطاء، أرحل من مدينة الغربة إلى مدينة القلق، إلى المحيط ، إلى النهر، إلى الماء، إلى التل، نزل إلى النيل، اضطر للهرب إلى مدين، ثم طرده من الفيلا إلى الشارع، بدأت البروفات تتحول إلى ضحك.
ل:	وهي جالسة أمام الدار لإلقاء السلام، وتحكي لمن تحب، ليراقب الشمس وهي تغرب، تحمل الشمس في الغروب رسائل وجع القلوب في النهار لرب السماء في المساء، ليسأله أن يحضر له سهر ولو لليلة واحدة، قال كنعان لابنته نور، ذهبت لتغتسل، نور تقف لترى محب، اضطر للهرب.

عملية إحصاء تقريبية للحروف المكانية:

الحروف:	في	من	إلى	ل
عدد المرات	٤٥	١٦	١٦	١٠

من خلال الجداول السابقة : نستخلص أن السيد حافظ في هذه المشاهد المدروسة قد استعمل "في" و"من" و"إلى" و"ل" هي الأكثر تواتراً.

ببليوجرافيا الكاتب السيد حافظ وأهم أعماله في المسرح والرواية

- من مواليد محافظة الإسكندرية جمهورية مصر العربية ١٩٤٨
- خريج جامعة الإسكندرية قسم فلسفة واجتماع عام ١٩٧٦/ كلية التربية.
- أخصائى مسرح بالثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من ١٩٧٤/١٩٧٦.
- حاصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحى بمصر عام ١٩٧٠.
- مدير تحرير مجلة (الشاشة) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦- ٢٠٠٧).
- مدير تحرير مجلة (المغامر) (دبى مؤسسة الصدي ٢٠٠٦- ٢٠٠٧).
- مستشار إعلامى دبى مؤسسة الصدى (٢٠٠٦- ٢٠٠٧).
- مدير مكتب مجلة أفكار بالقاهرة (الكويت).
- مدير مركز الوطن العربى للنشر والإعلام (رؤيا) لمدة خمسة سنوات.
- حصل على جائزة أحسن مؤلف لعمل مسرحى موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية سندريلا عام ١٩٨٠.
- حصل على جائزة التميز من اتحاد كتاب مصر ٢٠١٥
- كتب عنه أكثر من ٥٣ رسالة جامعية بين مشروع تخرج أو ماجستير أو دكتوراة.

<u>عرض له في مسرح الطفل</u>

- مسرحية سندريلا (الكويت - سلطنة عمان - البحرين) ١٩٨٣ إخراج / منصور المنصور.
- مسرحية الشاطر حسن (الكويت - دبى - أبوظبى) ١٩٨٣ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية سندس (الكويت - البحرين - قطر) ١٩٨٥ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية على بابا (الكويت - دبى) ١٩٨٥ إخراج / أحمد عبد الحليم.
- مسرحية اولاد جحا (الكويت - البحرين) ١٩٨٦ إخراج / محمود الألفى.
- مسرحية حذاء سندريلا (الكويت - بغداد) ١٩٨٧ إخراج / دخيل الدخيل.
- مسرحية بيبى والعجوز (الكويت - بغداد) ١٩٨٨ إخراج / حسين مسلم.
- مسرحية فرسان بنى هلال (الكويت) ١٩٨٩ إخراج / محمد سالم.
- عنتر بن شداد (الكويت) ١٩٨٩ إخراج/أحمد عبد الحليم
- مسرحية اولاد جحا (مصر) ١٩٨٩ إخراج / المؤلف.
- مسرحية سندس ١٩٨٩ إخراج / خمسة مخرجين.

- مسرحية حكاية لولو وكوكو ١٩٩٠ إخراج / المؤلف.
- مسرحية قميص السعادة – القاهرة ١٩٩٣ إخراج / محمد عبد المعطى

فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضى بطولة وجدى العربى - عبد الرحمن أبو زهرة عائشة الكيلانى - علاء عوض ١٩٩٦ إخراج / حسام عطا

- مسرحية حب الرومان وخيرزان (القاهرة)
- فرقة تحت١٨ القطاع الاستعراضى.. بطولة : مى عبد النبى - لمياء الأمير - محمد عبد المعطى ،أحمد الحجار.
- مسرحية (سفروتة في الغابة) ١٩٩٨ إخراج د. محمد عبدالمعطى

من إنتاج المؤلف .. وتم عرض المسرحية في (مهرجان قرطاج المسرحى بتونس) بطولة / وفاء الحكيم ،محمد عبد المعطى

كتب العديد من الروايات منها :

١- مسافرون بلاهوية ١٩٩٧
٢- نسكافيه ٢٠١٠
٣- قهوة سادة ٢٠١١
٤- كابتشينو ٢٠١٢
٥- شاي أخضر - شاي بالياسمين ٢٠١٤
٦- كل من عليها خان ٢٠١٥
٧- حتى يطمئن قلبى ٢٠١٦
٨- ما أنا بكاتب (تشظى منها روايتان : وهمت به – شط إسكندرية يا شط الهوى) ٢٠١٧
٩- نوروموسى الحبل السري للروح ٢٠١٨
١٠- نيروزي والبنت وجد ٢٠١٨
١١- شهر زاد تحب القهوة سادة ٢٠١٨
١٢- كرس على البحر ٢٠١٨
١٣- هل ما زلت تشرب السيجار ٢٠١٨
١٤- الحاكم بأمر الله وشمس ٢٠١٨
١٥- وتحممت بعطرها ٢٠١٩
١٦- حكاية البنت لاماروقراقوش ٢٠١٩
١٧- لو لم أعشقها ٢٠١٩
١٨- كل هذا الحب ٢٠١٩

١٩- نسيت أحلامى في باريس ٢٠١٩
٢٠- أنا وفاطمة ومارك ٢٠١٢ – رواية رقمية تفاعلية ط ٢٠٢٠
٢١- أنا ومارك ويوسف ٢٠١١ - يوميات رجل يضاجع الوطن والتاريخ – ط ٢٠٢١
٢٢- زينب ومارك وأنا ٢٠١٤ - طبعة ٢٠٢٢
٢٣- الدولاب – مثلث الحب – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢
٢٤- الفلاح عبد المطيع في ثلاث رؤى – تنويعات تقنية على محور واحد – ط ٢٠٢٢
٢٥- سنابل وأحلام – تنويعات تقنية على محور واحد – قصة – فيلم – تليفزيون - ط ٢٠٢٢

مشاريع السيد حافظ الفنية للمسرح

١. الغجرية والسنكوح
٢. وسام من الرئيس
٣. رحلات ابن بسبوسة
٤. أنا ما ليش حل
٥. عريس الغفلة
٦. حكاية الفلاح عبد المطيع
٧. حكاية مدينة الزعفران
٨. الحوش
٩. الراجل اللى لعبها صح
١٠. امسكوا سالم حشيشة
١١. ملك الزبالة
١٢. حرب الملوخية
١٣. الرقص على النار
١٤. عوانس ٢٠٠٠
١٥. بيت الحبايب

كتب مشروعاً مسرحياً للقضية الفلسطينية وحرب أكتوبر والاستنزاف تضمن :

١. رجال في معتقل

٢. يا زمن الكلمة الكذب الكلمة الخوف الحانة الشاحبة العين

٣. والله زمان يا مصر

٤. الأقصى في القدس يحترق

٥. أحبك يا مصر

كتب لمسرح الطفل مشروعا به مسرحيات

١) سندريلا

٢) الشاطر حسن

٣) أبو زيد الهلالى

٤) سندريلا والأمير

٥) سندس

٦) علي بابا

٧) أولاد جحا

٨) بيبى والعجوز

٩) سندباد سواح في البلاد

١٠) قطر الندى

١١) عنتر بن شداد

١٢) فستق وبندق

١٣) القطة يويو

١٤) أحلام بابا نويل

١٥) حمدان ومشمشة

١٦) سفروته في الغابة

١٧) حب الرمان وخيزران

١٨) الوحش العجيب

قدم مشروعا للمسرح التجريبى به

١) كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى

٢) حدث كما حدث ولكن لم يحدث أي حدث

٣) هم كما هم ولكن ليسوا هم

٤) علمونا أن نموت وأن نحيا

٥) الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء

٦) حبيبتى أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان

٧) حبيبتي أميرة السينما

٨) إشاعة

٩) أجازة بابا

١٠) الميراث

١١) سيمفونية المواقف ٥ مسرحيات تجريبية فصل واحد وهى

١٢) إيقاع في رحم الكلمات العذرية

١٣) نغم في الحلم الفوضوى

١٤) تقسيمات مختزنة للشمس

١٥) سقوط حضارة لوط

١٦) الخادمة والعجوز (٦ مسرحيات تجريبية)

١٧) المفتاح

١٨) الخلاص يا زمن الكلمة الكدب الكلمة الخوف

١٩) سيزيف القرن العشرين

٢٠) الأشجار تنحنى أحيانًا (مسرحيات تجريبية) وهي

٢١) رجل ونبي وخوذة

٢٢) امرأة وزير وقافلة

٢٣) **طفل وقوقع وقزح**
٢٤) **لهو الأطفال في الأشياء شيىء**
٢٥) **تكاثف الغثاثة على الخلق موتًا**
٢٦) **خطوة الفرسان في عصر اللاجدوى.. كلمة**
٢٧) **محبوبتي محبوبتي قمر الخصوبة في شرنقة حبنا ميلادًا**
٢٨) **تعثر الفارغات في درب الحقيقة.. بحث**
٢٩) **ياله من عالم مظلم بارد متخبط**
٣٠) **بوابة الميناء**
٣١) **قدم مشروعًا للمسرح النسوي يحتوي على (٥) مسرحيات للنساء تحت عنوان إكسبريسو ومعها**
٣٢) **امرأتان**
٣٣) **ليلة ليلاء**
٣٤) **ليلة الخميس**
٣٥) **ليلة اختفاء الحاكم بأمر الله**
٣٦) **ليلة اختفاء إخناتون**
٣٧) **ليلة اختفاء فرعون موسى**
٣٨) **المنشار**
٣٩) **التحقيق**
٤٠) **صراع الألوان مشروع مسرحيات قصيرة جدًا يضم ٣١ مسرحية بين دقيقة ونصف دقيقة.**
٤١) **المسافر ٢٠١٨**
٤٢) **الجراد ٢٠١٨**

أخرج للمسرح

- **مسافر ليل (لصلاح عبد الصبور) عام ١٩٧٠ من بطولة ٢٥ طفل وطفلة (أصغرهم ٦ سنوات وأكبرهم ١٢ سنة) عرض غنائى**

موسيقى (ألحان حمدى رؤوف وكورال ٤٠ طفل وطفلة) المسافر ٦ شخصيات والراكب ٦ شخصيات عشري السترة ١٠ شخصيات.

- **(الحبل) إيوجين أونيل ١٩٦٨ بطولة مهدي يوسف (المؤلف الشهير الحالي) – معهد إعداد الفنيين التجاريين.**
- **الزوبعة لمحمود دياب، كلية التربية عام ١٩٧٣.**
- **الخروج من ساحل المتوسط قصيدة محمود درويش عرض بطولة ١٢٠ ممثل وممثلة من الشباب.**
- **آه يا وطن ١٩٧٣ قصائد سيد حجاب، مجدي نجيب،عبد الرحمن الأبنودي-فؤاد حداد.**
- **حديقة الحيوان لإدوارد أولبي ترجمة على شلش بطولة "أحمد آدم" نجم الكوميديا حاليًا، صفاء غراب قصاص معروف حاليًا.**
- **كوكو ولولو، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج خاص.**
- **أولاد جحا، تأليف الكاتب ١٩٨٩ إنتاج قصر ثقافة مصطفي كامل.**
- **نال جائزة أحسن مخرج في مراكز الشباب عام ١٩٧٠ عن مسرحية (جواز سفر) إعداد / عن أشعار محمود درويش وسميح القاسم.**

أسس جماعات تجريبية للمسرح

- **فرقة الصعاليك – فرقة ألف باء مسرح – جماعة الاجتياز – وكان ضمن هذه المجموعة الفنان/ فاروق حسنى وزير الثقافة السابق، ود/ مصطفي عبد المعطى وكيل وزارة الثقافة السابق. والفنان مسعد خميس وعلى الجندى ومحمد نوار وقد أخرج يوسف عبد الحميد مسرحية كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى بطولة مسعد خميس ونازك ناز ومسرحية سيزيف بطولة على الجندى..**

ومسرحية إيقاع في رحم الكلمات العذرية بطولة محمد أنور .

- جماعة المســرح الطليعي التي قدمت مســرحية (آه يا وطن) لمدة ١١٠ يوم وكانت أول فرقة للهواة في تاريخ مصـــر تقدم عرضًـــا متواصلاً دون أجازة ـ عام ١٩٧٣.

أعماله في فرق الأقاليم والمحافظات

م	المكان	المسرحية	المخرج	سنة العرض
١	بيت ثقافة أبو تشت	رحلات ابن بسبوسة	فريد عبد الحميد	١٩٩٤
٢	بيت ثقافة السنبلاوين	رحلات ابن بسبوسة	رجائى فتحى	١٩٩٥
٣	قصر شبرا الخيمة	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٤	ميت غمر	ملك الزبالين	على عزب	١٩٩٦
٥	العائم	ملك الزبالين	محمد الخولى	١٩٩٦
٦	القليوبية	ملك الزبالين	ماهر سليم	١٩٩٦
٧	أبو حمص	قراقوش والأراجوز	سيد هنداوي	١٩٩٧
٨	العريش	النديم	عبد الستار الخضري	١٩٩٧
٩	غزل المحلة	خطفونى ولاد الإيه	مجدي مجاهد	١٩٩٧
١٠	بلبيس	رحلات ابن بسبوسة	إبراهيم شكري	١٩٩٧
١١	المسرح العائم	قراقوش والأراجوز	محمد الخولى	١٩٩٧
١٢	بيت منشية ناصر	عاشق القاهرة	أحمد عبد الباقى	١٩٩٨
١٣	قصر	حكم قراقوش	أسامة شفيق	١٩٩٨
١٤	بيت النصر	ملك الزبالين	فوزي شنودة	١٩٩٩
١٥	أبو حمص	ملك الزبالين	عادل شاهين	٢٠٠١
١٦	الجيزة	حرب الملوخية	أشرف فاروق	٢٠٠٢
١٧	أبنوب	حرب الملوخية	عادل بركات	٢٠٠٢
١٨	الغنايم	وسام من الرئيس	محمد المصري	٢٠٠٤
١٩	زفتى	وسام من الرئيس	السيد الحسينى	٢٠٠٤

أشهر ما أخرج السيد حافظ من مسرحيات للمسرح

١) بنطلون روميو تأليف أبو السعود الأبيارى

٢) الغربان - تأليفه

٣) مسافر بلا متاع لجان انوى.

٤) الخواجة لامبو مات لعبد الرحمن الأبنودي

٥) شرق المتوسط لمحمود درويش

٦) الزوبعة لمحمود دياب

٧) الحبل لجان أنوى
٨) حديقة الحيوان لإدوارد أولبي بطولة أحمد آدم
٩) هم كما هم وليسوا هم الصعاليك تأليفه وبطولة مهدي يوسف المؤلف الشهير حاليًا مؤلف يوميات ونيس
١٠) ليالي الحصاد لمحمود دياب
١١) أحبك يا مصر تأليفه
١٢) سندس تأليفه
١٣) الخطوبة لتشيكوف
١٤) المخبأ تأليفى
١٥) والله زمان يا مصر تأليفه
١٦) أحبك يا مصر تأليفه
١٧) مصطفى كامل تأليفه
١٨) عبد الله النديم تأليفه
١٩) مسافر ليل لصلاح عبد الصبور كاملة من بطولة ٣٠ طفلاً ألحان حمدى رؤوف
٢٠) أولاد جحا تأليفه
٢١) ومن أشهر ممن ساعده في الإخراج لسنوات
الأستاذ عادل شاهين
الأستاذ محمد غباشي النجم المعروف الآن
المخرج ناجي أحمد ناجي
المخرج سيد شعبان
المخرج رمضان عبد الحفيظ

أخرج مسرحياته المؤلفة للمسرح من مصر الأساتذة المخرجون

أحمد عبد الحليم أخرج ٤ مسرحيات
محمود الألفي مسرحيتان
مجدى عبيد مسرحيتان
فاروق زكي مسرحية

دكتور محمد عبد المعطي مسرحيتان
دكتور حسام عطا مسرحية
فاروق زكي مسرحية
سمير حسني مسرحية
محمد متولي مسرحية
عبد الرحمن الشافعي مسرحية
أشرف فاروق مسرحية
أحمد إسماعيل مسرحية
سمير زاهر مسرحية
عادل شاهين مسرحية
أسامة شفيق مسرحيتان
مجدى مجاهد مسرحينان
محمد سالم مسرحية
علي سرحان مسرحية
عباس أحمد مسرحية
إميل شوقي مسرحية
بالإضافة لحوالي ٣٠ مخرجًا من أشهر مخرجي المحافظات

أخرج مسرحياته من العراق الأساتذة

د وليم يلدا مسرحية الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء
دكتور سعدي يونس مسرحية حكاية الفلاح عبد المطيع
دكتور عباس التاجر العراق بابل مسرحية حكاية مدينة الزعفران
دكتور بشار عليوى مسرحية اختفاء أبي ذر الغفارى
المخرج هشام عبد الرحمن (إعداد وإخراج) مسرحية (سيمفونية العصافير) الفلسطيني المقيم في بغداد معدة عن مسرحية (حبيبيتي أنا مسافر والقطار أنت والرحلة الإنسان) للكاتب المصري السيد حافظ مع مجموعة من أشعار معين بسيسو ومحمود درويش عرضت في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٨٧ على خشبة المسرح الدوار في المعهد وهي ضمن أطروحات الطلبة للتخرج في المعهد وكانت الممثلة زهرة بدن تمثل أحد أدوار المسرحية الرئيسة فيها ..

من الكويت أخرج مسرحياته

منصور المنصور (مسرحية سندريلا)
دخيل الدخيل (مسرحية سندريلا والأمير الجزء الثاني)
د حسين مسلم (مسرحية بيبي والعجوز)
عبد الله عبد الرسول (مسرحية مدينة الزعفران وحكاية الفلاح عبدالمطيع)

أشهر من أخرج له في الإمارات

جاسم عبيد الساحر حمدان

أشهر من أخرج له من تونس

الطيب السهلي المخرج التونسي أخرج مسرحية الفلاح عبد المطيع مرة في فرقة جزائرية باسم " الليلة نحكى " ونالت جالزة افضل عرض ٢٠١٠ ومرة في تونس لفرقة تونسية تونس باسم "ثورة الصبار"

كتب ودراسات مسرحية قدمت عن أعماله في مسرح الطفل :

- **كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب-المعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٨٤- الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.**
- **كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهي - مكناس المغرب ١٩٨٦-الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.**
- **الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجًا علي بابا- نزيهة بن طالب (الناشر - العربي للتوزيع).**
- **مسرح الطفل عن السيد حافظ – نموذجًا " مسرحية الشاطر حسن " فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.**
- **مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦-١٩٩٧. (المغرب).**

- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية "سندريلا والأمير ـ وقميص السعادة" د. عبد العزيز خلوفة - جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للالسيد حافظ ـ سناء جلال أحمد علي – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – جمهورية مصر العربية ٢٠٠٢- ٢٠٠٣.
- مسرح الطفل - دكتور على عاشور الجعفر– الكويت
- مسرح الطفل في الكويت – د. نرمين الحوطى – الكويت
- خصوصية التأليف لمسرح الطفل في الوطن العربي (نموذجاً السيد حافظ) – م.م. حيدر على الأسدى – العراق.
- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ – د. رشا دياب كلية التربية النوعية – جامعة طنطا – جمهورية مصر العربية.

<u>كتب ودراسات مسرحية عن أعماله في المسرح التجريبي والمسرح والتراث العربي :</u>

- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ- موسكو- تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.
- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربي - صليحة حسني - بحث- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٧.
- كتاب الفلاح في المسرح العربي - نموذجًا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للالسيد حافظ – خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول -المغرب الناشر مركز الوطن العربي ١٩٨٨.
- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبي ذرالغفاري- منصورية مباركي - وجدة - المغرب. الناشر مركز

الوطن العربي ١٩٨٩.

- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ -نموذجًا ٦ رجال في معتقل شنايف الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربي ١٩٩٠.
- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربي.
- السيد حافظ نموذجًا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب- نموذجا- عائشة عابد - جامعة محمد الأول - ١٩٩١.
- التجريب والعبث في المسرح العربي من خلال مسرحية سيزيف للالسيد حافظ – حليمة حقوقى ١٩٩٢.
- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجًا ١ " حبيبتي أنا مسافر و القطار أنت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢-١٩٩٣ بنيونس الهواري. (المغرب)
- المسرح السياسي عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول- وجدة- المغرب - ١٩٩٦.
- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا بنيونس الهواري ١٩٩٩-٢٠٠٠ (المغرب).
- المسرح التجريبي عند السيد حافظ نموذجًا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢-٢٠٠٣ (المغرب).
- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للالسيد حافظ - نموذجًا - فاطمة زكـاوي ٢٠٠٢-٢٠٠٣.
- السيد حافظ والمسرح التجريبي د. ليلى بن عائشة – الجزائر.

المسلسلات التليفزيونية :

- مبارك (١٥ حلقة) إخراج /كاظم القلاف.
- العطاء سهرة (الكويت) إخراج / عبد العزيز منصور.
- الحب الكبير سهرة (الكويت) إخراج / حسين الصالح.
- الغريب سهرة ٣ أجزاء (الكويت) إخراج /يوسف حمودة.
- صغيرات على الحب مسلسل ١٥ حلقة (تليفزيون الكويت) بطولة: حياة الفهد- إخراج / محمد عيسى.
- صدى الأيام سهرة (تليفزيون الكويت) إخراج /كنعان حمد- بطولة : منصور المنصور- هدى حمادة.
- الدرب الجديد سهرة تليفزيونية بطولة : جلال الشرقاوي ـ ياسر جلال ـ طارق دسوقي ـ إخراج / سيد عبيدو ـ (التليفزيون المصري).
- منين أجيب ناس مسلسل ١٥ حلقة بطولة معالي زايد ـ محمد وفيق ـ حنان شوقي ـ محمود الجندي ـ إخراج كريم ضياء الدين (التليفزيون المصري).
- أنا وبناتى في الزحام مسلسل ١٥ حلقة بطولة زيزي البدراوي ـ أحمد خليل ـ سيد عبد الكريم ـ أحمد سلامة إخراج محمد عبد السلام (التليفزيون المصري).
- علاء الدين والأميرة ياسمين مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٢٦ حلقة بطولة / نوال أبو الفتوح ـ أحمد عبد الوارث ـ ضياء المرغني ـ هشام عبد الله ـ ناصر سيف ـ هالة فاخر إخراج / أيمن عبيس (إنتاج التليفزيون المصري).
- عصفور تحت المطر مسلسل في ٣١ حلقة بطولة / أحمد عبد العزيز ـ تيسير فهمي ـ أحمد ماهر ـ وجدي العربي ـ سيد عبد الكريم ـ عزة بهاء ـ تهاني راشد ـ غسان مطر ـ هشام عبد الله ـ ضياء المرغني ـ مخلص البحيري ومن إخراج / محمود بكري (إنتاج التليفزيون المصري).
- همام وبنت السلطان مسلسل أطفال _ يقع المسلسل في ٢٨ حلقة بطولة / هالة فاخر ـ علا رامي ـ وجدي العربي ـ غسان مطر ـ عايدة عبد العزيز ـ حنان سليمان .. ومن إخراج / أحمد مجدي (ومن إنتاج التليفزيون المصري).
- وبحلم بيك يا وطن مسلسل أطفال ـ يقع المسلسل في ٣٠ حلقة ـ بطوله احمد سلامه ونوال أبو الفتح ومحمد وفيق وممدوح وافي وإخراج محمد دنيا.

المسلسلات الإذاعية :

مسلسل البيت الكبير	٩٠ حلقة/ إذاعة قطر مدة الحلقة ١٥ق
مسلسل غرباء في الحياة	البحرين / إذاعة ٣٠ حلقة.
٥ مسلسلات إذاعة –الكويت	المسلسل ٣٠ حلقة .
٩٠ حلقة برنامج كتاب خليجى	إذاعة قطر .
٣٠ حلقة إغاثة الأمة	إعداد وسيناريو - انتاج إذاعة قطر إذاعة قطر .
٣٠ حلقة مسلسل جنون وفنون التاريخ	إذاعة أبو ظبى - إخراج / حبيب غلوم
٣٠ حلقة مسلسل علاء الدين والأميرة ياسمين	إذاعة الكويت إخراج / أحمد مساعد بطولة محمود يس
٣٠ حلقة مسلسل سندباد	إذاعة الكويت .إخراج أحمد مساعد
٣٠ همام وبنت السلطان	إذاعة البحرين - إخراج/ إبراهيم عيسى

من أهم الكتب التى كتبت عن السيد حافظ

١- الفعل الدرامى في مسرح السيد حافظ - دكتور مصطفى رمضانى (مغربى) و٦ باحثين معه.
٢- التشظى وتداخل الأنواع الأدبية (تجربة السيد حافظ في المسرواية) "جزءان" د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٣- التنوع الدلالى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٦- المسرح التجريبى بين المراوغة اضطراب المعرفة د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٧- إشكالية الحداثة والرؤى النقدية في المسرح التجريبى د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
٨- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية.
٩- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١٠- المشاكس د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية
١١- انحطاط العالم د. إبراهيم بوخالفة –الجزائر.
١٢- تمثيل العالم د. إبراهيم بوخالفة –الجزائر.
١٣- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاى بالياسمين –د. محمد زعترى - الجزائر.
١٤- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى إعداد الدكتور: مفتاح خلوف –الجزائر –ط ٢٠٢٠م.
١٥- الحب الملكى –سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية –د. نجاة صادق الجشعمى – عراقية ٢٠٢٠م

١٦- السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات– إعداد الكاتب : أحمد حافظ - مصر - ط٢٠٢٠م

١٧- امبراطورية المسرح – دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ - د. ناديه سعدونى ،الجزائر ط ٢٠٢٠م.

١٨- جمالية الكتابة المسرحية والسردية عند السيد حافظ أ.د. كمال الدين عيد ،مصر ،ط. ٢٠٢٠م.

١٩- الهجنة الأجانسية في أعمال السيد حافظ الإبداعية - د. نادية سعدونى – الجزائر – ط ٢٠٢٠م.

٢٠- مملكة السرد " دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م

٢١- معارك المسرح " دراسات في النقد المسرحى لنصوص السيد حافظ " د. إبراهيم بوخالفة – الجزائر – ط٢٠٢٠م

٢٢- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى – رسالة ماجستير – مى جمال الشربينى – ط٢٠٢٠م

٢٣- ثورة الإبداع في المسرح والسرد - نموذجًا الكاتب السيد حافظ - الدكتورة وفاء كمالو – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى – العراقية – ط٢٠٢٠م

٢٤- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية في مسرح السيد حافظ - إعداد : "أسمهان سعودى و سناء نويوية " اشراف د . محمد زعيتري – الجزائر - ط٢٠٢٠م.

٢٥- التجريب فى المسرح العربى مسرح السيد حافظ نموذجًا – إعداد : عبد الحق قرطيط – إشراف الدكتور / يونس لوليدي – المغرب – ط٢٠٢٠م

٢٦- صور المرأة وأبعاد توظيفها فى مسرحيات السيد حافظ – إعداد عفاف صغيرة و نادية زوالى – إشراف الدكتور / مفتاح خلوف – الجزائر – ط٢٠٢٠م.

٢٧- التشاكل الأجناسى فى سباعية السيد حافظ – د. أمل درويش – القاهرة

٢٨- إستراتيجية النص وتفاعل المتلقى في الخطاب الأدبى رواية "كابتشينو " للسيد حافظ – د. ربيعة حنيش – الجزائر

٢٩- عمالقة على المقهى مع السيد حافظ – الكاتب والناقد أحمد حافظ – ط٢٠٢١.

٣٠- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب." - ط٢٠٢١.

٣١- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية وعولمة النقد – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب." - ط٢٠٢١.

٣٢- العنونة ما بين الصورة والزمانكية في الرواية – ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب." - ط٢٠٢١.

٣٣- شرنعة العشق ما بين البراجماتية والدوجماطيقية - ضمن مشروع ورشة النقد للسرد الروائى

"السباعية" الجزء السادس - نموذجًا رواية "ما أنا بكاتب". - ط٢٠٢١.

٣٤- الشخصيات ما بين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان. ط٢٠٢١.

٣٥- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الرابع - نموذجًا رواية "كل من عليها خان". - ط٢٠٢١.

٣٦- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الخامس - نموذجًا رواية "حتى يطمئن قلبى". - ط٢٠٢١.

٣٧- التمرد على نمطية السرد في بنية الرواية - ضمن مشروع النقد للسرد الروائى "السباعية" الجزء الثانى - نموذجًا رواية "كابتشينو". - ط٢٠٢١.

٣٨- تجليات التناص في رواية "أنا وفاطمة ومارك" – د. حنان حطاب – ط٢٠٢١.

٣٩- بناء البطل التراجيدي في مسرح السيد حافظ – إشراف: دكتور / عزوز ختيم
إعداد الطالبين بن حافظ عائشة ـ بوزيدي زكريا - جامعة محمد بوضياف المسيلة – الجزائر ط٢٠٢١.

٤٠- السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء الكويت – ط٢٠٢١

٤١- فنيات الكتابة المسرحية " مسرحية إمرأتان نموذجًا" للكاتب السيد حافظ– دراسة بقلم بسمة حرود ـ نورة حبيب ـ تقديم الدكتور محمد زعيتري – الجزائر - طبعة ٢٠٢١م.

٤٢- البنية السردية في الرواية العربية الحديثة رواية "ما أنا بكاتب" للسيد حافظ رسالة ماستر - الجزائر بقلم بلقليل دلال و بن صوشة كنزة – ط ٢٠٢٢

٤٣- المرأة والبعد الاجتماعى والعقائدي في رواية "كل من عليها خان" للسيد حافظ - إعداد: حمريط زهيرة - خلفة إيمان – ط ٢٠٢٢

٤٤- البعد السياسى التحريضى في نصوص السيد حافظ المسرحية بقلم ايمان خالد مهدي عمران – ط ٢٠٢٢

٤٥- البناء الفنى في الرواية الممسرحة نموذجًا رواية كل من عليها خان للسيد حافظ دراسة بقلم أ. فضيلة طايبى و أ. آسيا خيتوس – ط ٢٠٢٢

٤٦- تشكيل النّص غير الملفوظ فى مسرحيات السّيد حافظ رسالة ماجستير بقلم زهرة هبوب وصفية زلوف - إشراف البروفسور مفتاح خلوف – جامعة محمد بوضياف – الجزائر – ط٢٠٢٢

٤٧- السيد حافظ في عيون نقاد وأدباء فلسطين – ط ٢٠٢٢

قائمة بكتب الدراسات النقدية عن أعمال الكاتب / السيد حافظ

١- السيد حافظ في عيون نقاد وأدباء فلسطين - مجموعة نقاد من فلسطين
(د. إبراهيم طه - أ. عبد الله الشيتى - أ. حسن عبد الهادي - د. نادر القنة - أ. وليد أبو بكر أ. عبد القادر كراجة - أ. ناصر العودة (سليمان الشيخ - أ. ماجد الشيخ)

٢- البناء الفنى للحكاية الشعبية على بابا والأربعين حرامى بين الموروث الشعبى
أ. يوسف عبد الرحمن إسماعيل

٣- البناء الفنى في الرواية المسرحة نموذجًا رواية كل من عليها خان للسيد حافظ
أ. فضيلة طايبى - أ. آسيا خيتوس
٤- إعادة كتابة التاريخ في مسرح الطفل العربى. مسرحية . أبوزيد الهلالى. للسيد حافظ
إعداد سعاد مدانى - نصيرة بن زموري
٥- السيرة الشعبية في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - د. طارق الحصري.
٦- المرأة والبعد الاجتماعى والعقائدي في رواية "كل من عليها خان" للسيد حافظ
زهيرة حمريط - إيمان خلفة
٧- تشكيل النّص غير الملفوظ في مسرحيات السّيد حافظ - رسالة ماستر : صفية زلوف - زهرة هبوب
٨- هندسة الشخصيات في رواية ليالى دبى للكاتب السيد حافظ - فاطمة صغيري
٩- البعد السياسى التحريضى في نصوص السيد حافظ المسرحية - إيمان خالد مهدي
١٠- البنية السردية في الرواية العربية الحديثة - السيد حافظ نموذجا - دلال بلقليل - كنزة بن صوشة
١١- الحاكم بأمر الله ما بين بن باكثير والسيد حافظ و سالم بن حميش - ا.د . محمد عبازه
١٢- السيد حافظ في عيون كتاب وفنانين ونقاد العراق - إعداد. نجاة صادق الجشعمى
د. نجاة صادق الجشعمى - د. خلود جبار عبيد - د. نزار شبيب العبادي م.م. حيدر على الأسدي
أ. سحر الجابري - د. ستار عايد العتابى - م.م. زينب نوري لعيوس - أ. صالح البدري - د. خلود محمود عبود أ. أحمد سعدون البزونى - أ. يوسف عبود جويعد)
١٣- "السيد حافظ في عيون كتاب ونقاد وأدباء الكويت"
إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى (د. محمد المنصور ،د. نرمين يوسف الحوطى ،د. محمد مبارك الصوري ،
أ. آمال الغريب ،أ. عبد الله عبد الرسول ،أ. عماد منصور المنصور ،أ. صالح الغريب ،
أ. عبد المحسن الشمري ،أ. أحمد الرقعى ،أ. فيصل السعد ، أ. خليل الوادي.)
١٤- بناء البطل التراجيدي في مسرح السبد حافظ - زكريا بوزيدي. عائشة بن حافظ
١٥- حضور الفاطميين في مسرحيات السيد حافظ - د. نزار شبيب كريم العبادي
١٦- السرد الروائى ما بين خلخلة التأريخ وتجاوز الذاكرة - د. نجاة صادق الجشعمى
(أ.د. هاجر مباركى - د. وفاء كمالو - د. سعيدة خلف - د. داليا بدوي - أ. شيماء أحمد رُميح
أ. رضوى جابر شعبان - أ. حسن الجوخ - أ. بسنت حسين - أ. مى جمال الشربينى
أ. طايبى فضيلة - أ. خيتوس آسيا)
١٧- الشخصيات ما بين المرئى واللامرئى والثابت والمتغير في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا
إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى (أ.د. فايزة محمد سعد - أ.د. سيد على إسماعيل - د. عايدي على جمعة - د. كاميليا عبد الفتاح - أ. إيمان الزيات - أ. رضوى جابر - أ. أحمد حنفى - أ. أمل سالم)
١٨- التجريب وانحرافات السرد في الرواية - السيد حافظ نموذجا
إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى (د. نجاة صادق الجشعمى - أ.د. هاجر مباركى

د. أفكار أحمد زكى - د. سعيدة خلف - د. وفاء كمالو - د. كاميليا عبد الفتاح-
د. محمد مخيمر د. داليا بدوي - د. رائدة العامري - أ. إيمان الزيات
أ. احمد محمد الشريف - أ. سحر الجابري أ. بسنت حسين - أ.فاديا سلوم - أ. رضوى جابر)

١٩- التجريب ومكونات البنى السردية في الرواية- السيد حافظ نموذجا - إعداد : نجاة صادق الجشعمى.
٢٠- العنونه ما بين الصورة و الزمانكية في الرواية- السيد حافظ نموذجا- د. نجاة صادق الجشعمى
٢١- تجليات التناص في الخطاب السردي. رواية أنا وفاطمة مارك للسيد حافظ نموذجا (سميحة بايفوح - والزهرة خنوش - وراضية كبور)
٢٢- عمالقة على المقهى مع السيد حافظ - إعداد أحمد حافظ
٢٣- معمارية البناء وجماليات السرد ما بين الزمانكية و عولمة النقد - السيد حافظ نموذجا إعداد : د. نجاة صادق الجشعمى
٢٤- التجريب وجماليات البناء السردي في الرواية العربية - السيد حافظ نموذجا - د. نجاة صادق الجشعمى
٢٥- التشاكل الأجناسى في سباعية السيد حافظ - د. أمل درويش
٢٦- إستراتيجية النص وتفاعل المتلقى في الخطاب الأدبى رواية "كابتشينو" للسيد حافظ - د. ربيعة حنيش
٢٧- الحب ما بين الاصطلاح والرمزية - روايات السيد حافظ نموذجا - د. نجاة صادق الجشعمى
٢٨- تجليات الحداثة في الخطاب السردى المعاصر كل من عليها خان للكاتب السيد حافظ نموذجا - د. فايزة محمد سعد
٢٩- صورة المجتمع في نصوص مسرح الطفل المستلهمة من التراث عند السيد حافظ د. هدى سعيد عبد العليم
٣٠- فنيات الكتابة المسرحية "مسرحية امرأتان" نموذجًا للكاتب للسيد حافظ بسمة حرود و نورة حبيب
٣١- المسرح والتراث والتاريخ تجربة السيد حافظ - سميرة أوبلهى
٣٢- التجريب في المسرح العربى مسرح السيد حافظ نموذجًا - عبد الحق قرطيط
٣٣- صورة المرأة وأبعاد توظيفها في مسرحيات السيد حافظ "نماذج مختارة" عفاف صغيري و نادية زوالى
٣٤- ثنائية المخاتلة بين النص الغائب والصورة الذهنية في مسرح السيد حافظ أسمهان سعودي و سناء نويوة
٣٥- بلاغة التعبير عن فكر الكاتب السيد حافظ السياسى في إبداعه الروائى د. مى جمال محمد محمود الشربينى
٣٦- بناء البطل التراجيدي في مسرح السيد حافظ - بن حافظ عائشة - بوزيدي زكريا
٣٧- ثورة الإبداع في المسرح والسرد نموذجًا الكاتب السيد حافظ - د. وفاء كمالو

٣٨- جمالية الكتابة المسرحية و السردية عند السيد حافظ- د. كمال الدين عيد
٣٩- مملكة السرد- دراسات نقدية في سرديات السيد حافظ- بوخالفة إبراهيم
٤٠- الهجنة الأجناسية في أعمال السيّد حافظ الإبداعية- د. نادية سعدونى
٤١- إمبراطورية المسرح- دراسات نقدية في مسرح السيد حافظ- د. نادية سعدونى
٤٢- مفهوم الثورة في مسرح الطفل في أعمال السيد حافظ- رشا دياب
٤٣- السيد حافظ والذاكرة المسرحية في حوارات- أحمد حافظ
٤٤- خصوصية التأليف في مسرح الطفل في الوطن العربى-السيد حافظ نموذجا
حيدر على الأسدي
٤٥- التأثيث المكانى في رواية ليالى دبى شاي بالياسمين للكاتب السيد حافظ
سليم ميرة - خالد ربعى
٤٦- تمثيل العالم حفريات في الأدب الروائى للكاتب السيد حافظ- د. إبراهيم أبو خالفة
٤٧- أعمال السيد حافظ المسرحية من الفهم والتفسير إلى صناعة الوعى- د. مفتاح خلوف
٤٨- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الأول- إعداد : نجاة صادق الجشعمى
(أ.د. مصطفى رمضانى - أ.د عبد الرحمن بن زيدان - د. شنايف الحبيب
أ. محمد السعيدى - أ. نصيرة يعقوبى - أ. عبد السلام بوسنينه - أ.د. عبد الكريم برشيد
- أ. الهوارى بن يونس - أ. نعيمة عبد لاوى - أ. محمد المحراوى
أ. ثوريا ماجدولين - أ. سعاد درير)
٤٩- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب- الجزء الثانى- إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
(أ. صفاء درويش - أ.د. عبد العزيز خلوفه - أ. نزيهة بن طالب - د. نادية فضمى
أ. فاطمة حاجى - أ. سميرة أوبلهى - أ. سميرة لمسايح - أ. يمينة الراوي - أ. سعاد درير - أ. زروق أحمد - أ. أحمد مرزاق - أ. حميد حقون - أ. فاطمة زكاوى - أ. حليمة حقونى)
٥٠- انحطاط العالم والسرد العربى السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
د. إبراهيم بوخالفة
(أ. د. / ابراهيم بوخالفة - أ / ليلى بن عائشة - أ / هاجر مباركى - د / نادية سعدونى –
أ / وافية بولفعة - أ / عائشة حمادو - أ / نصيرة علاك - أ / كلثوم باجى –
أ / هيدتش اسماعيل - أ/ عبد النّاصر بن بناجى - أ/ عبد القادر سرير عبد الله)
٥١- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة- السيد حافظ نموذجا
إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (أ.د. إبراهيم بوخالفة الجزائر
د. وفاء كمالو مصر أ.د. السعيد الورقى مصر
د. ليلى بن عائشة الجزائر د. هاجر مباركى الجزائر د. إبراهيم طه فلسطين
د. منيرة مصباح أمريكا د. عبد العزيز خلوفة الجزائر د. نادية سعدونى الجزائر
د. أمال شوقى مصر د. عائشة حمادو الجزائر د. ماهر عبد المحسن مصر
د. وافيه بو لفعه الجزائر د. نصيرة علاك الجزائر أ. عبد الله الشيتى فلسطين
أ. فيصل صوفى اليمن أ. إيمان الزيات مصر أ. شوقى بدر يوسف مصر

أ. يوسف عبد المسيح العراق أ. سعيد فرحات لبنان أ. شاهيناز الفقى مصر
أ. عبد الله هاشم مصر أ. شفيق العمروسى مصر أ. سمير عبد الفتاح مصر
أ. محمود قاسم مصر أ. السيد الهبيان مصر أ. أحمد محمد الشريف مصر)

٥٢- التنوع الدلالى في مسرح الطفل - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
٥٣- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى في مسرح الطفل في الوطن العربى - السيد حافظ نموذجا .. إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
٥٤- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية - السيد حافظ نموذجا - الجزء الأول إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
٥٥- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية - السيد حافظ نموذجا - الجزء الثانى - إعداد : نجاة صادق الجشعمى
٥٦- التجريب في مسرح السيد حافظ - د. ليلى بن عائشة
٥٧- المسرح التجريبى بين المراوغة واضطراب المعرفة - السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
٥٨- إشكالية الحداثة والرؤي النقدية في المسرح التجريبى الجزء الثانى - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

(أ.د. سعد أردش مصر | أ. د. عبد الكريم برشيد المغرب
أ.د جميلة مصطفى الزقاي الجزائر | أ. بنيونس الهواري الجزائر
د. سميرة أوبلهى المغرب | أ. فاطمة زكاوى المغرب
د. أحمد العشرى مصر | أ. عادل النادى مصر
د. مازن الماحى مصر | أ. أحمد غانم مصر
أ. حليمة حقونى المغرب | أ. عبد الغنى داود مصر
أ. نصيرة يعقوبى المغرب | أ. محمود قاسم مصر
أ. محمد يوسف مصر | أ. أحمد الشريف مصر
د. ليلى بن عائشة الجزائر | أ. جبارى عبد الرازق الجزائر
أ. نادية فضمى المغرب | أ. أحمد فضل شبلول مصر
أ. شنايف الحبيب فلسطين | د. مصطفى عبد الغنى مصر
أ. محمد صدقى مصر)

٥٩- إشكالية ملامح الحب ما بين التمجيد بالمقدس والاستلحاق بالمدنس - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
٦٠- انعكاس الثقافات تجانسها وتناقضاتها ما بين التجريب والحتمية في النص الروائى - السيد حافظ نموذجا - إعداد د. نجاة صادق الجشعمى

(د. طالب عمران المعموري - د. رشا غانم - أ. سحر الجابري - د. نجاة صادق الجشعمى –
د. سعيدة خلف - د. مصطفى بوخال - أ. محمد عطية محمود - أ. سليم ميرة –
أ. خالد ربعى - د. وفاء كمالو - أ. أحمد حنفى - د. رياض موسى سكران –

أ. أشرف دسوقى على - د. داليا بدوي - د. محمد مخيمر - أ. فهمى إبراهيم
د. خالد البوهى - د. أدهم مسعود القاق - أ. فاديا سلوم)

٦١- جدلية الأنساق والدلالات الرمزية المضمرة في السرد الروائى - السيد حافظ نموذجا إعداد د. نجاة صادق الجشعمى
(أ.د. كمال الدين عيد - أ. فاديا سلوم - د. جميلة رحمانى - د. حنان حطاب – د. ستار عايد العتابى –
د. لبلبة فتحى خليفة - د. وفاء كمالو - د. أمجد ريان – د. إبراهيم بوخالفة - أ. دينا نبيل عبد الرحمن - أ. عواطف الزين - أ. فهمى إبراهيم - أ. أحمد فضل شبلول - أ. معتز العجمى - أ. أمين بكير - أ. محمد الدسوقى – أ. سحر الجابري - أ. بسنت حسين)

٦٢- كتاب بحث رسالة الحكاية الشعبية في مسرح الطفل في الكويت - دراسة في مسرح السيد حافظ للباحثة آمال الغريب - المعهد العالى للفنون المسرحية ١٩٨٤ - الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧.

٦٣- كتاب بحث رسالة في الشخصية التراثية وظيفتها الفنية والفكرية في مسرح السيد حافظ - سميرة أوبلهى - مكناس المغرب ١٩٨٦ - الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.

٦٤- بحث في اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - موسكو - تحت إشراف المستشرق فلاديمير شاجال.

٦٥- كتاب إشكالية التأهيل في المسرح العربى - صليحة حسنى - بحث - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٧ .

٦٦- كتاب الفلاح في المسرح العربى - نموذجا حكاية الفلاح عبدالمطيع - للسيد حافظ - خديجة الفلاح - جامعة محمد الأول - المغرب الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٨.

٦٧- كتاب البطل الثوري في مسرح السيد حافظ - نموذجا ظهور واختفاء أبو ذر الغفارى - منصورية مباركى - وجدة - المغرب . الناشر مركز الوطن العربى ١٩٨٩.

٦٨- كتاب القضية الفلسطينية في مسرح السيد حافظ - نموذجا ٦ رجال في معتقل شنايف. الحبيب - المغرب. الناشر مركز الوطن العربى ١٩٩٠.

٦٩- مفهوم الإرشادات المسرحية ومسألة التجريب في المسرح العربى . السيد حافظ نموذجا من خلال مسرحية " طفل وقوقع وقزح " حقون حميد - المغرب ١٩٩٢.

٧٠- التجريب في مسرح السيد حافظ الحانة الشاحبة العين تنظر الطفل العجوز الغاضب - نموذجا - عائشة عابد - جامعة محمد الأول - ١٩٩١.

٧١- الشخصية التراثية الشعبية في مسرح الطفل عن السيد حافظ - نموذجا على بابا - نزيهة بن طالب (الناشر - العربى للتوزيع).

٧٢- مسرح الطفل عن السيد حافظ–نموذجا "مسرحية الشاطر حسن" فاطمه حاجى - المغرب ١٩٩١.

٧٣- التجريب والعبث في المسرح العربى من خلال مسرحية سيزيف للسيد حافظ - حليمة حقوقى ١٩٩٢.

٧٤- التجريب في مسرح السيد حافظ نموذجا ١ " حبيبتى أنا مسافر والقطار انت والرحلة الإنسان " ١٩٩٢ - ١٩٩٣ بنيونس الهواري . (المغرب)
٧٥- المسرح السياسى عند السيد حافظ من خلال مسرحية " ملك الزبالة أو الزبالين " رزوق أحمد – جامعة محمد الأول _ وجدة _ المغرب _ ١٩٩٦.
٧٦- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " قميص السعادة " نعيمة عبد اللاوي ١٩٩٦ - ١٩٩٧. (المغرب).
٧٧- إشكالية التجريب في مسرح السيد حافظ أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا - بنيونس الهواري ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ (المغرب).
٧٨- مسرح الطفل عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سندريلا والأمير وقميص السعادة د. عبد العزيز خلوفة.
٧٩- جامعة محمد بن الله - فاس – المغرب ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ .
٨٠- المسرح التجريبى عند السيد حافظ نموذجا مسرحية " سيزيف " سميرة لمسايح ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ (المغرب).
٨١- التراث والمسرح مسرحية " حلاوة زمان " للسيد حافظ - نموذجا - فاطمة زكاي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ (المغرب).
٨٢- دور مسرح الطفل في ترسيخ بعض القيم الأخلاقية عن طريق الحكاية الشعبية نموذج " سندريلا " للسيد حافظ سناء جلال أحمد على – جامعة المنوفية – قسم الإعلام التربوي – مصر ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ .
٨٣- اللغة الشعرية في مسرح السيد حافظ - د. مفتاح خلوف
٨٤- الفضاء الدرامى وآلية إنتاج المعنى في مسرح السيد حافظ - علياء علاء رمضان عباس
٨٥- العتبات وبعثرة التيمات للسرد المهجن في المسرواية - السيد حافظ نموذجًا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
٨٦- شرنعة العشق ما بين البرجماتية والدوجماطيقية - السيد حافظ نموذجًا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)
٨٧- مقامات التجريب وبنيات التشكيل في الرواية - السيد حافظ نموذجًا – إعداد د. نجاة صادق الجشعمى (دراسات نقدية لمجموعة من النقاد)

مشاركات

- شارك في مهرجان
- قرطاج (تونس)
- مهرجان بغداد (العراق)
- مهرجان مسرح الطفل – الأردن
- مهرجان أبو ظبي
- مهرجان القاهرة
- مهرجان الإسكندرية
- مهرجان مطروح
- مهرجان بيجاية (الجزائر)
- مهرجان مدينة وجدة المسرحي (المغرب)
- مهرجان مسرح الطفل (الكويت)
- مهرجان المونودراما الأول في البصرة – العراق.

العنوان : ١٢ش طارق يحيى عبد الغنى – التعاون – الهرم – الجيزة موبايل ٠٠٢٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨ – ٠١٠٦٥٣٣٠٢٩٩

E-mail : Justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

مدونة الكاتب: http://sdhafez.blogspot.com

https://www.facebook.com/alsyd.hafz.7

الفهرس